

تَارِيخُ بَنِي هَاشِمٍ

المُسَمَّي

رَوْضَةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَنْصَامِ

لِرَفِيعِ مَالِ الْإِمَامِ وَنَعْدِ غَزَوَاتِ زَوْجِ الْإِسْلَامِ

تَأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضل دار كرامته

ومشائمه والسلمين آمين

الجزء الأول الجزء الثاني

صورة عن الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

تأليف

المستفي

رؤسمة الأنتكار والأفهام

لرؤسمة عال البرطام وقدره غزوات فروع البرصم

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضلته دار كرامته

ومشائحه والمسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أباطين

صاحب المكتبة الأهلية - بالرياض نجد

تمت الطبعة الأولى في سنة ١٣٦٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا وجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفي من القلب رينا وهورا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ببعثته نال الشرك رجوما ودحورا ، ونصلي ونسلم على محمد الذي خصصته بأسمى المفاخر والرتب وحبوته بأسمى المآثر والفضل والحسب واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب وكان مشهورا ، بعثته متمما لمكارم الأخلاق وأزلت به عن هذه الأمة الإصر والاعلاق فأشرقت به شمس الهدى في جميع الآفاق وصار داعيا إلى توحيدك وسراجا منيرا . وأنزلت عليه في محكم كتابك صريح أمرك وخطابك وما يرتجى به عظيم ثوابك (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم) وكفى بها سعيرا ، فبادرني هذه الأمة المكشوف به عنهم النعمة إلى فعل هذه المهمة وشرعن ساعد الجد فيها تشميرا ، فأسرع في الامتثال ونصب راية الجهاد والقتال حتى أباد ذوى الشرك والضلال وجاهدهم به جهادا كبيرا ، وعلى أزواجه وأصحابه وجميع أنصاره وأحزابه وتابعي نهجه وأحبابه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى بعث نبيه الكريم بالشرع الواضح القويم والمنهاج اللائح المستقيم ملة أيينا إبراهيم وكان إذ ذاك ظلام الشرك مستظيرا ، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان والأصنام واندرست حنيفة الخليل عليه السلام وجدوا في عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة وأزاح حنادس الجهالة وأتاح الهلاك أولى الضلالة فدعوا عند ذلك ويلا وثبورا ورفع قواعد التوحيد وشاد وخفض منار الكفر وأباد وجزم أهل النقي والفساد وأعلى كلمة الحق بين العباد ونشر في الآفاق علم الجهاد فلم يزل والله الحمد مرفوعا منشورا وأيده آيات واضحات شهيرة ومعجزات باهرات منيرة وقواطع لأعدائه مبيرة وأعظمها القرآن

الذي رجعت عن معارضة سورة منه أبصار البلقاء خسيثة حسيرة (قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً) فأكمل الله تعالى لأمته الدين ودحض ببرهانه حجج المبطلين وأسفرت به
وجوه الموحدين وازدادت قلوبهم بآياته تنويراً فوردوا من زلاله سلسيلاً ، وشربوا
من سلساله كوؤسا كان مزاجها زنجبيلاً ، ولم يسلكوا غير هديه سبيلاً لما ألقوه منها
نميراً (وسقاهم ربهم شراباً طهوراً) فلم يزل صلى الله عليه وسلم صاعداً على منيف ذلك
المعراج سالكا شريف ذلك المنهاج مقتحماً فيه الحزن والسهل من الفجاج حتى استقام
الدين وزال منه الاعوجاج وأقبل الناس يأتونه زمراً وأفواج ، فتمت نعمة الله تعالى
وعمّ السرور والابتهاج ونالوا من سعادة الدارين حظاً موفوراً ، ثم لما اطلع الله تعالى
به بدر الهدى وسعده ورفع في الملاء الأعلى نخره ومجده قبضه إليه واختار له ما عنده
فقام بواجب الجهاد خلفاؤه بعده حتى قصموا بعرفاتهم من كان خواناً كفوراً ،
فجندوا الأجناد وخفقت راياتهم في كل بلاد ، فدان لهم كل حاضر وباد فأضحى أصل
الكفر مجزوما مكسوراً وفتحوا البلدان شرقاً وغرباً ودوخوا الجبابرة طعناً وضرباً
وصدقوا البيعة عليهم فعوضهم في جناته حدائق غلبا (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً)
فلم يبرح بعدهم ذلك الأثر يجاهد من أشرك بالله وكفر حتى عفى رسمه ودثر بعد أن
كان منهجاً مأثوراً وتطاوت عليه الأحوال والسنين وتكررت عليه الأعوام حيناً
بعد حين وهو إذ ذاك في الرمس رهين ولم يكن يحياه يستبين حتى أحياه إمام
الموحدين ورأس العلماء العاملين وعزة الأئمة المحققين الشيخ محمد بن عبد الوهاب
فصار بآثاره معموراً فجرد رحمة الله عليه القواضي القواضب وجاهد وعصابه كل
ضال ملحد محارب حتى أنجح الله تعالى له المآرب وحقق له مارام من المطالب وراضت
جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكانها عنه هارب فدانوا بذلك توفيقاً
وتسخيراً فكانت أعلامهم في غالب البلدان خافقة وشموس سعدهم في الآفاق شارقة وأسنتهم
بين التوحيد والشرك فارقة وجياد أبضالهم إلى الجهاد سابقة حتى محقوا جميع البدع
والأهواء إزالته وتغيروا وسطروا آيات الرشد تسطيراً فافزوا وبالغاية والمرام وحازوا من الفخر
أعلى مقام حيث قاموا بذروة الإسلام وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصوراً .
هذا ، ولما كانت منزلة العلم أعظم المنازل والتحلى بحلله من أنخم الفضائل لاسيما

للأفاضل والأماثل ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) وكان من أسماها شأنا وغفرا وأسمها رتبة وذكرها وأرفعها منصبا وقدرها وأنفعها عند الله تقربا وحضورا علم الحديث والأثر ومعرفة التواريخ والسير كما نص عليه أرباب الفن والنظر إذ فيه لمقتضيه عبرة من أجل العبر تزيد اللبيب تحقيرا وتبصيرا ونشره في المجالس والمحافل ودرسه في البكر والأصايل وسيلة من أنفع الوسائل إلى التأسى بالمجاهدين فينال مع الأجر قبولا وتوقيرا فيقتنى السامع آثارهم إذا سبر أخبارهم وعرف أنهم بذلوا — رغبة فيما عند الله — أعمارهم فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرا، أردت أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر وشاع في غالب الأقطار واشتهر من الغزوات التي هي في محيا الدهر كالغزور والفتوحات الإسلامية التي مبدؤها العقد السادس من القرن الثاني عشر فرأيت العوم في تياره خطيرا وركوب زاهر أمواجه حظيرا كيف وقد أرسيت في مقام الغربة؟ وهي كما قيل كربة أي كربة ومفارقة الوطن على النفوس صعبة وتحققته أمرا عسيرا ولكن داعي النفس لذلك كثيرا والإمام أيده الله تعالى يعزم على ذلك ويشير حتى بدا طالع الإقبال والسعد والبشير إثر ما كنت في ذلك الشأن أمتخير فشرعت فيه حتى أتفته تصحيحا وتحريرا وتلفتت تلك المغازي ممن حوى في الصدق رياسة وتصديرا ولم أذكر في هذه الغزوات المسطورة والسير المقررة المزبورة إلا الكبيرة الواضحة المشهورة وهجرت ما ليس واضحا وشهيرا وذكرت بعض حوادث السنين مما هو مستفيض من المسلمين خصوصا بلدان الموحدين وذكرت وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين مذكورا وتركت من ليس منهم معروفا ولا مسبورا ورتبته في كتاب وخمسة فصول لأنه أقرب إلى التناول والوصول وأسرع إلى المراد في المحصول واخترت أن تكون فيه الفصول صدورا .

الفصل الأول : في بيان ماجرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد والحسا وغيرها مما يليهما من البلدان .

الفصل الثاني : في بيان نسب الشيخ ومبدأ أمره وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره وما صادمه من علماء عصره .

الفصل الثالث : في سرد بعض رسائلها أرسلها إلى بعض البلدان وإلى بعض خواص الإخوان .

الفصل الرابع : في ذكر شيء من المسائل التي سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب .

الفصل الخامس : في ذكر بعض كلامه على القرآن وما فتح به عليه في متفرق الآي من البيان وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوى التوحيد والإسلام وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام ليسهل تناوله على ذوى الأفهام ولكونها مترتبة وقوعا وصدورا فلما انجلي عن نور بدره غمامه وتفتحت عن نور زهره أكامه وأشرقت بحسنه البديع أيامه وحلت عقوده منها صدورا ونحورا . وسميته :

(روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام)

فحسن والله الحمد ختاماً ولمهوراً فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب كما يقضى به الأملعى الأريب ويشهد به اللوذعى الأديب ولا عبرة بمن كان حاسداً أو غيورا ثم إنى أسأل من نزه في رياضه الأبصار وأورد معين حياضه الأفكار أن لا يبادر إلى الاعتراض والإنكار ويوارى منه هفوة وعثورا ويطلعه بعين الإنصاف والإجلال ويصلح ما رأى به من اختلاف واختلال فهذا شأن ذوى الكمال ، ولا يعجل إذا ألقى تقصيرا أو قصورا والله أرجو أن ينقيه من درن الرياء والإعجاب ويبقيه على سنن الحق والصواب وينيل به جزيل الثواب ويجعله سعيا مشكورا وعملا مبرورا ويعفو عما طغى به القلم واللسان ويقابله بالقبول والرضوان ويثيب عليه في رفيع الجنان ولدانا وحورا .

الفصل الأول

في بيان ماجرى في تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان في نجد

والحساء وغيرها مما يليهما من البلدان

فنقول : كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس وإطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة وغلبة الجهل والجهال واستعلاء ذوى الأهواء والضلال حتى نهجوا في تلك الطرائق منهجا وعرا ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرا وأتوا زورا وبهتانا وهجرا وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجرا ويحوزون به عزا ونخرا فأركبهم على مراكب الأسلاف قسرا وامتلأوا كواهلهم في ذلك السنن قهرا وحسن لهم أن الآباء بحقيقة الحق أدري وأنهم بنهج

منهج الشريعة أخرى فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين وخلعوا ربة التوحيد والدين فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير يعتقد النفع والإضرار في الجمادات كالأحجار والأشجار وينتابون ذلك في أغلب الأزمان والأوقات .

ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات فهم على تلك الأوثان عاكفون ولها في أكثر الأحياء ملازمون (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) لعب بعقولهم الشيطان وأخذ بهم منهج الخسران حتى ألقاهم في قعر الهوان (فلبجوا في طغيانهم يعمهون) تسنموا من الأهواء أسى فتن وأتوا من الضلال أسمى فتن ورفضوا واقع أسنى سنن (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الدين كفروا بربهم يعدلون) أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) شرع لهم شياطينهم (من الدين مالم يأذن به الله) وجعلوا غيره ما لا يجوز صرفه إلى سواه وزادوا على أهل الجاهلية فقد كانوا لا يدعون إذا مسهم الضر إلا إياه ، وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون . ملئوا قلوبهم له بالوجد والمحبة وبذلوا أعمارهم وألستهم في دفع من أبدى لهم مسبة ولم يشتغلوا بالله وكفى لعبده به رغبة وليتهم سووا بينهم في المحبة والطلبية (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم رب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون) وكانت هذه المحبة في سويداء القلب سارية وعلى صفحة الوجه واللسان بادية وأفعال الشرك في غالب الأقطار جارية (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد حدث الغي والإضلال والإسراف ووقع التغيير في الدين والاختلاف من زمان قديم من غير خلاف وجاء بعدهم من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف لأنهم وجدوا عليه الآباء والأسلاف (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وقد نص عليه كثير من العلماء الأعلام في كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث من الأنام وما غير من منار الدين والإسلام (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وكان أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين الأحياء منهم والميتين مجدين مجتهدين

وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد
فإياي فارهبون) أيدعى من لا يملك لنفسه نفعا ولا يصرف عنها من السوء دفعا ويترك
مدبر الخلائق إعطاء ومنعا (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون)
فعدوا عليها في قضاء الحاجات وراحوا وابتهلوا لديهم في ذلك وباحوا وأحلوا ما حرم الله
واستباحوا (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير
الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وكان
في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم والكل على تلك الأحوال مقيم ، وفي ذلك الوادي
مسيم (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وقد مضوا قبل بدو نور الصواب
يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد
ابن الخطاب فيدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ويسألونه كشف النوب من
غير ارتياب (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى
عما يشركون) وكان ذلك في الجبيلة مشهورا وبقضاء الحوائج مذكورا وكذلك
قريبه في الدرعية يزعمون أن فيها قبورا أصبح فيها بعض الصحابة مقبورا فصار
حظهم في عبادتها موفورا فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون (أفكأ آلهة دون الله
تريدون) وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة وأخف عندهم
رجاء ورغبة فلذلك كانوا في طلب الحاجات فهم يبتدون ويقولون (إنا وجدنا آباءنا
على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وفي شعيب غبيرا يفعل من الهجر والمنكر ما لا يعهد
مثله ولا يتصور يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وذلك كذب محض وبهتان
عزير مثله لهم إبليس وصور ولم يكونوا به يشعرون ، وفي بليدة الفدا ذكر النخل
المعروف بالفحال يأتونه النساء والرجال ويفقدون بالسكر والآصال ويفعلون عنده
أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ولم تأتها
لنكاحها الأزواج فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج وتقول يا خل الفحول أريد
زوجا قبل الفحول ، هكذا صح عنهم القول (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)
وشجرة الطرفية تشبث بها الشيطان واعتلق فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق
ويعلقون فيها إذا ولدت المرأة ذكرا الخرق لعلمهم من الموت يسمون وفي أسفل
الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير
أراد بعض الفسقة يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير

وكان تعالى لها عن ذلك سوء مجير فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون (أتعبدون ما تحتون؟ والله خلقكم وما تعملون) وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج سلكوا فيه سبيل الطواغيت في الانتهاج فصرفوا إليه النذور والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج وكانوا يأتون إليه لشأنهم أفواج ويأتي إليهم في الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور والخراج (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ومحسبون أنهم مهتدون) وكان لجميع أهل تلك البلدان وسكان تلك الأماكن والأعطان فيه من الاعتقاد أعظم شأن فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان ويهاب أعوانه وحاشيته كل إنسان فلا يتعرضون لهم بما يكرهون ويدعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة، كانت ألسنتهم لها مذيعة ولبهتانها مشيعة وهم لمينها وزورها مصدقون فيزعمون أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده وغير ذلك من الحكايات التي هي محط رحال المشركين والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين (الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، إله مع الله قليلا ما تذكرون).

وأما ما يفعل الآن في الحرم المكي الشريف زاده الله رفعة وتشريفا فهو يزيد على غيره وينيف فيفعل في تلك البقاع المطهرة المكربة والمواقع المعظمة المحترمة ما يحق أن تسفح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان وتزاد لأجله الدموع ولا تصان وتلتهب في القلب لواعج الأحزان إذا رأى ما يصدر في تلك الأماكن من أولئك العربان من الفسوق والضلال والعصيان وما عرى الدين فيه من الهوان، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود كما هو الآن مشاهد موجود، أين قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) ويشهد بذلك من رآه ممن كان له قلب سليم (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ولقد تظاهر بذلك فيهم جم غفير وبجاهر به بين أظهرهم جمع كثير، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير وراموا إطفاء مصباحه المنير وإخماد ضيائه المستنير، وحاولوا تغيير محيا الصواب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب. أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير. فذوقوا فما للظالمين من نصير) فمن ذلك ما يفعل عند قبر

المحجوب وقبة أبي طالب وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعدد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معاديا محارب فيأتون قبره بالساعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ونزول النوب الكوارب وكذلك عند قبر المحجوب يطلبون الشفاعة لغفران الذنوب لأنه عندهم المقرب المحبوب ، فلهذا كانوا من سره يحذرون ، وإن دخل متعدد أو سارق أو غاصب مال قبر أحدهما لم يتعرض له أحد من الرجال ولا يخشى معاقبة ولا أنكال ولا يتوصل إليه بما يكره ولا ينال ، وإن تعلق جان ولو أقل جناية بالكعبة سحب منها بالأذيال فهم في تعظيمها مفرطون (واتخذوا من دون الله آلهة لعالمهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) ومن ذلك مايفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها في سرف ، وعند قبر خديجة رضى الله عنها في المعلى مما لايسوغ لمسلم أن يطلق عليه إباحة وحلا فضلا عن كونه يراه قرينة يدرك بها أجراً وفضلاً من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات ، وعند قبر عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما في الطائف من الأمور التى تشمئز منها نفس الجاهل فكيف بالعارف فيقف عند قبره متضرعاً مستغيثاً كل مكروب وخائف ، وينادى أكثر الباعة فى الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق ، ويقول بلهجة قلب واحتراق كثير من أهل الشرك والإبلاس ، وذوى الفقر والإفلاس : اليوم على الله وعليك يا ابن عباس ويسألونه الحاجات ويسترزقون (ءأخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقدون) . وأما مايفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور المحرمة العظام من تغفير الحدود والانحناء بالخضوع والسجود واتخاذ ذلك القبر عيداً ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعله وكفى بذلك زجراً ووعيداً ، ونهى عن مايفعل عنده الآن غالب العلماء نهياً شديداً وغلظوا فى ذلك تغليظاً أكيداً ، فهو مما لا يخفى ولا ينكر ، وأعظم من أن يذكر فهو فى الشهرة والانتشار كالشمس فى رابعة النهار ، ويكلّ اللسان عما يفعل عند قبر حمزة والبقيع وقبا من ذلك القبيل ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل ، ولو لم يذكر منه إلا القليل : وليس يصح فى الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما مايفعل في جدة مماعت به البلوى فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى ،
وعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة يزعمون أنه قبر حوى وضعه بعض الشياطين
من قديم وهيته وسوى يجبوا عنده السدنة من الأموال كل سنة ما لا يكاد يخطر
على البال ، ولا يدخل يسلم على أمه كل إنسان إلا مسلما دراهم عاجلا من غير توان
أيبخل أحد من اللثام فضلا عن الكرام يبذل بعض الحطام ويدع الدخول على أمه
والسلام وعندهم معبد يسمى العلوى ونافوا في تعظيمه جميع الخلائق وأربوا في الغلو على
تلك الطرائق ، فلو دخل قبره قاتل نفس أو غاصب أو سارق لم يعترض بمكروه من
هؤمن ولا فاسق . ولم يجسر أحد أن يكون مخرجا له سائق أو إلى المساعدة إليه مسارع
مسابق فمن استجار بتربته أجير ، ولم يعرج عليه حاكم ولا وزير . وفي سنة عشر بعد
المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة شهير من أهل الهند التجار القادمين وأهل
الحسا ما لا كثير يزيد على سبعين ألف ريال في التقدير فوقع عليه بعد أيام انكسار
وإفلاس وتغيير ولم يكن عنده مايقابل شطر الذى عليه فهرب إليه مستجير فلم يتقدم
إليه منهم شريف ولا وضع ولا صغير ولا كبير ، وترك بيته وما فيه من مال ولم يرزأ
في قليل ولا كثير حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير وجعلوا ذلك عليه
نجوما في سنين على التأخير ، وكان بعض من أهل الدين بذلك الحال مشير . وأما
ما في بلدان مصر وصعيدها من الأمور التي ينزه الإنسان عن ذكرها وتعيدها خصوصا
عند قبور الصالحاء والعباد من ساداتها وعبيدها كما ذكرها الثقات في نقل الأخبار
وتوكيدها ؛ فيأتون قبر أحمد البدوى وكذا قبور غيره من العباد وسائر ترب المشهورين
بالخير والزهاد فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالامداد ويستحثونهم على زوال المصيبة
عنهم والأنكاد ويتداولون بينهم حكايات وينسبون عنهم قضايا ويحكون في محافلهم
ماجريات من أخفش المنكر والضلالات فيقولون فلان استغاث بفلان فأغيث فورا
في ذلك الأوان ، وفلان شكى لصاحب ذلك القبر حاله وأمره فأغاثه وكشف عنه
ضره ، وفلان شكى إليه حاجته فأزال عنه فقره ، وأمثال هذا الهذيان الذى هو زور
وبهتان ، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان وهى مملوءة بالعلماء من أهل الزمان
وذوى التحقيق والعرفان ولا يزال ذلك المحذور ولا يغار من صدور تلك الأمور ، بل
ربما تنشرح منهم له الصدور . وأما مايفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن قبل هذا

الوقت في هذا الزمن فأكثر من أن يحسب أو يحصى أو يعد ويستقصى أو يدرك له أقصى ؛ فمن ذلك مايفعله أهل شرق صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادى ، والكل على دعوته والاستغاثة به راح غادى فتأتيه المرأة إذا تعمس عليها الحمل أو كانت عقيمة فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة فسبحان من لا يعاجل بالمعاقبة على الجريمة . وأما أهل بلد برع فعندهم البرعى رجل يرحل إلى دعوته كل ناء عن محله وبلدته ويؤتى إليه من غير إشكال من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال ، ويقعون عند قبره للزيارة ويتقربون بالدبائح عنده كما حقق أخباره من شاهد حضرته واحتضاره .

وأما أهل الهجرية ومن حدا حذوهم فعندهم قبر يسمى ابن علوان وقد أقبل عليه العامة في نوايب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان فهم يلجئون به في كل وقت وأوان ويسميه غوغاهم منجى الفارقين كما حكاه بعض السامعين وأغلب أهل البر منهم والبحر يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره وينذر له في البحر والبر وعند أهل بلده وتعظيمه مايزيد على الحصر ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ويجتمع عنده أنواع من المنعاصى والمفاسد فليس في أقطار اليمن في هذا الزمن من يساويه في الاشتهار بل ولا في سائر الأقطار ولهم في حضرته أمور يفعلونها ديناً ويتوخونها حيناً فحيناً يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس وقد جعلها لهم عبادة إبليس ويقولون وهم يرقصون وبما يغنيه طربون قد ملأ الوجد منهم ألباباً وذهناً يامادنى قلبي بكم معنى . وأما حال حضر موت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيهم الغنى وقطن وعندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والضلال الويل ماينغى جملة عن التفصيل ويقول قائلهم شئ لله يا عيدروس شئ لله يا محي النفوس . وأما بلدان الساحل فعندهم من ذلك مسائل فعند أهل المخا على بن عمر الشاذلى أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتلى لا تفترا لسننهم عن ذكره قعوداً وقياماً وينتابون تربته وحدانا وقياماً . وأما أهل الحديدة فعندهم الشيخ صديق أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق ، وقد أدى بهم الأمر والحال وأوداهم الشيطان في هوة الضلال إلى أنه لا يمكن أحد يريد ركوب البحر أو يريد منه النزول إلى البر حتى يحىء إليه ويسلم فوراً عليه ويطلب منه الإغاثة والمدد فيما أراده وقصد . وأما أهل الاحية فعندهم الزيلعى من غير لبس واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف ، وكان إليه جميع النذر مصروف وهم

فيه أظلم وأجهل وأطغى وفي تعظيمه ودعوته أضل وأبغى . وأهل البادية منهم تؤثر حكاية عنهم وهي أن كان رسولا في حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب ، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب ، فقال للشمس قفي فوقفت وسمعت قوله وامثلت هكذا ذكر بعض الرجال والله أعلم بحقيقة الحال . وقبر رابعة عندهم مشهور لا يخلفون صدق اليمين إلا بها وغير ذلك من الأمور ، وعندهم الطامة العظيمة والمعضلة الجسيمة وهي في أراضى نجران ومايلها من البلدان وما حولها من الأعراب والبدوان وهو الرئيس المعروف عندهم السيد المتقدم في رياستهم وسياستهم والمطلق فيهم والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره وتقديسه في جميع الأمور وتصديره وقبح الغلو فيه والاعتقاد ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد ، فصرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه الألوهية وسماحق كادوا أن يجعلوه لله ندا وقسما وكان عندهم بذلك الحال شهيرا فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وأما ما في حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فهو مما لا يوقف له على حد ولم يمكن ضبط أقصاه ولا يعرف قدره ومنتهاه ولو استفرغ الإنسان في ذلك قصاره بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والندور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ الأمكاس والدستور ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور وفي الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وكذا في العراق خصوصا المشهد وبعداد ما لا يحتاج إلى حصر وتعداد فيفعل عند قبر الإمام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والأزمان ما لا يعرف له صفة ولا شان وتسفح عندهم العبرات والدموع ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور والخشوع بل كثير ممن فعل ذلك مرارا وجرب ، هم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . وأما مشهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقد صيرته الرافضة وثنا يعبد ويدعى بخالص الدعاء دون من ذرأ الخلق وأوجد ويصلى له في قبته ويركع ويسجد . ولأس في صدور أولئك الضلال وغيرهم من الجهال وذوى الفسق والضلال من التعظيم والهيبه والاجلال لدى الفضل والنوال معشار ما فيها لعل رضى الله عنه من غير إشكال ولا إسراف ولا إفراط في المقال فتراهم يخلفون الأيمان الكاذبة بالله

ولا يخاف أحدهم مولاه ولا يراقبه سرا وجهرا ولا يخشاه ولا يخلف بعلى كاذبا أبدا يعظم بذلك حماه فلا ينتهك ذلك ويتعداه ويجزمون أن عنده مفاتيح الغيب من غير شك قبحهم الله ولا ريب ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة وكفى بما ذكرناه في خروجهم عن الإسلام حجة وإخراجهم عن واضح السنن والمحجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح أعظم مما فعل النصارى بالمسيح سوى دعوى الولدية فلم تصدر من هذه البرية وساووهم أو زادوا عليهم في غيرها من الخصال الردية وزخرفوا على قبره الذى يدعونه قبة مذهبة وخالفوا هديه رضى الله عنه ومذهبه ، ولقد كان في حياته حرق بمن غلا فيه أناس ، فمأغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس ، ومثل ذلك ما يفعل من الشرك والمنكر والشين عند مشهد السكاظم ومشهد الحسين فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار والملازمة لذلك بالعنى والإبكار والإقبال على ذلك على سائر الأحوال والإكثار أجل وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار ، ولقد شب فيهم على ذلك الكفر وقبيح ذلك المنكر والفجر الرعاع والأطفال وشاب عليه الصغار من الرجال فلا يسمع في سائر الأحوال بين أولئك السفلة الأندال والأرذال الضلال ذكر لرب ذى العزة والجلال وإثماديدهم ذكر على والحسين وبقية الآل . وأما جميع قرى الشط والمجرة فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمعرّة بل كانوا أهله وأصله ومقره وكذلك ماحول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد التى أصبح كل إليها مقبل وقاصد لاسيما قبر الحسن البصرى والزيير رضى الله عنهما فقد طلبوا الفرج منهما وصرفوا لهما من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد وطلبوا منهما جميع الفوائد ، وليس لهذا منكر ولا جاحد سوى ما يصدر وما يشاهد في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد ولا يجحد ذلك إلا مباهت معاند . وأما ما فى القطيف البحرين من البدع الرفضية والأمور القبيحة الشركية والمشاهد المعظمة الوثنية وما يفعله أولئك الضلال والأنجاس من الضلال والغى والإبلاس وما يأتونه من الشرك والأرجاس فلا يكاد يخفى على أحد من الناس ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك ويقصر عن مقتضاه ونظمه فى هذه الأسلاك ، وما يجحد ذلك إلا كل معتد أفاك ، وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان وشاهده بالروية والعيان تبين له غربة الدين فى هذا الزمان وزاد بصيرة فى دينه وإيقان وجد فى طاعة سيده ومولاه وحمده

على ماخوله وأعطاه وسارع في خدمته ورضاه ، وبادر إلى القيام بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه وأكثر من شكره على مامنحه من فضله وجباه وجعله من حزبه الفائزين الذين هم لديه مقربون (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) وتحدث لدى الناس بنعمة الله وألزم بذلك جنانه ولسانه وفاه ونادى برفيع صوته وفاه (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وسأل ربه ودعاه فهو الذى أنقذه من الضلال وسلك به سبل الهداية ونجاة ، وقال فى الدعاء والمناجاة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين . وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) صارت الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية لهم هى الغاية والمقصد والمراد وكان ذلك والعياذ بالله هو السر لهم فى الخلق والإيجاد وغفلوا عما فى ذلك من الوعد والإيعاد (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) ويتأمل العارف الخبير ذو القلب المنور البصير افتراق الجزئين فى المآل والمصير (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) (أئمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) .

﴿ فوائد : الأولى ﴾ يجب على كل كيس وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتنى بتخليص نفسه قبل الفوت ويدأب فيما يورثها النعيم السرمدى والكرامة فى دار الخلود والمقامة وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والتنصل من الشرك والسلامة ويسعى مشمرا فى إصلاح شأنه وينظر ما وقع من التفرق فى الدين والاختلاف فى أهل زمانه وماجرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعوانه حتى أخذ بهم سنن ضلاله وخذلانه وطوح بهم فى بيداء طرده وهوانه فكرعوا فى حياض الآباء والجدود ورتعوا فى رياض المحرمات والحدود وتدين الأكثر بالبدع والأهواء ورفضوا جبل الله المتين الأقوى وقالوا لا نصل إلى معناه ولا تقوى ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى فى التحلى بحلية الورع والتقوى فألقوا من الهوان فى القعر الأهوى وصار ذلك من الله تعالى حتما مقضيا وقدرا مقدورا أزليا وبرهانا لما أخبر به عليه السلام واضحا جليا ، ومصدقا لما وعد به صلى الله عليه وسلم فوعده يكون مأثبا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن أمته تتبع سنن من كان قبلهم كاليهود والنصارى وفارس والروم كما ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن أبى سعيد

الحدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدختموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟ » وخرّج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فقليل يا رسول الله فارس والروم قال : ومن الناس إلا أولئك » فأخبر الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب وفارس والروم وهم الأعاجم ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم عبدوا العجل والطواغيت وآمنوا بالجبب والطاغوت (واتبعوا ماتتوا الشياطين على ملك سليمان) من كتب السحر (وأنهم قالوا سمعنا وعصينا - وقلوبنا غلف) وأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعادوه وأبغضوه بعد معرفته (ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وأنهم يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وأنهم كفروا بدين الرسول صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا للعرب أن خصهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة والمنة الجسيمة لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هذا أوان نبى قد أظل زمانه فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم كما ذكر ذلك بن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازى ، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب وصار أتباعه من العرب كفروا به وأبغضوه بغيا وحسدا (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) فلا بد أن يوجد فى هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم ، وفى حديث الثورى وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان فى أمتى من يفعل ذلك ، وإن بنى إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا واحدة ، قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابى » رواه أبو عيسى الترمذى وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهذا الافتراق مشهور عن النبى

صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمرو ابن عوف الأشجعي وغيرهم ، فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وعن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الكتاب افرقوا في دينهم على إثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة » يعنى أهل الأهواء « كلها في النار إلا واحدة وهى الجماعة » وقال « إنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به » هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمر عن الأزهر بن عبد الله الرازى عن أبي عامر عبد الله ابن لحي عن معاوية ، وروى غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه الإمام فى سننه ، وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمر عن عوف ابن مالك الأشجعي ويروى من وجوه أخر ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة والثلثان والسبعون لاريب أنهم الذين خاضوا نخوض الذين من قبلهم قال الله تعالى (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنى إسرائيل شبهنا بهم ، والذى نفسى بيده لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمنا وهديا تتبعون أعمالهم حذو القذة بالقذة غير أنى لا أدري أتعبدون العجل أم لا » وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف ؟ قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه :

(الفائدة الثانية) قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم] هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا معاً ثم قد يثول إلى سفك الدماء وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذي وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه في قوله سبحانه وتعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية، وقوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم كالذي يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما ولا يتبع ذلك فعلاً ولا قولاً ولا عملاً. وأما من جهة العمل بلا علم فيجتهد في أصناف العبادة بلا شريعة من الله ويقول على الله تعالى بلا علم؛ فالأول من مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) والثاني من مشابهة النصارى الغالين في الدين والقائلين فيه غير الحق والضالين عن سواء السبيل، وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلى اليهود وحب الدنيا وإشارها وكتُم الحق فإنهم تارة يكتُمون العلم بخلا به وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه ، وتارة اعتياضاً برياسة أو مال فيخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو ماله ، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة واعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره : أهل العلم يكتُبون ما لهم وعائهم وأهل الأهواء لا يكتُبون إلا ما لهم؛ وكان السلف رضي الله عنهم ابن عينية وغيره يقولون إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وليس الغرض استيعاب ما وقع من الاختلاف والافتراق واستقصاء ما صدر فيه النزاع والشقاق وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة فهذا يحجم جواد الفهم عن درك أدناه ولا يسع استيفاءه على الإجمال دون التفصيل لاسيما أن انضم إلى ذلك تحريف التأويل وتأويل التنزيل وإنما القصد من ذلك جلب شذرة يعمن فيها اللبيب فسكره ويأخذ منه نذارته وحذره في هذا الزمان الذي من تمسك

(٢ — تاريخ نجد — أول)

بدينه فيه يكون كلقابض على جمرة فيجب عليه أن يلزم نفسه على ذلك صبره حتى يعظم مولاه له أجره ويتضرع إلى الرحمن الرحيم أن يهديه الصراط المستقيم ويقيمه على السنن القويم (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فقد والله ضخم الأمر وجسم وتفاقم الأمر وعظم وأطلت الفتن وأطلت المحن في هذا الوقت والزمن وظوهر على الضلال والبدع والكثير إلى منهاجها نزع وقل الاكتراث والمبالاة في الدين وكثر سواد المبطلين وحكم على غير برهان ويقين بتضليل الدعاة الموحدين وإبطال ما كانوا له متجردين من الدعوة لرب العالمين (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) هذه دعوة رب الأرباب التي نفت الوسايط دونه الارتباب واستبيحت عندها الأموال والرقاب وافترق الناس فيها بين حلول الجنة وحسن المآب والخلود في الهاوية دار العذاب المعدة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ولا يبعد أن يكون زماننا هذا الموجود داخلا في جملة الزمان الموعود فأرجو لمن استقام فيه على السنن المحمود أن يجعل الله تعالى له في العمل أجر خمسين ، كما ورد عن سيد المرسلين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوثنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ونعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) .

الفائدة الثالثة : أطبقت الأمة واتفقت المقالة أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة ولا يجمعها بالسفاهة والجهالة، فعصمتها مستمرة إلى انقضاء الأمد لا ينكر ذلك ولا يحدده أحد كما ثبت ذلك في صحيح الأخبار ونقلته العدول الأخيار عن النبي المختار ، وأخير أيضا أن في أمته أناسا لا يزالون بهديه يستمسكون وفيها بل أكثرهم مخطئون وعن هديه ومنهاجه منحرفون، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف مما زينه الشيطان وتقاضته الطباع وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزماع ، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية فيرفض السنن الذي أمر جميع الناس بالاستمساك به والاتباع ، ويؤخذ بهدي أو اختيار بعض الأتباع ولو تبين له وعرف الحق مع غير مذهبه واتضح ما عرج عليه ولا ارتضاه ولا جنح ولا صدع بذلك

ولا صدح . والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان أن يقبل على الحق ويعمل به ممن كان ، ولا تحمله الغيرة القلبية والشهوة المذهبية على العناد والعصية كما يوجد من بعض أهل المذاهب حملة التعصب على الطعن والعياذ بالله في الأئمة والمثالب ، وترى كثيرا ممن يدعى العلم والمعرفة وكذلك من المتعبدة والمتصوفة لا يسلم بعضهم من بعض ولا يكون لأعراضهم رفض بل لا يعدهم ذلك العالم إلا ضلالا جهالا ، والعابد يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا ويدعى أن العلماء لم يشربوا من صافي الشريعة زلالا ولم يردوا من معيها سلسالا ولم يدركوا من الحضرة وصولا واتصالا ولم انفوا منه قبولا وإقبالا ، ولقد جاء كل من أولئك محالا وقد ضلوا والله ضلالا بعيدا ولم يقولوا قولا سديدا ، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب وما قاله وعمل به الأصحاب وما اختاره الأئمة الأربعة المقلدة في الأحكام المتبعة فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع ولا يخرج عنهم إلا من رام سنن الابتداع ، فمن اهتدى بهم بعد الكتاب والسنة فقد رشد واهتدى ومن فارق ذلك فقد ضل واعتدى ، وللإمام أبي عمر يوسف ابن عبد البر الذي شاع علمه في الأقطار وطبق الأرض في الشهرة والاشتهار مصنف سماء كتاب العلم أوعب الكلام فيه على السنة والقرآن وصرح بوجوب التمسك بهما على كل إنسان خصوصا ذوي الفضل والشان في كل قطر وعصر وزمان ولم ير التقليد من المنهج السديد إلا فيما لا بد منه ولا غنى للشخص عنه عند تعسر الدليل وفقده وعدم استفافه في وجده ، ولشمس الدين ابن القيم [في أعلام الموقعين] ما يشفي صدور المجتهدين من رد حجج المقلدين . وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني وكان مشهورا بالعلم والفهم وله من صناعة الشعراء وفرسهم قصائد كثيرة في هذا المعنى نهج فيها للمنهج الأسنى فأحببت أن أثبت فيها البائية في هذا الكتاب لما حوته من فصل الخطاب وأجاد القول فيها وأصاب ونصها :

أما إن عما أنت فيه من متاب وهل لك من بعد البعاد إياب ؟
نقضت بك الأعمار في غير طاعة سوى عمل ترضاه وهو سراب
إذا لم يكن فملك لله خالصا فكل بناء قد بنيت خراب
فلعمل الإخلاص شرط إذ أتى وقد وافقته سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا وقد طبق الآفاق منه عباب

طغى الماء من بحر ابتداء على الورى
وطوفان نوح كان فى الفلك أهله
فأثنى لنا فلك ينجى وليته
وأين إلى أين المطار وكل ما
نسائل من دار الأراضى سياحة
فيخبر كل عن قبائح ما رأى
لأنهم عدوا قبائح فعلهم
كقوم عراة فى ذرا مصر ما علا
يدورون فيها كاشفين لعورة
يعدونهم فى مصر من فضلائهم
وفىها وفىها كل ما لا يعده
وفى كل مصر مثل مصر وإنما
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له
لقد مزقته بعد كل ممزق
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة
فلم يبق الرجى سلامة دينه
كتاب حوى كل العلوم وكلا
فإن رمت تاريخاً رأيت عجائباً
ولاقيت هابيل قتيلاً شقيقه
وتنظر نوحاً وهو فى الفلك إذ طغى
وإن شئت كل الأنبياء وقومهم
ترى كل ماتهوى وفى القوم مؤمن
وجنات عدن حورها ونعيمها
فتلك لأرباب التقى أو هذه
وإن ترد الوعظ الذى إن عقلته

فلم ينج منه مركب ولا ركاب
فنجاهم والغارقون تباب
يطير بنا عما نراه غراب
على ظهرها يأتيك منه عجاب
عسى بلدة فيها هدى وصواب
وليس لأهلها يكون متاب
محاسن يرجى عندهن ثواب
على عورة منهم هناك ثياب
تواتر هذا لا يقال كذاب
دعاهم فيما يرون حجاب
لسان ولا يدنو إليه خطاب
لكل مسمى والجميع ذئاب
ذئاب وما عنه لمن ذهاب
فلم يبق منه جثة وإهاب
فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيجير من هذا البعاد مصاب
سوى عزلة فيها الجليس كتاب
حواء من العلم الشريف صواب
ترى أدماً إذ كان وهو تراب
يواريه لما أن أراه غراب
على الأرض من ماء السحاب عباب
وما قال كل منهم وأجابوا
وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
ونار بها للمسرفين عذاب
لكل شقى قد حواه عقاب
فإن دموع العين عنه جواب

تجده وما تهواه من كل مشرب
 وإن رمت إبراز الأدلة في الذي
 تدل على التوحيد فيه قواطع
 وفيه الدواء من كل داء فثق به
 وما مطلب إلا وفيه دليله
 ولكن سكان البسيطة أصبحوا
 فلا يطلبون الحق منه وإنما
 فإن جاءهم فيه الدليل موافقا
 رضوه وإلا قيل هذا مؤول
 تراه أسيراً كل خبر يقوده
 أتعرض عنه عن رياض أريضة
 يريك صراطا مستقيما وغيره
 يزيد على مرّ الجديدين جدة
 وآياته في كل حين طرية
 ففيه هدى للعالمين ورحمة
 فكل كلام دونه القشر لاسوى
 دعوا كل قول غيره وسوى الذى
 وعضوا عليها بالنواجذ واصبروا
 تروا فيه ما ترجون كل مطلب
 أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم
 فكم من ألوف في المئين فكن بها
 وفي طى أثنا الثانى نفائس
 وكم من فصول في المفصل قد حوت
 وما كان في عصر الرسول وصحبه
 تلا فصلت لما أتاه مجادل
 أقر بأن القرآن فيه طلاوة
 فالروح منه مطعم وشراب
 تريد فما تدعو إليه حجاب
 بها قطعت للملحدين رقاب
 فوالله ماعنه ينوب كتاب
 وليس عليه للذكي حجاب
 كأنهم عما حواه غضاب
 يقولون من يتلوه فهو مثاب
 لما كان للآباء إليه ذهاب
 ويركب في التأويل فيه صعاب
 إلى مذهب قد قررته صحاب
 وتعتاض جهلا بالرياض هضاب
 مفاوز جهل كلها وشعاب
 فألفاظه مهما تلوت عذاب
 وتبلغ أقصى العمر وهى كعاب
 وفيه علوم حجة وثواب
 وذا كله عند اللبيب لباب
 أتى عن رسول الله فهو صواب
 عليه ولو لم يبق في الفم ناب
 إذا كان فيكم همّة وطلاب
 تدر عليكم بالعلوم سحاب
 ألوفاً تجدد ماضاق عنه حساب
 يطيب لها نشر ويفتح باب
 أصولا إليها للذكي مآب
 سواء الهدى للعالمين كتاب
 فأبلس حق لا يكون جواب
 ويعلم ولا يعلم عليه خطاب

وأدبر عنه هائماً في ضلاله يدبر ماذا في الأنام يعاب
وقد قال وصي المصطفى ليس عندنا سواء وإلا ما حواه قراب
وإلا الذي أعطاه فهما إلهه بآياته فاسأل عساك تجاب
فما الفهم إلا من عطايه لاسوى بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهما فناده يحبك سريعاً ماعليه حجاب
وسل منه توفيقاً ولطفاً ورحمة فتلك إلى حسن الختام مآب

﴿الفائدة الرابعة﴾ في بيان ماجرى في غربة الإسلام التي وعد بها خير الأنام وأخير
بوقوعها قبل انقراض الأيام وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام بإلهام من الله تعالى له
وإعلام فوق ذلك وصدر وبدأ بحياه وظهر كما نطق به الأثر وأفصح به الخبر، فقد روى
مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا»، وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه من
حديث ابن مسعود بزيادة في آخره وهي «قليل يارسل الله من الغرباء؟ قال الذين يصلحون
إذا فسد الناس» وخرجه غيره وعنده قال «الذين يفرون بدينهم خوف الفتن» وخرجه
الترمذي من حديث كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه
وسلم «إن الدين بدا غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس
من سنتي» وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديثه
«قليل ومن هم يارسل الله؟ قال الذين يصلحون حين فسد الناس» وخرجه أيضاً من
حديث شريك بن سعد بنحوه، وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديثه «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس» وخرج
الإمام أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«طوبى للغرباء، قلنا وما الغرباء؟ قال قوم صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم
أكثر ممن يطيعهم» وروى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً في هذا الحديث
«قليل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه السلام»
ومعنى ظهور الإسلام غريباً أن الخلق قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة فدعا
إلى الإسلام فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له

خائفا من عشيرته وقبيلته ويؤذى ويشرد ويعذب ويقتل فيهربون إلى البلاد النائية كالحبشة ثم إلى المدينة بعد الهجرة . فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين وأكمل لهم الدين وقبض سيد المرسلين فاستمروا على الاستقامة والتعاضد والنصرة في خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما حتى أعمل الشيطان مكايده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات فاصطاد الأَكْثَرُ بهما معا أو بأحدهما فكان ذلك كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي صحيح البخارى عن عمرو بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والله ما الفقر أخشى عليكم ولا كن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ؟ أى قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف تقول كما أمر الله تعالى قال أو غير ذلك تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون » وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه أيضاً ، ولما فتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى فقال إن هذا لم يفتح على قوم قط إلا جعل بأسهم بينهم أو كما قال ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته هاتين الفتنتين كما فى مسند الإمام أحمد عن أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » وفى رواية « ومضلات الهوى » فلما عمت فتنة الشهوات فى تلك الأوقات وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا فى التفات وصار لهم منتهى المراد وجدوا لها فى الارتياح ارتكبوا المعاصى والكبائر ووقعوا فى التباغض والتدابى بعد أن كانوا إخواناً وعلى التناصر أعواناً . وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فسيبها تفرق أهل القبلة فصاروا شيعاً وفرقا وأحزاباً وأكثرهم لسنن الضلال طلابا وفتحوا من البدع والغى أبوابا وقذفهم الفتنة فى مضلة المفاصد وبيداء الإبداع والتباعد ومقفرة التقاطع والتحاسد بعد أن كانوا على قلب رجل واحد وانتهجوا من الردى مهالك فلم ينبج من أولئك إلا الفرقة الناجية وهم المذكورون فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى

أمر الله وهم على ذلك» وهم الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس ويصلحون ما أفسد الناس وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل، وخرج الطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة قال «وإن من أشراطها أن يكون المؤمن في القبيلة أقل من النكد» أي صغار الغنم؛ وفي مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه «يوشك إن طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه فأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازل ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار» ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه «سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة» وإنما ذل المؤمن في آخر الزمان لغربه بين أهل الفساد ومباينته في القصد والمراد ومخالفته لطريقهم المعتاد. قال أحمد بن أبي عاصم وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني : إني أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا وعاد وصف الحق غريبا كما بدا، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتونا بحب الدنيا بحب التعظيم والرياسة . وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلا في عبادته مخدوعا صريع عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها إلى آخره خرجه أبو نعيم في الحلية ، وخرج أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده إلى الحسن قال : لو أن رجلا من الصدر الأول بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا إلا هذه الصلاة ثم قال أما والله لئن عاش على هذه المنكرات فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله تعالى وقلبه يحن إلى ذكر السلف فيتبع آثارهم ويستن بسنتهم ويتبع سبيلهم كان له أجر عظيم .

[تمة] : مدح كثير من السلف السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلّة ، فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول لأصحابه : يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس ، وقال يونس بن عبيد : ليس شيء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها . وعن سفيان الثوري قال : استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء ، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات وهي التي ورد للتمسك بها والعامل أجر خمسين ممن قبلهم والتمسك بدينه كالفابض على الجمر ، ثم صارت السنة في عرف كثير من العلماء المتأخرين هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفوائل الصحابة وصنفوا في هذا الباب تصانيف مموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا جرف . والغربة عند أهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق ، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق ، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الحشية والإشفاق ، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفد وليس بياق . وأما الغربة الباطنة فغربة النعمة وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والزهاد فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يرجون عنه .

الفصل الثاني

في نسب الشيخ ومبدأ أمره وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة
من أهل مصره وما صادمه به علماء عصره

أما نسبه — رحمه الله تعالى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى — فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن بريد بن مشرف . ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العينية من البلدان النجدية فأنبته الله تعالى نباتاً حسناً وجلا به عن طرف الدهر وسناً وبقي بعد سن الطفولية زمناً يتعلم في تلك القرآن معتزلاً في غالب الأوقات لعب الصبيان ولهو الجهال والعلماء حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر ، وكان حاد الفهم سريعاً وقاد الذهن ذكياً سريع الحفظ فصيح اللفظ ألمع الفطنة نبه ، اشتغل في العلم على أبيه ، وجد في الطلب وأدرك بعض الأرب وهو في بلد العينية في تلك الحال قبل رحلته لطلب العلم والارتحال وتطوافه له في كثير من البلاد حتى نال منه المراد وفاز بالسعد والإسعاد وحاز الرشد والإرشاد ، وكان والده قد توسم ذلك فيه ويحدث بذلك ويبيديه ويؤمل ذلك منه ويرجوه كما حدث به سليمان أخوه ، قال كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه وإدراكه وناهزته الاحتلام وإفراكه ويقول أيضاً لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام أو قريباً من هذا الكلام ، وقد كتب

والله إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأنه يثني فيها عليه وأن له فهما جيداً ولديه، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية لظهر في الحفظ والإتقان آية وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام ورأيتُه أهلاً للصلاة بالجماعة والانتظام فقدمته لمعرفته بالأحكام وزوّجته بعد البلوغ في ذلك العام ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام فأجبتُه بالإسعاف لذلك المرام فحج وقضى ركن الإسلام وأدى المناسك على التمام ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فأنزاً بأجر الزيارة والمناسك وأخذ في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلكت فيه الطريق الأحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث إنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس، من غير سامة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار وجد في الطلب إلى ما يليه من الأمصار وما يحاذيه من الأقطار فزاحم فيه العلماء الكبار وأشرق طالعه واستنار وصار لهلاله أقمار فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مراراً وأتى الاحساس لتلك الأوطار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ثم المدني وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعته منه الحديث المشهور السلسل بالأولية . نقلت من خطه ما نصه حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتي الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة قال أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي وهو أول حديث سمعته قال أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الحزرجي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حنبل العسقلاني وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكري الصوفي الحازن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحراني وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ

إسماعيل بن صالح النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا والدى أبو حامد صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزيادة وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزار وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن من فوق سفيان والله أعلم ، وحدث أيضاً عنه بالمسلسل بالحنابلة قال رحمه الله حدثني الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلى بمنزله بظاهر المدينة النبوية عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبليان عفا الله عنهما إجازة عن والده تقي الدين المذكور قال أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتى أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحى صاحب منتهى الإرادات أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد قاضى القضاة الحنبلى أخبرنا بدر الدين الصفدى الظاهرى الحنبلى ، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلى أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافى ، قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلى قال أخبرنا أبو الحسن بن على الحنبلى ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلى قل أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلى قال حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلى عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قالوا كيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثياً للإمام أحمد رضى الله عنه ، وقد سمع رحمه الله الحديث والفقهاء من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث فى تلك الإقامة ، ويبحث على طريق الهدى والاستقامة ، وكان أكثر لبته لأخذ العلم بالبصرة ومقامه ، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه ، وحقق لهم فى ذلك الشأن إتقانه وأعلامه ، وأوضح لهم سبيله وأحكامه . فقال إن الدعوة كلها لله يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه ، وإذا ذكر أحد بمجلسه شارأت الطواغيت أو الصالحين

الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين نهاء عن ذلك وزجره ، وبين له الصواب وحذره وقال له محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم والاستنارة بضياء أنوارهم ، لا صرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية ، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره ، وأظهر عليه إغلاظه ونكره فتغير وجه القائل ، وجال واستغرب ذلك المقال وقال إن كان مايقوله حقاً هذا الإنسان فالناس ليسوا على شيء من زمان ، قال رحمه الله تعالى : وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إلىّ بشبهات يلقونها علىّ فأقول وهم قعود لدى : لا تصلح العبادة كلها إلا لله فيبهرت كل منهم فلا ينطق فاه . ثم رجع بعد ذلك السفر فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العينة وهجر واختار سكنى حريم لا فأقام بها واستقر فأقام فيها مع أبيه يعلن بالتوحيد ويبيده وينادى بإبطال دعوة غير الله ويغشيه وينصح من عدل عن الحق والرشاد ويسلك في ذلك سبيل السداد ، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد حتى رفع الله تعالى شأنه فساد ، وجدّ رحمه الله تعالى في تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام ، ونشر شرائع الإسلام ومهد سنة محمد عليه الصلاة والسلام وإزالة ماغضى القلوب من رين الشرك الذي هو أعظم الذنوب وكشف الذنوب المظلمة للناس وإمالة أذى اللباس والالتباس ، ويحذرهم إن داموا على ما هم فيه وقوع النقمة واللباس ورفض منهج الغلول والحيانة وأدى من العلم الأمانة وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون ، وفي قعره العميق راكسون وفي أرجائه المغيرة ما كثون ، وخشى الوقوع في تغليظ الوعيد كما نطق به القرآن الحجيد (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فأى وعيد فوق هذا الوعيد وأى تهديد وراء هذا التهديد كلاماً على لعنة الله من مزيد فله دره من جهنم عالم وداع إلى توحيد الله قائم وناصح لله ملازم ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعلم ومحي لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم وميت لبدع رفضية شابهت المجوسية وأمور شركية اعتقدها أكثر البرية أمور إحنة دينية فأقاموا لها أعياداً ومواسم ، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم ولتشديداتها والذب عنها رايم بل الكل لم يكن منها سالم فانتدب هذا الإمام الذي أضحى بهديه الدين مشرقاً باسم والباطل بحججه مظالم سادم منادياً على رءوس العوالم بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراك لله والمظالم وإبطال

دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم فلم يخف في الله لومة لائم حتى نال من مولاه المنح العظام والعطايا الكرام الحسام وحاز منه أسنى الصلابة والغنائم وفاز منه بأوفر المغانم واختار الله تعالى وما عنده ، وبذل في طاعته جهده وطاقته وجده ووسعه ووجده حتى أنجز الله تعالى له وعده وكثر بعد ذلك محبه وجنده وأجزل عطيته ورفده وصار له بتلك الدعوة والقيام توكل على ربه واعتصم فلم يبال بجميع الأنام وما رموه به من القوادح العظام وما فوّقوا له من تلك السهام ، فلم يكن لهم إليه وصول وصار كل منهم عنه مغلول . وحد لسانه مغلول حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع القبول ، ولمع فيه بارق سيف الحق المسلول وانحط ذرى الضلال وانقطع حبله الموصول وعصفت به عواصف الدبور بعد الشمال والشمول ، وصار لنجمه كسوف وأفول والعود المورق باللهو والمزامير والطبول بعد غضته ونضارته يبس وذبول وجسمه الممتلىء بالفواحش نحول فانتظم في ملك الإمام رجال وعصابة فحول فاتخذوه جليسا وأنيسا واقتدوا به في كل ما يقول فكانوا لطريقته المثلى متبعين وبأقواله وأفعاله مقتدين وبهديه الواضح مهتدين لا يزالون معه في إخلاص الدعوة مشمرين وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبإيضاح مناهج الشرك معلنين ، وفيما يرضى الله مسرعين ولأهل الدين والحق مكرمين ولأهل الضلال موهنين وللضلال والفساق مهينين ولقبح عقائدهم لهم مبينين قائمين في ذلك لرب العالمين ولوجهه الكريم محتسبين وفي الفوز غدا مؤملين وللنجاه مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين) وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال وكان في تعليمهم وإرشادهم لا يزال ، فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير ؛ وكان رحمه الله في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض في حريصا والعينية والدرعية والرياض ومنفوحة فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة لسكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد لما حظى بالمدد والإمداد فتصور قلبه بضياء الرشد وهو مقيم في تلك البلاد فأنى إليه ناس كثير وانحاز لدعوته جم غفير وكان الناس عند ذلك حزبين وانقسموا فيه فريقين فريق أحبه وما دعا إليه فعاهده على ذلك وبايعه وحذا حذوه وتابعه وفريق أنكر ذلك عليه وهم الأ أكثر حتى أعزه الله

تعالى عليهم وأظهر وصار الخلق فيه مختلفين ، وفي تلك الأمور متحيرين وأكثر
في مراتع الحيرة يسم ، وفي مراتع الشك والريب مقيم (فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فلم يزل رحمه الله
تعالى دأبه القيام ونشر دعوة الملك العلام على الاستمرار والدوام حتى لهج بالإنكار
عليه كثير من ذوى العلم والأفهام وركضوا مع الرؤساء والشرائط والطغام فقلدوهم
في ذلك الأمر العوام فكان للجميع على الأنكال انتظام وعلى الإعانة في ذلك التزام
فأقام رحمه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى في بلد حريصا سنين ينشر أعلام
التوحيد ويبدى في المحافل الدر النضيد وجوهر الحق الفريد وصنف في تلك الإقامة
كتاب التوحيد ونشر أعلامه ، ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها والارتحال والإقامة
بالعينة جند في الرحيل والانتقال ، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر
لقبول هذا الدين الذى أحياء ذو القلب المنور فدخل منه شئ في قلبه ، وأعلن عند
جماعته وصحبه بتقريبه وحبه فحين وصل تلك البلد قام معه عثمان وقعد وساعده على
ذلك واجتهد وأمر الناس له بالاتباع ، وعدم المشاققة له والنزاع وألزم الخاصة والعامة
أن يمثلوا أمره وكلامه ، ويسلكوا سبل الاستقامة ويظهروا توقيره وإكرامه
فكان بعد ذلك الأمر والإلزام ، وصدور ذلك الاعتناء التام ، وشدة الرغبة والاهتمام
وإبداء التعظيم له والاحتشام تسمع أقواله وتطاع وتملا الصدور والأسماع فصار للزيغ
ارتداع وقمع وإقلاع وللحق والهدى أتباع ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة ،
وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة
ملازمة محبوسة موقوفة ؛ ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه
الأوثان فعند ذلك أمر الشيخ محمد الأمير عثمان بهدم القباب والمساجد المبنية في الجميلة
على قبور الصحابة وقطع الأشجار التى كانت الخلق لها في كل ساعة منتابة فبادر عثمان
لذلك وامتل وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول ، والكل
للأجر آمل فهدموا تلك المساجد وأزالوا رفيع المشاهد وأزالوا جميع المحظور عن
جميع تلك القبور ، وعدلت على السنن المشروع واندرس الأمر المنوع وهدم رفيع
ذلك البناء ، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتنا ، وخرشامخ الأحجار وخر ما فى العارض
من معبدات الأشجار كشجرة قريوه وأبى دجانة والذيب ، فلم يكن أحد إلى التبرك

بهما ينيب ، ولم تسالها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب ، وليس هذا في تلك الأزمان بغريب وليس وقوع أقبح منه بعجيب ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذى باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه فنال من ربه جزيل أجره وثوابه وقطع شجرة قريوه ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم فأدركوا من الفوز مناهم فلم يبق وثن في البلدان التى كانت تحت يد عثمان ، وشاع ذلك واستبان ونعم بذلك أهل الإيمان وصلحوا حالا من ذلك المكان وانتشر الحق من ذلك الأوان واشتهر الأمر وبان وسارت بذلك الركبان فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب وقالوا مثل ما قال الأولون ذوو الكفر والإعجاب (أجمل الآلهة لها واحداً إن هذا لشيء عجاب) فأخذوا في رده والإنكار عليه وأتوا بأعظم الأسباب وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتياب وضجوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفترو كذاب وحكموا بكفره واستحلل دمه وماله وجميع من له من الأصحاب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وأشر الناس والعلماء إنكاراً عليه وأعظمهم تشنيعاً وسعيًا بالشر إليه سلمان بن سحيم وأبوه محمد فقد انهم في ذلك وأنجد وجد في التحريش عليه والتجريض ، وهبوا له أسباب الجريض وأرسل بذلك إلى الأحسا والحرمين والبصرة فلم ينل من مراده سوى الخزي والعار والحسرة ، ولم يحصل من مراده بغير العثرة ، ولقد كاد وشنع وعادى وحشر علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور وجد في دحض الهدى وشمرو سعى في إبطاله وما قصر وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين إلى علماء الحساء والبصرة والحرمين فقاموا معه فوراً بالإنكار وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد حتى أشرق لها أنوارا خارجي لها وبيض في الأقطار خارجي ليس له في الحق تثبيت ولاقرار وأنه من لظى الجحيم والنار على شفا جرف هارب بل جزم أكثر علماء الأمصار في تلك الأزمان والأعصار بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار المتبع لهدى نبيه المختار من أقبح الضلال والفساق والكفار وأشر الخوارج والفجار وحسبوا أنهم إذا حرشوا عليه الحكم يجدون في قتله ويحتهدون فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون ، ولقد عرفوا أن الذى جاء به الحق ولكنهم لذلك كانوا يكتمون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فصنفوا المصنفات في تبديعه وتضليله وتغييره للشرع النبوي وتبديله وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون. فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال وأرهنفوا أسنة المقال والكل خاض في الإفك ونال فآب بالحسران والإذلال ورجع والله الحمد بنجية الآمال (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتربوا ما هم مقترفون) والذي تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لحجج موجه الخطير وشر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير حسداً وبغياً لفوزه بهذا الفضل الكثير والفخر النابل المنير سليمان بن سحيم وأبوه محمد من مطاوعة الرياض والموانيس من أهل منبج وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق فصار كل من هؤلاء معاندا مجادلا مشاقق وحذروا منه جميع الأنام ، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام خصوصاً السلاطين والحكام وقطعوا لهم أنه رافض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام وأنه مغير لمنار السنة والأحكام وليس له منها تمسك والتزام ولا بالدين أخذ واعتصام فليس له ولا لأصحابه عهد ولا ذمام ولم يكن له قصد ولا مرام إلا تنفير الخواص والعوام وملاء قلوب الجهال والظفام بما يبيده لهم من ذلك الكلام فيقوموا بالمشاققة على الحكم والولاة ويكونون عليهم عتاة وبما يأمرونهم به في جميع الأحوال عصاة فهذا غايته ومنه ومنتهى مراده وأقصاه يخوفونهم بهذه الأقاويل ويحلبون لهم أنواع الأباطيل ويحذرونهم منه أنه إن تمكن أمره في البلاد أزال جميع المنكرات والفساد وقطع جميع ما كان من المظالم معتاد ، فكانوا بهذا الكلام لهم يغيرون وعن طريقه يحذرون وينفرون ، وهو رحمه الله صابر على ما يقولون محتسب الأجر فيما إليه ينسبون متسلّ بما كابدوه وقاساه قبله الموحدون وما لقيه من الابتلاء المؤمنون وما سعى به لهم الضلال والمشركون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وهذه سنة الله تعالى في عباده جارية في جميع الأزمان على مراده ، يختبر بها أحبابه المؤمنين ويتحنن بها أحزابه المفلحين (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فيرفع جل وعلا قدر الصابرين ويعلى مرتبة الصادقين ويخفض منزلة المنافقين ، ويفضح

بارادته الفاسقين والكاذبين ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون) فمضى رحمه الله تعالى في المناصحة وبذل الجدل في الدعوة والخلق رموا الببال نحوه فصبر متأسيا بسلفه الصالح ، فكان له بهم أسوة ما كانوا عليه يحزنون (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) .

[مهمات : الأولى] أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشان في تلك الأوقات والأزمان والناس قد أشربت منهم القلوب بمحبة المعاصي والذنوب وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان لم يسرع لها لسان ولم يصمم منه لب وجنان على تكفير أولئك العربان بل توقف تورعا عن الإقدام في ذلك الميدان حتى نهض عليه جميع العدوان وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان ولم يثبتوا فيما جاءوا به من الإفك والبهتان ولم يكثرثوا بما حكموا عليه من الزور ، وما اقترفوه من الفجور ، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال إقدام وإسراع وإقبال ، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال ، على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير . وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من الليم الخبير ومساعدة القضاء له والتدبير ، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالموا على ذلك الأمر المير الذي كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير . جزاء بما كانوا يكسبون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) نعم ثبت لدينا ونقل نقلا صحيحا إلينا أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك وألقوها في مظالم قفر المهالك ونظموا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك ، فقالوا إن كان الذى نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور في تلك الأزمنة الماضية والدهور فنحن كفار ضلال من غير ريب ولا إشكال ولقد لهج بذلك الأحوال ذوو الأحلام منا والجهال فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقالة ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله وجعل تلك لهم إلى مراده حباله ، وقال لهم وزين وصرح لهم وبين وشرح لهم وعين وقال لهم لا يتم لكم سؤال ولا مراد حتى تلقوا هذا القول بين أظهر العباد فتغروا به الحكم والولاية وأهل الفساد . فيبادروه بالقتال والجهاد ويجلوه إن لم يلوه عن البلاد هكذا زخرف لهم اللعين وكاد حتى وسطهم فيفا (٣ — تاريخ نجد — أول)

الإهلاك والإبعاد فتحنى عنهم الحبيث عن يمين وقال أتم أهل الشمال الضالين (إني أخاف الله رب العالمين) فلاريب أنهم هم الذين على أنفسهم قضاوا واختاروها لهم وارتضوا وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والتنفير وحاولوا بذلك مآرب وسخت لهم به مطالب ساءت لهم منها العواقب وخذشتم منها سهام صوائب وحلت عليهم مصائب وارتفع بها للإمام مراتب وشاع جميل ذكره في المشرق والمغرب ، وانعكس عليهم الحال فلم يحصلوا على آمال آمال بل كان ذلك البهتان الذي أنوء والحال عائد عليهم بالهوان والإذلال والمهلك والقطع والاستئصال وتبدى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراف وأعطاهم الله تعالى غاية الأمل ، وربما صحت الأبدان بالعلل ، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه وزاد إعلانه بالتوحيد وصدعه وردعه أهل الشرك وقمعه « ومن العداوة ما يسرك نفعه » وإذا تأمل العاقل اللبيب الذي حصل من الإيمان على نصيب الذي حصل من الحال وبدا ، وما تفوّه به أهل الزيغ والردى ، ومما كره به رؤوس العدا وما نووا به أهل الهدى ظهر له في ضمن ذلك من الحكم والعبر والمآثر التي حرست عن طوارق الغير واللطائف التي في الوجود لها واضح الأثر وصار لها في الموعظة انتفاع ومدكر وبان له ماجرى على الشيخ من المحن وصدر زاد ولله الحمد منحا وتبين له ذلك وظهر حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم فكان كل منهم لما أمه محروم ، وبالعبد والمذلة موسوم :

حسدوا الفقى إذ لم ينالوا سعيه فالتقوم أعداء له وخصوم

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه أو خزى فأفشوه وأشاعوه ، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمين لا يدركون منى ، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هنا ، فأوهن الله تعالى بفضل كيد كل عدو وحسود لأن الحسود كما في الأثر لا يسود ، ولم يظفروا بمرام ولا مقصود ، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين في البسيطة إسعاد وسعود وصروج إلى ذرى الفاخر وسعود ، وما أحسن قول أبي تمام فلقد أصاب الغرض في هذا المقام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف فضل طيب العود

[الثانية] كان رحمة الله عليه مع ما يسمع من الأذى وينقل إليه وما ينمى من

قيحهم لديه وفرط تغنتهم وعنادهم وعدم توقفهم فيه ، وإسنادهم وغلوهم في هجرهم له وانتقادهم وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم وشحنهم لدمه المعصوم مواضى جلادهم ومبالغتهم في السعاية لإهلاكه وارتدادهم غير مكثرت بهم ، ولا مقترف ولا مبال ويتسلى بمن كان قبله من ذوى الفضل والعالى ويقول متوكلاً على مولاه القاهر للتعالي : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وينشد قول محسود سالي :

إن يحسدوني فإنني لست أحسدهم قبل ذو الفضائل أهل العلم قد حسدوا
بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه الذي خصه بهذا الفضل ووالاه أن يشرح للحق
صدورهم ، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم ، وأن يسهل لقبوله
قلوبهم وأمورهم ، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم ويصرف عنه محذورهم ،
ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمفطرة ، وأحب مآلديه إتيان أحدهم إياه
بالمعذرة ، ولم يعامل أحداً من تلك الطواغة بالإساءة بعد التولى والقدرة ،
ولا ريب وحق ذى الجلال ، إنهم لو مكنتهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال ،
وأوقعوا به أقبح المثلة والنكال ، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال ،
وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور ، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن
والظهور حين أكرمه الله تعالى وأعلى في الحافقين منزلته وشانه ، وأهلك حساده
 وعدوانه وأعز جماعته وأعوانه وجاءوا وافدين عليه منقادين قسراً إليه وأوقفوا
أكثرهم بين يديه وتنصلوا معذرتهم بين يديه أدخلوا بلده وأوطانه ، فلم يعاملهم
بالإذلال والإهانة ، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب ، ولم يفتح للتأنيب والتبكي
أبواب ، ومنعهم برّه ومعروفه وإكرامه ، ولم يقابل بالعدل والملازمة وأبدى لهم
البشاشة والملاطفة ، وأعرض عما أنوه من الإسراف والمجانفة ، وكأنهم لم يصدر عليه
منهم بلا ، ولم يسعوا به عند ولادة الملا وأخذته لهم الرحمة ، ولا أراد لهم سوءاً ولا وصمة
ولا مكروها ولا نقمة ، وهذا الأمر لاتقواه الطباع البشرية ولا تهواه قلوب أكثر
البرية ولا تحمله الأنفة والحمية ، ولا تكظم عليه ذوو العصبية وهذا الشأن والمقام
لا يدرك ولا ينال ولا يرام ، ولا يتبوأ بمجوحته إلا البررة الكرام والعلماء بالله الأعلام
من جملة الله تعالى بحلل تقواه وحلاه بحلل معرفته وهداه ، وهم الذين يقومون حين
ينادى المنادى من بطنان العرش « ليقوم اليوم من أجره على الله » ولعله رحمه الله تعالى
لمح سر « رب اهد قومي فإنهم لا يعصون » فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون ، وتلقاهم

بالقبول والإقبال ولين لهم الجناح في المقال حتى دهشت قلوبهم من الاختجال ، وما أسدى إليهم من النوال فكانت حاله معهم كما بينه التهامي فقال :

إني لأرحم حاسدي لحراً صمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

[المهمة الثالثة] يتأكد على كل مؤمن وموحد أن يسأل الله دوام الهداية ، ويستترشد ويتفكر فيما حباه به مولاه دون أكثر الخلق واختصه ، ويشكره سبحانه وتعالى أن وفقه لتأهله بالقيود على هذه المنصة وأهله لمراتب لم يكن لها أهلاً وأسدى إليه من مواهبه إحساناً وفضلاً ويلزم منهج الصبر على ما تسنى له من الابتلاء عدلاً ، فقلما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلاء والافتتان في كل قطر ووقت وزمان ، ولكن السلوان المطاع النافي للحزن والهم والارتياح والجلب للنزغات النفسانية الارتداع إجمالة الأبصار والأفكار وتحقيق مطالعة الأنظار والاتعاظ بعد ذلك والادكار وزيادة التسلي والاعتبار بما جرى على الأتقياء الأبرار من الفجرة الكفار فقد فعلوا بالمصطفين الأخيار ما هو معلوم بضرورة الأخبار من القتل والنشر بالمنشار والإلقاء في موقد النار ، وما وقع على النبي المختار والآل والأصهار من الفسقة الفجار فإذا تأمل ذلك ذو الإيمان حصل له بالرضا إذعان وازداد سكوناً وصبراً على مضض الزمان وتجرع غصص الهم والأحزان ، وكفى له أسوة وقدوة واتباع بهؤلاء السلف الصالح الأتباع ولولم يكن في ذلك من المصالح والأسرار إلا تكفير الخطايا والأوزار ورفع المنازل والدرجات العلى في الجنات والأمن في رفيع العرفات وظهور الدين والآيات وإطماء الشرك والضلالات وإعزاز أوليائه وإذلاله لأعدائه لكان كافياً وبالمقصود وافياً ، مع أن ابتلاءه الخاصة وأحبابه فيه سر عظيم في نصر دينه وأحزابه وانتشار الكلمة ونحوها وارتفاعها بعد ذلك ومحوها ورسوخ التوحيد والدين وإقبال الخلق عليه أجمعين ، فهو في الحقيقة حكمة باغة ، ولكنها والله منة سابعة ، وقد جاء في بعض الأحاديث : أن الله ذكر في النوراة لموسى ، إني أقسى قاب فرعون لنظهر آياتي وتظهر عجائبي ، فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين وقوى له الإيمان واليقين من العلماء والمؤمنين صبر على أذى المؤذين وتحمل مشقة المحتجين فهو لا بد وأن تكون له العافية ويدرك مأموله ومطالبه وقد قال الله تعالى (أم حسبتم

أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ويجزؤ في جميع حالاته وسائر طاعاته إلى ربه القريب المحيب أن ينيله ويقسم له من الجهاد فيه والصبر أو فر نصيب (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) فبعد سلوكه سنن الصبر وانتهاجه يتسنى له لذة سروره وابتهاجه ويفاض عليه من سبحانه جود مولاه وبره أضعاف ثوابه وأجره مقابلة على ما عانى من صبره ومعاملة على قيامه بشكره ويفوز بدرجات الصبر في الثواب ، وضده يحوز البعد عن الوصول إلى تلك الأبواب والارتقاء بعصمة تلك الأسباب إلى سنى تلك الأعتاب ويلقى إليهم الوزر والعقاب ، ويبقى في درك الجحيم والعذاب ، والحكمة في هذا واضحة جليلة والنكمة فيها لأئحة غير خفية وهو إظهار الله عز وجل العدل في ذلك المقام حتى يقع ذلك معاناة في جميع الأنام وتجري الأمور الأخروية على ما كان عليه في الدنيا من الأحكام : إلا فهو جل ثناؤه وعمت آلاؤه يعلم الأشياء قبل وقوعها جملة وتفصيلا ألا يعلمها من أوجدتها وقدرها وصرفها تغييراً وتبديلاً ولا تقع إلا على وفق ما أَرادَه تصريفاً وتحويلاً ، وهذا من عظيم عدله وجسيم إحسانه وفضله أن لا يؤاخذ أحداً بعلمه ولا يعاجل بالعقوبة حلمه . واعلم رحمك الله تعالى وأرشدك ويسر لك الخير وسددك أن ماصدر على الشيخ من الاختبار والامتحان وما قاساه من الابتلاء في تلك الأزمان ممن يدعى الرفعة والشأن والقدم الراسخ في العلم والعرفان ولا ريب أن الذي وقعوا فيه من الافتتان مماثل لما وقع فيه من قبلهم كما في القرآن (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فارتقمهم الخداع في تلك الأودية وجبذهم إليها بأسباب الأهوية حتى ألبسهم من ذلك الغدر أردية ، وكانت حيله وتسويلاته لهم مردية ، وإلا فالأكثر منهم ممن كسب واقترب أقر على نفسه واعترف أن ما أتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب ، وأن هذا هو التوحيد المطلوب ؛ ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب ، ولكن أنفت بعد ذلك منه القلوب وخشى أن يكون كل من رياسته ودنياه وجاهه مسلوب وقد صرح كثير منهم في المحافل الكبار بأن ما يفعل عند القبور والأشجار والطواغيت والأحجار من الشرك الأكبر الذي لا يمحي إلا بالتوبة ويغفر ، وبعض

من أولئك برح على الإصرار ، ودام على الإنكار وبعض يقر عند الخاصة في إصرار وينكر ذلك لدى الناس في الإجهار حتى اجتمع منهم الحال وأخذ بهم الحسد ، وآل إلى إنكاره بعد المعرفة وأضحت ألسنتهم بعد ذلك فيه مسرفة ووجوههم عنه مصروفة ١١ حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة فذكر لنا عن تحقيق ويقين أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين وتأديبهم من لم يصل جملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين . وكان كثير من علماء نجد العدوان يأتون رهوسا البدوان ويحذرونهم وقوع الصلاة في حيزهم وسماع الأذان ويحثونهم على التمسك بقبائح تلك الأديان وما كانوا عليه من الفسق والعصيان عياذا بك اللهم عن الحسد والبغى فيه والطغيان ، كما فعل ذلك للثمنون للعلم والبيان ، كيف حملهم ماملاً لا قلوبهم من البغض والحسد ؛ وما أضمره من الحقد والغل الذي أعقبهم الحسرة والكمد على ذلك الزور المحظور في الدين والافتراء والتعدي على منصب الشريعة والاجترار ، ولم يحذروا في ذلك سطوة الديان ، ولقد علموا أنهم باعوا العالي بالدان فباءوا من صفقتهم بالحسران ، وكان من أعظم الأسباب التي دعته إلى هذا الارتكاب وعدم الخوف والارتقاب ، وأشد ما حملهم على ذلك الإغرا الذي حازوا به سخطا وخسرا وأجل الدواعي لذلك والبواعث التي صيرت أكثرهم لمحكم التوحيد نواكث إعلان الشيخ رحمه الله تعالى بما هو الحق والصواب والواجب المحتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب وأراد القيام بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب وهو التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب والعمل بما جاء من هدى الأصحاب وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الأمة فهو وإن كان التزم مذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب ، بل إن لم يلق من النصوص القاطعة دليلاً لم يتخذ غيرها سبيلاً ؛ ولكنه يختار من هو إلى الدليل أقرب ؛ ومن الأقوال ما هو أصوب ، ومن الحكم ما هو أوفق بالشرعية وأنسب فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر النير وبدر منه هذا البرهان الساطع المستطير والنبراس الذي يهتدى به من أراد إلى الله المسير والحكم الذي أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه الصير طارت قلوبهم من ذلك فرقا أعظم مطيروا وسعوا إلى عذب ذلك النير بالسعى إلى صافي سلساله بالتكدير وإلى تلك المناهل المورودة للأفاضل باجتلاب

شوائب التغيير وتساعد على ذلك الفعل الخطير الصغير منهم والكبير ، وتغافلوا عما ورد من الأحكام البينات والآيات القواطع المحكمات ولو لم يكن إلا آية النساء لكفى حجة على المراد ودليلاً (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) إلى قوله (ذلك خير وأحسن تأويلاً) قال العلامة شمس الدين في [أعلام الموقعين] أجمع الناس على أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته قال تعالى (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) قسم الأمر إلى اثنين : إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به ، وإما اتباع الهوى وكل ما لم يأت به الرسول فهو من الهوى ، وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم وجعل ذلك أعظم من الشرك لأنه جعل في المرتبة الرابعة فقال تعالى (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) . وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) وقال : كلام أهل الحق على أنه لا يجوز أن يقول العبد : هذا حلال وهذا حرام ، إلا لما علم أن الله أحله وحرمه . وقال الشافعي قدس الله تعالى روحه : أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . وقال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله وهذا أيضاً كما قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فهو تقليد؛ فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ويضيع ساعات عمره في التعصب ولا يشعر لتضييعه . فتنة عمّت فأعمت ورمّت القلوب فأصمت .

قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف : صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسد فسد الناس ؛ قيل من هم ؟ قال العلماء والملوك . وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

رأيت الذنوب تميم القلوب ب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأجبار سوء ورهبانها

قال أبو عمر بن عبد البر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم النبيين وإدراك العلوم على ما هو به ، فمن بان له الشيء فقد علمه ، قلوا والمقلد لا علم له لم يختلفوا في ذلك ، ومن هنا - والله أعلم - قال البحترى :

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد ومسود

وقال أبو عبد الله بن خويزمنداد البصرى المالكي: التقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لاجبة لقائله عليه وذلك ممنوع في الشريعة والاتباع ماثبت عليه حجة ، وقال في موضع آخر من كتابه : كل من اتبع قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده في دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع . وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ قولهم بغير حجة ، فقال الشافعي : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه وهو لا يدري ، ذكره البيهقي . وقال إسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره : اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعي ولأقرأه على من أراد مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه . وقال أبو داود : قلت لأحمد الأوزاعي هو أتبع من مالك ، قال لا تقلد ديك أحدا من هؤلاء ، ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذبه ثم التابعين بعد الرجل فيه خير ، وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع قال أبو داود سمعته يقول : الاتباع أن يسمع الرجل ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم هو في التابعين خير ، وقال أيضا لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي ، وخذ من حيث أخذوا ، وقال من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد في دينه الرجال . وقال بشر بن الوليد قال أبو يوسف لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا ، وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر ابن الخطاب لفول إبراهيم النخعي أنه يستتاب فكيف من ترك قول الله ورسوله لفول من هودون إبراهيم أو مثله ، وقال جعفر الفريابي حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني الهيثم بن جميل قلت لمالك بن أنس يا عبد الله إن عندنا قوما وضعوا كتباً يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكذا وكذا ، وفلان

عن إبراهيم كذا أو يأخذ بقول إبراهيم قال مالك وصح عندهم قول عمر قلت إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم فقال هؤلاء يستتابون ، وقال الطحاوي حدثنا محمد بن الحكم حدثنا عبد الله بن الحكم حدثنا أشهب بن عبد العزيز قل كنت عند مالك فسئل عن البتة فأخذت ألواحى لأكتب ما قال . قال لى مالك لا تفعل فعسى فى العشى أنها واحدة . وقال معن بن عيسى القزاز سمعت مالكا يقول إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى قولى فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . وقال تقي بن مخلد حدثنا شمعون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم بن مالك أنه كان يكتر أن يقول (إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقين) وقال القعنبى : دخلت على مالك بن أنس فى موضعه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيت يبكى فقلت يا أبا عبد الله ما يبكيك ؟ قال يا بن قعنب مالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى ؟ والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفطيت بها بالرأى سوطا وقد كانت لى السعة فيما سبقت إليه وليتنى لم أفئت بالرأى . وقال ابن أبي دؤاد حدثنا أحمد بن منان قال سمعت الشافعى يقول مثل الذى ينظر فى الرأى ثم يتوب منه مثل الجنون الذى عولج حتى برأ فأقل ما يكون . وقال ابن أبي دؤاد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبي يقول لا يكاد أحد نظر فى الرأى إلا وفى قلبه دغل ، وقال الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان لنعطينك جملة تعنيك إن شاء الله : لاتدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أبدا إلا أن يأتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل بما قلت لك فى الأحاديث إذا اختلفت ، قال الأصم وسمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول : إذا وجدت فى كتابى خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت . وقال أحمد بن على بن عيسى بن ماهان الرازى : سمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول : كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل ، بخلاف ما قلت فإنى راجع عنها فى حياتى وبعد موتى . وقال الحاكم سمعت الأصم يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول وروى حديثا فقال له رجل هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب وأشار بيده على رءوسهم ، وقال الحميدى سأل رجل الشافعى عن مسألة فأفتاه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ،

وقال الرجل تقول بهذا ، قال رأيت في وسطى زانرا ، أتراني خرجت من كنيسة أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول لي أتقول بهذا أروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أقول به ، وقال الحاكم أنبأني أبو عمرو بن السماك مشافهة أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعي يقول وسأله رجل عن مسألة فقال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أبا عبد الله أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر وحال لونه وقال ويحك وأي أرض تلقى وأي سماء تظلى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فلم أقل به نعم على الرأس والعينين نعم على الرأس وقال سمعت الشافعي يقول : ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت فالتقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي يردد هذا الكلام ، وقال الربيع قال الشافعي لم أسمع أحدا نسبته عامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله وأن ما سواهما تبع لهما وإن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد لا يختلف فيه الفرق وواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فرقة سأصف قولها إن شاء الله قال الشافعي ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقا متباينا وتفرق عنهم ممن نسبته العامة في الفقه تفرقا أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط [تمت] قد بين الشيخ رحمه الله تعالى في بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح فقال : وأما القول في التقليد واتباع الدليل الثاني أن الله سبحانه فرض علينا فرضين : الأول اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ما خالفه في كل شيء وأن الإنسان لا يؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره ، والفرض الثاني أن الله فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول كما قال تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) وخاطب بها جميع المؤمنين المجتهدين وغيره ، ولكن نقول الواجب

عليك تقوى الله ما استطعت وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك فما عرفت من ذلك فاعمل به وما لم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلدتهم وما أجمعوا عليه فهو الحق وما تنازعوا فيه ~~فقد~~ إلى الله والرسول ؛ وأما أخذ الإنسان ما اشتهت نفسه ووجد عليه آباءه وترك ما خالفه من كلام أهل العلم وغفلته عن كلام الله ورسوله واستهزاؤه بمن طلب ذلك فهذا هو الضلال الذي أنكرنا والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن نحصر: منها ما ذكره ابن رجب في الطبقات في ترجمة ابن هبيرة قال لما أنكره على بعض من يفق في عصره قال وتارة إذا ذكرت لأحدهم الدليل قال ليس هذا مذهبنا فيقيم أو ثانا تعبد مع الله قال وقال في حاشية المنتقى في كتاب القضا: من قلد إماما ثم خالفه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أروع فقد أحسن فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن . وقال الشيخ تقي الدين لما سئل عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثا يخالف إمامه : قد ثبت أن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن صدّيق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيه يقول : أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصوما في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدكم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب عليهم . وقال أبو حنيفة هذا رأي فمن جاء برأي خير منه قبلناه ، ولهذا لما حج أفضل الصحابة أتى مالكا فسأله عن مسألة الصاع وصدقة الحضرات ومسألة الأجناس فأخبره مالكا بما تدل عليه السنة في ذلك وقال قد رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع كما رجعت ، ومالك كان يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة أو كلاما هذا معناه ، والشافعي كان يقول إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولي ، والإمام أحمد كان يقول لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الثوري وتعلم كما تعلمنا ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي لما

صلى الله عليه وسلم أنه قال « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ولازم ذلك أن من لم يرد به خيراً لم يفقهه في الدين فيكون التفقه في الدين فرضاً والتفقه في الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهاً في الدين لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه . وأما القادر على الاستدلال فليلزم عليه التقليد مطلقاً وقيل يجوز مطلقاً وقيل يجوز عند الحاجة كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال وهذا القول أعدل الأقوال والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً فيقبل التجزى والانقسام بل قد يكون الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه ، فمن نظر في مسألة تنازع العلماء فيها ورأى مع أحد القولين نصوصاً لا يعلم لها معارضا بعد نظر مثله فهو بين أمرين إما أن يتبع قول القائل الآخر بمجرد كونه الإمام الذي اشتغل على مذهبه ومثل هذا ليس بحجة شرعية بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر وإما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه حينئذ تكون موافقته لإمام تقاوم ذلك الإمام ، وتبقى النصوص سالمة في حقه عن المعارض فهذا هو الذي يصلح . وإنما نزلنا هذا التنزيل لأنه قد يقال إن نظر هذا قاصروا ليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد في حقه . وأما إذا قدر على الاجتهاد التام الذي يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وإن لم يفعل كان متبعاً للظن وما تهوى الأنفس ، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله ؛ بخلاف من قد يقول قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص وأنا لأعظمها فهذا يقال له قد قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » والذي تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسألة قد ذلك على أن هذا القول هو الراجح فعليك أن تتبعه ؛ ثم إن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضا راجحاً كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه ، أما ترك القول الذي توضححت حجته أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة أو اتباع هوى فهذا مذموم ، وإذا كان الإمام المقلد قد سمع الحديث وتركه لاسيما إذا كان قد رواه أيضاً فمثل هذا وحده لا يكون عذراً في ترك

النص وقد بينا فيما كتبناه في [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] نحو عشرين عذراً للأئمة في ترك العمل ببعض الحديث وبيننا أنهم يعذرون في الترك لتلك الأعذار . وأما نحن فلسنا معذورين في تركنا لهذا القول ، فمن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه أو القياس أو عمل بعض الأمصار وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ومقدم على القياس والعمل لم يكن عذر ذلك الرجل عذراً في حقه فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخمائها عنها أمر لا ينضبط طرفاً لاسيما إذا كان التارك للحديث معتقداً أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال إنهم لا يتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ أو له معارض راجح ؛ وقد بلغ من بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه بل عمل به طائفة منهم أو من سمعه منهم ونحو ذلك مما يقدر في هذا المعارض للنص ، وإذا قيل لهذا المستهدى المسترشد أنت أعلم أم الإمام الفلاني كانت هذه ^أ معارضة فاسدة لأن الإمام الفلاني قد خالفه في هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة إلى نسبه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي ومعاذ ونحوهم من الأئمة وغيرهم فكان هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكرام في موارد النزاع وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع آخر ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة ، وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود في مسألة تيمم الجنب وأخذوا بقول من هو دونهما كأبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة وتركوا قول عمر في دية الأصابع وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «هذه وهذه سواء» وقد كان ^أ بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال له قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر وكذلك ابن عمر لما سألوها عنها فأمر بها فعارضوه بقول عمر فبين لهم أن عمر لم يرد ما يقولونه فألحوا عليه فقال لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا أم أمر عمر مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس ، ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن قول الله ورسوله ويبقى كل إمام في اتباعه بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم وهو تبديل للدين يشبه ما عاب الله به

النصارى في قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) ولو أطلقت لجواد الفهم العنان وأجرته في فسيح الديدان واستوعبت مائت في من قول العلماء الأعيان وأتيت بما صح عن ذوى الشأن لكان عبا متلاطم الأمواج وضبابا هامل الودق تجاج ومهامه لا استطاع السلوك في فجاجها ولا يتسنى شامخ منهاجها ولـكـاد صافن الفكر أن يحجم في هذا المضمار ، ويسرع إلى سابق المراع الكبوة والعتار في استيفاء تلك الآثار والاستقصاء على ورد من الأخبار ، ولاقتضى في الكتابة أسفار والمراد تأدية ما يسـلـ به للقلوب أسفار فتستضىء ألباب ذوى الاستبصار فتشرق منه أنوار الاعتبار .

ولحمد بن إسماعيل الصنعاني قصيدة بديعة في هذا المعنى فائقة آراها ووثقا وحسنا ، وقد جرّت ذبول الفخر لاسيما بمدح هذا الخبر ، وهامى عليك بادية ، وبلسان الفضيحة على المعاند منادية :

سلامى على نجد ومن حلّ في نجد	وإن كان تسليمى على البعد لا يحدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا	رباها وجياها بتهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت	ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسراك نجدا وأهله	لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
قنى واسألنى عن عالم حل سوحها	به يهتدى من ضل عن منهج الرشـد
محمد الهادى لسنة أحمد	فيا حبذا الهادى ويا حبذا للهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب للطرـد والرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله	فذلك قول جل إذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها	تدور على قدر الأدلة فى النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه	يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فوافق ما عندى
ويعمر أركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشـد
أعادوا بها معنى سواع ومثله	يفوت وودّ بشئ ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالواحد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة
وكم طائف حول القبور مقبل
وحرقت عمداء للدلائل دفتراً
علوم نهى عنها الرسول وفرية
أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا
وصيرها الجهال للذكر ضرة
لقد سرتني ماجاءني من طريقه
وأقبح من كل ابتداع سمعته
مذاهب من رام الخلاف لبعضها
يصب عليه سوط ذم وغيبة
ويعزى إليه كل ما لا يقوله
فيرميه أهل النصب بالرفض فرية
وليس له ذنب سوى أنه غدا
ويتبع أقوال الرسول محمد
وإن عدّه الجهال ذنباً فبذا
علام جعلتم أيها الناس ديننا
هم علماء الدين شرقاً ومغرباً
ولكنهم كان الناس ليس كلامهم
ولا زعموا حاشاهم أن قولهم
بلى صرحوا أنا تقابل قولهم
سلامي على أهل الحديث فإنني
هم بذلوا في حفظ سنة أحمد
وأعنى بهم أسلاف أمة أحمد
أولئك أمثال البخاري ومسلم
بحور وحاشاهم عن الجزر إنما
رووا وارتووا من علم سنة أحمد

أهلت لغير الله جهراً على عمد
ومستلم الأركان منهم باليد
أساب ففيها مايجل عن العد
بلا حصرية فاتركه إن كنت تستهد
تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد
ترى درسها أذكي لديهم من الحمد
وكننت أرى هذه الطريقة لي وحدي
وأنسكاه للقلب الموفق للرشد
يعض بأنياب الأسود والأسد
ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
لتنقيصه عند التهايم والنجدي
ويرميه أهل الرفض بالنصب والجد
يتابع قول الله في الحل والعقد
وهل غيره بالله في الناس من يهد
به حبذا يوم انفرادي في الحدي
لأربعة لاشك في فضلهم عندي
ونور عيون الفضل والحق والزهد
دليلاً ولا تقليد هم في غد يجدي
دليل فيستهدى به كل مستهد
إذا خالف النصوص بالمدح والرد
نشأت على حب الأحاديث من مهد
وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
أولئك في بيت القصيدة هم قصدي
وأحمد أهل الجهد في العلم والجد
لهم مدد يأتي من الله بالمد
وليست لهم تلك المذاهب من ورد

كفاهم كتاب الله والسنة التي
 أنتم أهدي أم صحابة أحمد
 أولئك أهدي في الطريقة منكم
 وشتان ما بين المقلد في الهدى
 فمن قلد النعمان أصبح شاربا
 ومن يقتدى أضحي إمام معارف
 فمقتديا في الحق كن لامقلداً
 وأكفر أهل الأرض من قال إنه
 مسماه كل الكائنات جميعها
 وإن عذاب النار عذب لأهلها
 وعباد عجل السامري على هدى
 وينشدنا عنه نصوص نصوصه
 وكنت امرأ من جند إبليس فارتمى
 فلو مات قبلي كنت أدركت بعده
 وكم من ضلال في الفتوحات صدقت
 يلوزون عند العجز بالدوق ليتهم
 فنسألهم ما الذوق قالوا مناله
 تسترهم بالكشف أو الذوق أشعرا
 ومن يطلب الإنصاف يدلى بحجة
 وهيئات كل في الديانة تابع
 وقد قال هذا قبلهم كل مشرك
 كذا أصحاب الكتاب تتابعوا
 وهذا اغتراب الدين فاصبر فإنني
 إذا مارأوني عظموني وإن أغب
 هنيئاً مريئاً في اغتيابي فوائد
 يصلي ولي أجر الصلاة وصومه

كفت قبلهم صحب الرسول ذوى الرشد
 وأهل الكسا هيئات ما الشوك كالورد
 فهم قدوتى حتى أوسد في لحدى
 ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
 نبذاً وفيه القول للبعض بالحد
 وكان إماما في العبادة والزهد
 وخل أخا التقليد في الأسر بالحد
 إله فإن الله جل عن الند
 من الكلب والخنزير والقرد والفهد
 سواء عذاب النار أو جنة الخلد
 ولأنهم في اللوم ليس على رشد
 ينادى خذوا في النظم مكنون ما عندي
 بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
 دقائق كفر ليس يدركها بعدى
 به فرقة أضحوا ألد من اللد
 يذوقون طعم الحق والحق كالشهد
 عزيز فلا بالرسم يدرك والحد
 بأنهم عن مطلب الحق في بعد
 ويرجع أحيانا ويهدى ويستهدى
 آباءه كأن الحق في الآباء والجد
 فهل قدحوا هذى العقيدة من زند
 على ملة الآباء فرداً على فرد
 غريب وأصحابي كثير بلا عد
 فكم أكلوا لحمي وكم مزقوا جلدي
 فكل فني يغتابني فهو لي يهدى
 ولي كل شيء من محاسنه يهدى

وكم حامد قد أنضج الفيظ قلبه ولكن غيظ الأسير على القد
فدونكها تحوى علوما جليلة منزهة عن وصف خد وعن قد
فلا مدحت وصلا للبلى وزينب ولا هي ذمت هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفياق وطولها فكم قطعت غورا ونجدا إلى نجد
أناخت بنجد فاستراحت ركبها وراح خليا من رحيل ومن شد
فأحسن قراها بالفرءة ناظماً عليها جواباً ففى من جملة الوفد
وقد طوت جبرا لضعف نظامها كما ستر الوجه المشوه بالبرد
وصل على المختار والآل إنها لحسن ختام النظم واسطة العقد

قد تبين لكل متأمل منصف فساد ما نحاه كل مجادل ومعاقد مسرف ووضح له بحجب
هذه الآثار والأنقال وسرد هذه العبارات البريئة من وصمة المقال الصحيح الذى يجب
اتباعه والعمل به من الأقوال والفاصد الذى لم ينسج من الشريعة الغراء على منوال ،
وزال ما فى قلبه من الرين والإشكال وعرف يقيناً أن ما اقتفاه من الهدى الصحب
والآل هو الحجة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال فیدع ما انتحله من المناهج
المتأخرة الرجال ويعرف فضل ذوى العلم والأعمال الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم
سميرا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ظهيرا فكان لهم تبارك وتعالى معينا ونصيرا
حق عرجوا فى معارج الكمال وتبوءوا مراتب من الشرف لا تدرك ولا تنال، بل
لا يواطأ بغير التوحيد لها جال وصب عليهم من صيب الرحمة سجال وتلقاهم بالقبول
والإقبال وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال ينالون ما يشتهون فيه بالغدو والآصال فمن
عزت عليه نفسه سمى من الأسباب لها فى الخلاص وراقب يوم الأخذ بالنواص حين
يعض الظالم على يديه ندامة وتسويلا وينادى على رؤوس الأشهاد يوم الوقوف والتناد
ولكن لا يعرج على قوله تعويلا ولا يجد إلى منهج الفكك دليلا فيقول مما يكابد من
العذاب جزاء له وتنكيلا (يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) ويتحقق بعد ذلك المشاهدة
والمعاينة على ما كان سالكا فى الدنيا من المباني لما كان عليه صالح السلف والأتباع
الذين هم أهدي خلف وتستبين لهم سبيل الراسخين الأتباع فيجاهد نفسه الراكنة إلى
الهوى على الاهتداء بهم والاتباع ويحزم بأن أكثر ما فرره غلاة الأحبار وأجالوا فيه
دقائق الأفكار من إيجاب التقليد وإنكار الاجتهاد وأنه لا يسوغ لأحد من العباد
(٤ - تاريخ نجد - أول)

تعصب منهم على الوظائف والناصب ومصادمة للحق ، حملهم عليها الاستعلاء للدراب
واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب .

خاتمة

توفي الشيخ رحمه الله تعالى وله من العمر قريباً من ثنتين وتسعين سنة ، وكان
في خلال هذه المدة يبذل في طاعة مولاه جهده بحفاظاً على ماله من الأحزاب والأوراد
مشمرأ في تحصيل نافع الزاد متجردا للاستعداد ليوم المعاد حتى لقي الله تعالى فأفاض عليه
من صيب الرحمة سجالات ، وسيأتي الكلام على وفاته في سنتها المعلومة مع مرثية هنا مثبتة
مرقومة ؛ وقد صنف رحمه الله تعالى مصنفات كثيرة وألف مؤلفات نافعة شهيرة منها :
كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد وكتاب الكبائر وكتاب كشف الشبهات
وكتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة نحو مجلد وكتاب مختصر الهدى النبوي
في مجلد لطيف وكتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه وكتاب مختصر الشرح الكبير
والانصاف مجلد كبير ؛ وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلاً واستوعبنا ما وقفنا
عليه منها . وأما الرسائل المطولة فمنها : كشف الشبهات وسيأتي ومنها رسالة كتبها
لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي وهي هذه ، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من
الفوائد الجليلة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى : سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار
وتعليظ على ولما قيل إنك كتبت معهم وقع في الحاطر بعض الشيء لأن الله سبحانه
نشر لك من الذكر الجليل وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من
الناس لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من أحكام السوء وأيضاً لما أعلم منك من
محبة الله ورسوله وحسن الفهم واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم لأنني اجتمعت
بك من نحو عشرين وتذاكرت أنا وإياك في شيء من التفسير والحديث وأخرجت لي
كراريس من البخاري كتبتها ونقلت على هوا مشها من الشروح وقلت في مسألة
الإيمان التي ذكر البخاري في أول الصحيح ، هذا هو الحق الذي أدين الله به فأعجبني
هذا الكلام لأنه خلاف مذهب أئمتكم التكلمين وذاكرتني أيضاً في بعض المسائل
فكنت أحكي لمن يتعلم مني ما من الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار

الآخرة فلا أجل هذا لم أظن فيك التسارعة في هذا الأمر لأن الدين قاموا فيه محطون على كل تقدير ، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح وإن كانت معهم ، فينبغي للداعي إلى الله أن يدعو بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقد أمر الله رسوله موسى وهارون أن يقولوا لفرعون قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى . وينبغي للقاضي أعزه الله بطاعته لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التي ذكرها الله في كتابه الذي أنزل ليبين للناس ما اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون فمن ذلك لا يستخفنه الذين لا يوقنون ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يعجل ، وقد وصف الله المنافقين في كتابه بأوصافهم وذكر شعب النفاق لتجنب ويحتمل أهلها أيضاً . فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان بل وحسن الصورة في قوله (وإذا رأيتم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) الآية ، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين في أول البقرة ووصفهم بكلام ذي الوجهين ووصفهم بالدخول في المحاصمات بين الناس بما لا يحب الله ورسوله في قوله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) الآية ، ووصفهم باستحقاق المؤمنين والرضا بأفعالهم ، ووصفهم بغير هذا في البقرة وبراءة وسورة القتال وغير ذلك . كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومن تلبس بها ، ونهى الله نبيه عن طاعتهم في غير موضع فكيف يجوز من مثلك أن يقبل مثل هؤلاء ؟ وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم في بيوتهم وتعظمهم وأنا لأقول هذا في واحد بعينه ، ولكن نصيحة وتعريف بما في كتاب الله من سياسة الدين والدنيا لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره . وأما ما ذكر لكم عنى فإنى لم آت به بجهالة بل أقول والله الحمد والمنة وبه القوة إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيمياً ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ، ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أنى لأرد الحق إذا أتانى ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم وكذلك ما درج عليه من سبقت له من الله الحسن من أتباعهم ، وغير خاف عليكم ما أحدث الناس في دينهم من الحوادث ، وما خالفوا فيه طريق سلفهم ، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خيرا من ابن حجر ، وصاحب الإقناع بالاجماع ، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقته قالوا هذا من أكبر الأدلة على أنه باطل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حدو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . وقد ذكر الله في كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله وأنهم تركوا كتب الله والعمل به ، وأقبلوا على ما أحدثه أسلافهم من الكتب وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع ، وأنهم لم يختلفوا لحفاء الدين بل اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم (وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) والزبر الكتب ، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق « انتبعن سنن من كان قبلكم » وجعله قبلة قلبه تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ما ظن الجاهلون أنها كانت في قوم كانوا فبانوا بل يفهم ماورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال في هذه الآيات مضى القوم وما يعنى به غيركم ، وقد فرض الله على عباده في كل صلاة أن يسأوه الهداية إلى صراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فمن صرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له صرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه . والحاصل أن صورة المسألة هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ما أنزل الله على رسوله ولا يعذر أحد في تركه البتة أم يجب عليه أن يتبع التحفة مثلا . فأعلم المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد أنكروا هذا غاية الإنكار ، وأنه تغير لدين الله واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البين لمن نور الله قلبه ، والذين يحيزون ذلك أو يوجبونه يدلون بشبه واهية لكن أكبر شبههم على الإطلاق أنا لسنا من أهل ذلك ، ولا تقدر عليه ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، ولأهل العلم في إبطال

هذه الشبهة ما يحتمل مجلداً ومن أوضحه قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) وقد فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عدى بهذا الذي أتم عليه اليوم في الأصول والفروع لأعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خرد بل يمين مصداق قوله « حذو القذة بالقذة » إلى آخره ، وكذلك فسرهما المفسرون لأعلم بينهم اختلافاً ومن أحسنه ما قاله أبو العالية : أما إنهم لم يعبدوهم ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم ؛ ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا لانسبق علماءنا بشيء ما أمرونا به اثمرونا وما نهونا عنه انتهينا ، وهذه رسالة لا تحتمل إقامة الدليل ولا جواباً عما يدلى به المخالف لـ كن أعرض عليه من نفسى الإنصاف والانتقاد للحق فإن أردتم على الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب [أعلام الموقعين لابن القيم] عند ابن فيروز في مشرفه فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطاً كثيراً وسرد من شبه أئمتكم ما لا تعرفون أتم ولا آباؤكم وأجاب عنها واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ، منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع وحذروا الناس منه وأخبروا أنه لا يصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد ، وأن الإسلام يصير غريباً كما بدا ، وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عمرو بن عبسة في أول الإسلام : من معك على هذا؟ قال حر وعبد يعنى أبا بكر وبلا لا فإذا كان الإسلام يعود كما بدا فما أجهل من استدلال بكثرة الناس وأطباقهم وأشباه هذه الشبهة التي هي عظيمة عند أهلها حقيرة عند الله وعند أولى العلم من خلقه كما قال تعالى بل قالوا مثل ما قال الأولون فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها إلا وقد ذكر الله في كتابه أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل مثل أطباق الناس ، وطاعة الكبراء وغير ذلك . فمن من الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف قدر هذه الآيات والحجج وحاجة الناس إليها ، فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لمن كان من أهله ، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر والذكر والأنثى ، وأن ما بعد الحق إلا الضلال ، وأن قول من قال ذلك صعب مكيدة من الشيطان كادها الناس عن سلوك الصراط المستقيم الخنيفة ملة إبراهيم ، وإن بان لكم أنهم مخطئون فبينوا إلى الحق حق أرجع إليه ، وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة إلى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه وأنه عندكم

من أنكر المنكرات من أن الذي يعيب هذا عندهم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لكن أنت من سبب ما أظن فيك من طاعة الله لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام فإذا قرأته فإن أنكره قلبك فلا عجب فإن العجب من نجاح كيف نجاحاً فإن أصغى إليه قلبك بعض الشيء فعليك بكثرة التضرع إلى الله والانطراح بين يديه خصوصاً أوقات الإجابة كآخر الليل وأدبار الصلوات ، وبعد الأذان وكذلك بالأدعية المأثورة خصوصاً الذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدي من يجيب المضطر إذا دعاه ، وبالندي هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم وقل يا معلم إبراهيم علمني ، وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر في قول الله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً - وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) وتأمل قوله في الصحيح « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يقبض العلم » إلى آخره ، وقوله « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وقوله « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة أفردت بالتصنيف فإني أحبك ، وقد دعوت لك في صلاتي وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم ولا يمنعني من مكاتبتك إلا ظني أنك لا تقبل وتسلك مسلك الأكثر ، ولكن لا مانع لما أعطى الله والله لا يتعاطى شيئاً أعطاه وما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقاً لدين الله كعمر رضى الله عنه في أوله فإنك لو تكون معنا لا نتصفنا بمن أغلظ علينا . وأما هذا الخيال الشيطاني الذي اصطاد به الناس أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم وخرفه بأنواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه كما قال تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) فإن الذي أنا عليه وأدعوكم إليه هو في الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فإنهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن أشهرهم كلاماً في ذلك إمامكم الشافعي قال : لا بد أن تجدوا عني ما يخالف الحديث فكل ما خالفه فأشهدكم أنني قد رجعت عنه ، وأيضاً أنا في مخالفتي هذا العالم لم أخالفه وحدي فإذا اختلفت أنا وشافعي

مثلا في أبوال مأ كول اللحم وقلت القول بنجاسته يخالف حديث العرينين ويخالف حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مرايض الغنم فقال هذا الجاهل الظالم أنت أعلم بالحديث من الشافعي؟ . قلت أنا لم أخالف الشافعي من غير إمام اتبعته بل اتبعت من هو مثل الشافعي أو أعلم منه قد خالفه واستدل بالأحاديث فإذا قال أنت أعلم من الشافعي قل أنت أعلم من مالك وأحمد فقد عارضته بمثل ما عارضني به وسلم الدليل من المعارض واتبعت قول الله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) الآية واتبعت من اتبع الدليل في هذه المسألة من أهل العلم لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدي حتى يتوجه عليّ ما قيل وهذا على التنزل وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر في الحقيقة ولا تعبثون بمن خالفه من رسول أو صاحب أو تابع حتى الشافعي نفسه ولا تعبثون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر وكذلك غيركم إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة ، وأكثر الإقناع والنتهي مخالف لمذهب أحمد ونصه يعرف ذلك من عرفه ، ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم ، وإنما الشأن إذا اختلفوا هل يجب عليّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة إلى الله والرسول مقتدياً بأهل العلم أو أنتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب في قوله فأتتم على هذا الثاني وهو الذي ذمه الله وسماه شركا ، وهو اتخاذ العلماء أربابا وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه ، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه منكم وإن أردت النظر في أعلام الموقعين فعليك بمناظرة في أثناء عقدتها بين مقلد وصاحب حجة ، وإن ألقى في ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التي استدلت بها ليس هذا معناها فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق وتجرد إلى ناظر أو مناظر أو اطلب كلام أهل العلم في زمانه مثل الحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب وغيرهم ومما ينسب للذهبي رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة ليس خلف فيه
مالعلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأى فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقي في كتاب المدخل والحافظ ابن عبد البر والخطابي وأمثالهم ومن قبلهم كالشافعي وابن جرير وابن قتيبة وأبي عبيد هؤلاء إليهم المرجع في كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف ، وإياك وتفسير

المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحه فإنها القاطعة عن الله وعن دينه وتأمل ما في كتاب الاعتصام للبخارى وما قال أهل العلم في شرعه ، وهل يتصور شيء بما صرح مما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن أمته متفترق على أكثر من سبعين فرقة أخبر أنهم كلهم في النار إلا واحدة ثم وصف تلك الواحدة أنها التي على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأنتم مقرون أنكم على غير طريقتهم وتقولون ما تقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد فجزمتم أنه لا ينتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد وتقولون يحرم على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم معترفين بالعجز عن ذلك وإذا كنتم مقرين أن الواجب على الأولين اتباع كتاب الله وسنة رسوله لا يجوز العدول عن ذلك وأن هذه الكتب والتي خير منها لو تحدث في زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل ولو تحدث في زمن الشافعى وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعرى متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم ، ولما حدث قليل من هذا لا يشبه ما أنتم عليه في زمن الإمام أحمد اشتد إنكاره لذلك ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروى عنه مسائل بخراسان قال أشهدكم أنى قد رجعت عن ذلك ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال تكتب رأيا لعل أراجع عنه غدا اطلب العلم مثلما طلبنا ، ولما سئل عن كتاب أبى نور قال كل كتاب ابتدع فهو بدعة ومعلوم أن أبانور من كبار أهل العلم وكان أحمد يثنى عليه وكان ينهى الناس عن النظر في كتب أهل العلم الذين يثنى عليهم ويعظمهم ، ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبى حنيفة هجره أحمد وكتب إليه أن تركت كتب أبى حنيفة أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لا يعرف الكتاب والسنة قال إن عرفت الحديث لم تحتاج إليها وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها وقال عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، ومعلوم أن الثورى عنده غاية وكان يسميه أمير المؤمنين . فإذا كان هذا كلام أحمد في كتب تسمى الآن أن تراها فكيف يكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم وشهد عليهم بذلك ولعل بعضهم مات وهو لا يعرف ما دين الاسلام الذى بعث الله به رسوله

صلى الله عليه وسلم وشبهتكم التي ألقيت في قلوبكم أنكم لا تقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح ، وقد قدمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اتبعوني من كان قبلكم حذوا المذبة بالقذه » إلى آخره ، فتأمل هذه الشبهة أنى قولكم لا تقدر على ذلك وتأمل ما حكى الله عن اليهود في قوله : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) وقوله (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وقوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم واعرف من نزلت فيه واعرف الأقوال والأفعال التي كانت سببا لنزول هذه الآيات ثم اعرضها على قولهم لا تقدر على فهم القرآن والسنة تجد مصداق قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم وما فى معناه من الأحاديث الكثيرة فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسي منكم على بال ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد حتى إن آخرهم قال عند موته : لا أعلم على وجه الأرض أحدا على ما نحن عليه ولكن قد أظل زمان نبي واذكر مع هذا قول الله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم) تحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ما وصف الله به اليهود فى كتابه خصوصا ما وصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله ، وما وصفهم الله أى علماءهم من الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت وقولهم للذين كفروا (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) لأنه عرف أن كل ما فعلوا لابد أن تفعله هذه الأمة وقد فعلت ، وإن صعب عليك مخالفة الكبراء ولم يقبل ذهنك هذا الكلام فأحضر قلبك أن كتاب الله أحسن الكتب وأعظمها بيانا وأشفى لدواء الجهل وأعظمها فرقا بين الحق والباطل والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم ، وقد ذكر فى كتابه (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة) وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها فى ذهنك واعرضها على قلبك فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال فتأمل قوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) وتكرير هذا الأصل فى مواضع كثيرة وكذلك قوله (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان) فكل حجة تحتجون بها مجدها مبسوطة فى القرآن

وبعضها في مواضع كثيرة فأحضر بقلبك أن الحكيم الذي أنزل كتابه شفاء من الجهل فارقا بين الحق والباطل لا يليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها مع عدم حاجة المسلمين إليها ويترك الحجج الذي يحتاجون إليها ويعلم أن عباده يفترون حاشا أحكم الحاكمين من ذلك . ومما يهون عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلا ولو اتبعه أكثر الناس ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله تعالى وغالب من يدعى المعرفة وما عليه المتكلمون وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشوا وتشبهوا وتجسبا مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي بل من عقولهم ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك مثل ما ذكر في فتح الباري في مسألة الإيمان على قول البخاري ، وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك وذكر عن الشافعي أنه نقل الإجماع على ذلك وكذلك ذكر أن البخاري نقله ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يردده فإن نظرت في كتاب التوحيد في آخر الصحيح - فتأمل تلك التراجم - وقرأت في كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقاها بالقبول وأن من جحد شيئا منها أو تأول شيئا من النصوص فقد افتري على الله وخالف إجماع أهل العلم ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال أبو عمر بن عبد البر أجمع أهل العلم في جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات لا يعدون عند الجميع من طبقات العلماء والكلام في هذا يطول . والحاصل أنهم عمدوا إلى شيء أجمع المسلمون كلهم بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عبدة الأوثان الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم فابتدع هؤلاء كلاما من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضا حتى إنكم لاتقدرون أن تغيروا عوامكم عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم في علم هذا الأمر إلا من سبقت لهم من الله الحسنى وهم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود يعضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم . هذا ، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم حتى إن

لهم من الذكاء والحفظ والفهم ما يحير اللبيب وهم وأتباعهم مقررون أنهم مخالفون للسلف حتى إن أئمة التكلمين لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا والمراد بالحج زيارة مشايخنا والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من إفسدهم رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام فقال لهم الفلاسفة أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور في الكتب على السنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً فلم يقدر أحد من التكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسداً في نفسه مخالفاً للعقول ، وهو أيضاً مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم ويذكرون في كتبهم أنهم مخالفون للسلف ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها وأنا أدعوك إلى التفكير في هذه المسألة وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم في أصول الدين وإبطال كلام التكلمين وتفكيرهم وممن ذكره من متأخري الشافعية البيهقي والبعثي وإسماعيل التيمي ومن بعدهم كالحافظ الذهبي ، وأما متقدموهم كابن سريج والدارقطني وغيرها فكلهم على هذا الأمر ففتش في كتب هؤلاء فإن أتيتني بكلمة واحدة أن منهم رجلاً واحداً لم ينكر على التكلمين ولم يكفرهم فلا تقبل مني شيئاً أبداً ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور راجع إليكم حتى ادعيت أن أهل السنة هم المتكلمون والله المستعان . ومن العجب أنه يوجد في بلدكم من إياي يفتي الرجل بقول إمام والثاني بقول آخر والثالث بخلاف القولين ويعد فضيلة وعلماً وذكاء ويقال هذا يفتي في مذهبين أو أكثر ، ومعلوم عند الناس أن مراده في هذا العلو والرياء وأكل أموال الناس بالباطل فإذا خالفت قول لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل ولم آت بشيء من عند نفسي تكلمتم بهذا الكلام الشديد فإن سمعتم أني أفيتت بشيء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه على القول ، وقد بلغني أنكم في هذا الأمر قمتم وقعدتم ، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر فيا ليت قيامكم كان في عظامكم في بلدكم تضاد أصلي الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منها وهو أعظمها عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر هذا يذبح له وهذا ينذر له وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة الالهفات وهذا يدعو المضطر في البر والبحر

وهذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عصى الله ، فإن كنتم تزعمون أن هذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة في القرآن فهذا من العجب فإنى لأعلم أحدا من أهل العلم يختلف في ذلك اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت ، وإن ادعيتكم أنكم لا تقدرون على ذلك فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض كيف وبعد الذين أنكروا على هذا الأمر وادعوا أنهم من أهل العلم ملتبسون بالشرك الأكبر ويدعون إليه ولو يسمعون إنسانا يجرّد التوحيد ألزموه بالكفر والفسوق ؟ ولكن نعوذ بالله من رضاء الناس بسخط الله ؛ ومنها ما يفعله كثير من أتباع إبليس وأتباع النجمين والسحرة والكهان ممن ينتسب إلى الفقر وكثير ممن ينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس ويشبهونها بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعى العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء وهو من الجبت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من كان قبلكم » ومنها هذه الحيلة الربوية التي مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد وأنا أدعو من خالفني إلى أحد أربع : إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما إلى إجماع أهل العلم ، فإن عاند دعوته إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس في بعض مسائل الفرائض وكما دعا إليها سفيان والأوزاعي في مسألة رفع اليدين وغيرها من أهل العلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

يامن تعز عليهم أرواحهم	ويرون غنا بيعها بهوان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا	لله مسالتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتهم	من أتى بالحق والبرهان
هيثوا جوابا للسؤال وهيثوا	أيضا صوابا للجواب بذان
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى	تجريدكم لحقائق الإيمان
تجريدكم توحيده سبحانه	عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتباع رسوله	عن هذه الآراء والهذيان
فالوحي كاف للهدى يعنى به	شاف لداء جهالة الإنسان

وهذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة النافعة المتضمنة لبيان حقيقة ما هو عليه وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله والنهي عما يصاد ذلك مما أحدثه أهل البدع والتفرق والاختلاف من هذه الأمة ، وانظر رحمك الله إلى تلافه وإحسانه في الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن وصبره على إيدائهم له وتشنيعهم عليه في رسائلهم وكتبهم التي أرسلوها إليه حتى إن بعضهم سماه مجنوناً وقال أذعموه الدبا والثوم المرابا : يعني أنه مجنون والمجنون يداوى بهذا .

فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جواباً لكثير من شبههم التي أدلوا بها ، وذكروها في مصنفاتهم ، وهذا لمظها بحر وفها قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين ودّ وسواع ويعوق ونسر ، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويدكرون الله ولا يكتفون بجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يحدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصالح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يحيي إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميع السموات ومن فيهن والأرض ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقرا قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله فقل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله فقل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه

إن كنتم تعلمون . سيقولون الله قل فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، ولم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً ثم منهم من يدعو للملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له ويدعو رجلاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستعانة كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم للملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم ، والتقرب إلى الله بذلك هو الذى أحل دمائهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ماسكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعنى المشركون في زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) . فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فاعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعانى ، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله . إذا عرفت ما أقول لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وعرفت دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس

فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين : الأولى القرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقر به إلى الله كما ظن الكفار خصوصاً أن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجعل لنا إلهاً كإلههم آلهة) حينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله . واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاقل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبياناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) والعامى من الموحدين يغلب ألفاً من علماء المشركين كما قال الله تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فحند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحدين الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة وأنا أذكر لك شيئاً مما ذكره الله فى كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون فى زماننا علينا . فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل . أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر لآيات متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

وما يعلم تأويله إلا الله) وقد صرح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين مسمى الله فاحذروهم » مثل ذلك إذا قال بعض المشركين (ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله وأنت لاتفهم معنى الكلام الذى ذكره فجأوبه بقولك إن الله ذكر أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرت لى أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله ، وهذا جواب جيد سديد ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله ولا تستهونه فإنه كما قال تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذهب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجأوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله عليه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لاتدبر شيئا وإنما أرادوا الجاه والشناعة وقرأ عليه ما ذكر الله فى كتابه ووضحه فإن قل هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف لا تجعلون الصالحين مثل الأصنام كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجأوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذا ذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)

واذكر قوله (ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) فقل له عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قال الكفار يريد منهم وأنا أشهد أن الله النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم . فالجواب أن هذا قول الكفار سواء فاقراً عليه قولهم (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - هؤلاء شفعاؤنا عند الله) واعلم أن هذه الشبهة الثلاث هي أكبر ما عنده فإذا عرفت أن الله وضعها في كتابه وفهمتها فهما جيداً فما بعدها أيسر منها ، فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك فإذا قال نعم فقل له بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك ؟ فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها بقولك قول الله (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) إذا علمت بهذا هل هو عبادة فلا بد أن يقول نعم . والدعاء مخ العبادة ، فقل له إذا قررت أنها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره إذ قال الله (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له فلا بد أن يقول نعم ، فقل له إذا نحرت لمخلوق أو نبي أو جني أو غيرها هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم ، وقل له أيضاً اشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم ، فقل له وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا أنهم مقرون أنهم عبيد تحت قهر الله وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً ، فإن قال أنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل لا أنكروا ولا تبرأ منها بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وأرجو شفاعته لكن الشفاعه كلها لله كما قال الله تعالى (قل لله الشفاعه جميعاً) ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال جل جلاله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) (٥ - تاريخ نجد - أول)

فلن يقبل منه) فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله واطلبها منه اللهم لا تحرمني شفاعة الله شفعه في وأمثال هذا فإن قال النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله . فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا وقال (فلا تدعوا مع الله أحدا) وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي صلى الله عليه وسلم فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون أتقول إن الله أعطاهم الشفاعة واطلبها منهم . فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها الله في كتابه ، وإن قلت لا بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ، فإن قال أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره فإنه لا يدرى فقل له كيف تبرأ من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ؟ ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فإن قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل وما معنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويدبحون له يقولون إنه يقربنا إلى الله ويدفع عنا بركته فقد صدقت وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبناءات التي على القبور وغيرها ، فهذا أقرأن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ويقال أيضا قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا فهذا يردده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك بالله في عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله فقل وما الشرك بالله فسر له ، وإن قال هو عبادة الأصنام فقل وما معنى عبادة الأصنام فسر لها لي ، وإن قال أنا لا أعبد إلا الله فقل ما معنى عبادة الله وحده فسر لها لي ، فإن فسر لها بما يبينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه ، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له

الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعتقاد وهو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين : أحدهما أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانا مع الله إلا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) وقوله (قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) وقوله (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) إلى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) وقوله (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون مادتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا؟ والله المستعان . والأمر الثاني أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما نبياً وإما أولياء وإما ملائكة ويدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصى مثل الحشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به . إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فأصغ سمعك ^١ لجوابها وهي أنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سجرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم

فكيف تجعلوننا مثل أولئك . والجواب أنه لاختلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء إنه كافر لم يدخل في الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج ، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) ، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا . ويقال إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ؛ فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحانه الله ما عجب هذا الجهل ويقال أيضا هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون ، فإن قال إنهم يقولون إن مسيلة نبي قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابيا أو نبيا في مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحانه الله ما عظم شأنه ! (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ويقال أيضا إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف

أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون
الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟ ويقال أيضا بنو عبید
الفداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بنی العباس كلهم يشهدون أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا
مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتلهم وأن بلادهم
بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين . ويقال أيضا
إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن
وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب حكم
المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه؟ ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل
دم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه
دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب . ويقال أيضا الذين قال الله فيهم
(يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أما سمعت الله كفرهم
بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه
ويزكون ويحجون ويوحدون؟ وكذلك الذين قال فيهم (قل أبا لله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم
كفروا بعد إيمانهم هم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قالوا
كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح . فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون من
المسلمين أناسا يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من
أنفع ما في هذه الأوراق ، ومن الدليل على ذلك أيضا ما حكى الله عن بنی إسرائيل
مع إسلامهم وعلمهم وصلاحتهم أنهم قالوا لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وقول
أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط خلف صلى الله عليه وسلم إن هذا نظير قول
بنی إسرائيل اجعل لنا إلها: ولكن للمشركين شبهة أخرى يدلون بها عند هذه القصة
وهي أنهم يقولون إن بنی إسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات
أنواط لم يكفروا . والجواب أن تقول إن بنی إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين
سألوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف أن بنی إسرائيل لو لم يفعلوا ذلك لكفروا
وكذلك لا خلاف أن الذين نهام النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات

أنواط بعد نهيهِ لكفروا وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فيفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلط عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وللمشركين شبهة أخرى يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل فيقال لهؤلاء الجهلة معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون ويدعون الإسلام وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار وهؤلاء الجهلة يقولون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أى تثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله فتبينوا ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه ، وأن من أظهر النوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » هو الذي قال في الخوارج « أينما لم يسمعوا فاقتلوهم لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهللا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك

ماذا كرهناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) وكان الرجل كاذبا عليهم وكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث التي احتجوا بها ماذا كرهناه ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يستغيثون بآدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا . والجواب أن نقول سبحانه من طبع على قلوب أعدائه فإن الاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العباد التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله . إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حتى يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فخاشا وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكروا السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ، ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقى في النار اعترض له جبريل في الهواء قال ألك حاجة؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا فقالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم . فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق والمغرب لفعل ، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل ، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لأمته فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العباد والشرك لو كانوا يفقهون . ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم لكن نفرد الكلام لعظم شأنها ولتكررة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل

مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم أو غير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى (اشترُوا بآيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقد به قلبه فهو موافق وهو أشرف من الكافر الخالص (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) ، وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك إذا تأملت في السنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولهما قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفاً من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليه غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الآية) ، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفاً أو مداراة أو مشقة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله أو فعل على وجه المزح أو غير ذلك من الأغراض إلا المكروه ، والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين : الأولى قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله إلا المكروه ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام والعمل . وأما عقيدة القلب فلا يكرهه أحد عليها . والثانية قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة النافعة فليتأمل اللبيب الناصح لنفسه الذي يخاف الله ويرجوه مقررره الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب من بيات

التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو شهادة أن لا إله إلا الله وإن الإلهية كلها بجميع أنواعها لله وحده لا يصلح منها شيء لالملك مقرب ولا نبي مرسل ثم يتدبر ما ذكره الله في كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التي لا يعقلها إلا من أراد الله هدايته فإن هذا الأصل العظيم هو الذي خلق الله لأجله جميع الخلق وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين كما قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم (قل إنني هدى ربي إلى صراط مستقيم ديننا قىمة ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) وقال تعالى (أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) والإله هو الذى تأله القلوب عبادة له واستغاثة به ودعاء له ورحاء له وتوكلا عليه وخشية له وإجلالا وإكراما فمن أخذ شيئا من أنواع الإلهية والعبادة التي لا تصلح إلا لله وجعله لخلق فقد اتخذ إلهاً مع الله وإن لم يزعم أنه إله فإذا فعل مايفعل أهل الشرك وعباد الأوثان بآلهتهم فقد عبدتهم وصار له إله مع الله فكان ممن اتخذ إلهين اثنين . قال العلماء رحمهم الله من غلا فى نبي أو رجل صالح أو غير صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول يا سيدي فلان أغثنى واجبرنى وانصرنى أو اقض دينى أو أنا فقير إليك أو أنا فى حسبك أو متوكل عليك أو يذبح له أو ينذر له أو يرجوه أو يخافه فهذا كله شرك وضلال ۱۱ وجنون وخيال يستتاب صاحبه وتقام عليه الحجة فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله وتقريبه زلفى فإن المشركين عبدة الأوثان إنما غرهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك كما هو صريح فى محكم آيات التنزيل لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل ، وقد روى الترمذى وغير واحد من أهل الحديث عن أبى واقد الليثى أنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر والمشركون سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أملحتهم يقال لها ذات أنواط فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً »

فتدبر رحمك الله هذا الحديث وتفكر فيه وتأمله كيف أفق صلى الله عليه وسلم وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بنى إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) مع أنهم لم يتلفظوا بذلك وإنما قالوه بالمعنى مع أنهم مجتهدون في ذلك لم يشعروا أن هذا كقول بنى إسرائيل ولهذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين له ذلك جهلاً منهم ، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر إن هذا كقول بنى إسرائيل لموسى سواء بسواء فإذا كان هذا الأمر العظيم خفي على أولئك السادة وجهلوه فكيف لا يخفى على غيرهم في هذه الأزمان التي خفيت فيها أعلام الإسلام واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والمجرد للتوحيد يخرج عن الإسلام وكان الشيطان قد اصطاد كثيراً من الناس بأن هذا الأمر العظيم للأنبياء والأولياء والصالحين توسل واستشفاع إلى الله بهم في إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وتفريج الكربات وأنتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وإن هذه الأمة الحمدية لا تشرك بالله ولا يقع الشرك في جزيرة العرب أصلاً وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عباد الأوثان وإنما هؤلاء عباد صالحون وأنتم عباد مذنبون مخطئون فتجاءلوا بهم وسائط بينهم وبين الله فتتقربون إليهم وتستشفعون بهم وتتوسلون بهم لأنهم أقرب منكم إلى الله وهذا فعل الناس قبلكم ولستم خيراً من فلان وفلان وأشباه هذه الزخارف التي يغربها الناس هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس فتصغى إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقتربوا ما هم مقتربون ، ثم يغريهم بعداوة أهل التوحيد والإخلاص فيستهزئون منهم بقاوبهم وأبدانهم ويسعون في أذيتهم ويبغون لهم العوائل والله مع الذين اتفوا والذين هم محسنون . فإذا كان هذا تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أولئك السادة لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين في جعل سدرة لتبويط الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذي لم يفعله عباد الأوثان بل هو أعظم منه بكثير .

في غوائد : الأولى : كان العلماء رضى الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الأمة من تعظيم القبور وبنائها وبناء المشاهد عليها والمساجد ودعائها وسؤال أهلها الحاجات وتفريج الكربات ويدينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ودخول في دين عباد الأوثان فليس هذا الذي

بينه الشيخ رحمه الله للناس من النهى عن دعوة أهل القبور والإشراك بهم والتبرك بالأشجار والأحجار فهمه من تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على أن النهى عنه والإنكار والتغليظ على من فعله من الجهال وإزالة ماقدروا عليه من ذلك ومرادى بالعلماء هم الذين يعتقد بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم بل يجاهدون في سبيل الله أهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم إما باليد أو باللسان أو بالقلب ، وهو أضعف مراتب الإيمان ؛ وقد ثبت أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » أخرجاه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه المشهور الذى سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرية يعكفون حوايا وينوطون بها أسلحتهم فمررنا بسدرية فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة قال إني أرى قوم تجهلون إنركب سنن من كان قبلكم » فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرية أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البر أو الشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها انتهى كلامه رحمه الله ، فانظر رحمك الله إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهى ذات أنواط التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال الله أكبر هذا كقول بنى إسرائيل اجعل لنا إلهة مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم فى العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك فتيبين لك بهذا أن من جعل قبراً أو حجراً أو شجرة أو شيئاً حياً أو ميتاً مقصوداً له وعظمه ودعا واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره فقد اتخذ إلهة مع الله . فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين فى العكوف وتعليق

الأسلحة للتبرك فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين ، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين وعرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم ؛ تحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر أن لا يغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة . ومن ذلك ما ذكره الإمام محدث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة من فقهاء الشافعية وقدمائهم في كتابه الذي سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث في فصل البدع المستقبحة قال : ثم هذه البدعة المستقبحة تنقسم إلى قسمين : قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محرمة والبدعة إما محرمة وإما مكروهة ، وقسم يظنه معظمهم إلا من عصم عبادة وقربا وطاعات وسننا . فأما القسم الأول فلا نطول بذكره إذ كفيينا مؤونة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء ، وهو ما يفعله طوائف من المنتهين للفقر الذي حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النساء الأجانب والحلوة بهن واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون في نهار رمضان من غير عذر ، ويتركون الصلوات ويخامرون النجاسات غير مكترئين لذلك فهم داخلون تحت قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ولهذا الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها . ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزوين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسرج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً من شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفي مدينة دمشق صانها الله تعالى من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق خارج البيت الصغير والشجرة الماعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ؛ فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق

وسفيان بن عيينة عن الزهري بن سنان وابن أبي سفيان عن أبي واقد الليثي رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها » وفي رواية « خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فتنادينا من جنبتي الطريق ونحن نسير إلى حنين : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون اتركبن سنن من كان قبلكم » أخرجه الترمذي بلفظ آخر والمعنى واحد ، وقال هذا حديث حسن صحيح . قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتابه المقدم ذكره فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها . قلت ولقد أعجبني ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجينبائي رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد إفريقية حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب : أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بي إلى العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبد الله فأننا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأسا قال فما رفع لها رأس إلى الآن . قلت وأدهى من ذلك وأمر إقدامهم على قطع الطريق السالبة يحيزون في أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام أو من بناء ذى القرنين ، وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله تعالى وهو بالباب الشمالي ذكر لهم بعض من لا يوثق به في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناما يقتضى أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افعل ذلك فقطعوا طريق المارة فيه وجعلوا الباب بكأله أصل مسجد مغصوبا ، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الطريق والخرج على من دخل ومن خرج ضاعف الله

عذاب من تسبب في بنائه وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في هدم مسجد الضرار المرصد لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً وهدمه لما قصد به من السوء والردى وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (لا تقم فيه أبداً) أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ، وأن لا يجعلنا بمن أضله فاتخذ إلهه هواه . انتهى ما ذكره الشيخ أبو شامة رحمه الله تعالى ، وكان رحمه الله تعالى من أئمة الشافعية من أهل أوائل القرن السابع ، وقال الإمام أبو الوفا بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى : لما صعبت التكليف على الجاهل والظفام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاق فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا بها وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجر مسجد الميمنة يوم الأربعاء ولم يقل الجمالون على جنازته الصديق أبو بكر أو محمد وعلى ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالحصّ والآجر ولم يخرق ثيابه إلى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى . فتأمل رحمك الله تعالى ما ذكره هذا الإمام الذي هو أجل أئمة الحنابلة بل من أجل أئمة الإسلام وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنعام فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه في سادس القرون والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون وجهابذة العلماء والنقمة لذلك يشهدون وحظهم من النهي مرتبته الثانية فهم به قاعون يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون وموّه به المتعصب والملاحدون .

في الفائدة الثانية قال الشيخ تقي الدين جاءت السنة أن يسأل الله بأسمائه وصفاته . فيقال « أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض إذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم ، وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وكذلك قوله « أسألك بمعاهد العزم من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة » مع أن هذا الدعاء الثاني في جواز الدعاء به قولان للعلماء قال الشيخ أبو الحسين القدوري قال بشر بن

الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول : بمعاقدة العز من عرشك أو يقول بحق خلقك ، والجواز قول أبي يوسف قال : قال أبو يوسف بمعقدة العز من عرشك هو الله تعالى فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري : المسألة بخلقه لا تجوز لأنه لاحق لمخلوق على الخالق ، فلا تجوز يعنى وفاقا ، وقال البلدحي في شرح المختارة : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى . قلت وهذا من أبي يوسف وأبي حنيفة وغيرهما يقتضى المنع أن يسأل الله تعالى بغيره . وأما سؤال الميت أو الغائب نبيا كان أو غيره فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فإن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت ياميدى يافلان أنا في حسبك أو اقض حاجتى كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعوهم فى الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها ؛ ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال : اللهم إنا كئنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى ، وكذلك معاوية رضى الله عنه لما استسقى لأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشى فهذا الذى ذكره عمر رضى الله عنه توسلا بهم توسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته فى حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود ، وهذا هو الذى ذكره الفقهاء فى كتاب الاستسقاء فقالوا يستحب أن يستسقى بالصالحين ، وإذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل ، وقد كره العلماء كلاك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف ، قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد يدنو من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره ، وقيل لا يوليه

ظهره وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف، ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر فإن ذلك قد ثبت النهى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما نهى أن يتخذ القبر مسجداً أو قبلة أمروا بأن لا يتحرى الدعاء إليه كما لا يصلى إليه . قال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالى على سمت القبلة ولا جعل مسطحاً، وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه ثم يدعو لنفسه، وذكروا أنه إذا حياه وصلى يستقبل وجهه بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعى والزائر ما نهى عنه من تحرى الدعاء عند القبر، وقد كره مالك رحمه الله وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفراً ونحو ذلك، ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها. وأما قصده دائماً للصلاة والسلام عليه فما علمت أحداً رخص في ذلك لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً، وأيضاً فإن ذلك بدعة فقد كان المهاجرون والأنصار في عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه لعلمهم رضى الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه ولأنهم كانوا يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفي آخر الصلاة في التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك، قال سعيد في سننه: حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد حدثني أبى عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى وسلم عليه وقال السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وعبد الرحمن ابن يزيد وإن كان يضعف لكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائماً ولا غالباً، وما أحسن ما قال مالك رحمه الله لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم

عَوَّضُوا عَنْ ذَلِكَ بِمَا أَحْدَثُوهُ مِنَ الْبِدْعِ وَالشَّرْكِ وَغَيْرِهِ ، وَلِهَذَا كَرِهَتْ الْأُمَّةُ اسْتِلَامَ الْقَبْرِ وَتَقْيِيلَهُ وَبَنُوهُ بِنَاءَ مَنْعُوا النَّاسَ أَنْ يَصْلُوا إِلَيْهِ ، وَمِمَّا يَبِينُ حِكْمَةَ الشَّرِيعَةِ وَأَنَّهَا كَمَا قِيلَ : سَفِينَةُ نُوحٍ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ ، أَنَّ الدِّينَ خَرَجُوا عَنْ الْمَشْرُوعِ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ حَتَّى خَرَجُوا إِلَى الشَّرْكِ فَطَائِفَةٌ مِنْ هَؤُلَاءِ يَصْلُونَ لِمَيْتٍ وَيَسْتَدْبِرُ أَحَدُهُمُ الْقَبْلَةَ وَيَسْجُدُ لِلْقَبْرِ وَيَقُولُ أَحَدُهُمُ الْقَبْلَةَ قَبْلَةَ الْعَامَةِ وَقَبْرُ الشَّيْخِ فَلَانِ قَبْلَةَ الْخَاصَّةِ ، وَهَذَا يَقُولُهُ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ عِبَادَةً وَزَهْداً وَهُوَ شَيْخٌ مَتَّبِعٌ وَلَعَلَّهُ أَمْثَلُ أَتْبَاعٍ شَيْخُهُ بِقَوْلِهِ فِي شَيْخِهِ وَآخِرُ مَنْ أَعْيَانُ الشُّيُوخِ الْمَتَّبِعِينَ أَصْحَابُ الصَّدَقِ وَالْاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ يَأْمُرُ الْمُرْتَدَّ أَوَّلَ مَا يَتُوبُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى قَبْرِ الشَّيْخِ وَيَعْكُفَ عَلَيْهِ عَكُوفَ أَهْلِ التَّمَاثِيلِ عَلَيْهَا ، وَجُمْهُورُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِالْقُبُورِ يَجِدُونَ عِنْدَ عِبَادَةِ الْقُبُورِ مِنَ الرِّقَةِ وَالْحَشْوَعِ وَالِدُعَاءِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ مَا لَا يَجِدُهُ أَحَدُهُمْ فِي مَسَاجِدِ اللَّهِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَآخَرُونَ يَحْجُونَ لِلْقُبُورِ وَطَائِفَةٌ صَنَفُوا كِتَاباً وَسَمَوْهَا مَنَاسِكَ حُجَجِ الْمَشَاهِدِ ، كَمَا صَنَفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ الْمَلَقَبُ بِالْمُفِيدِ أَحَدَ الشُّيُوخِ الْإِمَامِيَّةِ كِتَاباً فِي ذَلِكَ وَذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ مَا لَا يَخْفَى كَذِبُهُ عَلَى مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّقْلِ ، وَآخَرُونَ يَسَافِرُونَ إِلَى قُبُورِ الْمَشَائِخِ وَإِنْ لَمْ يَسْمُوا ذَلِكَ نَسْكَاً وَحُجْجاً فَلَمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ أَعْظَمَ قَصْدَهُ مِنَ الْحُجِّ قَصْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِاحْتِجَابِ الْبَيْتِ ، وَبَعْضُ الشُّيُوخِ الْمَشْهُورِينَ بِالْدِّينِ وَالزَّهْدِ وَالصَّلَاحِ صَنَفَ كِتَاباً سَمَّاهُ اسْتِغَاثَةً بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْيَقِظَةِ وَالنَّامِ وَقَدْ ذَكَرَ فِي مَنَاقِبِ هَذَا الشَّيْخِ أَنَّهُ حُجَّ مَرَّةً وَكَانَ قَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْتَهَى قَصْدِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَجَعَلَ هَذَا مِنْ مَنَاقِبِهِ ، فَإِنْ كَانَ هَذَا مُسْتَحْبَباً فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَحِبُّ عَلَيْهِ حُجَّ الْبَيْتِ إِنْ حُجَّ أَنْ يَجْعَلَ لِلدِّينَةِ مِنْتَهَى قَصْدِهِ وَلَا يَذْهَبَ إِلَى مَكَّةَ فَإِنَّهُ زِيَادَةٌ كَلْفَةٌ وَمَشَقَّةٌ مَعَ تَرْكِ الْأَفْضَلِ وَهَذَا لَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ ، وَبِسَبَبِ الْخُرُوجِ عَنِ الشَّرِيعَةِ صَارَ بَعْضُ أَكْبَارِ الشُّيُوخِ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَقْصُدُهُ الْمُلُوكُ وَالْقُضَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالْعَامَةُ عَلَى طَرِيقَةِ ابْنِ سَبْعِينَ قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ الْبُيُوتُ الْمَحْجُوجَةُ ثَلَاثَةٌ مَكَّةُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ وَالْبَيْتُ الَّذِي لِلْمُشْرِكِينَ فِي الْهِنْدِ وَهَذَا لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ دِينَ الْيَهُودِ حَقٌّ وَدِينَ النَّصَارَى حَقٌّ ، وَجَاءَهُ بَعْضُ إِخْوَانِنَا الْعَارِفِينَ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَتَهُ فَقَالَ لَهُ أَرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَى يَدَيْكَ فَقَالَ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى أَوِ الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ لَهُ وَالْيَهُودِ

(٦ — تَارِيخُ نَجْدٍ — أَوَّلُ)

والنصارى أليسوا كفارا؟ فقال لا تشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا في المغرب والمشرق، ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت أنه قال كل خطوة إلى قبري كحجة ويوم القيامة لا أبيع بحجة فأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ وزجره عن إنكار ذلك، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين فليسوا على ملة الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله التي قال الله فيها (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وعمار مشاهد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى إن بعضا من أرباب الكبراء الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذى على رأس القبة يخشى من فعل الفواحش ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذى خلق السموات والأرض وجعل أهله السماء مواقيت للناس والحج، وهؤلاء إذا نواظروا خوفوا مناظرهم كما صنع المشركون مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى (وحاجه قومه قال أحتاجونى فى الله وقد هذان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ، علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟) . قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحى المتعلق به كالنبي فمن الميت تطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحى فالحلال ما حله والحرام ما حرمه وكأنهم فى أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلها وعزلوا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتخذوه رسولا، وقد يحى القريب العهد بالإسلام والتابع لهم الحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غير ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول قد قلت للشيخ والشيخ يقول له النبي والنبي يقول لله والله قد بعث رسولا إلى السلطان فلان هنا ، ألا هذا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك أو نصرانى ولا يروج عليه ويأكلون من النذور والمندور مايؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به فى معنى قوله تعالى (إن كثيرا من

الأخبار والرهبان لئلا تكون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدخول في دين الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه ، والله سبحانه لم يذكر في كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها خالصة لوجهه قال تعالى (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وقال تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت النيران والأصنام والمشاهد لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات فيبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد » وفي رواية وصالحهم ودعاء القبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك وقد قدم بعض شيوخ المشرق فتكلم معي في هذا فبينت له فساد هذا فقال كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور فقلت هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث ، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم « لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تقضى ، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح أو يكون فيه قبر كافر أو منافق وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة أو إلى مواضع يقال لهم إنها تقبل النذر فهذا يقع فيه عامتهم ؛ وأما الأول فيقع فيه خاصتهم ، والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون في الباطن كافراً أو منافقاً ، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده

أن الميت يقضى حاجته إذا كان رجلاً صالحاً وكلاً هذين عنده من جنس واحد يستغيث به، وكَم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال إنه قبر كافر كالشاهد الذي بسفح جبل لبنان الذي يقال إنه قبر نوح فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العالقة، وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة وقبر أبي بن كعب الذي بدمشق اتفق العلماء أنها كذب ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين، وكثير من المشاهد تنازع فيها وعندنا شياطين تضل بسببها من تضل ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام واللوثى والغائبين وهذا كثير في زماننا وغيره مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبراني بديار مصر بأخميم وغيرها يرصدون التماثيل مدة لا يتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرءون حتى يتعلق الشيطان بتلك الصورة فيراها تتحرك فيطعم فيها أو غيرها فيرى شيطانا قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضى بعض حوائجه ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الزنك الكفار يسمونه البوى وهو الخنث عندهم إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه وينصبوا له حركات عالية في ليلة ظلماء وقربوا له خبزاً وميتة وغنوا غناء يناسبه بشرط أن لا يكون عنده من يذكر الله ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به في الهواء ويرون الدف يطير في الهواء ويضرب من مديده إلى الخبز ويضرب الشيطان بالآلات اللهو وهم يسمعون وينغى لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار ثم قد يغيب وكذلك الطعام وقد نقل إلى بيت البوى وقد لا يغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار ويقضى بعض حوائجهم ومثل هذا كثير جداً للمشركين فالذي يجري عند الشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام، وقد تيقنت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك قد يكون عنده شياطين تضل من أشرك به وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش وقد يفعلها الشيطان وقد ينهيه عما أمر به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك، والشياطين تغوى الإنسان بحسب ما تطمع منه فإن كان ضعيف

الإيمان أمرته بالكفر البين وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية ، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة ، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة. وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ أنه كان يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء في اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله والجن بحسب الإنس والكافر للكافر والفاجر للفاجر والجاهل للجاهل . وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتباع الإنس لا يتبعونه فيما أمر الله به ورسوله . وكان رجل يباشر التدريس وينتسب إلى الفتيا كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع ، وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدعى هذه المنزلة ويقول إنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وأنه زوج عيسى ابنته وأن نواصي الملوك والأولياء بيده يولى من يشاء ويغزل من يشاء وأن الرب يناجيه دائماً وأنه للذي يد حجلة العرش وحياتان البحر وقد عززته تعزيراً بليغاً في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس ، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجة ؛ ومن هؤلاء من يقول قول الله سبحانه (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) إن الرسول هو الذي يسبح بكرة وأصيلاً ؛ ومنهم من يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب الخس التي قال صلى الله عليه وسلم فيها « خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) » وقال إنه علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله ؛ ومنهم من يقول أسقط الربوبية وقل في الرسول ماشئت ، ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله ، ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول اغفر لي وارحمني ولا توقفني على زلة ، إلى أمثال هذه الأمور التي يتخذ فيها المخلوق لله . أقول وهذه سنة مأثورة وطريقة مسلوكة والله غير مهجورة وضلالة

واحدة مشهورة وبدعة مشهودة غير منكورة وأعلامها مرفوعة مشهورة وآياتها منصورة غير مكسورة وبراهينها غير محدودة ولا محصورة ودلائلها في كثير من المصنفات والمناظير مذكورة كما قال في البردة وبين في ذلك قصده :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحافيه واحتكم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
ولو أطلنا بنقل هذه الأخبار لحبرنا منه أسفار، فلنكف عنان القلم اليراع في هذا
الميدان فالحكم والله لا يخفى على ذي عيان بل أجلى من ضياء الشمس في البيان ، فلما
استقر هذا في نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا سئل عمن ينههم ما يقول هذا ؟ فيقول
فلان عنده ما ثم إلا الله لما استقر في نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلها آخر وهذا كله
وأمثاله وقع ونحن بمصر وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ويعظمون دعاء غير
الله من الأموات فإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بمن أمرهم بتوحيد
الله كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقوله (وإذا رأوك إن يتخذونك لإلهزوا الآية)
فاستهزءوا بالرسول لما نههم عن الشرك وقال تعالى عن المشركين (إنهم كانوا إذا قيل
لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أثنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى
(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها
واحدا إن هذا لشيء عجاب) وما زال المشركون يسفهون الأنبياء ويصفونهم بالجنون
والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام (قالوا أجيئنا لنعبد
الله وحده) فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد وهكذا تجد من فيه شبه
من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له
وأن لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك ،
وكثير من هؤلاء يخرّبون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذي بنى للصلاة
الجنس معطلا مخربا ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات ، والمشهد
الذي بنى على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والندور تغدو
لا وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك فإنهم
يعتقدون أن دعاءهم للميت الذي بنى له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به
في البيت الذي بنى لله عز وجل ففضلوا البيت الذي بنى لخلق على البيت الذي بنى لدعاء

الخالق، وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لشركي العرب الذين ذكّر الله حالهم في قوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا الله بزعمهم الآية) كانوا يجعلون لله زرعا وماشية ولأهلهم زرعا وماشية فإذا أصيب ناصية آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضموه فيه وقالوا الله غني وآلهتنا فقيرة فيفضلون ما يجعلون لغير الله على ما يجعل الله، وهكذا حال هؤلاء في الوقف والندور التي تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما يبذل عندهم للمساجد واعمار المساجد والجهاد في سبيل الله، وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع له ويجعل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن فهل هذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسوله ومثل هؤلاء إذا سمع أحدهم الآيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزءوا بها، ومن يقرأ بها فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية كأنهم صم عمى ، وإذا سمعوا الآيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم فأذن المؤذن قالوا نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول كنا في الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب وقد سألتني بعضهم عن من قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت كذب كان في حضرة الشيطان فصار على باب الله فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد فصل في غير هذا الموضع، والذين جعلوا دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة منهم من تقدم ، ومنهم من يحكى أنواعا من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يفته واستغاث بشيخه فأغاثه ، وحكاية أن بعض المأسورين في بلد العدو دعا الله فلم يخرجهم ودعا بعض المشايخ الموتى فأخرجهم إلى بلاد الإسلام ، وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبري وآخر قال فتوصل إلى الله بي وآخر قال قبر فلان هو الترياق المحرب فهؤلاء وأشباههم

يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لساثر المشركين وهؤلاء يتمثل
لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعو فيظنه إياه أو ملكا على صورته وإنما هو
شيطان أغواه ، ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا
اسمه قد لُهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه فيتعس أحدهم فيقول يا فلان ، وقد قال الله
للمؤمنين (فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا لله كذا كرم آباءكم أو أشد ذكرا) ومن هؤلاء
من يخلف بالله ويكذب ويخلف بشيخه وإمامه فيصدق فيكون شيخه عنده وفي صدره
أعظم من الله فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله
وآياته ورسوله فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله ، ومن كان يأمر بدعاء
الله وحده لا شريك له كما أمرت رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به ،
وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس رعاية لجانب الرسول وتصديقا له فيما أخبر وطاعة
له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به والتمييز بين ما روى عنه من الصحيح والضعيف والصدق
والكذب وأتباع ذلك دون ما خالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا
من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم
إما أحاديث ضعيفة أو موضوعات أو منقولات عن من لا يحتج بقوله إما أن تكون كذبا عليه
وإما أن يكون غلطا منه إذ هي نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا
بشيء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه
كما فعله النصارى ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام
بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري في شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان
وكتاب المستفيثين بالنبي عليه السلام في اليقظة والنام وهؤلاء لهم صلاح ودين لكن
ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذي يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام
ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة
جرى عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه
وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم صلاح وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى
جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس
ولهذا لما نبه من نبه من فضائلهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام
بل هو مشابهة لعباد الأصنام ، ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى

الله عليه وسلم لم يشرع لأُمته أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا غيرهم ولا
بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأُمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك
بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله
لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم
بذلك حتى تبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن
يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال هذا أصل دين الإسلام ، وكان بعض أكابر
الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذه أعظم ما بينته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين ،
وكان هذا وأمثاله فى ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم
ويضرعون إليهم وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم لأنهم إنما يقصدون الميت فى
ضرورة نزات بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به
أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم للذى دعاهم إياه فإنهم يفعلون فى كثير من الأوقات
على وجه العادة والتكلف حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق
خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التى يرجون عندها كشف ضرهم .
قال بعض الشعراء :

يا خائفين من التتر لودوا بقبر أبى عمر
وقال : عودوا بقبر أبى عمر ينجيكم من الضر

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم فى القتال لانهمزوا كما
انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك
والحكمة كانت لله فى ذلك ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا فى تلك
المرّة لعدم القتال الشرعى الذى أمر الله به ورسوله فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر
الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به وإنهم لا يستغيثون إلا إياه ولا يستغيثون بملك
مقرب ولا نبي مرسل فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا فى الاستغاثة بربهم نصرهم على
عدوهم نصراً عزيزاً لم يتقدم نظيره ولم يهزم التتار مثل هذه الهزيمة أصلاً لما صح من
توحيد الله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك فإن الله ينصر رسوله والذين آمنوا
فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما قال تعالى فى يوم بدر (إذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم بدر : « يا حى يا قيوم
لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » وفى لفظ « أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى
طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب فيقول أحدهم

بك أستجير أغشنا أجرنا ويقول أنت تعلم ذنوبي، ومنهم من يقول للميت اغفر لي وارحمي وتب عليّ ونحو ذلك ، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول أشكو إليك ذنوبي وأشكو إليك عدوى وأشكو إليك جور الولاة وظهور البدع أو جذب الزمان وغير ذلك فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين أو الدنيا ومقصوده بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر ، وقد يقول مع ذلك للميت أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب فيجعل الميت أو الحى الغائب عالماً بذنوب العباد وجرأئهم التي يمتنع أن يعلمها بشرحى أو ميت وعقلاؤهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويشفع لنا ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم فإنه يسأل ويشفع كما كان يسأل ويشفع النبي لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره ، وكأن يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة ولا يعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه في حياته . انتهى كلام الشيخ رحمه الله مخلصاً فانظر رحمك الله إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذى قد وقع في زمانه عن يدعى المعرفة والدين ينتصب للفتيا والقضاء ، لكن نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك وبين لهم أن هذا من الشرك الذى حرمه الله ورسوله فتنبه من تنبه منهم وتاب إلى الله وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال وانقاد للحق وهذا ما بين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنعام وأن هذا مصداق ما نواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث وقوله « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » وبهذا ينكشف لك ويتضح عندك بطلان ما عليه كثير من أهل هذا الزمان من أنواع الشرك والبدع والحدثان فلا تغتر بما هم عليه ، وهذه هي البلية العظيمة والخصلة القبيحة الذميمة وهي الاغترار بالآباء والأجداد وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد ، وتلك هي الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في محكم التنزيل من غير شك ولا تأويل حيث قال تعالى وهو أصدق القائلين حكاية عن فرعون اللعين أنه قال لموسى وأخيه هارون المكرمين (فما بال القرون الأولى) فأجابه عليه السلام بقوله (علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا

ينسى) فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء وسلم من التعصب والعناد والجفاء وتوسط في لاحب المحجة وقنع في قبول الحق بالحجة وكان ذلك طريقه ونهجه ، وأشرق في صدره مصباح القبول وأوقد فيه زيت المعرفة لمولاه والوصول ، وكان من ضوء التوحيد على وصول ، عرف صدق ما انتهجه شيخ الإسلام وما أوضحه من سبل السلام وما رفعه لكافة الأنام من رفيع الأعلام وما نشره من مطوى نافع العلوم وما كشفه من صحيح المنطوق والفهوم ، ولكن لما أمارط عن محيا الحق كثيف النقاب فأشرق لم نور القلب ضوء الصواب لم ترض له أفهام أولى الألباب ولم ترض في الدليل بقواطع السنة والكتاب بل لج أهل الزيغ في الضلال والارتباب ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب حين قام بدعوة رب الأرباب الشيخ الإمام القدوة محمد ابن عبد الوهاب وأتوا في مصادمته بحجج واهية النسيج بعيدة عن الحق والنهج يقضى بفسادها وبيان عنادها وغلوها في مرادها كل من لم يتورك سنام الاعتساف ولم يقعد على منصة العصبية والإجفاف ، ولم يدّرع بقميص السرف والإسراف وراقب في ذلك مولاه وخاف وماداهن في ذلك ولا حاف ولكن هذه القدوة كما أعلن بهذه الدعوة لم يبال بما ريش له من النبال وما حدد له من النصال وما أوقع في عرضه من القيل والقال والله در المتنبي حيث قال :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

[الفائدة الثالثة] قال ابن القيم رحمه الله في الإغاة قال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا قبوري عيدا » وقال « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي اتخاذها عيدا من اللفساد ما يغضب لأجله من في قلبه وقار الله وغيره على التوحيد * ولكن ما لجرح يميت إيلام * منها الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم ، وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم أعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يثول عليه ، وإذا لمن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها ؟ ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه وبين

ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ونهى عن تسريحها وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل ونهى عن أن يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ونهى عن تشریفها وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم عن على رضى الله عنه وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب ونهى عن تخصيص القبر والبناء عليه كما في صحيح مسلم عن جابر ، ونهى عن الكتابة عليها كما رواه أبوداود عن جابر وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ويزيدون على ترابها بالحص والأجر والأحجار وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال للمشرکین إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعضهم في ذلك كتابا سماه مناسك حج المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام ، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ماشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لأئمة وبين ماشرعه هؤلاء ، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هجرا ، فهذه الزيارة التي أذن فيها لأئمة وعلمهم إياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمد به أهل الشرك والبدع أم تجد بها مضادة لما هم عليه من كل وجه ، وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولكن كما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك ، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحما جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعوا عند القبر فإن الدعاء عبادة . وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعو له ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحی ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة ، فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذى قيل لهم فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو محض العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذا له مع الله وهم لا يعبدونها

ولا يسألونها فما الظن بالكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به ؟ وأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب ، والأمر والله أعظم مما ذكرناه وعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضى الله عنه ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي يبيع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها أرسل إليها وقطعها قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث بن عون عن نافع فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن وبايع تحتها الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا حكمه فيما عداها ؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار فيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فسادا منه كالمبنية على القبور ، وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه ، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين وكانوا يقولون العامة لشيء منها أنه يقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المندور ، ولقد أنكر السلف التمسح بحجر اللقمان الذي أمر الله أن يتخذ منه مصلى قال قتادة في الآية إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأم قبلها. ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور وهي أصل فتنة عباد الأصنام كما ذكر الله في سورة نوح في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواها الآية) ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما اتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع مادعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعيادا وأوثانا فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع ومن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء ، ومن بعد عنه فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه كما أن من عمر قلبه بحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن حبة غيره وخشيته والتوكل عليه فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى ، والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى ، والمعرض عن حبة الله عبد الصور شاء أم أبى ، وهذه الأمور

المتدعة عند القبور أنواع أبعدھا عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبور وتقبيله والتمسح به. النوع الثاني أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة إجماعاً. النوع الثالث أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبور لذلك فهذا أيضاً من المنكرات إجماعاً وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله. وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم وعبادتها في الأرض من قبل نوح وهياكلها ووقوفها وسدتها وحجابها والكتب المصنفة في عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام «واجتنبى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس» وكفى في معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وقد قال تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) وقال (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) ولولم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبالها وتعظيماً ويوصى بعضهم بعضاً بالصبر عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى ملخصاً.

وسأتي بقية لكلام الشيخ ابن القيم في رسائل الشيخ الآتية إن شاء الله في مواضع من رسائله رحمه الله متفرقة كما ذكره في الرسالة التي كتبها حين ارتد أهل حريراً وكذلك ذكره في رسالته لعبد الله بن مسحيم في الرد على عدو الله سليمان بن مسحيم مطوع الرياض؛ وقال العماد بن كثير في تاريخه وفي سنة من السنين كان للناس شجرة يعظمونها ويربطون عليها الخرق ويخرجون إليها في يوم من السنة قال لم يشعر الناس إلا والشيخ تقي الدين بن تيمية تحزم وأخذ هو وجماعته الفؤوس وخرج إليها فقطعها قال فوق الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك فرحمه الله ورضى عنه على ما صنع فإن ذلك ربما يفضي إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر.

وقد ذكر ابن هشام في السيرة وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون نخلة طويلة لها عيد في السنة إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا

إليها وألبسوها الخلى وغيره ويعكفون عليها ، وأخبرني بعض أصحابنا أن بلاد الهند طائفة يعبدون الشجر يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها انتهى كلامه رحمه الله .

الفصل الثالث

في سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان ، وإلى بعض خواص الاخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد فمنها الرسالة التي أرسلها إلى أهل الأحساين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالانكار عليه والتشنيع ، ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العديلي وابنه وعبد الله بن سحيم وعبد الله بن عضيب وحמידان بن تركي وهلي بن زامل ومحمد أبي الخيل وصالح بن عبد الله ، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره ، وزبدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبين فضلاً عن غيرهم ، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ولا جلب الخير إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يخاف إلا به ولا يذبح إلا له وجميع العبادات لاتصلح إلا له وحده لا شريك له ، وهذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا أمرهين عند من لا يعرفه كبير عظيم عند من عرفه ، فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم .

والكلام في هذا ينبنى على قاعدتين عظيمتين .

[الأولى] أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون يزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والأرض الآية » فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله فاعرف .

[القاعدة الثانية] وهى أنهم يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وكل من ينتسب إلى شىء من هؤلاء سواه إلهاً أولاً يعنى بذلك أنه يخلق أو يرزق بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والاله فى لغتهم هو الذى يسمى فى لغتنا الذى فيه سر والذين يسمونه الفقراء شيخهم يعنون بذلك أنه يدعى وينفع ويضر إلا أنهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق وليس ذلك معنى الإله بل الإله المقصود المدعو المرجو ، لكن المشركون فى زماننا أضل من الكفار الذين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين : أحدهما أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة فى الرخاء ، وأما فى الشدائد فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية) . والثانى أن مشركى زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة . إذا عرفتم هذا أفلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأ أكبر عبادة الأصنام هذا يأتى إلى قبر نبي ، وهذا إلى قبر صحابي كالزبير وطلحة ، وهذا إلى قبر رجل صالح وهذا يدعوهم فى الضراء وفى غيبته وهذا ينذرله وهذا يذبح للجن وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة ، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك عبادة الأصنام الذى يخرج الرجل من الإسلام ، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع حتى إن كثيراً ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة فما بالكم لم تفشوه فى الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام أرايتم لو أن بعض الناس أو أهل بلدة تزوجوا أخواتهم أو عماتهم جهلاً منهم أفيحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه لا يعلمهم أن الله حرم الأخوات والعمات ، فإن كنتم تعتدرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة ، وفى غيبتهم عنها فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام ولا شهادة أن لا إله إلا الله ودليل هذا مما تقدم من الآيات التى بينها الله فى كتابه ، وإن عرفتم ذلك فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه ، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزواً وجهلاً كما هى عادتكم ولا تقبلونه فانظروا فى الإقناع فى باب حكم المرتد وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التى ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه مثل الاعتقاد فى الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بينه وبين الله ومثل الطيران فى الهواء والمشي فى الماء فإذا كان من

فعل هذه الأمور منكم مثل السائح الأعرج ونحوه تعتقدون صلاحه وولايته ، وقد صرح في الاقناع بكفره . واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن بان لكم في كلامي هذا شيء من الغلو من أن هذه الأفاعيل لو كانت حرام فلا تخرج من الإسلام وإن فعل أهل زماننا في الشدائد في البر والبحر وعند قبور الأنبياء والصالحين ليست من هذه بينوا لنا الصواب وأرشدونا إليه؟ وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه النساء والرجال فرحم الله من أدى الواجب عليه وتاب إلى الله وأقر على نفسه فإن الثائب من الذنب كمن لا ذنب له وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى والسلام .
ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم مطوع الجمعة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم حفظه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل كتابك تطلب شيئاً من معنى كتاب المويس الذي أرسل لأهل الوشم وأنا أجيبك عن الكتاب جملة فإن كان الصواب فيه فنهني وارجع إلى الحق وإن كان الأمر كما ذكرت لك من غير مجازفة بل أنا مقتصر فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام في ثلاثة أنواع من العلوم : الأول علم الأسماء والصفات الذي يسمى علم أصول الدين ويسمى أيضاً العقائد . والثاني الكلام على التوحيد والشرك . والثالث الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك . أما الأول فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على من قال ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين : إحداهما أنه لم يفهم كلام بن عيدان وصاحبه ، الثانية أنه لم يفهم صورة المسألة وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا بما يتكلم الله به ورسوله فما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته رسوله أثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام والنجى وغير ذلك وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه ورسوله نفوه مثل المثل والند والسمى وغير ذلك . وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لا يثبتونه ولا ينفونه فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التي أنكرها ابن عيدان وصاحبه فهو عند أحمد والسلف مبتدع ومن أثبتته مثل هشام ابن الحكم وغيرهم فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع (٧ - تاريخ نجد - أول)

اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . هذا معنى كلام الإمام أحمد الذي في رسالة المويس أنه قال لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده ، ومثاله في ذلك كمثل حنفي يقول الماء الكثير ولو بلغ قلتين ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير فإذا سئل عن الدليل قال قوله صلى الله عليه وسلم « الماء طهور لا ينجسه شيء » فيستدل بدليل خصمه فهل يقول هذا من يفهم ما يقول ، وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة قال الشيخ تقي الدين بعد كلام له على من قال إنه ليس بجوهر ولا عرض ككلام صاحب الخطبة قال رحمه الله فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهة ونحو ذلك من الألفاظ ، ولهذا لما سئل ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين قال : وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر والأعراض وإنما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك ، وكلام السلف والأئمة في ذم الكلام وأهله مبسوط في غير هذا الموضع ، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والتحيز لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي انتهى كلام الشيخ تقي الدين . إذا تدبرت هذا عرفت أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلام في هذا هو عين الصواب وقد اتبعنا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره في إنكارهم ذلك على المبتدعة ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك وأن الله جسم وكذا وكذا ، تعالى الله عن ذلك ، وظن أيضاً أن عقيدة أهل السنة هي نفي أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا ، وقد تبين لكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هي السكوت من أثبت بدّعه ومن نفي بدّعه فالذي يقول ليس بجسم ولا ولاهم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع من أثبت بدّعه ومن نفي بدّعه فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات وجعل النفي الذي هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف ، وظن أن من أنكر النفي أنه يريد الإثبات كهشام وأتباعه ولكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم ومن كلام أبي الوفاء بن عقيل قال أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ماعرفا الجوهر والعرض فإن رأيت أن طريقة أبي على الجبائي وأبي هاشم خير لك من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت انتهى ، وصاحبكم يدعى أن الرجل لا يكون من أهل السنة حق

يتبع أبا علي وأبا هاشم بنفي الجوهر والعرض ، فإن أنكر الكلام فيهما مثل أبي بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضي فظهر بما قررناه أن الخطيب الذي يتكلم بنفي العرض والجوهر أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وأن ابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكره أحمد والعلماء كلهم على أهل البدع ، وقوله في الكتاب ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين إلى آخره وهذا من أبيين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة وذلك أن إنكار الأين من عقائد أهل الباطل وأهل السنة يثبتونه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح أنه قال للجارية أين أين الله ؟ فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة وأن إنكارها مذهب أهل السنة كما قيل وعكسه بعكسه وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه فغلط عليهم في اثباته وأما التعطيل والكيف فصدق في ذلك فجمع لكم أربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق ونصفها باطل من عقيدة الباطل وساقها مساقا واحدا وزعم أنه مذهب أهل السنة فجهل وتناقض . وقوله أيضا ويثبتون ما أثبتته الرسول صلى الله عليه وسلم من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام إلى آخره ، وهذا أيضا من أعجب جهله وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة يثبتون الصفات السبع وينفون ما عداها ولو كان في كتاب الله ويؤولونه . وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه وذلك صفات كثيرة لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه : الأول أنه لم يفهم الرسالة التي بعثت إليه الثاني أنه بهت أهلها بإثبات الجسم وغيره الثالث أنه نسبهم إلى الرافضة ، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله الرابع أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم ، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسمة على مذهب الرفض الخامس أنه نسب كلامهما إلى الفرية الجسمية فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية السادس أنه زعم أن البدع اشتعلت في عصر الإمام أحمد ثم ماتت حتى أحيها أهل الوشم ففهوم كلامه بل صريحه أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق السابع أنه نسبهما إلى

التعطيل ، والتعطيل إنما هو جحد الصفات الثامن بهتما أنهما نسبا من قبلهما من العلماء إلى التعطيل لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة وهذا من البهتان الظاهر التاسع أنه نسبهما إلى واردة هشام الراضى العاشر أن المسلم أخو المسلم فإذا أخطأ أخوه نصحه سرا وبين له الصواب فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة وهذا لمراسلاته صنف عليها ما علمت وأرسله إلى البلدان اعرفونى اعرفونى ترى جأى من الشام . وأما التناقض وكون كلامه يكذب بعضه بعضاً فمن وجوه منها أنه نسبهما تارة إلى التجسيم وتارة إلى التعطيل ، ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم ، وأهل هذا أعداء لأهل هذا والحق وسط بينهما ، ومنها أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض وأهل السنة وسط بينهما ومنها أنه يقول مذهب أهل الحق إثبات الصفات ثم يقول ولا أين ولا ولا وهذا تناقض ، ومنها أنه يقول ما أثبتته الله ورسوله أثبت ثم يخص ذلك بالصفات السبع فهذا عين التناقض فعقيدته التي نسب لأهل السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة يناقض بعضهم بعضا ويسبب بعضهم بعضا ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضحكة ، ومنها أنه يذكر عن أحمد أن الكلام في هذه الأشياء مذموم إلا ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ويزعم أنها عقيدة أهل الحق هذا ما تيسر كتابته عجلا على السراج في الليل والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة وتتأمل هذا الأمر واعرض هذا عليه واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا فإن أجابك بشيء فاكتبه وإن عرفته باطلا وإلا فراجعني فيه أبينه لك ولا نستحقر هذا الأمر فإن حرصت عليه جدا عرفك عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة في علم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف مما يوضح الحق ويبين لحبائه . وأما النوع الثانى فهو الكلام في الشرك والتوحيد وهو المصيبة العظمى والداهية الصما والكلام على هذا النوع والرد على هذا الجاهل يحتمل مجلدا وكلامه فيه كما قال ابن القيم إذا قرأ المؤمن تارة يبكي وتارة يضحك ولكن أنبهك منه على كلمتين : الأولى قوله إنهما نسبا من قبلهما إلى الخروج من الإسلام والشرك الأكبر أفيظن أن قوم موسى لما قالوا اجعل لنا إلها خرجوا من الإسلام أفيظن أن أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اجعل لنا ذات أنواط فحلف لهم أن هذا مثل قول موسى اجعل لنا إلها أنهم خرجوا من الإسلام أيظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم سمعهم يحلفون بأبائهم فنهاهم وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » أنهم خرجوا من الإسلام إلى غير ذلك من الأدلة التي لا تحصر فلم يفرق بين الشرك المخرج عن الملة من غيره ولم يفرق بين الجاهل والمعاند. والكامة الثانية قوله إن المشرك لا يقول لا إله إلا الله ، فيعجبا من رجل يدعى العلم وجاءى من الشام بحمل كتب فلم تكلم؟ إذا إنه لا يعرف الإسلام من الكفر ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلة الكذاب ، أما علم أن مسيلة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلى ويصوم ، أما علم أن غلاة الرافضة الذين حرقهم على يقولونها وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن ، وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم منهم من ينتسب إلى الإسلام ، ومنهم من لا ينتسب إليه كاليهود وكلهم يقولون لا إله إلا الله وهذا بين عند من له أقل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيان ، وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب حكم المرتد الذي ذكر الفقهاء من كل مذهب ؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لا يقولونها هذا الذي ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، وقال بعضهم من شك في كفر اتباعه فهو كافر وذكرهم في الإقناع في باب حكم المرتد وإمامهم ابن عربى أيظنهم لا يقولون لا إله إلا الله لكن هوأت من الشام وهم يعبدون ابن عربى جاعلين على قبره صنما يعبدونه واست أعنى أهل الشام كلهم حاشا وكلا بل لا تزال طائفة على الحق ، وإن قلت واغتربت لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى قول لا إله إلا الله ، ولم يطالبهم بمعناها وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا بلاد الأعاجم وقنعوا منهم بلفظها إلى آخر كلامه فهل يقول هذا من يتصور ما يقول فنقول أولا هو الذي نقض كلامه وكذبه بقوله دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها وهو ترك الشرك وهذا هو المطلوب ونحن إذا نهينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزير وطلحة وغيرها في الشام أو في غيره فإن قلتم ليس هذا من الأوثان وإن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم في الشدائد ليست من الشرك مع كون

المشركين الذين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون
أوثانهم فهذا كفر وبيننا وبينكم كلام العلماء من الأولين والآخرين الحنابلة وغيرهم
وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك وتبين أن قول لا إله إلا الله لا ينفع إلا مع ترك
الشرك ، وهذا هو المطلوب وهو الذي نقول وهو الذي أكثرتم النكير فيه وزعمتم
أنه لا يخرج إلا من خراسان ، وهذا القول كما في أمثال العامة لا وجه سميح ولا بنت
رجال ، لا أقول صواباً إلا خطأ ظاهراً وسباً لدين الله ولا هو أيضاً قول
باطل يصدق بعضه بعضاً بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً
لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس . وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم
إلا مجرد هذه الكلمة ولم يعرفوها بمعناها فهذا قول من لا يفرق بين دين المرسلين
ودين المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار فإن المؤمنين يقولونها والمنافقين
يقولونها لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها ، وعمل جوارحهم بمقتضاها
والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها فمن أعظم المصائب وأكبر
الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين لكن هذا لا يعرف النفاق
ولا يظنه في أهل زماننا بل يظنه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وأما زمانه فصلح بعد ذلك وإذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع ومخرجها من
خراسان فكيف بالشرك والنفاق ؟ ويأويح هذا القائل ما أجراه على الله وما أجهله
بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلمون الناس لا إله إلا الله . أما علم هذا
الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلاً عن مسائل الشرك ففي الصحيحين
أن عمر رضي الله عنه لما أشكل عليه قتال مانى الزكاة لأجل قوله صلى الله عليه وسلم
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها » قال أبو بكر فإن الزكاة من حقها فإذا كان منع الزكاة من منع
حق لا إله إلا الله فكيف بعبادة القبور والذبح للجن ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو
دين المشركين . وصرح الشيخ تقي الدين في اقتضاء الصراط المستقيم بأن من ذبح للجن
فالذبيحة حرام من جهتين من جهة أنها مما أهل لغير الله به ومن جهة أنها ذبيحة
مرتد فهي تكثير مات من غير ذكاة ويقول ولو سمى الله عند ذبحها إذا كانت نيته ذبحها
للجن ورد على من قال إنه إن ذكر اسم الله حل الأكل منها مع التحريم ، وأما ما سألت
عنه من قوله اللهم صل على محمد إلى آخره فهذه المحامل التي ذكر غير بعيدة لو كان

الإنكار على الرجل الميت الذي صنفها والإنكار إنمّا هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل فهذا مكابرة وإن كان يعرف أنهم ما قصدوا إلا المعانى التى لاتصلح إلا لله لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أنه شرك كون الذى قالها أولا قصد معنى صحيحا كما لو أن رجلا من أهل العلم كتب إلى عامة أن نكاح الأخوات حلال ففهموا منه ظاهره وجعلوا يتزوجون أخواتهم خاصتهم وعامتهم لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات كون القائل أراد الأخوات فى الدين كما قال إبراهيم عليه السلام لسارة هى أختى وهذا واضح بحمد الله ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض ، وأما النوع الثالث وهو الكلام على التقليد والاستدلال فكلامه فيه من أبطل الباطل وأظهر الكذب وهو أيضا كلام جاهل يتقضى بعضه بعضا ونحن ما أردنا المعنى الذى ذكروا والكلام على هذاطويل ولكن أنا كتبت له كلاما فى هذا مع رسالة طويلة فاطلبه وراجعه وتأمله وتكلم لله فى سبيل الله بما يرضى الله ورسوله واحذر من فتنة (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير ولا تغفل عن قوله فى خطبة شرح الاقناع من عثر على شيء مما طغى به القلم إلى آخره ، وقوله فى آخرها اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب إلى آخره وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس لعلك أيضا تحقق علم العقائد وتميز بين حقه من باطله وتعرف أيضا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت فتراى أشير وألزم فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما يميز به بين الحق والباطل إن شاء الله تعالى ، وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب بل اعرضه عليه فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى ، وإن زعم أن له حجة ولو فى كلمة واحدة أو أن فى كلامى مجازفة فاطلب الدليل فإن أمشك شيء عليك فراجعنى فيه حتى تعرف كلامى وكلامه ، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه ، وأنت لا تلمنى على هذا الكلام ترائى استدعيته أولا بالملاطفة وصبرت منه على أشياء عظيمة ، والآن أشرفت منه على أمور ما ظننتها لا فى عقله ولا فى دينه : منها أنه كتب إلى أهل الحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله ، ومنها رسالة كتبها إلى محمد بن عباد مطوع ثرمدا وكان قد أرسل إليه

كتاباً فيه كلام حسن في تقرير التوحيد وغيره وطلب من الشيخ رحمه الله أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه فكتب له رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد وفقه الله لما يحبه ويرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد وصلنا أوراق في التوحيد فيها كلام من أحسن الكلام وفقك الله للصواب وتذكر فيه أن ودك نبين لك إن كان فيها شيء غاثر فاعلم أرشدك الله أن فيها مسائل غلط الأولى : قولك أول واجب على كل ذكر وأنتي النظر في الوجود ثم معرفة العقيدة ثم علم التوحيد ، وهذا خطأ وهو من علم الكلام الذي أجمع السلف على ذمه وإنما الذي أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد ليس النظر في الوجود ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت في الأوراق أن كل نبي يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . الثانية قولك في الإيمان بالله وملائكته إلى آخره والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول فليس كذلك ، وأبو طالب عمه جازم بصدقه والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية ، وقد اشتهر نكير السلف عليهم في هذه المسألة . الثالثة قولك إذا قيل للعالمى ونحوه ما الدليل على أن الله ربك ثم ذكرت ما الدليل على اختصاص العبادة بالله وذكرت الدليل على توحيد الألوهية فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما في قوله (أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) وكما يقال رب العالمين وإله المرسلين وعند الأفراد يجتمعان كما في قول القائل من ربك مثاله الفقير والمسكين نوعان في قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ونوع واحد في قوله « افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم » إذا ثبت هذا فقول الملوك للرجل في القبر من ربك معناه من إلهك لأن الربوبية التي أقربها المشركون ما يمتحن أحد بها ، وكذلك قوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وقوله (قل أغير الله أبغى ربا) وقوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الافتران فينبغي التفتن لهذه المسألة . الرابعة قولك في الدليل على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودليله الكتاب والسنة ثم ذكر الآيات ، كلام من لم يفهم المسألة لأن المنكر للنبوة أو الشاك فيها إذا استدلت عليه بالكتاب والسنة يقول كيف تستدل على شيء ما أتى به إلا هو والصواب في المسألة أن تستدل عليه

بالتجدي بأقصر سورة من القرآن أو شهادة علماء أهل الكتاب كما في قوله (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) أو لكونهم يعرفونه قبل أن يخرج كما في قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية إلى غير ذلك من الآيات التي تفيد الحصر وتقطع الخصم . الخامسة قولك اعلم يا أخى لاعلمت مكروها فاعلم أن هذه كلمة تضاد التوحيد وذلك أن التوحيد لا يعرفه إلا من عرف الجاهلية والجاهلية هي المكروه فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق فعنى هذه الكلمة اعلم لاعلمت خيراً ، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب . .

وبالجملة فهي كلمة عامية جاهلية ، ولا ينبغي لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال . السادسة جزمك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اطلبوا العلم ولو من الصين » فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته ، وهو من القول بلا علم ، فلو أنك قلت وروى أو ذكر فلان أو ذكر في الكتاب الفلاني لكان هذا مناسباً . وأما الجزم بالأحاديث التي لم تصح فلا يجوز فتفتن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها . السابعة قولك في سؤال الملائكين : والكعبة قبلتي وكذا وكذا ، فالذى علمناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما يسألان عن ثلاث : عن التوحيد وعن الدين وعن محمد صلى الله عليه وسلم . فإن كان في هذا عنكم رابعة فأفيدونا ، ولا يجوز الزيادة على ما قال الله ورسوله . الثامنة قولك في الإيمان بالقدر إنه الإيمان بأن لا يكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته ، وأن يفعل المأمورات ويترك المنهيات وهذا غلط لأن الله سبحانه له الخلق والأمر والمشيئة والإرادة وله الشرع والدين . إذا ثبت هذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر وهو الإيمان بالشرع والدين ، ولا يذكر في حد الإيمان بالقدر . التاسعة قولك الآيات التي في الاحتجاج بالقدر كقوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) الآية ثم قلت : فياياك والافتداء بالمشركين في الاحتجاج على الله وحسبك من القدر الإيمان به . فالذى ذكرنا في تفسير هذه الآيات غير المعنى الذى أردت فراجعه وتأمله بقلبك فإن اتضح لك وإلا فراجعني فيه لأنه كلام طويل . العاشرة وأخرناها لشدة الحاجة إليها قولك : إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقروا بتوحيد الربوبية ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك وإنما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند توحيد الألوهية ، ولم يدخل الرجل في الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية فهذا كلام من أحسن الكلام وأبينه تفصيلاً ، ولكن العام لما وجهنا إبراهيم كتبوا له علماء سدير مكتابة وبعثوا لنا وهي عندنا الآن ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية ، فإذا كنت تعرف هذا فلائى شىء ما أخبرت إبراهيم ونصحتة إن هؤلاء ما عرفوا التوحيد ، وإنهم منكرون دين الإسلام ، وكذلك أحمد بن يحيى راعى رغبه عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه ، وإن كان يقربه أحياناً عداوة ظاهرة لا يمكن أنها لا تبلغك ، وكذلك ابن إسماعيل إنه تقض ما أبرمت في التوحيد وتعرف أن عنده الكتاب الذى صنفه رجل من أهل البصرة كله من أوله إلى آخره في إنكار توحيد الألوهية وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعى وشيئة وقرأه عنكم وجادل به جماعتنا ، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس إليه ويقولون هذا كلام العلماء . فإذا كنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلاً ونهاراً في صد الناس عن التوحيد يقرءون عليهم مصنفات أهل الشرك لأى شىء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفار مرتدون ، فإن كان باين لك أن أحداً من العلماء لا يكفر من أنكر التوحيد أو أنه يشك في كفره فاذا كره لنا وأفدنا ، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين وأحبوه ودعوا الناس إليه ، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة في إنكار التوحيد كفروه وكفروا من عمل به وكذلك لما أتاهم كتاب بن عفالق الذى أرسله المويس لابن إسماعيل وقدم به عليكم العام وقرأه على جماعتكم يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه القيامة . إن كنت تقول ماجرى من هذا شىء فهذا مكابرة ، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة ، ولكن تقول أخشى الناس فالله أحق أن تخشاه . ولا تظن أن كلامي هذا معاتبة وكلام عليك ، فوالله الذى لا إله إلا هو إنه نصيحة لأن كثيراً ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه . فإذا وقعت المسألة لم يعرفها بل إذا قال له بعض المشركين نحن نعرف أن رسول الله لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن النافع الضار هو الله يقول جزاك الله خيراً ويظن أن هذا هو التوحيد ونحن نعلمه أكثر من سنة

أن هذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فآله الله في التفطن لهذه المسألة فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام ، ولو أن رجلاً قال : شروط الصلاة تسعة ثم سردها كلها فإذا رأى رجلاً يصلي عريانياً بلا حاجة أو على غير وضوء أو لغير القبلة لم يدر أن صلاته فاسدة لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه ، ولو قال الأركان أربعة عشر ثم سردها كلها ثم رأى من لا يقرأ الفاتحة ومن لا يركع ومن لا يجلس للتشهد ولم يفطن أن صلاته باطلة لم يكن قد عرف الأركان ولو سردها فآله الله في التفطن لهذه المسألة ، وإن كان أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا ونتذاكر معك ، وكذلك أيضاً من جهة البدع قيل لى إنك تقول فيها شيء ما يقوله الذي هو عارف بمسئلة البدع، وصلى الله على محمد وآله وسلم، ومنها رسالة أرسلها إلى محمد بن عبيد من مطاوعة ثرمدا قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبيد وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه .
وبعد، وصل الكراس وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتبعتم وفيه كلام غير هذا سر الخاطر من طرفك خاصة بسبب أن لك عقلاً . والثانية أن لك عرضاً تشع به .
والثالثة أن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما تتبعه بالزهايد ، فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله وإجماع العلماء أن له نواقض كنواقض الوضوء الثمانية : منها اعتقاد القلب وإن لم يعمل أو يتكلم يعني إذا اعتقد خلاف ما علمه الرسول أمته بعد ما تبين له ، ومنها كلام باللسان وإن لم يعمل ولم يعتقد ، ومنها عمل بالجوارح وإن لم يعتقد ويتكلم ولكن من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لانكفره بالظن لأن اليقين لا يعرفه الظن وكذلك لانكفر من لانعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه ، وما قررتم هو الصواب الذي يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه ، ولكن قبل الكلام اعلم أنى عرفت بأربع مسائل : الأولى بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس . الثانية بيان الشرك ولو كان في كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادة من دعوة غير الله أو قصده بشيء من العبادة ، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات كما ذكرتم عن العلماء أنهم

يذكرون أنه قد وقع في زمانهم . الثالثة تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد من صدق الرسول فيه ، ومن عرف الشرك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بإنكاره وأقر بذلك ليلاً ونهاراً ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم . وأما ما ذكر الأعداء عنى أنى أكفر بالظن وبالموالة أو أكفر الجاهل الذى لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله . الرابعة الأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فلما اشتهر عنى هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفي الشرك وردوا على التكفير والقتال . إذا تحققت ما ذكرت لك انبنى الجواب على ما ذكرتم فى أول الأوراق من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء بشرط أنكم لا تكفرون بالظن ولا من لا تعرفون فتقول : من المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادرى أو أكثرهم فإن كابر معاند لم يقدر على أن يقول إن عزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث ولا يشكون فيه ولا يقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر وأنهم عانقوه ومتبعون ما أحدث آباؤهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ففهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء من أنكر البعث أو شك فيه أو سب الشرع أو سب الأذان إذا سمعه أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله أو سب من زعم أن المرأة ترث أو أن الإنسان لا يؤخذ فى القتل بجريرة أبيه وابنه إنه كافر مرتد قال علماءكم معلوم أن هذا حال البوادرى لانكاره ولكن يقولون لا إله إلا الله وهى تحميمهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ، ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل فى تقريركم فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبوى غاية المسبة وزعموا أنى أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم وصرحوا أنه لا يوجد فى جزيرتنا رجل واحد كافر ، وأن البوادرى يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر وجحدوا كفرهم وأنتم تذكرون أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول بعد معرفته أنه كافر . فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلي وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون وإن

ادعى مدع أنهم يكفرونهم أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئا أو ادعى أنهم لا يعرفون أن دين الرسول خلاف ما هم عليه فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويد وابن دواس وأمثالهم عباد زهاد فقراء ماشاخوا في بلد قط ومن ادعى هذا فأسقط الكلام معه . ونقول ثانياً إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرّون ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً أن التوحيد الذي أظهره هذا الرجل هو دين الله ورسوله لكن الناس لا يطيعوننا وأن الذي أنكره هو الشرك وهو صادق في إنكاره ، ولكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق . هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد ثم مع هذا يعادون التوحيد ومن مال إليه العداوة التي تعرف ولولم يكفر ويقاتل وينصرون الشرك نصر الذي تعرف مع إقرارهم بأنه مشرك مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهلهم وأموالهم إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب سنة يقولون إنه قد خرج من ينكر قببكم وما أنتم عليه . وقد أحل دماءهم وأموالهم وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضاً بعدهم بسنة رحلوا إلى أهل قبة أبي طالب وأغروهم بمن صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأحلوا دماءنا وأموالنا حتى جرى على الناس ما تعرف مع أن كثيراً منهم لم يكفر ولم يقاتل وقررت أن من خالف الرسول في عشر معشار هذا ولو بكلمة أو عقيدة قلب أو فعل فهو كافر فكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه في عداوة التوحيد وتقرير الشرك مع إقراره بمعرفة ما جاء به الرسول فإن لم تكفروا هؤلاء ومن اتبعهم ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك فأنتم كمن أفق بانتقاض وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول وزعم أن من يتغوط ليلاً ونهاراً وأفق للناس أن ذلك لا ينقض وتبعوه على ذلك حتى يموت أنه لا ينقض وضوءه وتذكرون أني أ كفرهم بالموالاة وحاشا وكلا ، ولكن أقطع أن كفر من عبد قبة أبي طالب لا يبلغ عشر كفر المويس وأمثاله كما قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآيتين ، وأنا أمثل لك مثالا لعلى الله أن ينفعك به لعلمى أن الفتنة كبيرة وأنهم يحتجون بما تعرفون : منها ما ذكرنا في الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم ردّ التوحيد وإحياء الشرك وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغي عليهم . فنقول لو نقدر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلماً عظيماً في أموالهم وبلادهم ومع هذا خافوا استيلاءهم

على بلادهم ظلما وعدوانا ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج وعلّموا أن الفرنج لا يوافقونهم إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم ودنياكم ودينكم هو الحق ودين السلطان هو الباطل وتظاهروا بذلك ليلا ونهارا مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا ومرادهم دفع الظلم عنهم هل يشك أحد أنهم مرتدون في أكبر ما يكون من الكفر والردة إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل مع علمهم أنه حق وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب وأنه لا يتصور أنهم لا يتيهون لأنهم أكثر من المسلمين ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئا كثيرا ولأنهم أهل الزهد والرهبانة فتأمل هذا تأملا جيدا وتأمل ما صدرتم به الأوراق من موافقتهم به الإسلام ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه وأنه يكون بكلمة ولو لم تعتقد ويكون بفعل ولو لم يتكلم ويكون في القلب من الحب والبغض ولو لم يتكلم ولم يعمل تبين لك الأمر اللهم إلا إن كنتم ذا كرين في أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه فذاك أمر آخر . وأما ما ذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين ، ولكن عنه جوابان : أحدهما أنكم لو لم تنقلوا كلام ابن عقيل في الفنون وكلام الشيخ في اقتضاء الصراط المستقيم وكلام ابن القيم لقلت لعلمهم مخطئون قائلون بمبلغ علمهم هذا كله عندنا في هذه الكتب كما هو عندكم وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهذا الفعل أعنى دعوة صاحب التربة ودسّ الرقاع وأنتم تعلمون ذلك ، وأصرح منه كلام الشيخ في قوله ومن ذلك ما يفعله الجاهلون بمكة ياسبحان الله كيف تركتم صريحه في العبادة بعينها إن هذا من فعله كان مرتدا ، وإن المسلم إذا ذبح للزهرة والجنّ ولغير الله فهو بما أهل لغير الله به وهي أيضاً ذبيحة مرتد لكن يجتمع في الذبيحة مانعان فصرح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافرا مرتدا وجميع ما يذبحه الاكل بعد ذلك لا يحل لأنه ذبيحة مرتد ، وصرح في مواضع من الكتاب كثيرة بكفر من فعل شيئا من الذبح والدعوة حتى ذكر ثابت بن قرة وأبا معشر البلخي وذكر أنهم كفار مرتدون وأمثالهم مع كونهم من أهل التصانيف ، وأصرح من الجميع كلام ابن القيم في كثير من كتبه فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها علمت أنه ليس بجهالة ، ولكن الشرهه عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحسا لما صنف بعضهم كتابا في الرد علينا يريد أن يبعثه تكلم رجل منهم وقال أحب ما إلى ابن عبد الوهاب وصول هذا

إليه أتم ماتستحيون فتركوا الرسالة . الجواب الثانى أنه على سبيل التنزل أن الشريك لا يكفر من فعله وأنه شرك أصغر أو أنه معصية غير الكفر مع أن جميع ما ذكرتم لا يدل على ذلك فإن أردت بينت لك فى غير هذه المرة معانى هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل كما بينته لك من كلام الشيخ . لكن أتم مسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكره ونهى عنه ، فلو أن رجلاً أقر بذلك مع كونه لم يفعله لكنه زينه للناس ورغبهم فيه أليس هذا كافراً مرتداً ولو قدرنا أن الأمر الذى كرهه وصد الناس عنه ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب كركعتى الفجر أو أن الذى نهى عنه ما نهى عنه إلا نهى تنزيه كأكل بالشمال والنوم للجنب من غير وضوء ولو أن رجلاً عرف نهى الرسول وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بالشمال هو الأحب المرضى عند الله وأن الأكل باليمين يضر عند الله وأن الوضوء للجنب إذا أراد النوم يضر عند الله وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله مع علمه بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، أليس هذا كلام كافر مرتد فكيف بمن سب دين الله الذى بعث به جميع الأنبياء مع إقراره ومعرفته به ومدح دين المشركين الذى بعث الله الأنبياء بإنكاره ودعا الناس إليه مع معرفته ، ولكن أرى لك أن تقوم فى السحر وتدعو بقلب حاضر بالأدعية الماثورة وتطرح نفسك بين يدي الله أن يهديك لدينه ودين نبيه عليه السلام وصلى الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها جواباً لعبد الله بن سحيم مطوع من أهل الجمعة حين سألته عن الكتاب الذى أرسله عدو الله سليمان بن محمد بن سحيم مطوع أهل الرياض وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا يشنع فيها على الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذى ماجرى وما كان ، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال والإفك ورام هذا أن يرتقى إلى ذلك بأسباب ويستدعى من كل معاند مكابر جواب . وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب وكشف عن القلوب المظلمات الرين والاحتجاب .

ونص رسالة المحاب: من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من
يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فالذى يحيط به علمكم أنه قد خرج فى قطرنا رجل

مبتدع جاهل مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاقل جرت منه أمور فضيحة وأحوال شنيعة : منها شيء شاع وذاع وملاً الأسماع وشيء لم يتعد أماكننا بعد فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين ليصيروا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ويردوا بدعه وضلاله وجهله وهفواته. والقصد من ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى فمن بدعه وضلاله أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين في الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في حجارة ولا يتقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع لينعوا الرائحة والسباع والدفن لهم خالداً وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه وليس داع شرعى في ذلك إلا اتباع الهوى، ومنها أنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قول صاحبها سيدنا ومولانا وأحرق أيضاً روض الرياحين وقال هذا روض الشياطين، ومنها أنه صح عنه أنه يقول لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب أما سمع وجه قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ومنها أنه ثبت أنه يقول الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وتصديق ذلك أنه بعث إلى كتابا يقول فيه أقرأوا أنكم قبل جهال ضلال ومن أعظمها أن من لم يوافقه في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضاً أو مكاساً وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله، ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتابا مع بعض دعائه بخط يده وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه وإلا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل العارض فيأعجبوا إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره فمن أين علمه، وعن من أخذه هل أوحى إليه أو رآه مقاماً أو أعلمه به الشيطان وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض، ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربى، ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذور ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده، ومنها أنه ثبت عنه لما قيل له اختلاف الأئمة رحمة قال اختلافهم نقمة، ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ويكذب الروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا، ومنها إبطال الجعالة على الحج، ومنها أنه ترك تمجيد

السلطان في الخطبة وقال السلطان فاسق لا يجوز تمجيده ، ومنها أنه قال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليتها هي بدعة وضلالة تهوى بصاحبها إلى النار، ومنها أنه يقول الذي يأخذ هذه القضاة قديما وحديثا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة ، هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة مأخذ لإبطال حق أو لاحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضى بينكما إلا بجعل، ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام، فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط وذكره في حاشية المنتهى، فبينوا رحمكم الله ذلك للعوام المساكين الذين لبس عليهم وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبينوه لنا ورجع إلى قوله ، وإن رأيتموه خطأ فاردعوه واجروه وبيّنوا للناس خطأه فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس فإن الجواب متعين على من وقف عليه ممن له معرفة بحكم الله ورسوله لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل انتهى ما ذكره صاحب الرسالة. وقد يسر الله للشيخ الاتصال إليها والوقوف لها عليها وألهمه الجواب عنها والتنصل عن كثير منها فبين الحق الذي قاله وبين الكذب والزور الذي رماه به أهل الجهالة وهذا نص الرسالة التي كتبها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن مسحيم وبعد ألفينا مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك ولا يخفالك أن المسائل التي ذكرت أنها بلغتكم في كتاب من العارض جملتها أربعة وعشرون مسألة بعضها حق وبعضها بهتان وكذب، وقبل الكلام فيها لابد من تقديم أصل وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا والجهال إذا تنازعوا ومثلي ومثلكم إذا اختلفنا في مسألة هل الواجب اتباع أمر الله ورسوله وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التي أدركنا الناس عليها . ولو خالفت ما ذكره العلماء في جميع كتبهم ، وإنما ذكرت هذا ولو كان واضحا لأن بعض المسائل التي ذكرت أناقلتها لکن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم الحنابلة وغيرهم، ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشئوا عليها فأناكرها على لأجل مخالفة العادة وإلا فقد رأوا تلك في كتبهم

عيانا وأقروا بها وشهدوا أن كلامي هو الحق لكن أصحابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الآية) وهذا هو مانحن فيه بعينه فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم ، وقد بينت ذلك له فأقر به وعندنا كتب يده في رسائل متعددة أن هذا هو الحق وأقام على ذلك سنين لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغى (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله إذا كان هذا هو الحق فلائى شئ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله فتعذروا أنكم ما سألتمونا ، قالوا : وإن لم نسألكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا وظننوا أن يأتهم في هذا غضاضة وأن فيه شرفا لغيره وأيضا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان والله ناصر دينه ولو كره المشركون ، وأنت لاتستهون مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام وأنا أضرب لك مثلا بمسألة واحدة وهى مسألة الاستجمار ثلاثا فصاعدا من غير عظم ولا روث ، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو إجماع الأمة لاخلاف في ذلك ، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرا عظيما ولنهوا عن الصلاة خلفه وبدعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة إذا تبين هذا فالمسائل التى شنع بها منها ما هو من البهتان الظاهر وهى قوله إني مبطل كتب المذاهب وقوله إني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شئ وقوله إني أدعى الاجتهاد وقوله إني خارج عن التقليد وقوله إني أقول إن اختلاف العلماء نقمة وقوله إني أكفر من توسل بالصالحين وقوله إني أكفر البوصيرى لقوله يا أكرم الخلق وقوله إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وقوله إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقوله إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وإني أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم) ، ولكن قبله من بهت النبي محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزله الله في ذلك (إن الذين سبق لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الآية) وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول

لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، ومنها أنى أعرف من يأتيني بمعناها، ومنها أنى أقول الإله هو الذى فيه السر ومنه تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، ومنها أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سعى الله عليها إذا ذبحها للجن فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أمّ المسائل وقبل ذلك أذكر معنى لا إله إلا الله فنقول : التوحيد نوعان توحيد الربوبية وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، وهذا حق لا بد منه لكن لا يدخل الرجل في الإسلام لأن أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار إلى قوله أفلا تتقون) وأن الذى يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو أن لا يعبد إلا الله لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة فنهأهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحّد ولا يدعى أحد من دونه لا الملائكة ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووجد الله فهو الذى شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذى جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ، وهذه جملة لها بسط طويل ، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء ، ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين في الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلاني وأحمد البدوي وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصالح فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار فلم يحصل منهم انزجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فخاشعهم من ذلك وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر وأنت ذكرت في كتابك ما تقول يا أخى مالنا والله دليل إلامن كلام أهل العلم وأنا أقول كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك وأنبهك عليه فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظر مع نفسك ومع غيرك فإن عرفت أن الصواب ممي وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء

أعنى دين الإسلام الصرف الذى لا يمزج بالشرك والبدع . وأما الإسلام الذى ضده الكفر فلا شك أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم وعليها تقوم الساعة، فإن فهمت أن كلامى هو الحق فاعمل لنفسك واعلم أن الأمر عظيم والخطب جسيم ، فإن أشكل عليك شئ فسفرك إلى المغرب فى طلبه غير كثير واعتبر لنفسك حيث كتبت لى فيما مضى أن هذا هو الحق الذى لا شك فيه لكن لا تقدر على تغيير ، وتكلمت بكلام حسن فلما غربلك الله بولد المويس ولبس عليك وكتب لأهل الوشم يستهزى بالتوحيد ويزعم أنه بدعة وأنه خرج من خراسان ويسب دين الله ورسوله لم تفتن لجهله وعظم ذنبه وظننت أن كلامى فيه من باب الانتصار للنفس وكلامي هذا لا يغيرك فإن مرادى أن تفهم أن الخطب جسيم وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويعلمون فيه فضلا عنا وعن أمثالنا فلعله إن أشكل عليك تواجهنى ، هذا إن عرفت أنه حق وإن كنت إذا نقلت لك عبارات العلماء عرفت أنى لم أفهم معناها وأن الذى نقلت لك كلامهم أخطئوا وأنهم خالهم أحد من أهل العلم فنبهنى على الحق وأرجع إليه إن شاء الله تعالى . فنقول : قال الشيخ تقي الدين وقد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفي الصفات وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال فى تقرير هذا الموضع وظن أنه بذلك قرر الوجدانية وأن الألوهية هى القدرة على الاختراع ونحو ذلك ، ولم يعلم أن مشركى العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد قال الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الآيات وهذا حق لكن لا يخلص به عن الإشراك بالله الذى لا يغفره الله بل لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله فيكون دينه الله والإله هو المألوه الذى تأله القلوب ، وأطال رحمه الله الكلام . وقال أيضاً فى الرسالة السننية التى أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويعلمون فيه فذكر حديث الخوارج ثم قال فإذا كان فى زمن النبی صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد عرق من الدين وذلك بأمور : منها الغلو الذى ذمه الله مثل الغلو فى عدى بن مسافر أو غيره بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبى أو محابى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى

أو أنا في حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه لا
إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع
الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم
يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين
(ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد
من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وأطال الكلام رحمه الله ، فتأمل كلامه في أهل
عصره من أهل النظر الذين يدعون العلم ومن أهل العبادة الذين يدعون الصلاح .
وقال في الإقناع في باب حكم المرتد في أوله : فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو
وحدانيته إلى أن قال أو استهزأ بالله أو رسله قال الشيخ أو كان مبغضا لرسوله أو لما
جاء به اتفاقا أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر
إجماعا إلى أن قال أو أنكر الشهادتين أو إحداها ، فتأمل هذا الكلام بشرائرك قلبك وتأمل
هل قالوا هذا في أشياء وجدت في زمانهم واشتد تكبيرهم على أهلها أو قالوها ولم تقع ،
وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول وقال أيضا
في أثناء الباب : ومن اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه
وسلم أو لا يجب عليه اتباعه أو أن لغيره خروجا عن اتباعه أو قال أنا محتاج إليه في
علم الظاهر دون علم الباطن أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة أو قال إن من العلماء
من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كفر
في هذا كله ، ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم وعلمت ما هم عليه من
الزهد والعبادة وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء لقضيت بالعجب . وقال
أيضا في الباب : ومن سب الصحابة واقرن بسبه دعوى أن عليا إله أو نبي أو أن
جبريل غلط فلا شك في كفر هذا بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره فتأمل ،
هذا إذا كان كلامه هذا في عليّ فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبد القادر إله
وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تأله القلوب . واعلم أن المشركين في زماننا قد
زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين
في الرخاء والشدّة ويطلبون منه تقريج الكربات وقضاء الحاجات مع كونهم يدعون
الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله

فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا الله قال الله تعالى (وإذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية، وقال أيضا
في الإقناع في الباب : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ، وهو عقد ورقى وكلام يتكلم
به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله ومنه ما يقتل ومنه
ما يعرض ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه ما يبغيض أحدهما للآخر
ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، فتأمل هذا الكلام
ثم تأمل ما جرى في الناس خصوصا الصرف والعطف تعرف أن الكفر ليس يبعد
وعليك بتأمل هذا الباب في الإقناع وشرحه تأملا جيدا وقف عند المواضع المشككة
وذاكر فيها كما تفعل في باب الوقف والإجارة يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم. وأما الحنفية
أ فقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار : النذر الذي يقع من أكثر العوام ، وهو أن
يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلا : ياسيدي فلان إن ردّ غائب أو عوفي مريض أو قضيت
أ حاجتي فلك كذا وكذا باطل إجماعا ، لوجوه : منها أن النذر للمخلوق لا يجوز ، ومنها
ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر ، إلى أن قال إذا عرف هذا فما
يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها وينقل إلى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع
المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه لاسيما في مولد أحمد البدوي ، فتأمل قول صاحب النهر
مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه فتأمل
قوله من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده . وأما المالكية ، فقال الطرطوشي
في كتاب الحوادث والبدع روى البخاري عن أبي واقد الليثي قال « خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر والمشركين سدرة يعكفون
حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله
اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر هذا كما قال بنو إسرائيل
لموسى : اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة ، لتركن سنن من كان قبلكم » فانظروا رحمكم الله أينما
وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها . وقال
صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء الذين يصلحون
إذا فسد الناس » ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته غريبا
مستخفيا بإسلامه قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف ثم يعود غريبا لكثرة الأهواء

المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم ، وروى البخارى عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال «والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا» وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره . وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت ما يبكيك؟ فقال ما أعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت انتهى كلام الطرطوشى ، فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث وفي أى زمان قيلت وفي أى مكان وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة ، ولكن مرادى منها ما وقع من الصحابة وقول الصادق المصدوق إنه مثل كلام الدين اختارهم الله على العالمين لنبيهم اجعل لنا إلها ، يا عجباً إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلاً من المتأخرين غلط في قوله يا أكرم الخلق ، كيف تعجبون من كلامى فيه وتظنونه خيراً وأعلم منهم ، ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركاً أو كفراً إياه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذى أرسلت إلى قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار ، ومرادى أن أبين لك كلام الطرطوشى وما وقع في زمانه من انشرك بالشجر مع كونه في زمن القاضى أبى يعلى أتظن الزمان صالح بعده . وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وهو في زمن الشارح وابن حمدان ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المتمين إلى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء من تزوين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع في كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه أحداً ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون إلى الله ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهى بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ثم ذكر كلاماً طويلاً

إلى أن قال أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه ، فتأمل ذكره في هذا النوع فإنه نبذ لشريعة الإسلام وإنه خروج عن الإيمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به في الشام فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره وصاحوا بأهله من أقطار الأرض وذكروا أن الدين عاد غريباً ، فهو بين اثنتين إما أن يقول كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون ، وإما أن يدعى أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك ، ولا يخفك أنى عثرت على أوراق عند ابن عراز فيها إجازات له من عند مشايخه وشيخ مشايخه رجل يقال له عبدالغنى ويثنون عليه في أوراقهم ويسمونه العارف بالله ، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون حتى قال ابن المقرئ الشافعي من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر ، فإذا كان إمام دين ابن عربي والداعى إليه هو شيخهم ويثنون عليه أنه العارف بالله فكيف يكون الأمر ، ولكن أعظم من هذا كله ماتقدم عن أبي الدرداء وأنس وهما بالشام ذلك الكلام فيه العظيم . واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم فكيف بزماننا؟ وقال ابن القيم رحمه الله في الهدى النبوى فى الكلام على حديث وفد الطوائف لما أساموا وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لا يهدمها سنة ، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً فإنها شعائر الشرك والكفر وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثاناً تعبد من دون الله والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر والتقييل لا يجوز إبقاء شئ منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند ظواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلكوا سبيلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ فى ذلك الصغير

وهرم عليه الكبير وطعمت الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقلّ العلماء ، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس انتهى كلامه ، وقال أيضا في الكلام على هذه القصة لما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ مال اللات وصرفه في المصالح ، ومنها جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه الطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التي تساق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام كما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم أموال اللات ، وكذا الحكم في وقفها والوقف عايبها باطل ، وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين فإن الوقف لا يصح إلا في قرينة وطاعة لله ولرسوله فلا يصح على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويعبد من دون الله وهذا مما لا يخالف فيه أحد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم انتهى كلامه فتأمل كلام هذا الرجل الذي هو من أهل العلم وهو أيضا من أهل الشام كيف صرح أنه ظهر في زمانه فيمن يدعى الإسلام في الشام وغيره عبادة القبور والمشاهد والأشجار والأحجار التي هي أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله وإن ذلك ظهر ظهوراً عظيماً حتى غاب الشرك على أكثر النفوس وحتى صار الإسلام غريباً بل اشتدت غربته أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم في كتابه لما ذكر واه أن في بلدانكم شيئاً من الشرك يأبى الله أن يكون ذلك في المسلمين وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأطمم مما قال ابن عيذان وصاحبه في أهل زمانهما افترى هؤلاء العلماء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة فأنت تأمله تأملاً جيداً واجعل تأملك لله مستعيناً بالله من اتباع الهوى ولا تفعل فعلك أولاً ، ولما ذكرت لك أنك تتأمل كلامي وكلامه فإن كان كلامي صحيحاً لا مجازفة فيه وأن شاميكم لا يعرف معنى لا إله إلا الله ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه فأعرف قدره فهو بغيره أجهل وأعرف أن الأمر أمر جليل ، فإن كان كلامي باطلاً ونسبت رجلاً من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان فالأمر أيضاً عظيم فأعرضت عن ذلك كله وكتبت لي كتاباً في شيء آخر ، فإن كان مرادك اتباع الهوى أعاذنا الله منه وأنتك مع ولد المويس كيف كان فترك الجواب فإن بعض الناس يذكر عنك أنك صائر معه لأجل شيء من أمور الدنيا

وإن كنت مع الحق فلا أعذرک من تأمل كلامي هذا وكلامي الأول وتعرضهما على كلام أهل العلم وتحررها تحريراً جيداً ثم تتكلم بالحق. إذا تقرر هذا فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء وأضيف إليها مسألة سادسة وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت ، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عباداً أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف ، وليس في كلامي مجازفة بل هو الحق لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء ويخلصون لله في الشدة وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق والاعتقاده والكفر بالطاغوت والتبري ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك فاكتب لي وبشرني لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع بل ليس الجهل بهذا فضلاً عن إنكاره مثل الزنا والسرقه بل والله ثم والله ثم والله إن الأمر أعظم وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه. وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله وبيننا وبينكم كلام أهل العلم لكن العجب من قولك أنا هادم قبور الصحابة . وعبارة الإقناع في الجنائز يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول والنبي صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه بعث علياً لهدم القبور ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه أنكر على رجل تزوج أخته فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه ، وأما قولي إن الإله الذي فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبود عند العرب والإله الذي يسمونه عوامنا السيد والشيخ والذي فيه السر ، والعرب الأولون يسمون الألوهية كما يسميها عوامنا السر لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضرر وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسئل بعض العامة ما فاتحة الكتاب ما فسرته له إلا بلغة بلده ، فتارة تقول هي فاتحة الكتاب وتارة تقول هي أم القرآن وتارة تقول هي الحمد وأشبه هذه العبارات التي معناها واحد ولكن إن كان السر في لغة لا عوامنا ليس هذا وأن هذا ليس هو الإله في كلام أهل العلم فهذا وجه الإنكار فبينوا لنا . وأما قول ابن سحيم في أول الرسالة إنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين في الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها

End

لأجل أنهم في حجارة ولا يقدر أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع
 لينعوا الراحة والسباع والدفن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم، وعمد أيضاً إلى مسجد في ذلك وهدمه إلى آخره، فهذا الكلام ذكر فيه ماهو
 حق وصدق وذكر فيه ماهو كذب وزور وبهتان، فالذي جرا من الشيخ رحمه الله
 وأتباعه أنه هدم البناء الذي على القبور والمسجد المجمع في المقبرة على القبر الذي
 يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضي
 الله عنه ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه بل المعروف أن الشهداء من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا في أيام مسيلة في هذا الوادي ولا يعرف
 أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره وإنما
 كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتنوا به وصاروا يأتون
 إليه من جميع البلاد بالزيارة ويجمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج
 الكربات فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبني على
 المقبرة اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور والنهي الغليظ الشديد في بناء
 المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم ، وقوله وبعثها
 لأجل أنهم في حجارة ولا يقدر أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع
 لينعوا الراحة والسباع فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس
 بالباطل والفجور ، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة ، فإن الموضع الذي فيه تلك القبور
 موضع سهل لين للحفر وأهل العينة والجميلة وغيرهما من بلدان العارض يدفنون
 موتاهم في تلك المقبرة وهي أرض سهلة لا حجارة فيها ، والحجارة والوعر عن تلك
 المقبرة شمالاً وجنوباً ، ولكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة
 والأهوال المائلة الشنيعة لكي ينفر السامعون لذلك عن الدخول في دين الله وليس
 ذلك بيدع من الشيطان وحزبه ، والحمد لله رب العالمين ، وهذا آخر الرسالة ، وصلى
 الله على محمد وآله وسلم .

وقد أجاب الشيخ رحمه الله في هذه الرسالة عما رماه به عدو الله سليمان
 ابن سحيم من الزور والكذب والبهتان وما هو قائل به وذكر دليله من الكتاب
 والسنة وأقوال أئمة أهل الإيمان وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها في هذه
 الرسالة . وقد أجاب عنها في غيرها فأحسن وأجاد وكشف حجب الضلال عن العباد ،
 فمن ذلك قوله إنه أبطل الوقف ويكذب بالمروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه أنهم وقفوا وقد كذب وافترى فيما روى به شيخ الوري . وصورة الوقف
التي أنكرها الشيخ رحمه الله وأبطله هو ما كان مخالفا لما ثبت في الأحاديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك أن كثيرا من الجهال والعامّة إذا أراد
أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الإناث ما قسم الله له أو يحرم أولاد
الإناث ويخصه بالكور وأولادهم وقف ماله وأشهد عليه ، وشرط فيه هذه الشروط
المخالفة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من صفة وقفهم فلما أنكر
ذلك الشيخ رحمه الله استعظم ذلك جهال القضاة لأنه مخالف لعاداتهم التي جروا
عليها ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم فشنعوا بذلك على الشيخ وافتروا
عليه الكذب العظيم مثل قولهم وكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه أنهم وقفوا وحاشاه من ذلك بل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فهو عنده المعمول به الملقى به المحمول على الرأس والعين وهذا نص جوابه
عن شبهتهم التي شبهوا بها في ذلك . قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم ،
و نحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة ثم نتكلم على الأدلة . وذلك أن السلف اختلفوا
في الوقف الذي يراد به وجه الله على غير من يرثه مثل الوقف على الأيتام وصوام
الرمضان أو المساكين أو أبناء السبيل فقال شريح القاضي وأهل الكوفة لا يصح ذلك
الوقف حكاه عنهم الإمام أحمد وقال جمهور أهل العلم هذا وقف صحيح واحتجوا
بحجج صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة فهذه الحجج التي ذكرها أهل العلم
يحتجون بها على علماء أهل الكوفة مثل قوله «صدقة جارية» ومثل وقف عمر أوقف
أهل المقبرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله ليس فيها تغيير
لحدود الله . وأما مسائلنا فهي إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه وفر من قسمة
الله وتمرد عن دين الله مثل أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل ولاتأكل منه
إلا حياة عينها أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فراراً من وصية الله بالعدل
أو يريد أن يحرم نسل البنات أو يريد أن يحرم على ورثته بيع هذا العقار لئلا يفتقروا
بعده ويفتقروا له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله ويوقف

على هذا الوجه قاصدا وجه الله فهذه مسألتنا فتأمل هذا بشرائش قلبك ثم تأمل ما ذكره إمن الأدلة فنقول : من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحيل على ذلك بالتقريب إليه وذلك مثل أوقفنا هذه إذا أراد أن يحرم من إعطاء الله من امرأة أو امرأة ابن أو نسل بنات أو غير ذلك أو يعطى من حرمه الله أو يزيد أحدا عما فرض الله أو ينقصه من ذلك ويريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه سبعا عن الله فالأدلة على بطلان هذا الوقف وعوده طلقاً وقسمه على قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر ، ولكن من أوضحها دليل واحد وهو أن يقال للمدعى الصحة إذا كنت تدعى أن هذا مما يحب الله ورسوله وفعله أفضل من تركه وهو داخل فيما حض عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الصدقة الجارية وغير ذلك فمعلوم أن الإنسان محبوب على حبه ولولده وإيثاره على غيره حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فإذا شرع الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم ويزيدوا من شاءوا أو يحرموا النساء والعصبه ونسل البنات فلائى شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولائى شيء لم يفعله التابعون ولائى شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم ؟ أتراهم رغبوا عن الأعمال الصالحة ولم يحبوا أولادهم وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح ، ورغب في ذلك أهل القرن الثانى عشر أم تراهم خفي عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فاعلموها ؟ سبحان الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه ، فإن ادعى أحد أن الصحابة فعلوا هذا الوقف فهذا عين الكذب والبهتان والدليل على هذا أن الذى تتبع الكتب حرص على الأدلة لم يجد إلا ما ذكره ونحن نتكلم على ما ذكره . فأما حديث أبى هريرة الذى فيه « صدقة جارية » فهذا حق وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد ونحن أنكرنا على من غير حدود الله وتقرب بما لم يشرعه ولو فهم الصحابة وأهل العلم هذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليه . وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوى القربى وأبناء السبيل فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا وذلك أن من احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هذا الحديث لأن عمر قال لا جناح على من وليه أن يأكل كل بالمعروف وإن حفصة وليته ثم وليه عبد الله بن عمر فاحتجوا بأكل حفصة

وأخيا دون بقية الورثة وهذه الحجة من أبطال الحجج ، وقد بينه الشيخ الموفق رحمه الله والشارح وذكر أن أكل الولي ليس زيادة على غيره وإنما ذلك أجره عمله كما كان في زماننا هذا يقول صاحب الضحية لوليها الجلد والأكارع ففي هذا دليل من جهتين : الأول أن من وقف من الصحابة مثل عمر وغيره لم يوقفوا على ورثتهم ولو كان خيرا لبادروا إليه وهذا المصحح لم يصحح بقوله « ثم أدناك أدناك » فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل فما باله لم يوقف عليهم أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل أم تظن أنه هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمره لم يفهما حكم الله . الثاني أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لا يحتاج إلا بقوله تليه حفصة ثم ذو الرأي وإنه يأكل بالمعروف وقد بينا معنى ذلك وأنه لم يبرأ أحد وإنما جعل ذلك للولي عن تعبته في ذلك فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحة إلا هذا تبين لك أن قولهم تصدق أبو بكر بداره على ولده وتصدق فلان وفلان ، وأن الزبير خص بعض بناته ليس معناه كما فهموا وإنما معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عامة على المحتاجين فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا تلك الدار لأنهم من أبناء السبيل كما يوقف الإنسان مسقاة ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس ، وكما يوقف مسجدا ويصلى فيه . وعبرة البخاري في صحيحه : وتصدق أنس بدار فكان إذا قدم نزلها وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكنها فتأمل عبارة البخاري يتبين لك أن ما ذكر عن الصحابة مثل من وقف نخلا على المفطرين من الفقراء في هذا المسجد ويقول إن افتقر أحد من ذريتي فليفطر معهم فأين هذا من وقف الجنف والإثم ، على أن هذه العبارة كلام الحميدي والحميدي في زمن القاضي أبي يعلى وأجمع أهل العلم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها فمن احتج بها فقد خالف الإجماع هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك فكيف وقد بينا معناه والله الحمد . إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر ، وقوله ليس على من وليه جناح وأن الموفق وغيره ردوا على من احتج به تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم ، وأما قوله لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف فهل هذا يدل على صحة وقف الجنف والإثم وما مثله إلا كمن رأى رجلا يصلى في أوقات النهي

فأنكر عليه فقال (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى) ويقول إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون أو يذكر فضل الصلوات وكذلك مسألتنا إذا قلنا (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - ولهن الربع مما تركتم) وغير ذلك أو قلنا «إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» أو قلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم غلظ القول فيمن تصدق بماله كله أو قلنا «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» وادعوا علينا أن الصحابة وقفوا هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يحتج علينا بذلك. وأما قول أحمد من رد الوقف فكأنما رد السنة فهذا حق ومراده وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ذكره أحمد في كلامه ، وأما وقف الإثم والجنف فمن رده فقد عمل بالسنة ورد البدعة واتبع القرآن، وأما قوله إن في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل بالمعروف وإن زيدا وعمرا أسكنا داريهما التي وقفنا ، فياسبحان الله من أنكر هذا وهذا كمن وقف مسجدا وصلى فيه وذريته أو وقف مسقاة واستسقى منها وذريته وقول الحرقى والظاهر أنه عن شرط فكذلك وهذا شرط صحيح وعمل صحيح كمن وقف داره على المسجد أو أبناء السبيل أو استثنى سكنها مدة حياته وكل هذا يردون به على أهل الكوفة فإن هذا ليس من وقف الجنف والإثم . وأما قوله «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» وقوله «صدقتك على رحمتك صدقة وصلة» وقوله «ثم أدناك أدناك» وأشبه ذلك فكل هذا صحيح لا إشكال فيه لكن لا يدل على تغيير حدود الله . فإذا قال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ووقف الإنسان على أولاده ثم أخرج نسل الإناث محتجا بقوله «ثم أدناك أدناك» أو صلة الرحم فمثل كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عممة فقيرة فتزوجها يريد الصلة واحتج بتلك الأحاديث فإن قال إن الله حرم نكاح الخالات والعلمات . قلنا وحرم تعدى حدود الله التي حد في سورة النساء قال (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) فإذا قال الوقف ليس من هذا ، قلنا هذا مثل قوله من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فينبوه . وأما قول عمر إن حدث بي حادث فإن ثمنى صدقة هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط وببعض العلماء يبطله ، فاستدلوا على صحته ، وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة فياسبحان الله كيف يكابرون النصوص ووقف عمر وشرطه ومصارفه ثمنى وغيرهما معروفة مشهورة وأما قول عمر إلا سهمي الذي بخير أردت أن أتصدق به فهذا دليل

على أهل الكوفة كما قدمناه ، فأين في هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون الذي بطلانه أظهر من بطلان أصحاب (٧) بكثير ، وأما وقف حفصة الحلى على آل الخطاب فياسبحان الله هل وقفت على وريثها أو حرمت أحدا أعطاه الله أو أعطت أحدا حرمه الله أو استثنيت غلة مدة حياتها فإذا وقف محمد بن سعود نخلا على الضعيف من آل مقرن أو مثل ذلك هل أنكرنا هذا وهذا وقف حفصة فأين هذا مما نحن فيه ، وأما قولهم إن عمر وقف على وريثه فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح وليس مما نحن فيه فإن كان مراد القائل إنه ظن أنه وقف يدل على صحة ما نحن فيه فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة في صفة وقف عمر ، وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودى فهو لا يرثها ولا ننكر ذلك ، وأما كلام الحميدى فتقدم الكلام عنه . وسر المسألة أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد وعلى الفقراء والقربات الذين لا يرثونهم فرد عليهم أهل العلم بتلك الأدلة الصحيحة ومسألتنا هي إبطال هذا الوقف الذى يغير حدود الله وإيتاء حكم الجاهلية وكل هذا ظاهر لا خفاء فيه ، ولكن إذا كان الذى كتبه يفهم معناه وأراد به التلبيس على الجاهل كما فعل غيره فالتلبيس يضحل ، وإن كان هذا قدر فهمه وأنه ما فهم هذا الذى تعرفه العوام فالخلف والخليفة على الله ، وأما ختمه الكلام بقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيا لها من كلمة ما أجمعها ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها وقد آتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم حدود الله والعدل بين الأولاد ونهانا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله وإذا قدرنا أن مراد صاحب هذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك فقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البدع فى دين الله ولو صحت نية فاعلها فقال «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفى لفظ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» هذا نص الذى قال الله فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال (وإن تطيعوه تهتدوا) وقال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فمن قبل ما آتاه الرسول وانتهى عما نهى وأطاعه ليهتدى واتبعه ليكون محبوبا عند الله فليوقف كما أوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وقف عمر رضى الله عنه وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم ، وأما هذا الوقف المحدث الملعون المغير لحدود الله فهذا الذى قال الله فيه بعد ما حد المواريث والحقوق للأولاد

والزوجات وغيرهم (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقد علمت ما قال الرسول فيمن أعتق ستة من العبيد ومارد وأبطل من ذلك فهو شبيه بمن أوقف ماله كله خالصاً لوجه الله على مسجد أو صوامع أو غير ذلك ، فكيف بما هو أعظم وأطم من هذه الأوقاف ؟ وأما قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) فوالله الذي لا إله إلا هو إن فعل الخير اتباع ما شرع الله وإبطال من غير حدود الله والإنكار على من ابتدع في دين الله ، هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح خصوصاً مع قوله صلى الله عليه وسلم « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وقوله « لا تتركبوا ما تركبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » وقوله « لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملواها فباعوها وأكلوا ثمنها » فليتأمل اللبيب الخالي عن التعصب والهوى الذي يعرف أن وراءه جنة ونارا الذي يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير هذه النصوص ويفهمها فهما جيداً ثم ينزلها على مسألة وقف الجنف والإثم فيتبين له الحق إن شاء الله ، وصلى الله على محمد وآله وسلم . هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله في الرد على من أجاز الوقف الجنف وبيان الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما قول عدو الله ابن سحيم في تشنيعه على الشيخ رحمه الله إنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا فهذا من الكذب والزور ، وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا في بعض رسائله بقوله : وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأى لفظ كان فهذا من البهتان . وأما قوله وأحرق أضرار روض الرياحين وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين . وأما إنكار الشيخ رحمه الله فيه ما خالف الكتاب والسنة وأنكره غيره من علماء المسلمين من ترهات الصوفية وشطحانهم التي تخالف السنة الحمديدية وتمتجه الطباع التي ساءت من العصبية وتنفر عنه الأسماع التي هي عن وقر الباطل خلية فأين الغارة لله تعالى والعصبية وأين النصرة لسنة نبيه والحمية عند سماع مثل بعض الحكايات (٩ — تاريخ نجد — أول)

الرديّة كما ذكر في بيع الجنة وغرفها العلية عند الحكاية السادسة والستين والأربعمئة وفي غيرها مثل كون الولي يجر على مركب في الهواء من الذهب مثل قول بعضهم إن البر في يمينه والبحر في شماله فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال ، وليس وراءه ضلال ودعوى بعضهم الخروج إلى السماء بالأرواح كل حين وعلمهم بما سيقع من الغيب في العالمين وأمثال هذه الحكايات وأشكال هذه التراوير والخرافات الصادرة فمن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات وما أتى به من البهتان والزور مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولولم يكن فيه إلا ما ذكره في خاتمة ذلك الكتاب من ذلك الكلام الذي هو هتك للشريعة من غير ترتيب وسلوك للنهي من كل باب مثل ما ذكر عن بعضهم من ترك الصلوات وكشف العورات بحضرة الناس وكون هذا في العذر له وجه التماس كما جرى لموسى مع الخضر حسبا في القرآن قد ذكر ، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يسعه الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالا وكفرا ، وأن تلك الدعوى تصيره مرتدا فيقيم عليه أهل الحق حدا حتى يرجع عما خرق به الدين وتعدى . وأما قوله ومن أعظمها أن من لم يوافق في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا ، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان تاج وشمسان وإدريس وقرىوه والمغربى وتبرأ من الشرك وأهله سماه موحدا ومن لم يوافق على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها ، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذي يدعو إليه هذا الشيخ يقطع بكفره ، وهذا الحديث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة ويظنون أن الشرك إذا جعل الإنسان مخلوقا مع الله في التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضرر . وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وقصده بذلك التتمرب بهم إلى الله وطلب شفاعتهم فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات وأفضل الطاعات ومن أنكر هذا كفره وبدعوه وخرجوه ونسبوه إلى السفه والضلال كما فعل إخوانهم من المشركين حيث حكى الله عنهم أنهم

قالوا لنوح عليه السلام حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله (إنا لنراك في ضلال مبين) وقال قوم هود لهود عليه السلام (إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين - إلى قوله - أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) . وأما قوله ومن وافقه في كل ما قال قال أنت موحدولو كان فاسقا أو مكاسا فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات وعرف معنى قوله لا إله إلا الله وأنها نفي وإثبات فشطرها الأول نفي الإلهية مطلقا . والثاني إثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض ، ومن الأحياء والأموات سماه مؤمنا موحدولو كان فاسقا أو مكاسا ، وهو صادق في ذلك . وذلك أن الإنسان إذا عرف التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ رحمه الله مؤمن موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة وذلك أن الإنسان إذا دخل ١٣ في الإسلام وحكم بإسلامه لا يخرج من الإسلام ما يفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلما وعدوانا وإمان يخرج من الإسلام إلى الكفر الشرك بالله وإنكار ما جاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة عليه وقد قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فثبت بهذه الآية المحكمة أن جميع الذنوب ما خلا الشرك بالله معلقة بالمشيئة قد يغفرها لمن يشاء من عباده وأن الشرك بالله لا يغفره إلا بالتوبة ومن مات عليه فهو من أهل النار الخلد فيها ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة ، ولكن هذا الرجل وأشباهه لا يعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصي . وأما ظلم الشرك الذي قال الله فيه (إن الشرك لظلم عظيم) وقال فيه رسوله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل «أي الذنب أعظم؟ أن تجعل لله ندا وهو خلقك» . وأما قوله ومنها إبطاله الجمالة على الحج فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذي يبطله الشيخ رحمه الله من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين ، وهو أنه لا يحج إلا لأن يعطى أجرة أو جملا على ذلك فهذا عمله باطل ولا ثواب له في الآخرة لأنه قصد بعمله الدنيا ومن قصد بعمله الذي يبتغى به وجه الله الدنيا فليس له في الآخرة من نصيب . وصح في الشرح الكبير والمغنى أنه

لا يجوز الاستئجار للحج قالا وهو مذهب أبي حنيفة وإسحاق لأنها عبادة يختص فاعلمها أن يكون من أهل القرية فلم يحز أخذ الأجرة عليها كالصلاة. قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج لأن يحج ليأخذوا مثله كرزق أخذ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين والدنيا وسيلة والأشبه أن عكسه ليس له في الآخرة من نصيب. والأعمال التي يختص فاعلمها أن يكون من أهل القرية هل يجوز إيقاعها على غير وجه القرية فمن قال لا يجوز ذلك لم يحز الإجارة عليها لأنها بالعوض تقع غير قرينة وإنما الأعمال بالنيات والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه، ومن جاوز الإجارة جاوز إيقاعها على غير وجه القرية. وقال تجوز الإجارة عليها لما فيها من نفع المستأجر انتهى، ذكره عنه في الاختيارات فهذا الذي ذكره الشيخ رحمه الله لمن استفتاه في الجعالة على الحج. وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة فهو صادق في ذلك، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثه، وقد ذكره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين. وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليتها فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإيهام وتشنيع بظاهره عند العوام وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام فإن الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله إلا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان وأنكره جمع من نقاد هذا الشأن، وقالوا لا يتقرب به إلى الله تعالى ولا يدان، لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان وأثر بها من هو في الحماقة والتعصب كالولدان، خير الهدى هدى الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا متتابعاً حتى صير واتخذ ديناً ومنهجاً جاء به الشارع وكان للنفوس إليه أعظم داع ووازع فلا يسوغ لدوى العقول من حملة الشرع وممارسي المنقول أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ولا يزيلوه فوراً ويغيروه ولا يعترضوه وينكروه فضلاعن كونهم يرتضون فعله ويقرون أربابه وأهله وليت من دان الله تعالى به عرف دين من أصله ووضع حتى يعترض على من أنكره ومنعه. فقد ذكر السيوطي في كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتها الناس لصلاتها بعد السبع مائة في زمن الناصر بن قلاوون

ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذاً مجعولاً ، ومؤسساً شرعه منحول ليس مأخوذاً به ولا معمول ، أما يخاف مغتر من شؤم ذنبه وسخطه لمولاه وربّه في توصله وتوصله إليه وتقربه بعمل لم يشرعه سبحانه ولم يأذن به ، فويل لمن يخرف الكلم عن مواضعه وينتحل في الدين مالم يس واضعه ويحسن ذلك في مواقفه ويضل من قام حسبة لله في تهية مواعده ، ماجوابه إذا قام بين يدي مولاه فيما أسداه من الدين وأبداه وزاد على ماجاء به الرسول وأتاه أظن أن تأسيس دينه ناقص فكماله ومحياه قبيح فحسه وجمله نعوذ بالله مما تقوله الفلاة ونسأله أن يجنبنا طريق الغواية ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وليعلم القارىء لهذا الكتاب والواقف على هذا الخطاب أن خلاصة البيان عن ذلك في الجواب أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب هو ما يفعله في غالب الأمصار ويعمل في كثير من الأقطار لاسيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والأخبار ، وذلك أنه ١٢ يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار ويقراءون آيات من القرآن ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان ويأتون بقبيح الألحان وأصوات تحاكي غناء القيان ويعططون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة وينقلونها من معناها إلى معنى ، وكفى بهذا إغماً ووهناً وتغييراً لما أراد الله بأسمائه وصفاته . لقد خسروا الله من ضل سعيه ١٣ وهو يحسب أنه يحسن صنعاً . وأما قوله ومنها أنه يقول إن الذي يأخذ القضاة فديماً وحديثاً إذا قضاوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة وهذا قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة مأخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل وأن للقاضي أن يقول لاحكم بينكم إلا يجعل فقد تقدم جواب الشيخ رحمه الله تعالى عن ذلك في فصل ذكر المسائل في المسألة السادسة حين سئل عن ذلك فاجاب وأجاد وأصاب في ذلك منهج السداد فليراجع في محله ، وقول هذا الجاهل الغبي إن الرشوة مأخذ لإبطال حق إلى آخره وقوله إن هذا هو نص جميع الأمة فهذا لا يشك عاقل فضلا عن عارف فاضل أنها دعوى مردودة قبيحة وحجة واهية فضيحة لاتصدر ممن له في أدنى العلوم ممارسة ومذاكرة ومدارسة ، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة بضد ما اختلقه ووضعها والخلاف فيها عنهم مسطر والنزاع محرر فيها ومقرر ، ومحل الخلاف المسطور والنزاع المقرر المشهور فيما إذا أخذ من كلا الخصمين وكانا في المأخوذ منهما مستويين لا يزيد منهما أحد على أحد فيما دفع إليه ونقد ولم

يكن القضاء متعينا عليه وإلا فلا شك في حرمة مادفع إليه ، وأن يكون فقيرا محتاجا وإلا فلا يسلك لذلك فجاء ، وأن لا يضر ذلك بالخصوم وإلا فلا اتفاق على كونه رشوة من المعلوم ، وأن يأذن له في الأخذ السلطان ، وأن يمنعه القضاء عن التكسب في ذلك الزمان ، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة كما وضع المحيز لذلك منهاجه ، وأن لا يزيد على أجره العمل كما اشترطه من أباحه ونقل ، وأن لا يوجد متطوع بالقضاء ، وأن يكون لكل من الخصمين بما دفع رضا إذ لا يحل مال امرئ بغير طيب نفس وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس ، هذه المسألة هي محل النزاع وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع ، وقد سد والله الحمد أصحاب مالك جميع تلك المناهج والمسالك ولم يجيزوا للقاضي أخذ شيء أصلا ولم يأذنوا أن ينتهج لذلك سبلا ، وعباراتهم في الكتب المحررة الصحيحة وافية بالمراد صريحة ونص التبصرة لابن فرحون الإمام تبين مناهج الأحكام : ويلزم القاضي أمور : منها أنه لا يقبل الهدية ولو كافأ عليها أضعافها إلا من خواص القرابة كالولد والوالد والعمة والحالة وبنت الأخ لأن الهدية تورث إدلال المهدي وإغضاء المهدي إليه وفي ذلك ضرر القاضي ودخول الفساد عليه ، وقيل إن الهدية تطفى نور الحكمة . وقال ربيعة : إياك والهدية فإنها ذريعة الرشوة . وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين إذا كان صديقا وكافأ عليها أو كان قريبا . وقال سحنون : لا يقبلها إلا من ذي رحم . ولا بن سحنون عن مالك : لا ينبغي لأمر ولا لعامل صدقة أن ينزل على أحد من أهل عمله ولا يقبل له هدية ولا منفعة . قال ابن حبيب : لم تختلف العلماء في كراهة الهدية للسلطان الأكبر وإلى القضاة والعمال وجباة المال ، وهذا قول مالك ومن قبله من أهل العلم والسنة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وهذا من خواصه ، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم مما يتقى على غيره منها . ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فقال كانت له هدية ولنا رشوة . وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية » وقال ابن عبد الغفور : وما أهدي إلى الفقيه رجاء العون على خصمه أو في مسألة تعرض عنده رجاء قضاء حاجته على خلاف المعمول به فلا يحل له قبولها وهي رشوة يأخذها ، وكذلك إذا تنازع عنده خصمان فأهديا إليه جميعا أو أحدهما يرجو كل واحد منهما أن يعينه في حاجته أو عند حاكم إذا كان ممن يسمع فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما . قال ابن فرحون :

وأرزاق الأعوان الذين يوجههم الإمام في مصالح الناس ورفع المدعى عليه وغير ذلك تكون من بيت المال كالحكم في رزاق القضاة ، ولا ينبغي للقاضي أن يجعل لهم شيئاً في أموال المسلمين ، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شيء على القضايا التي يبعثون فيها ، كما لا يجوز للقضاة أخذ شيء ، فإن لم يصرف لهم شيء من بيت المال دفع القاضي للطالب طابعا يوقع به الخصم إلى مجلس الحكم ، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان فليجعل القاضي لهم شيئاً من رزقه إذا أمكنه وقوى عليه إذ رفع المطلوب مما يلزمه ، فإن عجز عن ذلك فأحسن الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض في إحضار المطلوب ورفعته فيتفق مع المعين على ذلك بما يراه إلا أن يتبين رد الجواب بالطالب وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه ، فإن أجرة المعين الذي يحضره على المطلوب انتهى المقصود منه ، ونحو هذا عبارة متأخرى مذهبهم مثل خليل وشراحه فإنها صريحة في ذلك فانظر رحمك الله إلى كلام هؤلاء الأئمة وتغليظهم في هذا الأمر هذا التغليظ وسددهم الباب على القاضي أن يأخذ شيئاً من الخصمين أو أحدهما سواء كان له في بيت المال رزق أو لم يكن وسواء كان غنياً أو فقيراً . وقد حرم ذلك مطلقاً أيضاً من أصحاب الشافعي الزركشي صاحب المنهاج كالسبكي وشريح الروياني واشترط الماوردي من أصحاب الشافعي لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط : (أحدها) أن يكون فقيراً . (ثانيها) أن يقطعه النظر عن كسبه . (ثالثها) أن يكون أجرة على الخصمين معاً بالسوية بينهما لأنه لو أخذه أو الأكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة . (رابعها) أن يأذن له السلطان في الأخذ ، فإن لم يأذن امتنع عليه . (خامسها) أن لا يوجد متطوع بالقضاء ، فإن وجد امتنع الأخذ لأنه لا ضرورة إليه . (سادسها) أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال ، فمضى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما (سابعها) أن يكون ما يأخذه غير مضر بالخصمين فمضى أضر بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما . (ثامنهما) أن يكون المأخوذ بقدر حاجته أي الناجزة حال الحكومة فيما يظهر ، وقال غير الماوردي : أن لا يزيد على أجرة عمله . قال بعضهم : والظاهر أن كلا منهما شرط انتهى . (تاسعها) أن يعلم الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عادته الأخذ من الخصوم ، فإن لم يعلم ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما ولا من أحدهما . (عاشرها) أن يكون قدر المأخوذ معلوماً يتساوى فيه الخصوم

وإن تفاضلوا في المطلب، فإن فاضل بينهم لم يجز إلا أن يتفاضلوا في الزمان ثم قال بعد كلام : فمن أراد السلامة لدينه والخلاص من ورطة هذا الخلاف وهذه التشديدات العظيمة فليترك القضاء أو يتطوع به والله سبحانه يرزقه من حيث لا يحتسب كما قال تعالى في كتابه العزيز (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب) وأما من يتولى القضاء ليتأكل به الأموال على اختلاف أنواعها فهو الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه في النار وبأنه ذبح بغير سكين وبغير ذلك من المصائب التي تلحقه في الدنيا والآخرة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) انتهى ما ذكره الماوردي رحمه الله. نقله ابن حجر في فتاويه وقال في الإنصاف للحنابلة: إذا لم يكن له ما يكفيه في جواز أخذه من الخصمين وجهان وأطلقهما في الفروع والرعاية الكبرى والحاوي الصغير: أحدهما يجوز. والثاني لا يجوز واختاره في الرعايتين والنظم. قلت وهو الصواب أيضا، وفي باب أدب القاضي: الرشوة ما يعطى بعد طلبه، والهدية الدفع إليه ابتداء قاله في الترغيب وذكره عنه في الفروع في باب حكم الأرضين المغنومة. قال أحمد رحمه الله فيمن ولي شيئا من أمر السلطان: لا أجز له أن يقبل شيئا يروى «هدايا الأمراء غلول» والحاكم خاصة لا أجز له إلا بمن كان له به خلطة ووصلة ومكافأة قبل أن يلي انتهى. وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال «من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة ويرد عليه حقا فأهدى له هدية فقبلها فذاك السحت» فقلنا يا أبا عبد الرحمن إنا كنا نعد السحت الرشوة في الحكم فقال عبد الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وروى أيضا في تفسيره بإسناده عن مسروق قال: القاضي إذا أكل الهدية فقد أكل السحت وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر. وروى أبو حيان في تفسيره أن أبا حنيفة قال: إذا ارتشى الحاكم يعزل. قال أبو حيان: ومن أعظم السحت الرشوة في الحكم وهي المشار إليها في قوله (أ كالون للسحت) قال الحسن: كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدكم برشوة جعلها في كفه فأراه إياها فتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب انتهى. وأما قوله ومنها أن يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام والذي ذكره العلماء في ذلك أنه ينهى عنه فقط ذكره في حاشية المنتهى والذي ذكره الشيخ

رحمه الله في الذبح للجن أو غيرهم أنه كفر يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيماً له وتقرباً إليه وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذي جعل به . وقد نص العلماء رحمهم الله على أن ذلك كفر وردة قال النووي رحمه الله في شرح مسلم في باب تحريم الذبح لغير الله : قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله من ذبح لغير الله» أما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصليب أو للصنم أو لموسى أو عيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد بذلك تعظيم المذبح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفر، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً انتهى ، وقد قال الشيخ تقي الدين [في اقتضاء الصراط المستقيم] في الكلام على قوله تعالى وما أهل به لغير الله ظاهره أن ما ذبح لغير الله تعالى سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقرين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه لحرم ، وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباع ذبيحتهم لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بكفة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه ، فانظر رحمك الله كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر وردة عن الإسلام وأن الذبيحة تحرم ولو سمي الله عليها لأنها تصير ذبيحة مرتدة ، وكذلك تصریح الإمام النووي رحمه الله بأن الذابح إذا قصد تعظيم المذبح له والعبادة له كان ذلك كفراً وإن كان مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً ولا يخالف في ذلك أحد من أئمة الإسلام بل كلهم مجمعون على ذلك وهذا هو الذي يقول الشيخ رحمه الله إنه كفر وردة إذا ذبح للجن تقرباً إليهم وقصده بذلك أن يبرئ مريضه من شكواه ، ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله بل منهم من يفتي الجهال بذلك ويقول اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن ولا تسلموا عليها وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة . فلما

أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم أن ذلك كفر وردة ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن ، نعوذ بالله من الطبع على القلب . وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر فضلاً عن أن يجعله كفراً وردة ، ولكن هذا الحديث يفترى الكذب الظاهر على الشيخ رحمه الله عداوة منه لدين الله ورسوله وحقاً وحسداً لهذا الشيخ وأتباعه أن خصهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

فصل

ومنها رسالة كتبها الشيخ رحمه الله إلى سليمان بن سحيم صاحب تلك الرسالة التي شنع بها على الشيخ المتقدمة قبل ذلك وجوابها وكان الشيخ رحمه الله قد أرسل له وتلطف له قبل ذلك فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان ومن أعوان أهل الشرك والطغيان كتب له هذه الرسالة وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجت قرطاسة فيها عجائب ، فإن كان هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام ، وإن كنت تلبس به على الجهال فما أنت براجع وقبل الجواب تذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق ، ولكن صائر لكم عند خمامة في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ونداريكم وودنا أن الله يهديكم ويهديهم وأنت إلى الآن أنت وأبوك لاتفهمون شهادة أن لا إله إلا الله أنا أشهد بهذا شهادة يسألني الله عنها يوم القيامة أنك لاتعرفها إلى الآن ولا أبوك وكشف لك هذا كشفاً بيناً لعلك تتوب إلى الله وتدخل في دين الإسلام إن هداك الله وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكم والصلاة وراء كما وقبول شهادتكم وحظكم ووجوب عداوتكم كما قال تعالى (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وأكشف ذلك بوجوه : (الأول) أنكم

تقرون أن الذي يأتيكم من عندنا هو الحق وأنت تشهد به ليلا ونهارا، وإن جحدت هذا شهد عليك الرجال والنساء ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله أنت وأبوك مجتهدان في عداوة هذا الدين ليلا ونهارا ومن أطاعكما وتبتهتون وترمون المؤمنين بالبهتان العظيم وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار فكيف تشهد أن هذا دين الله ثم تتبين في عداوة من تبعه . (الوجه الثاني) أنك تقول إني أعرف التوحيد وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر والناس يشهدون عليك أنك تروح المولد وتقرأه لهم وتحضرهم وهم ينحون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللحم من الطعام المعد لذلك فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم . (الوجه الثالث) أن تعليقهم التماس من الشرك بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر تعليق التماس صاحب الإقناع في أول الجنائز وأنت تكتب الحجب وتأخذ عليها شرطا حتى إنك كتبت لامرأة حجابا لعلها تحبل وأنت شرطت لك حمرين وطالبتها تريد الحمرين فكيف تقول إني أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا . (الوجه الرابع) أنك تكتب في حجبك طلاسم ، وقد ذكر في الإقناع أنها من السحر والسحر يكفر صاحبها فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم، وإن جحدت فهذا خط يدك موجود . (الوجه الخامس) أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهـذا الذي تقر أنه من الشرك ينخونهم ويندبونهم ويجعلونها وسائط وأنت وأبوك تقولان نعرف هذا لكن ماسألونا فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركوا الناس يكفرون ما تنصحونهم ولولم يسألوكم . (الوجه السادس) أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالغتم في عداوة هذا الأمر وإنكاره وزعمتم أنه مذهب خامس وأنه باطل وإن أنكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك وأنتم مجاهرون به فكيف تقولون هذا كفر ، ولكن ماسألونا عنه فإذا قام من يمين للناس التوحيد قلتم إنه مغير الدين وآت بمذهب خامس فإذا كنتم تعرف التوحيد وتقر أن كلامي هذا حق فكيف تجعله تغييرا لدين الله وتشكونا عند أهل الحرمين، والأمور التي تدل على أنك أنت وأباك لاتعرفان شهادة أن لا إله إلا الله لاتحصر لكن ذكرنا الأمور التي لاتقدر تنكرها وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال فيهم (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) لأنهم يخفون نفاقهم

وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام . وأما الدلائل على أنك رجل معاند ضال على علم مختار الكفر على الإسلام، فمن وجوه : (الأول) أنى كتبت ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله وذكرت فيها كلام الله ورسوله وبينت الأدلة فلما جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليها وقلت ما ينكر هذا إلا أعمى القلب وقرأها موسى في البلدان وفي منفوحة وفي الدرعية وعندنا ثم راح بها للقابلة فإذا كنت من الأول موافقا لنا على كفرهم وتقول ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فالعلم الذى جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بينه لنا . (الوجه الثانى) أنى أرسلت لك رسالة الشيخ تقي الدين التى يذكر فيها أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى وأغثنى أنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق وأنت تشهد به الآن فما الموجب لهذه العداوة . (الوجه الثالث) أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقتله على رؤوس الأشهاد ، وإذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر . (الوجه الرابع) أن عبد الرحمن الشنيفي ومن معه لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طاب الحمضى وعبد الكريم وموسى بن نوح فأى شئ بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذى تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق ؟ (الوجه الخامس) أنك لما خرجت من عند الشيوخ وأتيت عند الشنيفي جمعت الكلام الذى قلت فى المجلس، فإن كان الكلام حقاً فلا شئ تجحده وأنت وأبوك مقرران أنكما لا تعرفان كلام الله ورسوله لكن تقولان نعرف كلام صاحب الإقناع وأمثاله ؟ وأنا أذكر لك كلام صاحب الإقناع أنه مكفرك ومكفر أباك فى غير موضع من كتابه : الأول أنه ذكر فى أول سطر من أحكام المرتد أن الهازل بالدين يكفر وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله وهذا كتابكم كفركم . الثانى أنه ذكر فى أوله أن المبغض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع ولو عمل به وأنت مقرر أن هذا الذى أقول فى التوحيد أمر الله ورسوله والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مبغضون لهذا الدين مجتهدون فى تنفير الناس عن الكذب والبهتان على أهله فهذا كتابكم كفركم . الثالث أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به وتزعمون أنهم جهال

وأنكم علماء . الرابع أنه ذكر أن من ادعى في علي بن أبي طالب ألوهية أنه كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر وهذه مسألتك التي جادلت بها في مجالس الشيوخ ، وقد صرح في الإقناع بأن من شك في كفرهم فهو كافر فكيف بمن جادل عنهم وادعى أنهم مسلمون وجعلنا كفارا لما أنكرنا عليهم . الخامس أنه ذكر أن السحر يكفر بتعليمه وتعليمه والطلاسم من جملة السحر ، فهذه ستة مواضع في الإقناع في باب واحد أن من فعلها فقد كفر ، وهي دينك ودين أبيك . فإما أن تبرءوا من دينكم هذا وإلا فأجبوا عن كلام صاحب الإقناع وكلامنا هذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ أو من يصلي وراءك كادوا أن الله يهديهم ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس لئلا تفسد عليهم دينهم وإلا فأنا أظنك لا تقبل ولا يزيدك هذا الكلام إلا جهالة وكفرا . وأما الكلام الذي لبست به على الناس فأنا أبينه إن شاء الله كلمة كلمة وذلك أن جملة المسائل التي ذكرت أربعا : الأولى النذر لغير الله تقول إنه حرام ليس بشرك . الثانية أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر . أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون . الثالثة عبارة العلماء أن المسلم لا يجوز تكفيره بالذنوب . الرابعة التذكير ليلة الجمعة لا ينبغي الأمر بتركه هذه المسائل التي ذكرت . فأما المسألة الأولى فدليلك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع فاستدللت بقولهم حرام على أنه ليس بشرك فإن كان هذا قدر عقلك فكيف تدعى المعرفة ؟ يا ويلك ما تصنع بقول الله تعالى (قل تعالوا أتتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر يا هذا الجاهل الجاهل المركب ما تصنع بقول الله تعالى (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) إلى قوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) هل يدل هذا التحريم على أنه لا يكفر صاحبه ؟ يا ويلك في أي كتاب وجدته إذا قيل لك هذا حرام إنه ليس بكفر ، فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم بل يقال ذكر أنه حرام . وأما كونه كفرا فيحتاج إلى دليل آخر والدليل عليه أنه صرح في الإقناع أن النذر عبادة ومعلوم أن لا إله إلا الله معناها لا يعبدوا إلا الله . فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره كيف لا يكون شركا ؟ وأيضا مسألة الوسائط تدل على ذلك والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط وهم مقرون بذلك . وأما استدلالك بقوله من قال أنذروا لي وأنه إذا رضى وسكت لا يكفر فبأي دليل ؟

غاية ما يقال إنه سكنت عن الأخذ الراضى وعلم من دليل آخر والدليل الآخر أن الرضى بالكفر كفر صرح به العلماء وموالاة الكفار كفر وغير ذلك هذا إذا قدر أنهم لا يقولونه فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم يقولون ويبالغون فيه ويقصون على الناس الحكايات التى ترسخ الشرك فى قلوبهم ويبغض إليهم التوحيد ويكفرون أهل العارض لما قالوا لا يعبدون إلا الله . وأما قولك مارأينا للترشيح معنى فى كلام العلماء فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء ؟ . وأما الثانية وهى أن الذى يجعل الوسائط هو الكافر . وأما المجعول فلا يكفر فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال إن عيسى وعزيرا وعلى بن أبى طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وإنا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التى يفعلونها هم منها أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط ، ومنها أنهم يدعون الناس إلى الكفر ، ومنها أنهم يبغضون عند الناس دين محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا لا يعبد إلا الله وغير ذلك من أنواع الكفر وهذا أمر أوضح من الشمس يحتاج إلى تقرير ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آباءهم وإلا فهؤلاء الجهال لو أن مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون . وأما المسألة الثالثة وهى من أكبر تلبيسك الذى تلبس به على العوام أن أهل العلم قالوا لا يجوز تكفير المسلم بالذنب وهذا حق ولكن ليس هذا مانحن فيه وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى أو من سرق أو سفك الدم بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر . وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك وأنت رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لا يكفر فإذا كنت تعتقد ذلك فما تقول فى المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون قال الله تعالى فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وما تقول فى الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم» أتظنهم ليسوا من أهل القبلة ماتقول فى الذين اعتقدوا فى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل اعتقاد كثير من الناس فى عبد القادر وغيره فأضرم لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه نارا فأحرقهم بها

وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال يقتلون بالسيف أتظن هؤلاء ليسو من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفهمونه أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر لا تقبل توبتكم حتى تشهدون أن قتلنا في الجنة وقتلناكم في النار أتظن أن أبا بكر وأصحابه لا يفهمون ، وأنت وأبوك الذين تفهمون ياويلك أيها الجاهل الجاهل المركب إذا كنت تعتقد هذا وأن من أم القبلة لا يكفر فامعنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التي ذكرها العلماء في باب حكم المرتد التي كثير منها في أناس أهل زهد وعبادة عظيمة ، ومنها طوائف ذكر العلماء أن من شك في كفرهم فهو كافر ولو كان الأمر على زعمك لبطل كلام العلماء في حكم المرتد إلا مسألة واحدة وهي الذي يصرح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ونحوهم هذا هو الكفر عندك ياويلك ماتصنع بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمة الأوثان » وكيف تقول هذا وأنت تقر أن من جعل الوسائط كفر فإذا كان أهل العلم في زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك أتظن أنكم صلحتهم بعدهم ياويلك . وأما مسألة التذكير فكلامك فيها من أعجب العجائب أنت تقول بدعة حسنة والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ، ولم يستثن شيئا تشير علينا به فنصدقك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذب رسول الله والعجب من تقلك الإجماع فتجتمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان فإذا كان في الإقناع في باب الأذان قد ذكر كراهيته في مواضع متعددة أتظن أنك أعلم من صاحب الإقناع أم تظنه مخالفا للإجماع ، وأيضا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفي أقررت لهم أن التذكير بدعة مكروهة فمضى هذا العلم جاءك؟ وأما قولك أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق فأيضاً أمر الله بالسجود على الإطلاق في قوله اركعوا واسجدوا فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة في أوقات النهي . فإن قلت ذاك قد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم قلنا وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البدع وذكر أن كل بدعة ضلالة ومعلوم أن هذا حادث من زمن طويل وأنكره أهل العلم منهم صاحب الإقناع ، وقد ذكر السيوطي في كتاب الأوائل أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة لتهيؤ الناس لصلاتها بعد السبعمائة في زمن الناصر بن قلاوون

فأرنا كلام واحد من العلماء أرخص فيه وجعله بدعة حسنة فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب . وأما استدلالك بالأحاديث التي فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم وقوله « من شذ شذ في النار » و« يد الله على الجماعة »، وأمثال هذا فهذا أيضا من أعظم ما تلبس به على الجهال وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام سيعود غريبا فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس ، وكذلك الأحاديث الكثيرة منها قوله « يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » وأحاديث عظيمة كثيرة يبين صلى الله عليه وسلم أن الباطل يصير أكثر من الحق وأن الدين يصير غريبا ، ولو لم يكن في ذلك إلا قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » هل بعد هذا البيان بيان يا ويلك ، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقرّبه وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها ، فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبين لنا وإن كان عزة وآل ظفير وأشباههم من البوادي هو السواد الأعظم ولقيت في علمك وعلم أيك أن اتباعهم حسن فاذا كررنا ونحن نذكر كلام أهل العلم في معنى تلك الأحاديث ليتبين للجهال الذين موهت عليهم . قال ابن القيم رحمه الله في أعلام الموقعين : واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض . وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود يقول « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » وسمعت يقول « سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك » وهي الفريضة « ثم صل معهم فإنها لك نافلة » . قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون قال : وما ذاك ؟ قلت تأمرني بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك . قال يا عمرو بن ميمون لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية أتدري ما الجماعة ؟ قلت لا ، قال جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك . وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ . وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم أتدري ما السواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه الذين جعلوا

السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة فجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة وجعلوا المعروف منكرا لقلّة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصاّر وقالوا « من شذّشذ في النار » وعرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحدا فهم الشاذون ، وقد شذّ الناس كلهم في زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة يأمر المؤمنين أ تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذ بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة انتهى كلام ابن القيم بإسلامه ولدام سلامه . هذا كلام الصحابة في تفسير السواد الأعظم وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين حتى ابن مسعود ذكر في زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة ، وأبلغ من هذه الأحاديث المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غربة الإسلام وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فإن كنت وجدت في علمك وعلم أيك ما يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء وإن عزّة وآل ظفير والبوادي يجب علينا أتباعهم فأخبرونا . كتبه محمد بن عبد الوهاب وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم في بلد العيينة وكتب إلى عبد الله بن عيسى قاضي الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام ليكون ذلك سببا لقبول الجهال والطغام ، وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد قال الله تعالى (والذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له حاجتهم داخضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وذلك أن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليبين للناس الحق من الباطل ، فبين صلى الله عليه وسلم للناس جميع ما يحتاجون إليه في أمر دينهم بيانا تاما ، ومأمات صلى الله عليه وسلم حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . فإذا عرفت ذلك فهؤلاء الشياطين من مردة الإنس الذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له إذا رأوا من يعلم الناس (١٠ — تاريخ نجد — أول)

مأمرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من شهادة أن لا إله إلا الله وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد في الخلقين الصالحين وغيرهم قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون كيف تكفرون المسلمين كيف تسبون الأموات آل فلان أهل ضيف آل فلان أهل كذا وكذا ومرادهم بهذا لكلا يتبين معنى لا إله إلا الله ويتبين الاعتقاد في الصالحين النفع والضرر ودعائهم كفر ينقل عن الملة فيقولون الناس لهم إنكم قبل ذلك جهال لأي شيء لم تأمرونا بهذا . وأنا أخبركم عن نفسي والله الذي لا إله إلا هو لقد طلبت العلم وأعتقد من عرفني أن لي معرفة وأنا ذلك الوقت لأعرف معنى لا إله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي من الله به ، وكذلك مشايخي مامنهم رجل عرف ذلك ، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك فقد كذب واقتري ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه . وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى مانعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه ، وهذا كلامه واصل إليكم إن شاء الله فاتقوا الله عباد الله ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم واحمدوه سبحانه الذي منّ عليكم ويسر لكم من يعرفكم بدين نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبشئ القرار ، إذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل : لا إله إلا الله نفي وإثبات ، إثبات الألوهية كلها لله وحده ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وليس معنى الألوهية أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيي ولا يميت إلا الله فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون هذا كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلاتنتقون) فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مقرون بهذا كله لله وحده لا شريك له ، وإنما كان شركهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين ويندبونهم ويندرون لهم ويتوكلون عليهم يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله كما ذكر الله عنهم ذلك في قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) إذا عرفتم ذلك فهو لاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ويأمرون به الناس

كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لا يقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه بل لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومصدق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وبشكره فلا يخلو إما أن يدعى أنه عارف فقولوا له هذا الأمر العظيم لا يغفل عنه فبين لنا ما يصدقك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله فإن زعم أن عنده دليلا فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة ويتبين لنا أنك على الصواب وتتبعك فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الحق من الباطل ، وإن كان المجادل يقر بالجهل ، ولا يدعى المعرفة .

فيا عباد الله كيف ترضون بالآفعال والأقوال التي تغضب الله ورسوله ، وتخرجكم عن الإسلام اتباعا لرجل يقول إني عارف فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لا علم عنده أو اتباعا لرجل جاهل وتعرضون عن طاعة ربكم وما بينه نبيكم صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعده ، واذكروا ما قص الله عليكم في كتابه لعلكم تعتبرون فقال : (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) ، وهؤلاء أهلهم الله بالصيحة وأنتم الآن إذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنكم فريقان يختصمون أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم .
والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التي هي من فن الطاوعة خاصة بل البحث عنها أو تعلمها فرض لازم على العالم والجاهل والمحرم والمحل والذكر والأنثى ، وأنا لا أقول لكم : أطيعوني ولكن الذي أقول لكم إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والعلماء بعده فلا ينبغي لكم معاندة محمد صلى الله عليه وسلم . وقولكم إننا نكفر المسلمين كيف يفعلون كذا كيف يفعلون كذا ، فإننا لم نكفر المسلمين بل ما كفرنا إلا المشركين . وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة في معكال وغيره مثل ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرها يتبعون مذهب ابن عربي وابن الفارض ، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغاظ كفرا من اليهود والنصارى فكل من لم يدخل في دين

محمد صلى الله عليه وسلم ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برىء من الاسلام ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته، والعجب كل العجب أن الذى يدعى المعرفة يزعم أنى لا أعرف كلام الله ولا كلام رسوله بل يدعى أنى أعرف كلام المتأخرين مثل الإقناع وغيره وصاحب الإقناع قد ذكر أن من شك فى كفر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر، سبحانه الله، كيف يفعلون أشياء فى كتابهم وأن من فعلها كفر، ومع هذا يقولون نحن أهل المعرفة وأهل الصواب وغيرنا صبيان جهال والصبيان يقولون أظهروا لنا كتابكم ويأبون عن إظهاره. أما فى هذا ما يدل على جهالتهم وضلاتهم، وكذلك أيضا من جهالة هؤلاء وضلاتهم إذا رأوا من يعلم الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا : قولوا لهم يتركون الحرام وهذا من عظيم جهلهم فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال ؛ وأما ظلم الشرك فلا يعرفون وقد قال الله تعالى (إن الشرك اظلم عظيم) وأين الظلم الذى إذا تسكلم الإنسان بكلمة منه أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من الاسلام ، ولو كان صائما قائما من الظلم الذى لا يخرج من الاسلام بل إما أن يؤدى إلى صاحبه بالقصاص وإما أن يغفره الله فبين الموضعين فرق عظيم . وبالجمله رحمكم الله إذا عرفت ما تقدم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد بين الدين كله فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيرا من الحرام فى الربا والبيع وغير ذلك وحرموا عليكم كثيرا من الحلال وضيعوا ما وسعه الله فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عما أمر الله به ورسوله ولا تطيعوني ولا غيرى ، وسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للاسلام ومن علينا باتباع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد ، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن : إن أول واجب على كل ذكر وأنى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أرسل الله بها جميع رساله وأنزل لأجلها جميع كتبه وجعلها أعظم حقه على عباده كما ذكر الله لنا فى كتابه وعلى لسان رسوله فى مواضع لا تحصى ، منها قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وقال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الآية ،

وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة فقال (استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) وتوعد سبحانه أفضل الخلق وأكرمهم سيد ولد آدم والنبين قبله على مخالفتها فقال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وتكونن من الخاسرين) فكيف بغيرهم من سائر الخلق ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فمن نصح نفسه وأهله وعياله وأراد النجاة من النار فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها العروة الوثقى وكلمة التقوى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا بها - لا صلاة ولا صوماً ولا حجاً ولا صدقة ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بعرفها والعمل بها، وهي كلمة التوحيد وحق الله على العبيد ، فمن أشرك مخلوقاً فيها من ملك مقرب أو نبي مرسل أو وليّ أو صحابي وغيره و صاحب قبر أو جني أو غيره أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب إلا من الله أو نذر له أو ذبح له أو توكل عليه أو رجاه أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته أو جلب نفع أو كشف ضرر فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) القائلين (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وإن صاموا وصلوا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) الآية وغيرها من الآيات ، وكذلك من ترشح بشيء من ذلك أو أحب من ترشح له أو ذب عنه و جادل عنه فقد أشرك شركاً لا يغفر ولا يقبل ولا تصح منه الأعمال الصالحة الصوم والحج وغيرها (إن الله لا يغفر أن يشرك به) ولا يقبل عمل المشركين ، وقد نهى الله نبيه وعباده عن المجادلة عمن فعل ما دون الشرك من الذنوب بقوله (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين وصدّ عن دين رب العالمين فالله الله عباد الله لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم ، فله الحمد على ما علمنا من دينه ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال «بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا» واعتبروا بدعاء أئينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه (وأجنبني وبنّي أن نعبد الأصنام.

رب إني أضللن كثيراً من الناس) ولولا ضيق هذه الكراسة وأن الشيخ محمداً أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطلنا الكلام. وأما الاتحادى ابن عربى صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارض الذى لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض فمن تذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلاً وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشرعية سيد المرسلين، فإن ابن عربى وابن الفارض ينتحلان تحلاً تكفرهما وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين فهؤلاء يقولون كلاماً أخشى المقت من الله فى ذكره فضلاً عما انتحل فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة أو غيرها فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره فإن قال جاهل أرى عبد الله توه يتكلم فى هذا الأمر فيعلم أنه إنما تبين لى الآن وجوب الجهاد فى ذلك على وعلى غيرى لقوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده) إلى أن قال (ملة أتيكم إبراهيم) وصلى الله على محمد وآله وسلم . ومنها الرسالة التى أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد، فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيراً ونذيراً لمن اتبعه بالجنة ومنذراً لمن لا يتبعه بالنار وقد علمتم إقرار كل من له معرفة أن التوحيد الذى بينا للناس هو الذى أرسل الله به رسله حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك وأن الذى عليه غالب الناس من الاعتقادات فى الصالحين وفى غيرهم هو الشرك الذى قال الله فيه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فإذا تحققت هذا وعرفتكم أنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ونحن ما جئناكم فى التكفير والقتال لكن ننصحكم بهذا الذى قطعتم أنه دين الله ورسوله إن كنتم تعلمونه وتعملون به إن كنتم من أمة محمد باطنا وظاهراً ، أنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمة يصلون والنصارى يصلون لكن قبلته صلى الله عليه وسلم وأمة بيت الله وقبلة النصارى مطلع الشمس فالكل منا يصلى ولكن اختلفنا فى القبلة ولو أن رجلاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقر بهذا ولكن يكره من يستقبل القبلة ويحب من يستقبل

الشمس أتظنون أن هذا مسلم ، وهذا ما نحن فيه فالنبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله بالتوحيد وأن لا يدعى مع الله أحد لاني ولا غيره ، والنصارى يدعون عيسى رسول الله ويدعون الصالحين يقولون ليشفعوا لنا عند الله فإذا كان كل مطواع مقرا بالتوحيد فاجعلوا التوحيد مثل القبلة واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق مع أن هذا أعظم من القبلة وأنا أنصحكم لله وأنجاكم لا تضيعوا حظكم من الله وتحبون دين النصارى على دين نبيكم فما ظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك ويحبه ويجب من اتبعه أتظنون أن الله يغفر لهذا والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة. وأما القلب الخالي من ذلك فلا والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام قال فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان وأعاده من نزغات الشيطان . أما بعد فالسبب في المكاتبة أن راشد بن عريان ذكر لنا عنك كلاما حسنا أسرّ الخاطر وذكر عنك أنك طالب مني المكاتبة بسبب ما يجيبك من كلام العدوان من الكذب والبهتان وهذا هو الواجب من مثلك أنه لا يقبل كلاما إلا إذا تحقّقه ، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين : الأمر الأول أني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامي شيئا لكن إذا عرفتكم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس . والأمر الثاني أن هذا الذي أنكروا علىّ وأبغضوني وعادوني من أجله إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهم يقول هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ولكن ما أقدر أن أظهره في مكاني لأجل أن الدولة ما يرضون ، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاتم في بلد ما أنكروه بل لما عرف الحق اتبعه هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم فأنت تفكر في الأمر الأول وهو قولي لا تطيعوني ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم وتفكر في الأمر الثاني أن كل عاقل مقرر به لكن ما يقدر أن يظهره . فقدم لنفسك ما ينجيك عند الله . واعلم أنه لا ينجيك إلا اتباع

رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدنيا زائلة والجنة والنار ما ينبغي للعاقل أن ينساها. وصورة الأمر الصحيح أنى أقول ما يدعى إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى في كتابه (لاتدعوا مع الله أحداً) وقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم (قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً) فهذا كلام الله والذي ذكره لنا رسول الله ووصانا به ونهى الناس أن لا يدعوه فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التي في الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذي قال الله فيه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا أجعلتنا مشركين وهذا ليس إشراكاً. هذا كلامهم وهذا كلامي أسنده عن الله ورسوله وهذا هو الذي بينى وبينكم فإن ذكر عنى شيء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذي يصدق كلامي هذا أن العالم ما يقدر أن يظهره حتى من علماء الشام، من يقول هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله والله أعلم. ومنها رسالة أرسلها إلى السويدي عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتاباً وسأله عما يقول الناس، فيه فأجابه بهذه الرسالة وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فقد وصل كتابك وسر الخطر جعلك الله من أئمة المتقين ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين وأخبرك أنى ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة لكنى بينت للناس إخلاص الدين لله ونهيهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذى لا يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذى دعت إليه الرسل من أثولهم إلى آخرهم وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك في هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون علياً وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وأنا صاحب منصب فى قريتي مسموع الكلمة فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف

عادة نشئوا عليها وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله ونهيهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع المنكرات فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيه لكونه مستحسناً عند العوام فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التوحيد وأنهى عنه من الشرك ولبسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة جداً وأجلبوا علينا بنخيل الشيطان ورجله : منها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتره ، ومنها ما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة . ويا عجبا كيف يدخل هذا في عقل عاقل هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ، وكذلك قولهم إنه يقول لو أقدر أهدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم لهدمتها . وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن . وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فهذا من البهتان . والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان ، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى على حضرتكم ولو أن رجلاً من أهل بلدكم ولو كان أحب الخلق إلى الناس قام يلزم الناس الإخلاص ويمنعهم من دعوة أهل القبور وله أعداء وحساد أشد منه رياسة وأكثر أتباعاً وقاموا يرمونه بما تسمع ويوهمون الناس أن هذا تنقص بالصلحين وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم تعلمون كيف يجري عليه ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأمرهم في قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) فلما فرض الله الإيمان لم يجز ترك ذلك وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب والدعاء وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فإن رأيت عرض كلامي على من ظننت أنه يقبل من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أني لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (ما نعبدكم إلا ليقربونا

إلى الله زلنى) وما ذكر الله من إقرار الكفار في قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض) الآية وغير ذلك ، قالوا القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون ، قلت لهم أنا أخاصم الحنفى بكلام المتأخرين من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علماءهم الذين يعتمدون عليهم فلما أبوا ذلك نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدحم إلا نفورا . وأما التكفير فأنا أ كفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذى أ كفره ، وأ كثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك . وأما القتال فلم تقابل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ولكن قد تقابل بعضهم على سبيل المقاتلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه والسلام . ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية وهو إذ ذاك في بلد العينة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد ذكر لى أحمد أنه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله ، فيقال أولاد دين الله تعالى ليس لى دونكم فإذا أفيتت أو عمت بشيء وعلمت أنى مخطئ وجب عليكم تبين الحق لأخيك المسلم وإن لم تعلموا وكانت المسألة من الواجبات مثل التوحيد فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله فى تلك المسألة ، وما ذكر أهل العلم قبلكم فإذا تبين حكم الله ورسوله بيانا كالشمس فلا ينبغى لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يردده لكونه مخالفا لهواه أو لما عليه أهل وقته ومشايخه فإن الكفر كما قال ابن القيم فى نونية .

فالكفر ليس سوى العناد وردما جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التى قد قالها فتية بالحسرة

ومتى لم تبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين

لكم خطؤه بل الواجب السكوت والتوقف فإذا تحققت الخطأ ينتموه ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن فإنى لا أدعى العصمة وأنتم تقولون أن الكلام الذى بينته فى معنى لا إله إلا الله هو الحق الذى لا ريب فيه، سبحانه الله إذا كنتم تقولون بهذا فرجل بين الله به دين الإسلام ، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ولم يعيزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحى الذى وضعه للعرب بل دين عمرو عندهم دين صحيح ويسمون رقة القلب والاعتقاد فى الأولياء، ومن لم يفعل فهو متوقف لا يدري ما هذا ولا يفرق بينه وبين دين محمد صلى الله عليه وسلم، فالرجل الذى هذاكم الله به لهذا إن كنتم صادقين لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرا فكيف يقال أفتى فى مسألة الوقف أفتى فى كذا أفتى فى كذا كلها والله الحمد على الحق إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء وأنا إلى الآن أطلب الدليل من كل من خالفنى فإذا قيل له استدل أو اكتب أو اذكر حاد عن ذلك وتبين عجزه لكن يجتهدون الليل والنهار فى صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عوجا، اللهم إلا إن كنتم تعتقدون أن كلامى باطل وبدعة مثل ما قال غيركم ، وأن الاعتقاد فى الزاهد وشمسان والمطوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح وكل ما خالفه بدعة وضلالة فذلك مسألة أخرى إذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين انظروا فى كتاب الله من أوله إلى آخره والمرجع فى ذلك إلى ما قاله المفسرون والأئمة، فإن جادل منافق بكون الآية نزلت فى الكفار فقولوا له هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لاتعم من عمل بها من المسلمين من قال هذا قبلك، وأيضا فقولوا له هذا رد على إجماع الأمة فإن استدلالهم بالآيات النازلة فى الكفار على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام أكثر من أن تذكر، وهذا أيضا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلا باجتهاد وتقرب إلى الله وهذه سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد مثل تحرير علي رضى عنه من اعتقد فيه بالنار وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريرهم إلا ابن عباس رضى الله عنهما خالفهم فى التحريق فقال ، يقتلون بالسيف وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب حكم المرتد للمسلم إذا فعل كذا وكذا

ومصدق ذلك في هذه الكتب الذي يقول المخالف جمعوا فيها الثمر وهم أعلم منا وهم وهم، انظروا في متن الإقناع في باب حكم المرتد هل صرح أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر بإجماع الأمة ، وذكر فيمن اعتقد في علي بن أبي طالب ما يعتقده طالب في حسين وإدريس أنه لاشك في كفره بل لا يشك في كفر من شك في كفره، وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر في عبارات الإقناع وتقرءونها قراءة تفهم وتعرفون ما ذكر في هذا وما ذكر في التشنيع على من الأصدقاء عرفتم شيئاً من مذاهب الآباء وفتنة الأنواء، وإذا تحققت ذلك وطالعت الشروح والحواشي، فإذا إنى لم أفهمه وله معنى آخر فارشدوني، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب الله ويرضى ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام ، فالله سبحانه يعلم قصدي به والسلام .
ومنها رسالة أرسلها أيضاً إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ذكر لي أنكم زعلانين علي في هذه الأيام بعض الزعل ولا يخفأك أني زعلان زعلاً كبيراً وناقده عليكم نقوداً أكبر من الزعل ، ولكن وابطناء واطهراء ومعنى في هذه الأيام بعض تنعص المعيشة والكدر مما يبلغني عنكم والله سبحانه إذا أراد أمراً فلا راد له وإلا ما خطر على البال أنكم ترضون لأنفسكم بهذا ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين في المسائل الصحيحة وتقولون لا يتعين علينا الفتيا ثم تبالغون في مثل هذه الأمور مثل التذكير الذي صرحت الأدلة والإجماع وكلام الإقناع بإنكاره ولا ودي أنكم بعد ما أنزلكم الله هذه المنزلة وأنعم عليكم بما تعلمون وما لا تعلمون وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم وجهادكم في ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء أنكم ترتدون على أعقابكم ، وسبب هذا أنه ذكر لي عنكم أنكم ظننتم أني أعنيكم ببعض الكلام الذي أجبته به من اعتقد حل الرشوة وأنه مزعلكم فيا سبحان الله كيف أعنيكم به وأنا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معي أنصاراً لدين الله وقيل لي إنكم ناقدون علي بعض الغلظة فيه على ملقاء والأمر أغلظ مما ذكرنا ولولا أن الناس إلى الآن ما عرفوا دين الرسول وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألوه لكان شأن آخر ، بل والله الذي لا إله إلا هو لو

يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم لأجد في نفسي حرجا من ذلك ، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تخطر لکم على بال وإن كانت من المسائل التي إذا طلبتم الدليل بينا أنها من إجماع أهل العلم وبالحاظ لا يخفاكم أن معي غيظ عظيم ومضايقة من زعلکم وأتم تعلمون أن رضا الله ألزم والدين لا محابة فيه وأتم من قديم لا تشكون في والآن غايتکم قریبة وداخلتکم الریبة وأخاف أن يطول الكلام فيجری فيه شيء يزعلکم وأنا في بعض الحدة فأنا أشير علیکم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين وإلا ثلاثة ، وإن كان أكثر يصير قطعاً لهذه الفتنة ويخاطبني وأخطبه من الرأس ، وإن كان كبر عليه الأمر فيوصي لي وأعني له فإن الأمر الذي يزيل زعلکم ويؤلف الكلمة ويهديکم الله بسببه نحصر عليه ولو هو أشق من هذا اللهم إلا أن تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله فالواجب علیکم اتباعه والواجب علينا طاعتکم والانتقاد لکم وإن أبینا كان الله معکم وخلقہ ، ولا يخفاكم أنه وصلني أمس رسالة في صفة ماذا كرتکم في التذكير وتطلبون مني جواباً عن أدلتکم وأتم ضحكتم على ابن فيروز وتسافهتموه وتساختم عقله في جوابه وانحرفتم تعدلون عدالة لكن ما أنا بکاتب لهم جواباً لأن الأمر معروف أنه منکم وأخاف أن أکتب لهم جواباً فينشرونه فيزعلمکم وأشوف غايتکم قریبة وتحملون الأمر على غير محمله والسلام .
ومنها رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله، سلام علیکم ورحمة الله وبرکاته. وبعد فقد، وصل کتابک وما ذكرت فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق فكل هذا حق وأريد به باطل، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهاداً كبيراً في رد دين الإسلام فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم وأشباه هؤلاء، الذين تلقنهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن عبادة المخلوقات كفر وأن الكفر بالطاغوت فرض قمت تجاهد وتبالغ في نقض ذلك والاستهزاء به ، وليس الذي يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين ولا أنت بمتخف في ذلك ثم تظن في خاطرك أن هذا يخفي عليّ وأنا أصدقك إذا قلت ماقلت ولو أن الذي جرى عشرة أو عثمرون

أو ثلاثون مرة أمكن تعداد ذلك. وأحسن ما ذكرت أنك تقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) وتقر بالذنب وتجاهد في إطفاء الشرك وإظهار الإسلام كما جاهدت في ضده ويصير ما تقر به كأن لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة في الدنيا والجاه حصل لك بذلك ما لا يحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة ، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهي التجارة الراجحة وأنتك الدنيا تبعاً، وإن كنت تظن في خاطرك أنا نبغى أن ندهنك في دين الله ولو كنت أجلّ عندنا مما كنت فأنت مخالف فإن كنت تتهمني بشيء من أمور الدنيا فلك الشرهه ، فإن كان أتى أدعوك في سجودي وأنت وأبوك أجل الناس إلى واجبه عندي ، وأمرك هذا أشق على من أمر أهل الحسا خصوصاً بعد ما استركت أباك وخبرته فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم ويطرد عنا الشيطان ويعيدنا من طريق المغضوب عليهم والضالين .

ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فقد ذكر لي عنكم أن بعض الأخوان تكلم في عبد الحسين الشريف يقول إن أهل الحسا يحبون على يدك وأنتك لابس عمامة خضراء والإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله وهي مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم ، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لا يعرفون حكم الله فيها . وأما لبس الأخضر فإنها أحدثت قديماً تمييزاً لأهل البيت لكلا يظلمهم أحد أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم ، وقد أوجب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حقوقاً فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ما أنكرنا إكرامهم إلا لأجل الألوهية أو إكرام المدعى لذلك، وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت، وهذه مسألة جليلة ينبغي التفطن لها وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فالواجب عليهم إذا ذكر لهم عن أحد منكر عدم العجلة

فإذا تحققوه أتوا صاحبه ونصحوه فإن تاب ورجع وإلا أنكر عليه وتكلم فيه ، فعلى كل حال نبههم على مسئلتين : الأولى عدم العجلة ولا يتكلمون إلا مع التحقق فإن التزوير كثير . الثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافقين بأعيانهم ويقبل علانيتهم ويكل سرأثرهم إلى الله فإذا ظهر منهم وتحقق ما يوجب جهادهم جاهدهم وغير ذلك عبد الرحمن بن عقيل رجع إلى الحق والله الحمد ، ولكن ودى أن أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها وأنت يا أحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول من يقبل وأرسلها فيه خذه من سليمان لا تغفل تراك خالفت خلافا كبيرا في هذا المجموع والسلام . ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد في شدته على المنافقين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عبد سويلم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فقد ذكر لي ابن زيدان أنك يا عبد الله زعل على أحمد بعض الزعل لما تكلم في بعض المنافقين ، ولا يخفأك أن بعض الأمور كما قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وذلك أني لأعرف شيئا يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال الغربة فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان . فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد فأثناء بعض إخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا أخاف أن يكون هذا من جنس الدين يلزوم المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، فأنتم تأملوا تفسير الآية ثم نزله على هذه الواقعة ، وأيضا في صحيح مسلم « أن أبا سفيان مرّ على بلال وسلمان وأجناسهما فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك » ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين في زمن الغربة . فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصدا مسيئا فلينصحه برفق وإخلاص لدين الله وترك الرياء والقصد الفاسد ولا يقل عزمه عن الجهاد ولا يتكلم فيه بالظن السيئ وينسبه إلى ما لا يليق ولا يدخل خاطرك شيء من النصيحة . فلو أدري أنه يدخل

خاطرك ما ذكرته وأنا أجد في نفسي أن ودى من ينصحنى كلما غلظت والسلام .
ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن إبراهيم مطوع مرات من بلدان الوشم وكان قد أرسل
إليه رسالة فأجابه الشيخ بهذه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم هدانا الله وإياه .

وبعد ما ذكرت من مسألة التكفير وقولك أبسط الكلام فيها فلو بيننا اختلاف
أمكنني أن أبسط الكلام أو أمتنع ، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعي لأنت بمنكر
الكلام الذي كتبت إليك ، ولا أنا بمنكر العبارات التي كتبت إلى وصار الخلاف
في أناس معينين أقروا أن التوحيد الذي ندعو إليه دين الله ورسوله وأن الذي نهى
عنه في الحرميين والبصرة والحسا هو الشرك بالله ولكن هؤلاء المعينون هل تركوا
التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه أم فرحوا به وأحبوه ودانوا به وتبرعوا من
الشرك وأهله ، فهذه ليس مرجعها إلى طالب العلم بل مرجعها إلى علم الخاص والعام . مثال
ذلك إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذي نقول دين الله
ورسوله . وأن هذا المفعول عندهم في الأحياء والأموات هو الشرك بالله . ولكن
أنكروا عاينا التكفير والقتال خاصة . والرجع في المسألة إلى الحضر والبدو والنساء
والرجال هل أهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد
وهم على دينهم ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد فسلامته على أخذ ماله ، فإن كنت
تزعم أن الكواويزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادوا من لم يتب
فتبعوا ما أقروا به وعادوا من خالعه هذا مكابرة ، وإن أقررتهم أنهم بعد الإقرار
أشد عداوة ومسبة للمؤمنين والمؤمنات كما يعرفه الخاص والعام وصار الكلام
في أتباع المويس وصالح بن عبد الله هل هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل
الأوثان بل أهل الأوثان معهم وهم حزبة العدر وحاملو الراية فالكلام في هذا نحيله
إلى على الخاص والعام فودي أنك تسرع بالنفور فتتوجه إلى الله وتنظر نظر من يؤمن
بالجنة والخلود فيها ويؤمن بالنار والخلود فيها وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط
المستقيم هذا مع أنك تعلم ماجرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس لما
شكونا عند أهل قبة أبي طالب يوم يكسيه صاية وجميع من معك من خاص وعام
معهم إلى الآن وتعرف روحة المويس واتباعه لأهل قبة الكواز ، وسية طالب يوم

يكسيه صاية ويقول لهم طالع أناس ينكرون قببكم ، وقد كفروا وحل دمهم وماله
وصار هذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المويس
ومناقبه وهم على دينه إلى الآن مع أن المسكاتيب التي أرسلها علماء الحرمين مع المزيودي
سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك ، وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر وحل
ماله ودمه وقتل في الحل والحرم ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء في قبورهم ، منها قوله
تعالى (لهم ما يشاءون عند ربهم) فإن كانت ليست عندك ولا صبرت إلى أن تجيء
فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان في وشيقر ولسيف العتيق يرسلونها إليك ويجيبون
عن قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أنهم يدعون على أنهم المعطون
المانعون بالأصالة ، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح ومن أنكره قتل
في الحل والحرم وأيضا جاءنا بعض المجلد الذي صنّفه القباي واستكتبوه أهل الحسا
وأهل نجد وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها وعبادتها وعبادة سية
طالب ويقول في تصنيفه إنه لم يخالف في تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا
عاشرهم فالجميع اثنا عشر ، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة وأتم
إلى الآن على ما تعلم مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله وأن الشرك باطل
وأيضا مكاتيب أهل الحسا موجودة فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق
فحشوا بالزبيل أعنى سبابة التوحيد واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك
ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام وهو رجل من الحنابلة وينتحل
كلام الشيخ ابن القيم خاصة ومع هذا صنّف مصنفنا أرسله إلينا قرر فيه أن هذا
الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح واستدل في تصنيفه بقول
الناطقة :

أيا قبر النبي وصاحبيه ووا مصيبتنا لو تعلمونا

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر :

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمن عن سواد بن قارب
ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله وهو شهادة البدو والحضر والنساء
والرجال إن هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ، ويبغضونه أكثر من
بغض اليهود والنصارى ويسبونونه ويصدون الناس عنه ويجاهدون في زواله وتثبيت
(١١ - تاريخ نجد - أول)

كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزءوا عنادا . ومع هذا تنكرون
العلينا كفرهم وتصرحون بأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ثم تذكر في كتابك أنك
تشهد بكفر العام العابد الذي ينكر التوحيد ولا يكفر المشركين ويقول هؤلاء السواد
الأعظم ما يتيهون . فإن قلتم إن الأولين وإن كانوا علماء فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل
جهلوا وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلا ونهارا أن هذا الذي أخرجنا للناس من التوحيد
وإنكار الشرك إنه دين الله ورسوله وأن الخلاف منا التكفير والقتال ، ولو قدرنا
أن غيركم يعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم والله أعلم .
ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم : من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن
ابن ربيعة سلمه الله تعالى :

وبعد ، فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة وتذكر أن مرادك اتباع الحق ،
منها مسألة التوحيد ، ولا يخفك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له
« إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض
عليهم خمس صلوات » إلى آخره . فإذا كان الرجل لا يدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد
ما يعرف التوحيد ويقادله فكيف بمسائل جزئية تختلف فيها العلماء . فاعلم أن
التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها
حق للملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهم فمن ذلك لا يدعى إلا إياه كما قال تعالى
(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبياً أو
ولياً عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو المدعو كما يفعل
المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد
وغيره ومن ذبح لله ألف أضحية ثم ذبح لبي أو غيره فقد جعل إلهين اثنين كما قال تعالى
(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الآية . والنسك هو الذبح وعلى
هذا فقس . فمن أخلص العبادات كلها ولم يشرك فيها غيره فهو الذي شهد أن لا إله
إلا الله ومن جعل فيها مع الله غيره فهو المشرك الجاحد لقوله لا إله إلا الله وهذا الشرك
الذي ذكره اليوم قد طبق مشارق الأرض ومغاربها إلا الغرباء المذكورين في الحديث

(وقليل مالم) وهذه المسألة لاخلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب . فإذا أردت مصداق هذا فتأمل باب حكم المرتد في كل كتاب وفي كل مذهب وتأمل ماذكروه في الأمور التي تجعل المسلم مرتدا يحل دمه وماله: منها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم كيف حكى الإجماع في الإقناع على رده ثم تأمل ماذكروه في سائر الكتب ، فإن صرفت أن في المسألة خلافا ولو في بعض المذاهب فنبهني ، وإن صح عندك الإجماع على تكفير من فعل هذا أو رضيه أو جادل فيه فهذه خطوط المويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحيى عندنا في إنكار هذا الدين والبراءة منه ومن أهله وهم الآن مجتهدون في صد الناس عنه . فإن استقمعت على التوحيد وتبييت فيه ودعوت الناس إليه بعداوة هؤلاء خصوصا ابن يحيى لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفرا وصبرت على الأذى في ذلك فأنت أخونا وحمينا وذلك محل المذاكرة في المسائل التي ذكرت ، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك ، وإن لم تستقم على التوحيد علما وعملا ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة في المسائل والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها جوابا لرجل من أهل الحسا يقال له أحمد بن عبد الكريم وكان قد عرف التوحيد وكفر المشركين ، ثم إنه حصل له شبهة في ذلك ، بسبب عبارات رآها في كلام الشيخ تقي الدين ففهم منها غير مراد الشيخ رحمه الله ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الكريم ، سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد ، فقد وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام وعلى أي شيء يدل كلامه على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة (اللات والعزى) وسبب دين الرسول بعد ماشهد به مثل سبب أبي جهل أنه لا يكفر بعينه بل العبارة صريحة واضحة في تكفير مثل ابن فيروز وصالح ابن عبد الله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة فضلا عن غيرها . هذا صريح واضح في كلام ابن القيم الذي ذكرت وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال في كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله ودعاهم في الشدائد والرخاء

وسب دين الرسل بعد ما أقر به ودان بعبادة الأوثان بعد ما أقر بها ، وليس في كلامي هذا مجازفة بل أنت تشهد به عليهم ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه . وأنا أخاف عليك من قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) والشبهة التي أدخلت عليك هذه البضعة التي في يدك تخاف تغدى أنت وعيالك إذا تركت بلد المشركين وشاك في رزق الله . وأيضا قرناء السواء أضلوك كما هي عادتهم ، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة درجة أول مرة في الشك وبلد الشرك وموالاتهم والصلاة خلفهم وبراءتك من المسلمين مدهنة لهم ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره وتبرأت من ملة إبراهيم وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير إكراه لكن خوف ومداراة ، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) إلى قوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فلم يستثن الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان بشرط طمأنينة قلبه . والإكراه لا يكون على العقيدة بل على القول والفعل . فقد صرح بأن من قال المكفر أو فعله فقد كفر إلا المكروه بالشرط المذكور وذلك أن ذلك بسبب إثارة الدنيا لا بسبب العقيدة فتفكر في نفسك هل أكرهوك وعرضوك على السيف مثل عمار أم لا ؛ وتفكر هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إثارة الدنيا ، ولم يبق عليك إلا رتبة واحدة وهي : أنك تصرح مثل ابن ربيع تصريحاً بسبب دين الأنبياء وترجع إلى عبادة العيدروس وأبي حديدة وأمثالهما ، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب ، فأول ما أنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك صلى الله عليه وسلم ينهى عنه أهل مكة أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه أم هذا أغلظ ؟ فإذا أحكمت المسألة وعرفت أن غالب من عندكم سمع الآيات وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين وأقرّبه وقال أشهد أن هذا هو الحق ونعرفة قبل ابن عبد الوهاب ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ما شهد أنه الحق ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله فتفكر هل هذه مسألة أو مسألة الردة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة ، ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لا يسمع ولا يبصر . أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده تكفير المنايقين وقتلهم فقد صرح الخاص والعام بيديها العقل أنهم لو يظهرون كلمة واحدة أو فعلاً واحداً من

عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يقتلون
أشر قتلة ، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذي تشهد أنه دين
الرسول صلى الله عليه وسلم وتبرءوا من الشرك بالقول والفعل ، ولم يبق إلا أشياء خفية
تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان في السر وقد تابوا من دينهم الأول وقتلوا
الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة ، فقل لي ، وإن كنت تزعم أن الشرك الذي خرج
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من هذا فقل لي وإن كنت تزعم أن الإنسان
إذا ظهر الإسلام لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان وزعم أنها الدين وأظهر سب دين
الأنبياء رسما دين أهل العارض وأفقى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله
فهذه مسألتك ، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا
هذا لم يقتلوا أحدا ولم يكفروه من أهل الملة ، أما ذكرت قول الله تعالى (لئن لم ينته
المنافقون والذين في قلوبهم مرض) إلى قوله (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا
تقتيلا) واذكر قوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كما ردوا
إلى الفتنة أركسوا فيها) إلى قوله (خذوهم واقتلوهم) الآية ، واذكر قوله في الاعتقاد
في الأنبياء (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) واذكر ما صح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقبله ويأخذ ماله
فأى هذين أعظم؟ تزوج امرأة الأب أو سب دين الأنبياء بعد معرفته ، واذكر أنه قد هم
بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة حتى كذب الله من نقل ذلك ، واذكر قوله
في أعد هذه الأمة وأشد هم اجتهدا « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم
فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة » واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي
الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم ؛ واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد
الكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسيلة ، ولكن الصحابة اختلفوا
في قبول توبتهم لما تابوا والمسألة في صحيح البخاري وشرحه في الكفالة ، واذكر إجماع
الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الحمر تحمل لخواص مستدلا بقوله تعالى
(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مع كونه من أهل بدر
وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في عليّ مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر وردتهم
وقتلهم فأحرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم أحياء بخالفه ابن عباس في الإحراق

وقال يقتلون بالسيف مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة، واذكر إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله . قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخى قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا برده وقلته لطلال الكلام لكن من آخر ما جرى قصة بنى عبید ملوك مصر وطائفهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين وأجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم ، واذكر كلامه في الإقناع وشرحه في الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور : وقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثير امن عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية . هذا لفظه بحروفه ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة من أصحابه إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم . وأما عبارة الشيخ التي لبسوا بها عليك فهي أغلظ من هذا كله ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة ، فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شيء يعذربه فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) وقوله : (إن شر السواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، وإذا كان كلام الشيخ ليس في الشرك والردة بل في المسائل الجزئيات سواء كانت من الأصول أو الفروع ، وعلوهم أنهم يذكرون في كتبهم في مسائل الصفات أو مسألة القرآن أو مسألة الاستواء أو غير ذلك مذهب السلف ، ويذكرون أنه الذي أمر الله به ورسوله والذي درج عليه هو وأصحابه ثم يذكرون مذهب الأشعرى أو غيره ويرجحونه ويسبون من خالفه ، فلو قدرنا أنهم لم تقم الحجة على غالهم قامت على هذا المعين الذي يحكى المذهبين مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم يحكى مذهب الأشعرى ومن معه فكلام الشيخ في هذا النوع يقول إن السلف كفروا النوع . وأما المعين فإن عرف الحق وخالف كفر بعينه وإلا لم يكفروا . وأنا أذكر لك من كلامه ما يصدق

هذا لعلاك تنتفع إن هداك الله وتقوم عليك الحجة قياما بعد قيام وإلا فقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا. وقال رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله وما أهل به لغير الله ظاهره أنه ماذبح لغير الله حرم سواء لفظ به أو لم يلفظ وهذا أظهر من تحريم ماذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواح الأمور فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربا إليه وإن قل فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان . ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه بحروفه ، فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمى الله عليه عند الذبح أنه مرتد تحرم ذبيحته ولو ذبحها للأكل ، لكن هذه الذبيحة محرم من جهتين من جهة أنها مما أهل به لغير الله وتحرم أيضا لأنها ذبيحة مرتد يوضح ذلك ما ذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين فأين هذا من نسبتك عنه أنه لا يكفر أحد بعينه . وقال أيضا في أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم لما ذكر عن أئمتهم شيئا من أنواع الردة والكفر . وقال رحمه الله وهذا إذا كان في المقالات الحفية فقد يقال إنه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع فكانوا مرتدين ، وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة وتارة يعود إليه مع مرض في قلبه ونفاق والحكاية عنهم في ذلك مشهورة . وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا في أول مختلف الحديث . وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في الردة كما صنف الفخر الرازي في عبادة الكواكب ، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين هذا لفظه بحروفه ، فانظر كلامه في التفرقة بين المقالات الحفية وبين ما نحن فيه في كفر المعين وتأمل تكفير رؤوسهم فلانا وفلانا بأعيانهم ورددته ردة صريحة وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازي عن الإسلام مع كونه عند علماءكم من الأئمة الأربعة هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين

لا يكفر ولو دعا عبد القادر في الرخاء والشدة ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن مع عبادته أبي حديدة ولو أبغضك واستنجسك مع أنك أقرب الناس إليه لما رآك ملتفتا بعض الالتفات إلى التوحيد مع كونك توافقهم على شيء من شركهم وكفرهم . وقال الشيخ أيضاً في رده على بعض المتكلمين وأشباههم والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد وأخلاق فهذا لا يوجب السعادة إلا بالإيمان بالله وحده وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن ، وأهل الرأي والعلم بمنزلة الملك والإمارة فكل منهم لا ينفعه ذلك إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويتخذة إلهاً دون ما سواه وهو معنى قول لا إله إلا الله . وهذا ليس في حكمته ليس فيها إلا أمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة الخلوقات بل كل شرك في العالم إنما حدث بزي جنسهم فهم الآمرون بالشرك الفاعلون له ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين رجيحاً ما فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعاً فتدبر هذا فإنه نافع جداً وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل . والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه ، والتوحيد الذي يدعونونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات فلو كانوا موحدين بالكلام وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رساله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في النجاة بل لا بد أن يعبد الله وحده ويتخذة إلهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله : لا إله إلا الله فكيف وهم في القول معطلون جاحدون ولا مخلصون انتهى . فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذي كذبت به الله ورسوله وإجماع الأمة وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت فإن فهمت هذا وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده فإن الخطر عظيم فإن الخلود في النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى بضاعة تبيع توماننا أونصف تومان : عندنا ناس يخيئون بعيالهم بلامال ولا حعو ولا شحدوا وقد قل الله في هذه المسألة (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ، وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل

الحوطة من بلدان سدير قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فيجري عنكم أمور تجرى عندنا من سابق وتنصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها ، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرا وهو مصيب لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان ، وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وأهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه صابرا على ما جاءه من الأذى ، وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أمر قلة فهمه ، وأيضا يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يحز إنكاره ، فالله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضر على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه ؛ وسبب هذه المقالة التي وقعت بين أهل الحوطة أن صار أهل الدين واجبا عليهم إنكار المنكر فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين فصار فيه مضر على الدين والدنيا ، وهذا الكلام وإن كان قصيرا فمعناه طويل فلزم لازم تأملوه وتفقهوا فيه واعملوا به فإن عملتم به صار نصرا للدين واستقام الأمر إن شاء الله ، والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أميرا أو غيره أن ينصح برفق خفية ما يشترف أحد ، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلا يقبل منه بخفية ، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهرا إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر بمننا خفية ، وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويحملونها عندهم ثم يرسلونه لحرمه والمجموعة ثم للغايط والزلفي والله أعلم .
ومنها رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحيى مطوع من أهل رغبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وبعد ما ذكرت من طرف مراسلة سلمان فلا ينبغي أنها تزعلك : الأولى أنه
لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتي بغايته هذا ولا أكثر منه . وثانيا أنك إذا عرفت أن
كلامه ملة فيه قصد إلا الجهر في الدين ولو صدر مخطئا فالأعمال بالنيات التي هذه
مقصده يغتفر له ولو جهل عليك ، ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وربك ونبيك
ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة وهذه الفتنة الواقعة ليست في مسائل الفروع
التي مازال أهل العلم يختلفون فيها من غير تكبر ولكن هذه في شهادة أن لا إله
إلا الله والكفر بالطاغوت، ولا يخفى أن الذي عايناه في هذا الأمرهم الخاصة الذين ليسوا
بالعامة ، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام
الذي حكاه في الأقناع في باب حكم الرد الإجماع من كل المذاهب أن من لم يدن به
فهو كافر وكاتبناهم وتقنا لهم العبارات وخطبناهم بالتي هي أحسن وما زادهم ذلك
إلا نفورا ، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئا من التوحيد وأنت تفهم
أن هذا لا يسمعك التكفي عنه ، فالواجب عليك نصر أخيك ظالما ومظلوما وأن تفضل
الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول في هذا الأمر
فإن كان الصواب معنا ، فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين
الله ورسوله . وإن كان الصواب معهم أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل أو معنا
غلو في بعض الأمور . فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورينا عبارات أهل العلم
لعل الله أن يردنا بك إلى الحق وإن كان إذا حررت المسألة إذ أنها من مسائل
الاختلاف ، وأن فيها خلافا عند الحنفية أو الشافعية أو المالكية فتلك مسألة أخرى .
وبالجملة فالأمر عظيم ولا نعذر من تأمل كلامنا وكلامهم ثم تعرضه على كلام أهل
العلم ثم تبين في الدعوة إلى الحق وعداوة من حاد الله ورسوله منا أو من غيرنا والسلام .
ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن عيسى مطوع الدرعية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أما بعد ، فقد قال ابن القيم في أعلام الموقعين (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما

يتبعون أهواءهم) فقسم الأمر إلى أمرين لاثالث لهما : إما الاستجابة للرسول وإما اتباع الهوى وذكر كلاما في تقرير ذلك إلى أن قال ، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم عليه يعنى الآيات فى النساء (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قل : والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاوع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم قال الله (فتقطعوا أمرهم بينهم ربوا كل حزب بما لديهم فرحون) والزبير الكتب أى كل فرقة صنفوا كتباً أخذوا بها وعملوا بها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء وقال (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف . وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، هذا كله كلام ابن القيم . وقال الشيخ تقي الدين فى كتاب الإيمان قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وفى حديث عدى بن حاتم أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم « إنا لنما نعبدكم ، قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قات بلى قال : فتلك عبادتهم » رواه الإمام أحمد والترمذى وغيره وقال أبو العالية إنهم وجدوا فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه فقالوا انى نسبق أحبارنا بشئ ؟ فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقوله (ونبدوه وراء ظهورهم) انتهى كلام ابن تيمية ، فتأمل هذا الكلام بشرائى قلبك ثم نزل على أحوال الناس وحالك وتفكر فى نفسك وحاسبها بأى شئ تدفع هذا الكلام وبأى حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه فإن كان عندك شبهة فاذكرها فأنا بينها إن شاء الله تعالى والمسألة مثل الشمس والكن من يهدى الله فلا مضل له : من يضل فلا هادى له ، وإن لم يتسع عقلك لهذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر خصوصاً فى الأسفار أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلا ، وفرّ بديك فإن الجنة والنار قدامك والله المستعان ، ولا تستهجن هذا الكلام فوالله ما أردت به إلا الخير ، وصلى

الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى
قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

وبعد أن تفضلتم بالسؤال فنحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ونحن بخير وعافية جعناكم
الله كذلك وأحسن من ذلك . وأبلغوا لنا الوالد السلام سلمه الله من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة وغير ذلك في نفسى عليه بعض الشيء من جهة المكاتيب لما حبسها
عنا هجسنا فيه الظن الجليل ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض
السفهاء يقرءونها على الناس ، وأنا أعتقد فيه المحبة وأعتقد أيضاً أن له غاية وعقلا
وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهلنا فلا ودى يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا
منفعة في العاجل والآجل ، وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك وهو حبس فيه بالهاجوس
الجبد وذكر أيضاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذي يشوش الحاطر ، فإن كان يرى أن
هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأنا والله الحمد لم آت الذي
أتيت بجهالة وأشهد الله وملائكته أنه إن أتاني منه أو ممن دونه في هذا الأمر كلمة من
الحق لأقبلنها على الرأس والعين وأترك قول كل إمام اقتديت به حاشا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فإنه لا يفارق الحق ، فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم
الذي أوحى إليهم ليجادل في دين الله لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه على غرته .
وأصغت إليها أفئدتكم فاذكروا لي حجة مما فيها أو كلها أو في غيرها من الكتب مما
تقدرون عليه أتم ومن وافقكم فإن لم أجابها عنها بجواب فاصل بين يعلم كل من هداه
الله أنه الحق وأن تلك هي الباطل فأنكروا على وكذلك عندي من الحجج الكثيرة
الواضحة ما لا تقدرون أتم ولاهم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها . وكيف لكم
بملاقة جند الله ورسوله . وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه
وهذه كتبهم موجودة ومن أشهرهم وأغلاظهم كلام الإمام أحمد عليهم على هذا الأمر لم
يشذ منهم رجل واحد والله الحمد ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أروخوا لمن لم يعرف
الكتاب والسنة في أمرهم هذا فضلا عن أن يوجبوه ، وإن زعمتم أن المتأخرين معكم

فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم ابن تيمية وابن القيم ، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل في هذا ، ومن الشافعية الذهبي وابن كثير وغيرهم وكلامهم في إنكار هذا أكثر من أن يحصر وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم في الطرق الحكيمة فراجعوه . ومن أدلة شيخ الإسلام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية ، فقد فسرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده بهذا الذي تسمونه الفقه وهو الذي سماه الله شركا واتخاذهم أربابا لأعلم بين المفسرين في ذلك اختلافا . والحاصل أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتب التي أقتكم وفرحتم بها وقرأتموها على العامة من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء كما قل تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) إلى قوله (ولتصني إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة ، بل أعجب من هذا أنكم لاتفهمون شهادة أن لا إله إلا الله ولا تنكرون هذه الأوثان التي تعبد في الخرج وغيره التي هي الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم ، وأنا لا أقول هذا .

الفصل الرابع

في المسائل التي سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب .

سئل رحمه الله عن معنى لا إله إلا الله ، فأجاب بقوله : أعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام وهي كلمة التقوى وهي العروة الوثقى وهي التي جعلها إبراهيم كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون ، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ماخالفها ومعاداته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قل لا إله إلا الله محاصا » وفي رواية « خالصا من قلبه » وفي رواية « صدق من قلبه » وفي حديث آخر « من قل لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله » إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات : نفي الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد صلى الله عليه وسلم حتى جبريل فضلا عن سيرها

من الأولياء والصالحين . إذا فهمت ذلك فتأمل هذه الألوهية التي أثبتتها الله ونفيتها عن محمد وجبريل وغيرها أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية والإله معناه الولي الذي فيه السر وهو الذي يسمونه الفقراء الشيخ ويسميه العامة السيد وأشياء هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لحواصل الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجئ إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ، فالذي يزعمه أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط هم الذين يسمونهم الأولون والآلهة والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط ، وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين : الأول أن تعرف أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله) وهذه مسألة عظيمة مهمة وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الإسلام ولم يحرم دمائهم وأموالهم وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتصمون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات لا خوفاً من الله عز وجل . ولكن الأمر الثاني هو الذي كفرهم وأحل دمائهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر وأشياء ذلك ، وتام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر إذا عرفت هذا عرفت معنى لا إله إلا الله وعرفت أن من ناجى نبياً أو ملكاً أو نذبه واستغاث به فقد خرج من الإسلام وهكذا هو الكافر الذي قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذرهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا فنحن

فهم أن الله هو المدبر فقل كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فإذا تأملت هذا تأملا جيدا عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير فهم يناجون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده وعرفت أن الكفار خصوصا النصارى من يعبد الله الليل والنهار ويذهبون في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا في صومعة عن الناس ؛ ومع هذا هو كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوهم ويذبح له وينذر له فقد تبين لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك صلى الله عليه وسلم وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بعزل وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فالله الله يا إخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناه وأحبوها وأهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرها وقال ماعلى منهم أو قال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئا اللهم توفنا مسلمين وألقنا بالصالحين . ولانختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم مني الرأعرضتم وكان الإنسان كفورا) فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده لا شريك له واستغاثوا به وحده . فإذا جاء الرضاء أشركوا . وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجل من هؤلاء مثل

(١٢ — تاريخ نجد — أول)

رسول الله صلى الله عليه وسلم فآله المستعان ، وأعظم من ذلك وأظم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم والله سبحانه أعلم . المسألة الثانية سئل رحمه الله عن قوله تعالى في سورة هود (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فأجاب بقوله ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع ما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس ونحو ذلك وكذلك ترك ظلم أو كلام في عرض مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعم عليهم ونحو ذلك ، ولا همة لهم في طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة من نصيب . وهذا النوع ذكره ابن عباس وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها في الإقناع في أول باب النية لما قسم الإخلاص إلى مراتب وذكر هذا ظن أنه يسمى إخلاصا مدمحا له وليس كذلك وإنما أراد أنه يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط في الآخرة . النوع الثاني وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذي ذكر مجاهد في الآية أن الآية نزات فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة . وكما ذكر معاوية حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين أول من تسعربهم النار وهم الذي تعلم العلم ليقال عالم وتصدق ليقال جواد وجاهد ليقال شجاع فبكي معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية . النوع الثالث أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالا مثل الحج لمال يأخذه لله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر أيضا هذا النوع في تفسير هذه الآية كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعس عبد الدينار (١) » إلى آخره .

وكما يتعلم الرجل العلم لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن

(١) سقط من أصل الطبعة الأولى أربع كراريس وأثبتناها هنا وهي من قوله: إلى آخره

إلى قوله وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه قوله تعالى « واتبعوا ما اتتوا الشياطين على ملك سليمان » الآية . عبد المحسن أبا بطين .

أوبواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس ولا يحصل لهم طائل . والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار . النوع الرابع أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره ككفره يخرجهم عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكفاية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لأنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضاً قد ذكر في الآية عن أنس ابن مالك وغيره وكان السلف يخافون منها . قال بعضهم : لو أعلم أن الله يقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول « إنما يتقبل الله من المتقين » فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة ، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمكث والمال ماحله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثر فصارت الدنيا أكبر قصده ولذلك قبل قصد الدنيا، وذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم « فإنك لم تصل » والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله لكن أراد الثواب في الدنيا وخاف على الحظ والعيال مثل ما يقول الفسقة فصح أن يقال قصد الدنيا والثاني والثالث واضح، لكن بقي أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما . وقد قال بعضهم القرآن كثيرا ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال . وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقا والله أعلم . المسئلة الثالثة قال رحمه الله سألتني الشريف عما نقاتل عليه وعما نكفر به الرجل ، فأجبتة وبينت له أيضا الكذب الذي بهت به الأعداء فسألتني أن أكتب له فأقول أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها وتركها تهاونا ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر

التارك لها كسلا من غير جحود ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان،
وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر فقول : أعداؤنا على أنواع . النوع
الأول من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس وأقر أيضاً أن هذه
الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس هي الشرك بالله الذي
بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله رمع ذلك لم يلتفت إلى
التوحيد ولا تعمله ولا دخل فيه ولا ترك الشرك ، فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف
دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغيض دين الرسول ولا
من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس . النوع الثاني من عرف ذلك كله
ولكنه تبين في سبب دين الرسول مع أعدائه أنه عامل به وتبين في مدح من
عبد يوسف والأشعري ومن عبد أبا علي والحضر من أهل الكوفة وفضلهم على من
وحد الله وترك الشرك . فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وهو ممن قال الله فيه (وإن نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) . النوع
الثالث من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه ، ولكن يكره من
دخل في التوحيد ويحب من بقى على الشرك ، فهذا أيضاً كافر وهو ممن ورد فيه قوله
تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) . النوع الرابع من سلم من هذا كله
ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون في قتالهم ويتعذر عليهم
تركه وظنه يشق عليه ويقاتل أهل التوحيد من أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا
أيضاً كافر فإنهم لو يأمرون بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل ولو
يأمرونه بتزويج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بمخالفتهم فعل وموافقهم على الجهاد
معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر ممن ذكر الكثير
وهذا أيضاً كافر وهو ممن قال الله فيه (ستجدون آخرين يريدون أن يؤمنواكم ويؤمنوا
قومهم إلى قوله ساطاناً مبيناً) فهذا الذي نقول . وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم
إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه وإنا نكفر من
لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضمانه فكل هذا من الكذب والبهتان الذي
يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على

قبر عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من يفهمهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادثهم لله ورسوله، فرحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذى عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . المسئلة الرابعة سأل ثنيان بن سعوود عن قوله تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) وعن الحديث المذكور فى مسند أحمد «أن نوحا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بالإله إلا الله» . فأجاب بقوله : من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعوود سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد سألتكم عن معنى قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وكونها نزلت بعد الهجرة فهذا مصداق كلامى لكم مراراً عديدة أن الفهم الذى يقع فى القلب غير فهم اللسان . وذلك أن هذه المسئلة من أكثر ما يكون تكررًا عليكم وهى التى بوب لها الباب الثانى فى كتاب التوحيد ، وذلك أن العالم لا يسمى عالماً إلا إذا أثمر فيه العلم فإذا لم يشعر فهو جاهل كما قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال عن يعقوب (وإنه لدوعلم لما علمناه) والكلام فى تقرير هذا يطول . إذا ثبت أن العلم هو الذى يستلزم العمل فمعلوم أن تفاضل الناس فى الأعمال تفاضل لا ينضبط وكل ذلك بسبب تفاضلهم فى العلم ويكفيك فى هذا استدلال الصديق على عمر فى قصة أبى جندل مع كونها من أشكال المسائل التى وقعت فى الأولين والآخرين شهادة أن محمداً رسول الله . وسر المسئلة أن العلم بالإله إلا الله ليس أمراً واحداً لا يتفاضل بل تفاضل الناس فى هذه المسئلة لا يعلمه إلا الله وشبه هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله على كل شىء قدير) ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلاً عن غيرهم . وأما نهى نوح عليه السلام بنيه عن الشرك وأمرهم بالإله إلا الله فليس هذا تكررًا بل هذان أصلان مستقلان كبيران وإن كانا متلازمين ، فالنهى عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله والإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازماً فنوضحه لكم ، والواقع أن كثيراً من الناس يقول لأعبد إلا الله وأنا أشهد بكذا وأقر بكذا ويكثر الكلام . فإذا قيل له ماتقول فى فلان وفلان إذا عبد وعبد من دون الله؟ قال : ما على من الناس الله أعلم بحالهم ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه

فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله وقرن أيضاً بين الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك مع أن الوصية بلإله إلا الله ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها وتبين عظمة قدرها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل (قل هو الله أحد) على غيرها من السور وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدتها وكذلك حديث موسى عليه السلام فإن في ذلك ما يقتضى كثرة الذكر بهذه الكلمة كما في الحديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ثم أتم في أمان الله وحفظه والسلام . المسألة الخامسة سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم في أول إسلامهما عن قول الشيخ تقي الدين من جحد ما جاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر؟ فأجاب بقوله إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم سلام عليكم ورحمة الله وبعد . فما ذكرتموه من قول الشيخ من جحد كذا وكذا وأنتم شاكون في هؤلاء الطواغيت واتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجيب كيف تشكون في هذا وقد وضحت لكم مراراً فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام والذي نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف . وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هي القرآن فمن بلغه فقد بلغته الحجة ، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة . وبين فهم الحجة فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) وقيام الحجة وبلوغها نوع وفهمهم إياها نوع آخر وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر فإن أشكل عليكم ذلك . فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم » وقوله « شد قتل تحت أديم السماء » مع كونهم في عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم ، ومع الإجماع أن الذي أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد وهم يظنون أنهم مطيعون لله ، وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها وكذلك قتل على رضى الله عنه الذين اعتقدوا فيه وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم وهم أيضاً يظنون أنهم على حق . وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية وغيرهم مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ، ولم يتوقف أحد من

السلف في تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا . إذا علمتم ذلك فهذا الذي أتم فيه وهو الشك في أناس يعبدون الطواغيت ويعادون دين الإسلام ويزعمون أنه ردة لأجل أنهم ما فهموا كل هذا أظهر وأبين مما تقدم إلا الذين حرقهم على فإنه يشابه هذا وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم . فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم . وأيضاً ذكر لي محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسألتان : الأولى صورة المقاصة يريد بعض الناس أن يحتال على المنهى عنه من بيع الطعام قبل قبضه ويقول الخشيد إذا جاء بدراهم التمر بعها على بتمر قدر الذي في ذمته ثم يتساقطان ويجعل هذه من المقاصة المباحة وكذلك ذكروا إذا اشترى منه سلعة وشرط عليه أن يوفيه بها صح العقد وفسد الشرط إن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدين الذي في ذمته . دينا آخر وينسب الصحة إلى الإقناع والمنتهى وهما من أشد الناس كلاماً وتحريماً لمثل هذا حتى إنهما يحرمان صوراً مع كون المتعاقدين لم يقصدا الحيلة لئلا يتخذ ذريعة مثل العينة وغيرها ، وأنا ذكرت لكم مراراً إذا ادعى أحد في هذا وأمثاله الجواز فاسألوا عن الحيل المحرمة التي هي مخادعة لله مامعناها وما صورتها . مثال ذلك : أنك لو تسألني عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصاً وهي تساوي العشرين ثياباً أو طعاماً أو غيرهم قلت لك هذا صحيح بالإجماع فإذا سألتني عن إبرائه من العشرين مشخصاً بعد ما ثبتت في ذمته قلت هذا من الإحسان بالإجماع فإذا قلت إنه لم يشتر مني ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضني مائتي مشخص بربح عشرين وقال لي هذا ربا لا يصح ولكن بعين سلعة تساوي عشرين ثم بعد ذلك أبرأني منها . قلت لك هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك وكذلك أشباه هذه الصورة ، فالذي يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى كون رأس السلم دينا مع تصريحهم بتحريمه بل هذه الحيلة أمثلوه ما الفرق بين هذه الصورة وبين تلك فإنه لا يجد فرقاً إلا بالكبارة . وهنا فائدة ينبغي التنبيه لها وهي أن الحيل على الربا قد نشأت عليها أتم ومشايخكم ويسمونهم التصحيح والأمور التي نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليه المشايخ إنه عظيم لا يوافق عليه أكثر الخلق فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك فكما

أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة ولم تفهموه كله إلى الآن كذلك الحيل لأجل نشأتكم عليها وتسويتها التصحيح تحتاج منكم إلى نظر وفطنة فأكثرُوا التدبر لها والمطالعة والتمثيل في إغاثة اللفهان وغيرها والله أعلم . المسألة السادسة سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذي ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشي والمرثى وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن مسجم مجادلة في ذلك . فقال الشيخ رحمه الله في الجواب سألتكم رحمكم الله عن رشوة الحاكم الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشي والمرثى وذكر له أن بعض الناس حملها على ما إذا حكم الحاكم بغير الحق وأما إذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهي حلال مستدلاً بقوله صلى الله عليه وسلم «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» وأنكم استدلتكم بقوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) وأجابكم بأنها نزلت في كعب بن الأشرف وبأن الناس فرضوا لأبي بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم ، وكذلك قول من قال لا أحكم بينكما إلا بجعل . فأقول أما صورة المسألة فهي أشهر من أن تذكر بل هي تعلم بلا اضطراب فإن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكروا عليهم العقول والفطر بما جبلها الله من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فرجما يروج على المؤمن فيحتاج إلى كشف الشبهة فنقدم قبل الجواب مقدمة وهي أن الله سبحانه لما أظهر شيئاً من نور النبوة في هذا الزمان وعرف العامة شيئاً من دين الإسلام وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين وأبعدهم عن معرفة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقد صاروا في الرياسة بالباطل وفي أكل أموال الناس ويدعون أنهم يعملون بالشرع ولا يعرفون شيئاً من الدين إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء في البيع والإجارة والوقف والموارث وكذلك في المياه والصلاة ولا يميزون حقه من باطله ولا يعرفون مستند قائله . وأما العلم الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا منه خبراً ولم يقفوا منه على عين ولا أثر فقد تراحمت بهم الظنون (وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) ومصدق هذا كله أن الداعي لما أمرهم بتوحيد الله ونهاهم عن عبادة الخلقين أنكروا ذلك وأعظموه وزعموا أنه جهالة وضلالة مع كون هذه المسألة أبين في دين محمد صلى الله عليه وسلم من كون العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى ذلك وما دل

عليه وقاتل عليه فهو لاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك وزعموا أنه دين ومذهب خامس وأنهم لم يسمعه من مشائخهم ومن قبلهم . وبالجمله فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة : الأولى أنهم لا يعرفونه مع كونهم يظنون أنهم من العلماء . الثانية أنه فيه مآلف عادة نشئوا عليها ومخالفة العادات شديدة . الثالثة أنه مخالف لعلمهم الذي بأيديهم وقد أشربوا حبه كما أشربت بنو إسرائيل حب العجل . الرابعة أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرمة الملعونة إلى غير ذلك من الأمور التي يبتلى الله بها العباد فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا في عداوته وإطفائه بما أمكنهم وجاهدوا في ذلك بأيديهم وألسنتهم فلما غلظ الأمر وبعدهم نور النبوة ولم يجيء على عاداتهم الفاسدة فتفرقوا فيه كما تفرق إخوانهم الأولون ، فبعضهم قال مذهب ابن تيمية كما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أبي كبشة ، وبعضهم قال كتب باطلة كقولهم (أساطير الأولين اكتبها) وبعضهم قال هذا يريد الرياسة كما قالوا (أجنئنا لتلفتنا عن ما وجدنا عليه آباءنا وتكون لنا الكبرياء في الأرض) وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصي كما قالوا النوح فأجابهم بقوله (وما علمي بما كانوا يعملون) وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل كما قالوا (أنؤمن كما آمن السفهاء) فأجابهم الله تعالى (ألا إنهم هم السفهاء) الآية وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التي خالفت العادات كقوله تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة كقوله (فقد جاءوا ظلما وزورا) وتارة يرمون دين ما يوجد في بعض المنتسبين إليه من رثالة الفهم والمسكنة كما قالوا (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغیظ إذا رأوا الله رفع هذا الدين أقواما ووضع به آخرين كقولهم (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) إلى غير ذلك من الأمور التي يطول ذكرها . وبالجمله فمن شرح الله صدره للإسلام ورزقه نورا يمشي به في الناس تبينت له هذه الأمور التي وقعت في وقتنا هذا كثيرا من معاني القرآن وتبين له شيء من حكمة الله في ترداد هذا في كتابه لشدة الحاجة إليه فيقال لهؤلاء المردة آكلى أموال الناس بالباطل ومذهبي أديانهم مع أموالهم ما قال عمر بن عبد العزيز : رويدا يا ابن نباتة فلواتقت حلقتا البطان وردتني إلى أهله لا تفرغن لك ولأهل بيتك حتى أدعهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأوضعتم

فى الباطل. وأما المسألة والجواب عنها فنقول قد علم بالكتاب والسنة والفطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل وهذه يسلمها لك منازعتك وهى أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة فهذه حرام منهى عنها بالإجماع ملعون من أخذها، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع. وقوله بأى شريعة حكمت بتحريم هذا؟ فنقول حكمت به شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع على ذلك علماء أمته، وأحل ذلك المرتشون الملعونون. ومن أنواع الرشوة الهدايا التى تدفع إلى الحاكم بسبب الحكم ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر لأعلم أحدا من العلماء رخص فى مثل هذا والعجب إذا كان فى كتابكم الذى تحكمون فيه يجب العدل بين الخصمين فى لحظه وافظه ومجاسه وكلامه والدخول عليه فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له، سبحانه الله أين شريعة حكمت بحل هذا أم أى عقل أجازها ما أجهل من يجادل فى مثل هذا وأقل حياءه وأقوى وجهه. وأما أدلته التى استدلت بها فلا تنس قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) الآية ولما جادل النصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألوهية عيسى واحتجوا عليه بشيء من القرآن وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن وكذلك الذين ضربوا الإمام أحمد يستدلون عليه بشيء من متشابه القرآن وما أنزل الله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) إلا لما يعلم الله فى حاجة عباده إليها. وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله «أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله» فجوابه من وجوه: الأول أن المؤمنين إذا فسروا شيئا من القرآن بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وكلام المفسرين ليس لهم فيه إلا النقل اشتد نكيرهم عليهم وتقول القرآن لا يحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلا المجتهدون وتارة تفترى الكذب وتقول إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البرية خوفا من العذاب وأمثال هذه الأباطيل والخرافات، ومرادهم بذلك سد الباب فلا يفتح لهم طريق إلى هذا الخير فيكون نقلنا الكلام المفسرين منكرا وتفسيرك كتاب الله على هواك وتحريفك الكلام عن مواضعه حسنا، هذا من أعجب العجائب. الوجه الثانى أن هذا لو كان على ما أولته فهو فى الأخذ على كتاب الله وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به وشاهدون على أنفسكم بذلك. الوجه الثالث

أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لكان مخصوصاً بتحريم الرشوة التي أجمع الصحابة على تحريمها . الوجه الرابع أن حمل الحديث على هذا من القرية الظاهرة والكذب البحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن معنى ذلك في الإنسان الذي يداوى المريض بالقرآن فيأخذ على الطب والدواء لاعلى الحاكم وإيصال الحق إلى مستحقه ويدل عليه اللفظ الآخر « كل فتي أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق » والقصة شاهدة بذلك بوضوحه . الوجه الخامس وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب من استدلال قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز له أن يشترط لنفسه شرطين فإن حصل له وإلا لم يفعل فإن وجده في كتاب فليبين مأخذه وما ظنه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك لا يجوز أن يظن أن إجماعهم باطل وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو ، ولما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبي بكر رضي الله عنه لما ولى عليهم كل يوم درهمين فهذا من جهله ومثل هذا مثل من يدعى حل الزنا الذي لا شبهة فيه ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطئون زوجاتهم وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء ، وذلك أن استدلاله بقصة أبي بكر رضي الله عنه تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي العمال من بيت المال وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم ولا أعلم عاملاً في زمن الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك بل الزكاة التي هي للفقراء جعل الله فيها نصيباً للعمال الأغنياء ، ولكن أبا بكر رضي الله عنه لما ولى واشتغل بالخلافة في الحرفة وضع رأس ماله في بيت المال واحترف للمسلمين فيه فأكل بسبب وضع ماله في بيت المال وبسبب الحرفة فأين هذا من أكل الرشوة التي حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذي إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلاً (سبحانك هذا بهتان عظيم) فإن قالوا لما عدم بيت المال أكلنا من هذا . قلنا هذا مثل من يقول أنا أزني لأنني أعزب لزوجتي لي فهو هذا من غير مجازفة وقولهم نفعل هذا لأجل مصلحة الناس فنقول ما على الناس أضر من إبليس ومنكم ، أذهبتم دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك ، هؤلاء أهل شقة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة وثلاثين أحمراً ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه ولا يحكم بين اثنين ولا يفتي فلم يفعل واختار حرفته الأولى . وأما جوابه لمن استدلال عليه (ولا تشتروا بآياتي ثمناً

قليلاً) بقوله نزلت في كعب بن الأسرف . فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد قال الله كذا . قالوا نزلت في اليهود ونزلت في النصارى نزلت في فلان وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه: الأول أن يقال معلوم أن القرآن نزل بأسباب فإن كان لا يستدل به إلا في تلك الأسباب بطل استدلاله وهذا خروج من الدين . الثاني أنك تقول لا يجوز لنا تفسير القرآن فكيف فسرت هذه الآية بأنها خاصة بأبن الأشرف من نقات عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت في رجل كافر أنها لاتعم من عمل بها من المسلمين ، من قال بهذا القول قبلك وعمن نقته . الرابعة أن هذا خروج من الإجماع فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التي نزلت في اليهود وغيرهم على من يعمل بها ولكن هؤلاء الجاهلون الظالمون الذين يجادلون في الله من بعد ما استجيب له حججهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . فأما الكلام في الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هذا طويل ، ولكن هؤلاء الذين يحاصمونك لا يعبئون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئاً ولا عندكم ما في كتابهم فقل إذا كان كتابكم قد صرح بتصريحنا لا مزيد عليه ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال ، وقد صرح بأن من شك في كفرهم فهو كافر فكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم فكيف إذا ضم إلى ذلك مدح طريقتهم مثل ما يفعله ناس من الظالمين في الرياض يمدحون طريقتهم ويمدحونهم ويذمون دين الإسلام ويسبونه وأهله ويسمونهم السبابة ومنهم من ينصر مذهب ابن عربي وابن الفارض ويدعون إليه وهؤلاء عند المجادل الذي يدعى أنه يعرف الإقناع ويعمل به من الخواص ولو يقال لا يصلى خلفهم ولا تقبل شهادتهم وأنهم فسقة لأنكر علينا هذا الذي يدعى أنه فقيه بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره فكيف لو يقال إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا في صمة فإن بين من العبادات غير ما فهمنا فيذكره بدليله ، وإن زعم أن كتابه باطل فيذكر الدليل على بطلانه ، وإن ذكر جواباً آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تكفير هؤلاء فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام ، فإن قال ما رأيتمهم فعلوا قلنا وأنت أيضاً ما رأيت فرعون ولا هامان ككفروا ولا رأيت الله أباهم ولا رأيت ظلم الحجاج ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد وأنت تشهد

بهذا كله ، فإن قال هذا متواتر . قلنا وكفر هؤلاء وادعائهم الزبونية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء وهم الآن يعبدون ويدعون الناس إلى ذلك ومع هذا كله (من يهد الله فله نصيب من المهد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا — ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا) ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلا بد من ذلك والله أعلم . المسألة السابعة مثل رحمه الله عن هذه المسائل المفيدة . الأولى إذا رأينا حديثا في بعض الكتب مثل الآداب أو شرح الأربعين لابن حجر الهيتمي أو المنازل أو المشارق أو الإقناع أو المفتي ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم تقف على الأصل . الثانية إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين أو أقوالا للأصحاب مختلفة وكل يدلي بدليل هل يجوز العمل بكل منهما وإذا حكى بعض العلماء ممن صاحب الفروع أو غيره كلاما للإمام أحمد أو للأصحاب وأمثالهم في مسألة ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشيء أو ذكر أن فلانا قال كذا وفلانا قال كذا بضد القول الأول ما الحكم في ذلك إذا قال الصحيح أو المذهب كذا هل يعمل به . الثالثة إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول أو نقل عن الإمام تفسير حديث أو نقل آخر عنه ضده مثل حديث الإغلاق قال ابن القيم عن الإمام أحمد فسر بالإكراه . الرابعة قولهم لا إنكار في مسائل الاجتهاد وعلى من اجتهد أو قلد مجتهدا حيا أو ميتا ، وإذا ورد حديثان متضادان في الحكم مثل حديث القلتين وبر بضاعه ذكر بعض العلماء أن حديث بر بضاعه مطلق وحديث القلتين مقيد فيحمل المطلق على المقيد ، وذكر غيره أن هذا أي حديث القلتين استدلوا على صحته وأن غيره يحمل عليه بأنه عليه السلام سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته ، ولم يسأل هل تغير أم لا . الخامسة الثلاث طلاقات المجموعة ذكر الشيخ منصور في شرح الإقناع وقوعها ، يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلى وابن مسعود وابن عمر قال وعن مالك بن الحارث قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال إن عمي طلق امرأته ثلاثا فقال إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا ، وروى النسائي بإسناده عن محمود بن لبيد قال « أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فغضب وقال أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال يا رسول الله أفلا أفتله » انتهى . وأما ما روى طاووس

عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر وصدر من خلافة عمر الثلاث واحدة إلى آخره ، فقال الأشرم سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس بأى شيء أدفعه قال أدفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث انتهى .

السادسة قول أهل العلم إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة فما معنى كون اختلافهم رحمة واحتج بهذه من اتبع المجتهدين . السابعة الحلف بالطلاق ذكر الشيخ منصور في شرح الإقناع نقلا عن اختيارات أبي العباس . قال : أبو العباس تأملت نصوص أحمد فرائده يأمر باعتزال الرجل امرأته في كل عین حلف الرجل عليها انتهى . فهذا من أبي العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق . الثامنة مسألة الوقف على الأولاد ذكر مصنف المنتهى في شرحه عن مسند الحميدى « أن أبا بكر وسعدا وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة » . التاسعة قوله تبارك وتعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) وقوله (وذلك ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) ما معنى سوء الظن بالله؟ وقوله (من يعمل سوءا يجز به) ما معناه وما معنى إدخال البخارى إياه فى كتاب الطب وكذلك الحديث الذى أورده « ما من مسلم يصيبه أذى » فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى » فعطف الأذى على ما تقدم والعطف يقتضى المغيرة هل المراد الذى لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟ وما معنى قولهم من الشرك التصنع للمخلوق المسلم وخوفه ورجاؤه وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر وقوله « أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله وإن ظن بي شرا فله » وما معناه؟ والحديث الذى فيه النهى عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال وقوله عليه السلام « الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والولد والفرس » ما معناه وترك الخارص الثلث أو الربع هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم لا فامعنى الحديث الذى استدل به من جوزه وهو قوله للعباس هى على ومثلها معها وقوله « الماهر فى القرآن مع السفارة الكرام البررة والذى يقرؤه وهو عليه شاق له أجران » هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك أم لا؟ والحفظ مع فهم المعانى وما معنى المشقة والتعاهد وما معنى قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الثلاثة » أفتونا مأجورين فأجاب رحمه الله اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله

عليه وسلم بالهدى الذى هو العلم النافع ودين الحق الذى هو العمل الصالح إذا كان من ينتسب إلى الدين منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين ومن أعظم ما امتن الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلام فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهما جيداً فهم قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلام إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما أوصانا بقوله «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» فهم معنى قوله (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله أى في كتابه وإلى الرسول أى إلى سنته علمنا، قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل وتشير إلى حظ جليل وإنما قدمتها لأن من عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة في مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها من ذلك جواب . المسألة الثانية إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول في محل النزاع الترادف إلى الله والرسول لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام أصحابه ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً وقولك إذا استدل كل منهما بدليل . فالدلائل الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضاً لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، إما مستدل بحديث لا يصح : وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً . وبالجملة فهما رأيت الاختلاف فرداه إلى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه وهل يتخير الرجل عند ذلك أو يتجرى أو يقلد الأعم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه فتبين بهذا جواب .

المسألة الثانية والثالثة والرابعة . وأما المسألة الأولى فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأموناً ونسبه إلى الصحيحين وغيرها جاز العمل بقوله «ولا أحد منع ذلك» . وأما المسألة الخامسة وهى قول من قال : لا إنكار في مسائل الاجتهاد فجوابها يعلم من القاعدة

المتقدمة فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف أو أخطأ كائنا من كان . ولو كان أعلم الناس وأتقاهم وإذا كان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وأمرنا بالتباعد وترك ماخالفه . فمن تمام ذلك أن من خالف من العلماء مخطئا فيه على خطئه وأنكر عليه ، وإن أريد مسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب . فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفا لمذهبه أو لعادة الناس فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لا يجوز أن ينكر إلا بعلم وهذا كله داخل في قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) . وأما المسألة السادسة وهي قولك إذا ورد حديثان متضادان مثل حديثي القلتين وحديث بئر بضاعة الخ . وهذه عبارة لا ينبغي إلى أن قال وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد بل كله حق يصدق بعضه بعضا ، والواجب على المؤمن مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله به (آمنوا به كل من عند ربنا) فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به وإلا فليحسك وليقل الله ورسوله أعلم . فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالحكم ليعلم من يقف حيث وقفه الله فمن يقول على الله بلا علم ، نعم قد يرد حديثان متضادان ، ولكن أحدهما ليس بصحيح . وقد يكون أحدهما ناسخا لكونه قليل جدا ومع ذلك لا يرد المنسوخ إلا وقد يرد ما يثبت به . وأما قولك ما يسوغ لمثلنا ، فالذي يسوغ بل يجب ما وصفت لك . وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله ورد ما تنارع فيه المسلمون فإن علمه الله شيئا فليقل به وإلا فليحسك ويقول الله أعلم ويجعله من العلم الذي لا يعرفه ، فلو بلغ الإنسان في العلم ما علمه ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة إلى ما لم يعلمه . وقد قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . وأما المسألة السابعة فكونها مروية عن الصحابة فمسلم ويكفي في ذلك ما ورد عن المحدث الملهم الذي أمرنا باتباع سنته ثاني الخلفاء عمر بن الخطاب ، ولكن ليس في هذا ما يرد القول الآخر . وأما الحديث « أيا عب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » فهذا يدل على أن جمع الثلاث لا يجوز وأما كونه ألزم بها فلم يذكر في الحديث والذي يقول إنها واحدة لا يقول إن النلفظ بها يجوز بل يقول هو منكر من القول وزور كما في الحديث . وأما رد الإمام أحمد رحمه الله ذلك بمخالفة رواية له . فهذه مبنية على مسألة أصولية وهي أن

الصحابي إذا أفتى بخلاف ما روى هل يقدر فيه والصحيح أنه لا يقدر فيه فإن الحجة في روايته لا في رأيه، وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاها. وأما المسألة الثامنة وهي قول من قال : اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة فليس المراد به الأئمة الأربعة بإجماع الأمة كلهم وهم علماء الأمة . وأما قولهم اختلافهم رحمة . فهذا باطل بل الرحمة في الجماعة والفرقة عذاب كما قال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبياً اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد صعد المنبر وقال : اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي أبي فتياكم يصدر المسامحة لأجد اثنين اختلفا بعد قيامي هذا إلا فعلت وفعلت لكن قد روى عن بعض التابعين أنه قال : ما أحسب اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للناس لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ومراده شيء آخر غير مانحن فيه ومع هذا فهو قول مستدرك لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة . وأما المسألة التاسعة وهي مسألة الحلف بالطلاق فغاية ما ذكره أنه مذهب أحمد ومذهب غيره يخالفه، ومن كانت الحجة معه فهو المصيب . وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة، وبالجملة فلا تنكر إلا ما خالف أمر الله ورسوله وطريقة الصحابة وأتباعهم . وأما ما فعله الصحابة فعلى الرأس والعين . وأما قوله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) فقد بسط الكلام عليها في الهدى على وقعة أحد وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها ولا نظن إلا أنها عقل وصواب فتأمل كلامه تأملا جيدا . وأما قوله (من يعمل سوءا يجز به) وإدخال البخاري لها في كتاب الطب فمراد البخاري أن هذه الأمراض التي يكرهها العبد هي مما يكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويطهره بها لأن قوله (من يعمل سوءا يجز به) عام في جزاء الدنيا والآخرة . وأما إدخاله هذا في كتاب الطب فواضح وأهل العلم يذكرون في الباب ما هو أبعد من هذا تعلقا واستطرادا . وأما قوله « مامن مسلم يصيبه أذى » فهو عام وأما عطف الأذى على الوصب والنصب والهلم فمن عطف العام على الخاص وهو كثير جدا في كلام العرب وفي كلامنا . وأما سؤالكم هل هذا في المسلم الذي لم يصدر منه شرك بالكلية، أما الشرك الذي يصدر من المؤمن وهو لا يدري مع كونه مجتهدا في اتباع أمر الله ورسوله فأرجو أن لا يخرج هذا من الوعد ، وقد (١٣) — تاريخ نجد — أول)

صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب كحلفهم بآبائهم وحلفهم بالله وقولهم ما شاء الله وشاء محمد وقولهم اجعل لنا ذات أنواط ، ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات . وأما الذى يدعى الإسلام وهو يفعل من الشرك الأمور العظام فإذا تليت عليه آيات الله استكبر عنها فليس هذا بالمسلم . وأما الإنسان الذى يفعلها بجهالة ولم يتيسر له من ينصحه ولم يطلب العلم الذى أنزله الله على رسوله فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولا أدري ما حاله . وأما قول من قال : من الشرك التصنع للمخلوق فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذى يسمى الرياء وهو كثير جدا فهذا صحيح فى أمور لا يفتن لها صاحبها ، وأما خوف المخلوق فالمراد به الخوف الذى يملك أن تترك ما فرض الله عليك وتفعل ما حرم الله عليك خوفا من ذلك المخلوق ، وأما الرجاء فلعل المراد الذى يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده وكل هذه الأمور كثيرة جدا ، وأما قوله « الشؤم فى ثلاث » الخ . فهذا أشكل على من قبلنا حتى إن عائشة كذبتة وقالت هذا كلام أهل الجاهلية ولكنه صح وقد تكلموا فى تفسيره ولم يتبين لى معناه والله أعلم بمراد رسوله . وأما ترك الحارص الثلث فقد سمع الجماعة فيها ما تيسر ؛ وبالجمل فأرجح الأقوال فيها عندى قول أكثر أهل العلم إنه غير مطرد . بل يترك قدر ما يأكله ويخرجه رطبا باجتهاد الحارص وعلى هذا تجتمع الأدلة ويصدق بعضها بعضا . وأما ماورد من الفضل فى حفظ القرآن هل المراد حفظه مع حفظ المعانى فلا يحضرنى جواب يفصل المسألة ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد . فهذا من النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء لا أعلمه وأظنه لو وجد فى زمانهم لكان مشهورا والذى يسمى عندنا الفروع لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولا يفهمه وقد قال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وذكر ابن القيم أن هذه لو نزلت فى التوراة فالقرآن كذلك لافرق بينهما ولذلك ذم الذين يقرءون بلا فهم كقوله (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) أى تلاوة بلا فهم والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به لا مجرد تلاوته ، وأما قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين » الخ فلا أعلم له معنى غير ظاهره . وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ فلا أتجسر على الجزم بتحريمه ولكن أظنه لا يجوز فى هذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم ، من ذلك ما ذكره الله فى سورة نّ عن أصحاب الجنة (إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين) وهم لم يغلّقوا الباب بل تحيلوا بالصرام في وقت يأتي فيه المساكين. وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث «هي على ومثلها معها» فقد أخطأ خطأ واضحاً الأول أن ظني أن الحديث لا يدل على المسألة المستول عنها. فإن المسألة المستول عنها أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها، والمسألة التي قال بعض أهل علم الحديث يدل عليها ليست هذه بل إذ رأى الإمام أو الساعى أن يؤخر الزكاة لمصلحة، وهذه مسألة غير الأولى والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتشدد فيه، وسئل عن الساعى إذا أراد تأخيرها في سنة مجدية فرخص له واستدل بفعل عمر، مثال ذلك أن وليّ اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه فأراد أن يعطى الولي أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى هل يقول أحد إن هذا جائز ولو استدل أحد على جوازه ببيع وليه عقاره لمصلحة لعدة الناس ضحكة فينبغى لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة في الدليل الذى يدل عليها أو يحيل نظره في ذلك فإن كثيراً من الأغاليط وقعت في مسألة واضحة جداً ويستدل بشيء من القرآن أو السنة وهو لا يدل على ذلك كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب) الآية، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه. المسألة الثامنة سئل الشيخ رحمه الله عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب: توحيد الربوبية هو الذى أقرببه الكفار كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة وكانوا يقولون إن الله سبحانه هو إله الآلهة لكن يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الصالحين والملائكة وغيرهم يقولون إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده. فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين؛ وقد استدل عليه سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعونه ويدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا. وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية

ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات والله أعلم . المسألة التاسعة سئل رحمه الله ما قول الشيخ رحمه الله في تسمية المعبودات أربابا إذ الرب يطلق على المالك والمعبود على الإله ، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم . والجواب : الرب والإله في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة فالرب من المالك والتربية بالنعم والإله من التأله وهو القصد لجلب النفع ودفع المضرّة بالعبادة ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك أى لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلهها . المسألة العاشرة سئل رحمه الله عن مسائل : (الأولى) أحاديث الوعد والوعيد وقول وهب بن منبه « مفتاح الجنة : لا إله إلا الله » الخ (الثانية) حديث أنس « من صلى صلاتنا » الخ . (الثالثة والرابعة) شيء من أحاديث الوعد والوعيد (الخامسة) الحديث الذى فيه « يخرج من ثقيف كذاب » الخ (السادسة والسابعة) قوله « ألا أخبركم بأهل الجنة » الخ . فأجاب : الحمد لله الذى يجب العلم به أن كل ما قال الرسول حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه ، وفي القرآن آيات في الوعد والوعيد كذلك وأشكل الكل على كثير من الناس من السلف ومن بعدهم ، ومن أحسن ما قيل في ذلك اقرءوها كما جاءت معناه لا تتعرضوا لتفسير لا علم لكم به . وبعض الناس تكلم فيها ردا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب ويخلدون أصحابها في النار أنه ينفي الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه كقوله للأعرابي « صلّ فإنك لم تصل » والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع وهو الموافق لقوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) الآية . إذا فهمت ذلك فالمسألة الأولى واضحة ومراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال . وأما إذا أتى به وبالأعمال وأتى بسيئات ترجع على حسناته أو تحبط عمله فلم يتعرض وهب لذلك بنفى ولا إثبات لأن السائل لم يروه . وأما الثانية وهى قوله « من صلى صلاتنا » فهو على ظاهره معناه لو عرف منه النفاق فما أظهره نفاق وعليه وباله ، وإلا فمعلوم أن من صدّق مسيما أو أنكر البعث أو أنكر شيئا من القرآن أو غير ذلك من أنواع الردة أنه لم يدخل في الحديث . وأما الثالثة والرابعة التى فيها أحاديث الوعد والوعيد فسبقت لجرائها . وأما قولها أما الكذاب فقد عرفناه هو رجل من ثقيف خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت

وانتصر وقتل من قتلهم ثم ملك العراق. وغلط مرة فسير إليه ابن الزبير عسكرا فقتلوه وفتحوا العراق لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة ، وأما المير وهو الذى يفتى الناس بالقتل فهو الحجاج المعروف . وأما السادسة فلا علمت أن الحديث صحيح . وأما السابعة فقوله كل ضعيف فهو ضد القوى. والمتضعف قيل إنه المتواضع، والعتل قيل هو الغليظ الجافى والزيم المعروف بالشر والمتكبر معروف والذى لا زبر له فسرره بقوله : لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والشنظير فسرره بالغاش وباقي الأوصاف فى الخير والشر معروفة. المسألة الحادية عشرة سئل رحمه الله عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه هل هو صحيح أم غير ذلك أيضا؟ يفهمنى عبد الوهاب فى خط للموصلى أنك مارضيت قوله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته حتى إنى أفكر فيها ولا بان لى فيها شئ، أيضا سوى المذكور عند النووى « اللهم إنى أسلمت نفسى إليك » الخ بين لى معناه جزاك الله خيرا . الجواب الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث. فإن كنت قد حفظت القرآن أو شيئا منه ثم نسيته فودى أن تعود إليه. وأما قوله فى الخطبة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته فعجب كيف يخفى عليك هذا الألوهية ، والمذكور فى الخطبة توحيد الربوبية الذى أقر به الكفار . وأما قوله « اللهم إنى أسلمت نفسى إليك » فترجع إلى الإخلاص والتوكل ، ولو كان بينهما فروق لطيفة والله أعلم. الثانية عشرة قال السائل عفا الله عنك خطبت ووقفت على يوم يبعثر من فى القبور ، ويحصل ما فى الصدور ، ثم قلت جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بارك الله لى ولكم الخ ، ولا فطنت إلا بعد ما انقضت الصلاة وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ويعيد الخطبة والصلاة ، ثم تأملت يوم يبعثر ما فى القبور ويحصل ما فى الصدور وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزى ثم كثر علىّ الهم والتردد ، وأيضا عفا الله عنك عندى دبش ولى عيل وحار تطلع نفسى لمنزلة الفقراء ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر ، ويعارض ذلك أى الفقير الصابر أو الغنى الشاكر أفضل وقوله صلى الله عليه وسلم « أن تذر ورثتك » الخ بين لى حد الشكر وحد الصبر أيضا. قوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله صادقا » الحديث واللفظ الآخر « مخلصا دخل الجنة ». مامعنى الصدق والإخلاص والفرق بينهما. أيضا حديث البطاقة وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت فى كفة والبطاقة

في كفة فرجت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص، وما تقول فيمن خالف شيئاً من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه وما معنى « كل ذنب عصي الله به شرك » وهل يقع في جزء من الكفر، والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صفه، وما معنى قول من قال كفر دون كفر وقول من قال نعمة أي نعمة أيضاً وماذا ترى في الرؤيا التي ذكرت لك أيضاً تذكرت في الإيمان قوته وضعفه وإلا فمحله القلب فإن التقوى ثمرته مركبة عليه فبقوته تقوى وبضعفه تضعف، وهذا فهمي ولكن ورد على شبهة اعرف اعرف من خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعدييات ولا سيما أموال الناس . ألا والعبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة أي شيء ترى ذلك منه وما ذكرت لك في أول السؤال صحيح أم لا . الجواب وبالله التوفيق : أما مسألة الخطبة في الجمعة فلا علمت فيها خلافاً وأرجو أن تكون تامة . وأما مسألة الغنى والفقر فالصابر والشاكر كل منهما من أفضل المؤمنين وأفضلهما أتقاهما كما قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وأما جد الصبر وحد الشكر فلا عندي علم إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع والشكر أن تطيع الله بنعمته التي أعطاك . وأما قوله من قال « لا إله إلا الله صادقاً » والحديث الآخر « مخلصاً » فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة . ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال بهما ارتفع القوم ولكن يقربها إلى الفهم التفكير في بعض أفراد العبادة مثل الصلاة والإخلاص ؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى أفرادها عما يخالف كثيراً من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك ، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع ولو أبغضه الناس في ذلك، وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه والأعمال بالخواتيم مع أن على بقيته إشكال والله أعلم . وأما معنى كل ذنب عصي الله به شرك أو كفر، فالشرك والكفر نوع والكبائر نوع آخر والصغائر نوع آخر . ومن أصرح ما فيه حديث أبي ذر فيمن لقي الله بالتوحيد قوله « وإن زنى وإن سرق » مع أن الأدلة كثيرة . وإذا قيل من فعل كذا فقد أشرك أو كفر فهو فوق الكبائر وما رأيت مني ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذي هو أخفى من ديب النمل وقول القائل كفر نعمة خطأ رده الإمام أحمد وغيره . ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره ؛ والرؤيا أرجو أنها من البشرية ولكن الرؤيا سر المؤمن ولا تغره وقولك إن الإيمان محله القلب ؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب

والجوارح جميعا كما ذكره الله تعالى في سورة الأنفال وغيرها . وأما كون الذى فى القلب والذى فى الجوارح يزيد وينقص فذاك شئ معلوم ؛ فالسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سلب الإيمان كله . وأما الشبهة التى وردت عليك إذا كان الرجل مخالفاً دين الإسلام ويصد عنه ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات فأنت خابر أن الإنسان يكفر بكلمة واحدة فكيف الصد عن سبيل الله واذكر قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) فإذا كانت الكراهة تحبط الورع الذى تذكر فكيف الصد مع الكراهة ، واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع والله أعلم . المسألة الثالثة عشرة سئل رحمه الله ما يقول الشيخ شرح الله صدره ويسر أمره فى مسائل أشكلت علىّ فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية وأشوفك قليل التصريح عليها عند تقرير التوحيد للألوهية ويشكل علينا أيضاً كون مشركى العرب أقروا به يكون من غير معرفة لوضوحه أم توغلوا فى التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة أم زعمتم أن هذا شئ يرضاه الرب أم كيف الحال ، وأيضاً كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين من إزال الكتب وإرسال الرسل إنها نافية لجميع المقصودات المسماة بالإلهية الباطلة إذا صيرها لقصد فتسمى بذلك من غير استحقاق لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة ، والواحد فى القصد هو الواحد فى الخلق ، أرى بعض الناس تكلم فى معناها وعلمها وأن لفظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئاً لكن نظرت فى حديث الشفاعة الكبرى عند قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه حتى قال « أنذن لى فيمن قال لا إله إلا الله » هذا مشكل علىّ جداً وفهمى قاصر عن معرفته إذا كان كلمة التوحيد هى الغاية وتقييدها بالمعرفة ، وإخراجه صلى الله عليه وسلم أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان فأنت جزاك الله خيراً بين لى معنى هذه الكلمة لا أضل ولا أضل وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم فى الربوبية ما فهمى جيد فى الألوهية فلما بان لى شئ من معرفتها واتضح لى بعض المعرفة فى الألوهية فى ضرب المثل أن فيصل ما استعبد لعدو إلا لأهل كبر ملك عدير مع أنه قبيل له ، وأظن غالب الناس كذلك وفيهم من يرى الربوبية ، ولا يعتبرها ويتهاون بها وهذا نسمعه من بعضهم فجزاك الله خيراً صرح لى بالجواب ؟ فأجاب : إلى الأخ حسن ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد سرنى ما ذكرت من

الإشكال وانصرافك إلى الفكر في توحيد الربوبية، ولا يخفأك أن التفصيل يحتاج إلى طول، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله. فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائج والتوكل من أعلا مقامات الدين ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) الآية. وأما عبادته سبحانه وتعالى بالإخلاص دائماً في الرخاء والشدة فلا يعرفونها، وهي نتيجة الإلهية، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسول وغير ذلك. وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية. وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكير لا بالمطالعة وفهم العبارة. وأما الفرق بينهما فإن أفرد أحدهما مثل قوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهو توحيد الإلهية مثل قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وأمثال ذلك، فإذا قرن بينهما فسدت كل لفظة بأشهر معانيها كالفقير والمسكين. وأما ما ذكرت من الجاهلية كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية فهل هو كذا وكذا فهو بمجموع ما ذكرت وغيره، وأعجب من ذلك وما رأيت وما سمعت ممن يدعى أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث مجلدات ثم يشرح البردة ويستحسنها ويذكر في تفسيره وشرحه للحديث إنه أشرك ويموت ما عرف ما خرج من رأسه. هذا هو العجب العجيب، أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم ولا يعرفون جنة ولا ناراً ولا رسولا ولا إلهاً. وأما كون لا إله إلا الله تجمع الدين كله وإخراج من قالها من النار إذا كان في قلبه مثقال ذرة فلا إشكال في ذلك. وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ ولا يلزم من ذهاب بعضه ذهاب كله بل هذا مذهب الخوارج فالذي يقول الأعمال كلها من لا إله إلا الله فقوله الحق، والذي يقول يخرج من النار من يقولها وفي قلبه من الإيمان مثقال ذرة فقوله الحق، والسبب ما ذكرت لك من التجزؤ وسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبي حنيفة وأصحابه في زعمهم أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام. المسألة الرابعة عشرة سئل رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»

الح إلى أن قال «أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشروهم فيتسكلوا» ومعنى لا يدخل أحد الجنة بعمله أيضا . ما معنى عقد اللحية والضرب بالأرض هو الذى تعرف أن بعضهم يخط خطوطا ثم بعدها إن ظهرت شفعا فكذا وإن ظهرت وترا فكذا أم غير ذلك وتفسير الحسن الجب برنة الشيطان مارنة الشيطان وحديث «من ردت الطيرة فقد أشرك ، وكفارة ذلك أن تقول : اللهم لا طير إلا طيرك» الح ، أم كيف يزول ذلك الشرك فهذا اللفظ مع أن الطيرة محاصرة باطنة واللفظ وحده لا يفيد أو فائدة قليلة وما معنى الفخر والظعن وما معنى مكر الله بالعبد وما الفرق بين الروح والرحمة وما معنى «لا يؤمن أحدكم حتى يحب» ذاتا أو رثته المتابعة ومعرفة الدين أو إثبات متابعة الأمر والنهى عن ورود الشهوات . وأيضا كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن أم هى كسوة بدن حتى يحول عليها الحول ، وأيضا قيد البكسوة بالحول صواب . وأيضا إذا كان صوابا فهل هو بكل أحد للعالي والمتوسط والدانى أم فيها تفصيل . وأيضا إذا عريت قبل مضى الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا . وأيضا إن مضى بعض الحول . الجواب أما حديث معاذ فمعنى عند السلف الحلال ظاهر وهو من الأمور التى يقولون أمروها كما حاءت أعنى نص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه . وأما قوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فتملك مسألة أخرى على ظاهرها وهو أن الله لو يستوف حقه كما يستوفى السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة ولكن كما قال الله تعالى (لا يكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) الآية . وعق اللحية لا أعلمه لكن ذكر فى الآداب ما يقتضى أنه شئ ، يفعله بعض الناس فى الحرب لاعلى وجه التكبر . وأما الضرف فهو مشهور جدا حتى إن بعض الناس يخط فمن وافق خطه فذاك ، والذى يبدو للذهن أنه عام فى كل أنواع الخط وخط ذلك النبى عدم لا يوجد من يعرفه ، ورنه الشيطان لا أعرف مقصود الحسن بل عادة السلف ففسرون اللفظ العلم ببعض أفراد . وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراد . وهذا كثير فى كلامهم جدا ينبغى التفتن له ، وقوله فى الطيرة «وكفارة ذلك أن تقول» الح . فالطيرة تعم أنواعا منها ما لا إثم فيه كما قال عبد الله وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل فإذا وقع فى القلب شئ وكرهه ولم يعمل به بل خالفه وقال لم يضره فإن قال من الحسنات شيئا فهو أبلغ وأثم فى الكفارة ، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفى أو الظاهر ثم تاب وقال

هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك . وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذى يذكر عن مناقب الآباء السالفين التى نسميها المراحل . إذا تقرر هذا ففخر الإنسان بعمله منهى عنه فكيف افتخاره بعمل غيره ؟ وأما الطعن فى الأنساب ففسر بالموجود فى زماننا ينتسب إنسان إلى قبيلة ويقول بعض الناس ليس منهم من غير بيئة بل الظاهر أنه منهم . وأما مكر الله فهو أنه إذا أعطاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه . وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه ولعله فرق لطيف لأن الروح فسر بالرحمة فى مواضع . وأما قوله « لا يؤمن أحدكم » الخ فسر بأن المراد اعتقاد ذلك بالقلب والعمل بذلك الاعتقاد فإذا كان فى القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك . وأما كسوة العرس وتقييد الكسوة بالحول مطلقا ومقيداً فالذى يفق به أن هذه الأمور ترجع إلى عرف الناس وهو مذهب الشيخ وابن القيم وأظنه المنقول عن السلف، فأما فى العدة فعليه الكسوة والنفقة والله أعلم . المسألة الخامسة عشرة وسئل عفا الله عنه عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير كذلك قول الله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة إلى قوله سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم) ما معنى هذا التكرار هل هو تأكيد أم غير ذلك وعن الإيمان والإسلام هل هما نوع واحد أم نوعان وعن حديث القرض الذى يقال إنه فى ثمانية عشر ضعفاً صحيح أم لا . الجواب ذكروا أن التكبير مناسب فى الأذان لأنه مشروع على الأمكنة العالية كقوله « كنا إذا هبطنا سبجنا وإذا علونا كبرنا » وأما قوله شهد الله إلى آخره فذكروا فى تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به ، وليس هذا ثناء على نفسه مجرد بل هو قيام بالقسط . وأما الكلمة الثانية فهى تعليم وإرشاد . وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان كقوله (فإن أسلموا فقد اهتدوا) وكذلك الإيمان إذا أفرد كقوله فى الجنة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكرهما معاً كقوله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة كما فى الحديث « الإسلام علانية والإيمان فى القلب » وقوله سبحانه فى الحديث « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة » إلى آخره يوافق ما ذكرناه فإن الإيمان أعلى من الإسلام ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر فيخرج الإنسان من الإيمان إلى

الإسلام الذي ينفعه وإن كان ناقصا كما في آية الحجرات (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا . وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لا يستلزمه ، وحديث القرض لا يصححه الحفاظ والله أعلم .

المسألة السادسة عشرة سئل رحمه الله تعالى عن مسائل : (الأولى) قوله في باب حكم المرتد أو استهزا بالله وكتبه أو رسله كفر وما وصف هذا الاستهزاء المكفر (الثانية) قول الشيخ وكان مبغضا لما جاء به الرسول اتفاقا فمأعنى هذا وقوله أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال .

(الثالثة) قولهم أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين كفرًا وصف هذا الدين والقول المكفر . (الرابعة) قوله أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك هل المعنى نطق بها ولم يعرف شرحها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره . (الخامسة) قولهم ومن أطلق الشارع كفره كدعواه إلى غير الله إلى آخره فلا علماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب . (السادسة) الذبح للجن قال الشيخ : وأما ما يذبحه الآدمي خوفا من الجن فمنهى عنه ونحن لم نفهم إلا هذا من النهي ، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف . (السابعة) قولهم إذا دعاه إمام أو نائبه وقولهم ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية هل التغلب على بلد حكمه حكم الإمام في الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعا أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فحاكمه . (الثامنة) المسائل الفروعية من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى وغيرها عندنا أتعلمها وتعليمها بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له أنه هو الفقه المتفق على فضله وهو العلم النافع وهو الأفضل بعد الجهاد وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم في بعض المسائل أم الفتوى من المطولات فربما أطلقوا الأقوال فلم ندر ما نفق به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح ونحن فرضنا التقليد فما نفق به منه . (التاسعة) بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لا يقتل إلا بعد الاستتابة وقبلها ثبوت الردة فما الجواب . (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين وقولهم يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل يستحب ، قال أحمد إنه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه؛ وقال أحمد وغيره في قوله عليه السلام « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » الاستعاذة لا تكون بمخلوق فمأعنى

هذا الكلام وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم في الشرح قال إبراهيم الحربي الدعاء عند قبر معروف الترياق المجيد فامعنى هذا الكلام قال في الفروع : قال شيخنا قصده الدعاء عند رجاء الاحابة بدعة لاقرية باتفاق الأئمة فامعنى هذا الكلام . (الحادية عشرة) قال في الإقناع في آخر الجنائز : ولا بأس بلمسه أى العير باليد وأما التمسح به والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره أو النذر له ونحو ذلك . قال الشيخ وليس هذا من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التى هى من شعب الشرك هل هذا شرك أصغر أم أكبر مع قوله هناك فى باب النذر قال الشيخ النذر للقبور وأهل القبور كالنذر لإبراهيم عليه السلام أو الشيخ فلان نذر معصية لايجوز الوفاء به مع قوله فى الجنائز قبله فل فى الشرح : يكره البناء على القبور إلى أن قال ابن القيم يجب هدم القباب إلى أن قال ويكره المبيت عنده وتخصيصه وتزويقه إلى آخره إلى أن قال فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم ؟ أفدنا جزاك الله خيراً ؛ فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام فسرلى ما ذكرت ألهمك الله التوفيق ولا تعتذر من السؤال فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك كما قالوا : مفتاح العلم السؤال ، ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لايفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة ولو كانت واضحة ، وهذه المسائل من العلوم المهجورة كما ذكرت فعل الطلبة فى باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجل العلوم وأشرفها لاتستح من المراجعة وكثرة السؤال مابقى عليك شئ من الإشكال وقولك إن أهل العلم لم يشرحوها فكثير من الكتب لم يوجد عندهم وإلا جميع ما ذكرت قد شرحوه . فالمسألة الأولى قد استدلل العلماء عليها بقوله تعالى فى حق بعض المسلمين المهاجرين فى غزوة تبوك ، (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ، وصفة كلامهم أنهم قالوا مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب أسناً ولا أجهن عند اللقاء ، يعنون بذلك رسول الله والعلماء فى الصحابة فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان ولو كان على وجه المزح ، والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله

جادا أو لاعبا. إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله عز وجل بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب على وجه الجد وأنه لا يستحق هذا وأنه ليس بأكبر الناس ذنبا ، وكذلك من يدعى العلم والفقہ إذا استدللنا عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء وهذه المسألة لعلك لا تحررها تحريراً تاماً إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيرا من الناس لا ينكرها لو سمعها . الثانية قوله أو كان مبغضا لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله لكن بغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه فما هو حال من يدعى العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى بل يعادون من التفت إليه ويحلون دمه وماله ويرمونهم عند الحكم ، وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك بل هو أول ما نذر عنه وأعظم ما نذر عنه ويقرون أنه أتى بهذا ويقولون خلق الله ما ينهون وينصرون بالقلب واللسان واليد والتكفير بالإنفاق فيمن أبغض النهى عنه وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم ولم ينصر فكيف إذا فعل ما فعل ، وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعا ، وذكروا أن هذا بعينه هو الذي يفعله أهل زمانهم عند القبور فكيف بزماننا ؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكر هذا وذكر بعده أنواعا من الكفر المخرج عن الله قال : لقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية انتهى كلامه في شرح الإقناع . فإذا كان هذا في زمنه لم يذكره عن عشرة أو مائة بل عمت البلوى في مصر والشام في زمن الشارح فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام في زمن الشارح فتفطن لهذه المعاني وتدبرها تدبراً جيداً . واعلم أن هذه المسألة أمّ المسائل أو لها ما بعدها فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر خصوصا إذا عرف ما فعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها وما فعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد في مكة سنة الحبس مع أهل قبة بني أبي طالب وإفتائهم بقتل من أنكر ذلك ، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله وأن الحرم الذي يحرم اليهودي والنصراني لا يحرمهم ثم تفكر في الأحياء الذين صالوا معهم هل تابوا من فعلهم ذلك وأسلموا وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس والمويس وابن إسماعيل وأحزابهما إلى اليوم علماء يعظمون ويترحم عليهم ومن دعا

الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين فآله الله استعن بالله في فهم هذه المسألة واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب في تحرير هذه المسألة لم يكف كثيرا والفكرة فيها في أمرين : أحدهما في صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء .

(الفكرة الثانية) إذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الرسل أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأقر به من أقر كيف فعلوا وكيف أحيوه ودخلوا فيه أم عادوه وصدوا الناس عنه ، وكذلك لما عرفت ما جاء به من إنكار الشرك والوسائط وعرفوا قول العلماء إنه الذي عمت به البلوى في زمانهم هل فرحوا بالسلامة منه ونهوا الناس عنه أم زينوه للناس وزعموا أن أهله السواد الأعظم وثبتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال وجاهدوا في تثبيته كجهاد الصحابة في زواله فالله الله بادر ثم بادر ثم بادر فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم . « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فأنت تعرف بدء يوم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم من معك على هذا قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، وقد قال الفضل بن عياض وهو في زمانه وهو قبل الإمام أحمد أترك طريق الحق لقلة السالكين ولا يغرك الباطل لكثرة المهالكين ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وما أشكل عليك من هذا فراجع فيه ، فإن كلام العلماء في أنه الشرك الأكبر وأنه اشتهر عند كثير من أن يحصر (وأما الثالثة) فالقول الصريح في الاستهزاء بالدين مثل ما قدمت لك ، وأما الفعل فمثل مد الشفة وإخراج أدر من العين مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة فكيف بالتوحيد (الرابعة) إذ انطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريحا واضحا أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه . وأما كونه أنه لا يعرف أنها لا تكفره فيكفي فيه قوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) ثم يعتذرون للنبي صلى الله عليه وسلم ظانين أنها لا تكفرهم والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون - وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) أیظن أن هؤلاء ليسوا كفارا ولاكن لا تستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها ، ومن أحسن ما يكشف لك الإشكال

ما قدمت لك بإجماع العلماء أن هذا أكثر من زمانهم، وأيضا علماء بلدانهم أكثر من علماء من بلدانكم (الخامسة) أن من أطلق الشارع كفر بالذنوب فالراجح فيها قولان: أحدهما ما عليه الجمهور أنه لا يخرج من الملة. والثاني الوقف كما قال الإمام أحمد أمروها كما جاءت يعني لا يقال يخرج ولدائة يخرج وما سوى هذين القولين غير صحيح (السادسة) قوله الذبح للجن منهى عنه فاعرف قاعدة أهلها أهل زمانك وهي أن لفظ التحريم والكراهة وقوله لا ينبغي ألفاظ عامة تستعمل في المكفرات والمحرمات التي هي دون الكفر وفي كراهة التنزيه التي هي دون الحرام مثل استعمالها في المكفرات قولهم لا إله إلا الله لا ينبغي العبادة إلا له وقوله (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) ولفظ التحريم مثل قوله تعالى (قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركو به شيئا) وكلام العلماء لا ينحصر في قولهم يحرم كذا لما صرحوا في مواضع أخر أنه كفر وقوله يكره كقوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وأما كلام الإمام أحمد في قوله أكره كذا فهو عند أصحابه على التحريم.

إذا فهمت هذا فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج، وقالوا الذبيحة حرام ولو سمي عليها، قالوا لأنها يجتمع فيها مانعان: الأول أنها مما أهل به لغير الله، والثاني أنها ذبيحة مرتد والمرتد لا تحل ذبيحته وإن ذبحها للأكل وسمى عليها، وما أشكل عليك في هذا فراجعني وأذكر لك لفظهم بعينه (السابعة) إذا ادعاه إمام أو نائبه فالأئمة تجمعون في كل مذهب أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس في زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرف أن أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم، وقولك هل يجب عليك فنعم يجب على من قدر عليه وإن لم يفعل أثم، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرون على جرده كما إني لما أمرت برجم الزانية قالوا لا بد من إذن الإمام فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها (الثامنة) مسائل: الحلال، والحرام، والبیوع، والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال، ولكن تفصيل ما ذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لا تحتمله الأوراق ولعله بالمذاكرة إذا التقينا

إن شاء الله (التاسعة) لا يقبل المرتد إلا بعد الاستتابة فهذا صحيح ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بالاستتابة والتي من الاستتابة (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين وقول أحمد بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخس بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقر ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصر قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو الله مخلصا له الدين فأين هذا مما نحن فيه . (المسألة الحادية عشرة) في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده فليس هذا من دين المسلمين فهذا هو الصواب بلا ريب وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف تريق مجرب فهذا لا ينكر لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر ويرجعون الراجح أو يتوقف بعضهم ، ولكن كلام الشيخ ضد كلام الحربي مخالف له منكر له ، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج الصحيحان « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإنهم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات » فتدبر هذا وأرعه سمعك وأحضر قلبك إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس إلا إن استجابوا للتوحيد فكيف بمن لا يهتم في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد مع ما يراه من سب الناس للتوحيد واستحلالهم دم من دان به وماله ودعوتهم إلى الشرك الأكبر ودعواهم أن أهله السواد الأعظم ، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرها قالوا ما خلفنا والناس يكذبون علينا وعرفنا الكذب وإلا جميع ما جرى منهم لم يقرؤا به ولم يتوبوا منه ، والرسول صلى الله عليه وسلم هذه وصيته لمعاذ ، فانق الله في تدبر هذا الحديث وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد . وأما المسائل التي

ذكر في الجنائز من لمس القبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء أو كذا وكذا فهذا أنواع. أما بناء القباب عليها فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر وكذلك الصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك كما صرح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر العلماء أنه يجب التغليظ في هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك : كما أنه أول ما حدث في الأرض بسبب ودّ وسواع ويعقوب ونسر لما عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة ثم بعد ذلك بقرون عبدوا فكذلك في هذه الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك ، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك ، وأول ما جرى من هذا أن بنى أمية لما بنوا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوه واشتروا بيوتا حوله ، ولم يمكنهم إدخال بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي فيه قبره وقبر صاحبيه ، ولكن أدخلوا البيت في المسجد لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك لكن قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك . فانظر إلى سد العلماء الذرائع . وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو لما من الشرك الأكبر فتأمل ما ذكره البغوي في تفسير سورة نوح في قوله تعالى (وقالوا لاتدرن آلهتكم ولا تدرن) الآية وما ذكر أيضا في سورة النجم في قوله (أفأرأيتم اللات والعزى) أن اللات قبر رجل صالح . فتأمل الأصنام التي بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين والحمد لله رب العالمين وهذا آخر ما وجد في ذلك وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة السابعة عشرة) سئل رحمه الله عن الجد هل يكون بمنزلة الأب في الميراث ، وما حجة من قال بذلك وعن قسم المال جزافا وما معنى الاحتساب في نفقة الأهل وعن قول إبراهيم عليه السلام (رب أرني كيف تحيي الموتى) وقوله في كلام البقر والذئب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» إلى آخره ، فأجاب رحمه الله : أما كون الجد أبا فرجح بأمور : أحدها العموم ، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله (يا بني آدم). الثاني محض القياس كما قال ابن عباس : ألا يتق الله زيد يجعل ابن الابن ابنا ، ولا يجعل أبا

(١٤ — تاريخ نجد — أول)

الأب أبا . الثالث أنه مذهب بن بكر الصديق . الرابع أن الذين ورثوا الإخوة معه اختلفوا في كيفية ذلك كما قال البخاري لما ذكر قول الصديق ، ويذكر عن علي وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة . الخامس أن الذين ورثوهم لم يجزموا بل معهم شك وأقروا أنهم لم يجدوه في النص لا بعموم ولا غيره . السادس وهو أبينها كلها أن هذا التورث وكيفية لو كان من الله لم يتصور أن يهمله النبي صلى الله عليه وسلم مع صعوبة والاختلاف فيه بالكلية . وأما حجة المخالف منهم فقرون أنه محض رأى لاحجة فيه إلا قياسا فيما زعموا . وأما قسم المال جزافا فأرجو أنه لا بأس به كما في ثمرة النخل . وأما المساواة كما أردتم فلا أدري وأنا أكرهه . وأما معنى الاحتساب في نفقة الأهل فمشكل على . وأما قوله (رب أرني كيف تحيي الموتى) فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنا فإذا كان محتاجا إلى الأدلة التي توجب له الطمأنينة فكيف بغيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح « نحن أحق بالشك من إبراهيم » وأما قوله في كلام البقرة والذئب « آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » وليس في ذلك المكان فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم فلما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلك مع إيمانهم فقال « آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذي طلب إبراهيم في مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا في المجلس محل ذلك ، على أن إيمانها أعلى من إيمان غيرهما خصوصا لما قرنها بإيمانه صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فأمر الإيمان من الأمور الميتة لكن لعلمكم تفهمون منها شيئا إذا قرأتم في كتاب الإيمان والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة الثامنة عشرة) سئل رحمه الله عن قوله تعالى قال (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) الآية . فأجاب رحمه الله : اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شيء ، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعون فيه وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة ، وأزل هذا الكتاب المبارك الذي جعله تبياننا لكل شيء وجعله هدى لأهل القرن الثاني عشر ومن بعدهم كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم ومن أعظم البيان الذي فيه بيان الحجج الصحيحة والجواب عما يعارضها وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها فلا إله إلا الله ماذا حرمه المعارضون عن كتاب الله من الهدى والعلم ولكن لا معطى لما

منع الله وهذه التي سألت عنها فيها بيان بطلان شبه يحتج بها بعض أهل النفاق والريب في زماننا هذا في قضيتنا هذه ؛ وبيان ذلك أن هذه في آخر قضية آدم وإبليس وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما ما يجلّ عن الوصف ؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرقا له ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص في حقه إذا خضع لواحد دونه في السن ودونه في الأصل على زعمه فلم يطع الأمر واحتج على فضله بحجة وهي أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم ولا ينبغي أن الشريف يخضع لمن دونه بل العكس ، فعارض النص الصريح بفعل الله الذي هو الخلق فكان في هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئا من أمر الله ورسوله واحتج بما لا يجدي فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل بل طرده ورفع آدم وأسكنه الجنة فكان مع عدو الله من الحفظ والفظنة ودقة المعرفة ما يجلّ عن الوصف فتحيل على آدم حتى ترك شيئا من أمر الله وذلك بالأكل من الشجرة واحتج لآدم بحجج فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه ، ثم قال :

(اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى) يقول تعالى لأجلينكم عن وطنكم فإن بعد هذا الكلام وهو أني أرسل إليكم هدى من عندي لا أكلّم إلى رأيكم ولا رأي علمائكم بل أنزل عليكم العلم الواضح الذي يبين الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والنافع من الضار) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن ، فمن زعم أن القرآن لا يقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى فإنه على هذا القول الباطل لا يكون هدى إلا في حق الواحد من الآلاف المؤلفة . وأما أكثر الناس فليس هذا في حقهم بل الهدى في حقهم أن كل فرقة تتبع ما وجدت عليه الآباء فما أبطل هذا من قول وكيف يصح لمن يدعى الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن . ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجرى عليها ما جرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض قال (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا في القرآن ظن السوء . قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل

بما فيه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحي لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون كما قالوا قلوبنا غلف فرد الله عليهم بقوله (بل لعنهم الله بكفرهم) فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأي فتجدهم في المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح والذي ذكره الله في كتابه في تلك المسألة بعينها لا يعرفونه .

والحاصل أنهم يقولون لا نترك القرآن إلا خوفاً من الخطأ ولم نقل على ما نحن فيه إلا للعصمة فمكس الله كلامهم وبين أن العصمة في اتباع القرآن إلى يوم القيامة . وأما قوله (ولا يشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه في الآخرة ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا ، فقد ذكر الله أن من اتبع القرآن أمن من المحذور الذي هو الخطأ عن الطريق وهو الضلال وأمن من عاقبته وهو الشقاء في الآخرة ، ثم ذكر الفريق الآخر الذي أعرض عن القرآن فقال (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وذكر الله هو القرآن الذي بين الله لحلقه فيه ما يحب ويكره قال الله تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآيتين ، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين : إحداها المعيشة الضنك ففسرها السلف بنوعين : أحدهما ضنك الدنيا ، وهو أنه إن كان غنيا سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن في جميع الدنيا حتى يأتيه الموت ، ولم يتهن بعيش . الثاني الضنك في البرزخ وهو عذاب البرزخ ، وفسر الضنك في الدنيا أيضا بالجهل فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما فصار في هذا مصداق قوله في الحديث عن القرآن « من ابتغى الهدى من غيره أضله الله » فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم فإنهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غناء أنفسهم وعذاب أبدانهم بأن سلط عليهم الظلمة والفقر وأغرى بينهم العداوة والبغضاء فإن أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة ، ثم قال تعالى : (ونحشره يوم القيامة أعمى) والعمى نوعان : عمى القلب . وعمى البصيرة ، فهذا المعرض عن القرآن لما عميت بصيرته في الدنيا عن القرآن جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى . قال بعض السلف أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع في الدنيا (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) فذكر الله أنه يقال له

هذا بسبب إعراضك عن القرآن في الدنيا وطلبك العلم من غيره . قال ابن كثير في الآية (ومن أعرض عن ذكرى) أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى : أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداة فإن له معيشة ضنكا أى في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم ، وظاهر أن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله ، ثم ذكر كلاما طويلا وذكر ما ذكرته من أنواع الضنك والله سبحانه وتعالى أعلم . (المسألة التاسعة عشرة) سئل رحمه الله عن رجل خاشد خشداً وطلبوا ضمان أخيه وقال له أخوه لا أضمن عليك إلا أن ترهننى رهانة وأرهنه نصف نخلة في هذا الدين الذى ضمن والنصف الآخر مرهون عند غيره وعليه دين غير هذا كثير وذكر لنا عنك أن الرهن لا يصح وأن ديانه مشتركون فيما عنده ، وهذه كثيرة الوقوع وغالب من يدينونه الديانون فقير فإن لم يصح له رهن ولا وفاء إلا من الجميع ولم يحجر عليه فاذا ذكر لنا صورة المسألة وأنا طالعها ولا رأيت الاختلاف إلا في التبرعات المالية كالعتق والصدقة ، وذكرنا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله ، وخالف الشيخ ابن تيمية في ذلك وقال لا ينفذ لأن عليه واجبا . وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئا فأنت اذكر لنا من مأخذ المسألة والذى ظهر لنا في هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم أو من أن يستغرق الدين ماله لم ينفذ تصرفه ويلزم على هذا لوازم كثيرة فأنت اذكر لنا شيئا نعتمد عليه فإن الخطب كبير أفتنا مأجورا .

أجاب رحمه الله صورة المسألة أن الراجح الذى عليه كثير من العلماء أو أكثرهم أن الرهن لا يلزم إلا بالقبض وقبض كل شئ هو المتعارف وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له ورفع يد الراهن عنه هذا هو القبض بالإجماع ومن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضا خارج الإجماع مع كونه زورا مخالفا للحس . إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا بلزوم هذا الرهن إلا لضرورة وحاجة فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس ويخون في أمانته لمسألة مختلف فيها فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور في هذه المسألة ، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله في إيجاب العدل وتحريم الحيانة فهذا هو الأقرب قطعاً ، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لا يلزمون ذلك إلا برفع يد الراهن وكونه في يد المرتهن . وأما قولك لم أخبر بالخلاف إلا في الصدقة والهبة فهذا

هو العجب أترأهم يطلون العتق الذي هو من أحب الأشياء إلى الله ، وسيرى في تلك
الفقير ويردون الصدقة بعد ما يأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء من المدين ويمنعونه
في الرهن ولو كان صحيحا . وأما قولك إن صح هذا لم محتج إلى الحجر فيقال إن الحجر
يمنع تصرفه مطلقا ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغيراء . وأما هذه المسألة فتصرفه
صحيح كله إلا ما عصى الله فيه ورسوله وخان أمانته وظلم الناس فهذا هو المطابق للعقل
والنقل ولكن هذا أوحشته الغربة كما استوحش من إنكار الشرك والله أعلم .

(المسألة العشرون) سئل رحمه الله عن هذه المسألة وهي قلب الدين في ذمة المدين بتمر
أو غيره . فأجاب بقوله من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل : سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد وصل كتابك فسئل عن المسألة التي يفعلها كثير إذا ورد له
على رجل دراهم وأراد أن يقلبها زاد أو خراج من بيته دراهم وصحح بها وأوفاه بها وأنا قد
ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التي ينكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة وأغلظوا
القول في أهلها ، وذلك أن عندهم لا بد من كون رأس مال السلم مقبوضا في مجلس
العقد ، وعندهم أن كونه دينا أعني رأس مال السلم ربا وهذه بعينها مسألة إلا أنه اعترف
بكونه ربا أحضر من بيته عدة الدين القلوب وعقد بها والعارف والشهود ومن
حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحال والتاجر يقول له أوفني أو اكتبها والمشتري
يقول ورد له دراهم وكتبها منه ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة ويسمون هذا
العقد التصحيح وهذا لا ينكره إلا مكابر معاند وحينئذ فعباراتهم والحيل التي تحل حراما
أو تحرم حلالا لا تجوز في شيء من الدين وهي أن يظهر عقد صحيحا ومرادها التوصل
به إلى عقد غير صحيح هذا معنى عبارة الإقناع وشرحه ، فإن جادلكم أحد في أن هذه
الصورة غير داخلية في ذلك فقل له مثل صورة الحيل المحرمة فإنه لا يذكر شيئا من
الصور إلا وسئلت مثلها أو أشد بطلانا ؛ وأعجب من هذا أن ابن القيم ذكر في أعلام
الموقعين في صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ماصورته لو أراد أن يجعل رأس
مال السلم دينا يوفيه إياه في وقت آخر بأن يكون معه نصف دينار ، ويريد أن يسلم
إليه دينارا غير معين في كونه حنطة فالحنطة أن يسلم إليه دينارا غير معين ثم يوفيه
نصف الدينار ثم يعود فيستقرضه منه ثم يوفيه إياه فيفترقان وقد بقي له في ذمته
نصف دينار ، وهذه الحيلة من أقبح الحيل فإنهما لا يخرجان بها عن تأخير رأس

مال السلم ، ولكن توصلنا إلى ذلك بالقرض الذي جعلنا صورته مبيحة لصريح الربا وتأخير رأس مال السلم ، وهذا غير القرض الذي جاءت به الشريعة وإنما اتخذناه المتعاقدان تلاعباً بحدود الله انتهى كلامه .

فانظر فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يسلم إلى رجل مائة محمية من بيته باطناً وظاهراً ولكن لم يحضر في المجلس إلا خمسين وكتبها عليه ثم استقرضها وكتبها أخرى إلا أنه يخرج الخمسين في آخر النهار أو غد فكيف بكلامه بالتحويل على قلب الدين وجعله رأس مال السلم ، وإذا كان هذا كلامه في أعلام الموقعين وهو الذي ينسبون عنه إذا أراد أن يشتري دابة بخمسين وجاء رجل وربحه في الخمسين خمسا أو أكثر أو أقل وقال أنا موكلكم بشريها ثم تبيعها على نفسك وهذه الحيلة الملعونة التي هي أغلظ من الربا فاستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح وينسبوننا إلى أعلام الموقعين وحاشاه منها بل هذا صفة كلامه في رأس مال السلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار فضلا عن هذه وأمثالها ، ومع هذا فالله سبحانه لا مرد لحكمه (يهدي من يشاء ويضل من يشاء - إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) والسلام . (المسألة الحادية والعشرون) قال رحمه الله سألتني رجل عن وقف نخل تطلع ويبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحرر واستأجروا بمائة الأحرر من يسقي النصف الآخر عشر سنين فمات الذي استأجره لما مضى بعض من المدة وهي سنتان وأراد ورثته أن يتموا باقي مدته وأراد المؤجر الفسخ . فأجبت : إن الإجارة صحيحة ثابتة لا تنفسخ بموت المستأجر فإذا تم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه وليس للمؤجر الفسخ ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة أو المساقاة قول ضعيف رده أهل العلم بالنص الثابت . من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ساقى أهل خيبر لم يجد الخلفاء بعده عقدا فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم ، فمن ادعى في صورة من العقود أنه لا يجوز ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره فعليه الدليل (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) . (المسألة الثانية والعشرون) قال رحمه الله تعالى الذي يعلم به ويقف على هذا من الإخوان التبعيين محمداً صلى الله عليه وسلم أن ابن صباح سألني عما ينسب إلى فأجبت فطلب مني أن أكتب له في ورقة فكتبت له : الحمد لله . أما بعد ،

فما ذكره المشركون عني أني أنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو أني أقول لو
أنى لى أمرا هدمت قبة النبي صلى الله عليه وسلم أو أنى أنكلم فى الصالحين أو أنهى
عن محبتهم فكل هذا كذب وبهتان افتراه على الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا
أموال الناس بالباطل مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس أن يندروا
لهم وينتحوهم ويندبونهم كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر
رحمه الله وهو منهم برىء كبراءة على بن أبى طالب من الرافضة فلما رأونى آمر الناس
بما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا إلا الله وأن من دعا عبد القادر فهو
كافر وعبد القادر منه برىء ، وكذلك من انتحى الصالحين أو الأولياء أو مذهبهم أو
سجد لهم أو نذر لهم أو قصدهم بشئ من أنواع العبادة التى هى حق الله على العبيد وكل
إنسان يعرف أمر الله ورسوله ولا ينكر هذا الأمر بل يقر به ويعرفه . وأما الذى
ينكره فهو بين أمرين إن قال إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم وصيرورة
الإنسان فقيرا لهم أمر حسن ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر ، فهذا مصرح بتكذيب
الله ورسوله ولا خفاء فى كفره فليس مغالاه كلام . وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله
واليوم الآخر ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله لكنه جاهل
قد لبست عليه الشياطين دينه ويظن أن الاعتقاد فى الصالحين حق ولو يدرى أنه
كافر يدخل صاحبه فى النار فنحن نبين لهذا ما يوضح الأمر فنقول : الذى يجب على
المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه ، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا
فيه ما يحبه وما يبغضه وبين لنا فيه ديننا وأكمله ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل
الأنبياء فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له فهم يحبونه أكثر من أنفسهم
وأولادهم ويعرفون قدره ويعرفون أيضا الشرك والإيمان . فإن كان أحد من المسلمين
فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه أو نذر له أو ندب له أو أحد من أصحابه جاء
عند قبره بعد موته يسأله أو يندبه أو يدخل عليه ملتجئا به عند القبر فاعرف أنه أمر
صحيح حسن ولا تطعن ولا غيرى ، وإن كان إذا سألت وجدت أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ
ممن اعتقد فى الأنبياء والصالحين وقتلهم وسبهم وأولادهم وأخذ أموالهم وحكم بكفرهم
فاعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالحق والواجب
على كل مؤمن اتباعه فما جاء به . وبالجملة فالذى أنكره الاعتقاد فى غير الله فيما لا يجوز

صرفه لغيره ، فإن كنت قلته من عندى فارم به أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضا ، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه أو أهل بلده أو أن أكثر للناس في زمانه أعرضوا عنه . واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدا لكن أمثل لك بدليل واحد ينهيك عن غيره قال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم الأقرب) ذكر المفسرون في تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون في عيسى عليه السلام وعزير فقال الله تعالى « هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي » فياعباد الله تفكروا في كلام ربكم تبارك وتعالى إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دينهم الذي كفرهم هو الاعتقاد في الصالحين وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونه ويحجون ويتصدقون ، ولكنهم كفروا بالاعتقاد في الصالحين وهم يقولون إنما اعتقدنا فيهم (ليقربونا إلى الله زلفى) ويشفعون لنا كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فياعباد الله إذا كان الله ذكر في كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد في الصالحين وذكر أنهم اعتقدوا فيهم ودعوهم وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، هل بعد هذا البيان بيان : فإذا كان من اعتقد في عيسى ابن مريم مع أنه نبي من الأنبياء وندبه وانتجاه فقد كفر فكيف بمن يعتقد في الشياطين كالكلب أبو حديدة وعثمان الذي في الوادي والكلاب الآخر في الخرج وغيرهم في سائر البلدان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله؟ وانت يا من هداه الله لاتظن أن هؤلاء يحبون الصالحين بل هؤلاء أعداء الصالحين وأنت والله الذي تحب الصالحين لأن من أحب قوما أطاعهم، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا في الله وأما من عصاهم ودعاهم يزعم أنه يحبهم فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى ويزعمون محبته وهو برىء منهم ومثل الرافضة الذين يدعون على بن أبى طالب وهو برىء منهم . ولنختم الكتاب بكلمة واحدة وهى أنى أقول يا عباد الله لاتطيعوني ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله وأنا أنصحكم لاتظنون أن

الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقه بل هي عبادة الأصنام من فعله كفر وتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا عباد الله تفكروا وتذكروا والسلام. (الثالثة والعشرون) قال رحمه الله الذي يعلم به الأخ مقرون بن عبد الله بعد إبلاغ السلام أن ابن صالح سألني عن التذكير فقلت إنه بدعة فنكر أن عندنا من لا يعرف الجمعة إلا به وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم منا بصالح أمته وهو سن الأذان ونهى عن الزيادة فإذا فتح الله لكم بابا في اتباع نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا تنتقلوا من قطع العادات في طاعة الله ورسوله والسلام. (الرابعة والعشرون) قال رحمه الله إلى الأخ سليمان وبعد مسألة الخمس، فأعلم أن الأمر أمران أمر تأمر به وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه والثاني نتوسع فيه إلا أن نرى منكرا صريحا. إذا ثبت هذا فمسألة الخمس لا أكره فعلهم إذا أخذوه باسم الخمس. وأما سهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوي القربى ففيه كلام طويل. وقد ذكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بنى هاشم فالذي أرى أن يجري في المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذي تذكر أنهم يفعلونه ما علمت فيه خلافا لكن لا يقتصر عليه بل من المصالح ما هو أهم منه، وأما عقوبة من تخلف وعصى الأمر يأخذ شيئا من ماله. فقد ذكر ابن القيم أن بعض السلف أفتى به وظاهر كلامه أنه مقرر له والسلام. (الخامسة والعشرون) قال رحمه الله يعلم من يقف عليه إنى وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم يريد أن يصدبها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله فأردت أن أنبه على ما فيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام وما فيها أيضا من الجهالة التي يعرفها العامة. فأما تناقض كلامه فمن وجوه: الأول أنه صنف الأوراق يسبنا ويرد علينا في تكفير كل من قال لا إله إلا الله وهذا عمدة ما يشبه على الجهال وعقد لها فصلا في أوراقه يقول: أما من قال لا إله إلا الله لا يكفر ومن أم القبله لا يكفر، فإذا ذكرنا لهم الآيات التي فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول تزلت في اليهود تزلت في النصارى تزلت في فلان ثم رجع في أوراقه يكذب نفسه ويوافقنا ويقول من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لمس الكف كفروا من قال كذا كفر. وتارة يقول ما يوجد الكفر فينا وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه. الثاني أنه ذكر في أوراقه أنه لا يجوز الخروج عن كلام العلماء وهو صادق في ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدريه والعلماء لا يكفرونهم فكفرنا سالم وأنكر علينا تكفير أهل الشرك. الثالث أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف

جميع أنواع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده ولا تجعل فيها شيئاً لملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا حق ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله في الشدائد وينذر له ليرءوا المريض ويفرجوا عنه المكروه الذي لم يصل إليه عبدة الأوثان بل يخلصون لله في الشدائد ويجعل هذا ليس من الشرك ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذي فيه «إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب» إلى آخره .

الرابع أنه قسم التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويقول إن الشيخ بين ذلك ثم يرجع يرد علينا في تكفير طالب الحضر وأمثاله الذين يشركون بالله في توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون وهذه الربوبية ويزعم أنهم ينتحون ويندبون وهذا توحيد الألوهية . الخامس أنه ذكر (في قل هو الله أحد) أنها كافية في التوحيد فوجد نفسه في الأفعال فلا خلق إلا الله وفي الألوهية فلا يعبد إلا الله وبالأمر والنهي فلا حكم إلا الله فيقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا ، فإذا كفرنا من قال إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون قال كفرتم الإسلام وإذا كفرنا من يدعو شمسان وتاجا وخطابا قال كفرتم الإسلام ، والعجب أنه يقول إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهي فلا حكم إلا لله ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول من عمل بالقرآن كفر والقرآن ما يفسر . السادس أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول ما يعرف ثم ينحرف يفسر ويقول (قل هو الله أحد) فيها كفاية ، فلما فسرها كفر بها . السابع أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات وتعلق بالذات وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد في ثلاث كلمات أن الله ليس على كل شيء وليس في شيء ولا من شيء ، فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات . الثامن أنه ذكر آيات وأحاديث في النهي عن الشرك وقال المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفي والشرك الجلي كشرك عباد الشمس لاعلى العموم كما يتوهمه الجهال ، فصرح أن مراد الله ومراد النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه وسمى الذين أدخلوه الجهال ثم في آخر الصحيفة يعينه قوله ويطلق الشرك بعبارات آخر وكل ذلك في قوله (وما أنا من المشركين) فرد علينا في الصحيفة وكذب على الله ورسوله في أن معنى ذلك بعض الشرك ثم يرجع يقرر ما أنكره

ويقول إن الشرك الأكبر والأصغر داخل في قوله تعالى (وأما أنا من المشركين) التاسع أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع : شرك الربوبية وشرك الألوهية وشرك العبادة وشرك الملك وهذا كلام من لا يفهم ما يقول . فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية وشرك الربوبية هو شرك الملك . العاشر أنه قال في مسألة الذبح والنذر ومن قال إن الذبح والنذر عبادة فمومته دليل على الجهل لأن العبادة ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي والبهيم لا يفهم معنى العبادة ، فاستدل على النفي بدليل الإثبات الحادى عشر أنه بعد أربعة أسطر أ كذب نفسه في كلامه هذا فقال من ذبح لمخلوق يقصد به التقرب أو لرجاء نفع أو لدفع ضرر من دون الله فهذا كفر فتارة يرد علينا إذا قلنا إنه عبادة وتارة يكفر من فعله . الثانى عشر أنه قرر أن من ذبح لمخلوق لدفع ضرر أنه كفر ثم إنه يقرر أن الذبح للجن ليس بكفر . الثالث عشر أنه رد علينا فى الاستدلال بقوله (فصل لربك وانحر) ثم رجع يقرر ما قلنا بكلام البغوى كان ناس يذبحون لغير الله فنزلت فيهم الآية ، فيا سبحان الله من عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذى لا تميز بين التين والعنب . السادسة والعشرون مسألة الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل ، فأجاب بقوله من محمد بن عبد الوهاب إلى أخيه أحمد بن مانع حفظه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فنحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو بخير وعافية أتمها الله علينا وعليكم فى الدنيا والآخرة وكل من تسأل عنه فهو طيب والأمور على ما تحب والإسلام يزداد ظهورا والشرك يزداد وهنا ، نسأل الله تمام نعمته وسر الخاطر ما ذكرت من جهة حماز بن عبد الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم ، فإنه عليه سهل هين مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارتبه وصاحب الورقة الذى اسمه عثمان بن عقيبى إن كنت تظن أنه صادق مهيب منافق فلا يخلى بلا كشف الشبهة التى أوردها . وأما المسائل التى ذكرت فاعلم أولا أن الذى اتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق ، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذى هو دين الإسلام من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك . فإذا فهمت قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف فى كتب المختصرات . ذكر فى شرح

الإقناع حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر يعني نفعها لا الوقف عليهما واتفقوا فيما سوى ذلك . إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ حديث صحيح «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وتقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهذا ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه وتقطع أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى إليه وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه أن هذا يصح مع أوقفنا وأنى ذلك وحاشا وكلا بل هم يبطلون الوقف الذى يقصد به وجه الله على أمد مباح ويقولون لا بد منه على أمد قربة . وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بدله فلا يرد إلا بعد انقراضهم وعادتنا نفق يبطلان مثل هذا ولا نلتفت إلى الصرف الثانى وذكر بطلان مثل هذا فى الشرح الكبير وغيره . وأما المسألة الثانية وهى مثل وقف المرأة على ولدها وليس لها زوج الخ فكذلك أن تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه سواء شرعاً على قسم الله أم لا هذا وفى الحقيقة يريد أمرين الأول تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف فيه والثانى يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث فيشابهه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين فى سورة الأنعام ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كاف فى فساده صلحت نية صاحبه أم فسدت . وأما المسألة الثالثة إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولكن الإفاضة على أنه من يرث فأنا لا أدري عن هذه المسألة شيئاً لكن أرى التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا ببينة . وأما المسألة الرابعة وهى الوقف على المحتاج من ذريته فهو صحيح ذكره البخارى عن ابن عمر أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله . وأما المسألة الخامسة وهى مسألة الجمعة فهى باطلة لكونها وقفاً على الجمعة الورثة وأيضاً يحرم بعضهم وأيضاً لم تشرع . وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب العقار أو غيره فلا يجوز بل الصبرة باطلة من أصلها فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال وإلا فلو ذكرت لى طولت لك وذكرت لك العبارات والأدلة والسلام .

الفصل الخامس

في ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن وما فتح عليه في ذلك من البيان
كان رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجاد على ضريحه من البر مقذفة هامة قد أعطى
في القرآن فهما وقادا حديدا ومقولا باهرا مصيبا سديدا ومنطقا موقفا مجيدا ، فكان
إذا تكلم على الآيات ونزلها على الواقع بهر السامع كلامه ، وكتب على كثير من السور
مسائل كثيرة مثل تفسير سورة يوسف والحجر والزمر والنمل. ونذكر في هذا الفصل
كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة على ترتيب المصحف الكريم ونذكر كلامه
على سورة الفاتحة بكاملها لأجل ما فيه من الفوائد العظيمة . وكان سبب تأليفه لسورة
الفاتحة أن الأمير عبد العزيز حفظه الله تعالى كتب له وهو إذ ذاك في بلد العيينة يسأله
أن يكتب له تفسير الفاتحة فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام قال
رحمه الله : اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولها هو إقبال العبد على الله فيها والسهو
عن حضور القلب ويدل على ذلك الحديث الذي في صحيح مسلم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب
الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » .
فوصفه بإضاعة الوقت بقوله يرقب الشمس ، وإضاعة الأركان بذكره النقر ، وإضاعة
حضور القلب بقوله « لا يذكر الله فيها إلا قليلاً » إذا فهمت ذلك فافهم نوعاً واحداً
من الصلاة وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك في الصلاة المقبولة المضاعفة
المكثرة للذنوب ، ومن أحسن ما يفتح لك الباب في فهم الفاتحة حديث أبي هريرة الذي
في صحيح مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب
العالمين قال حمدني عبدي ، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثني على عبدي ، فإذا قال
مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا
بينى وبين عبدي ولعبدى ما سأل ، فإذا قال اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صرَّاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . انتهى
الحديث ، فإذا قال الإنسان هذا وعلم أنها نصفان نصف لله وهو أولها إلى قوله (إياك

نعبد) ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه وتأمل أن الذى علمه هذا هو الله تعالى وأمره أن يدعو به ويكرره فى كل ركعة وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور قلب تبين له ماذا أطاع أكثر الناس .

قد هيئوه لأمر لو فطنت له . فاربأ بنفسك أن ترعى مع العمل

فأنا أذكر لك معانى هذه السورة العظيمة لعلك تصلى بحضور قلب ويعلم قلبك

مانطق به لسانك ، فإن مانطق به اللسان ولم يعتقد القلب ليس بعمل صالح كما قال تعالى (يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) وأبدأ بمعنى البسملة ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز . فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ألوذ وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من هذا العدوان الذى يضرنى فى دينى أو دنيائى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به أو يحثنى على فعل ما نهيت عنه لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك وذلك أنه لا حيلة لك فى دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) فإذا طلبت من الله أن يعينك منه واعتصمت به كان هذا سبباً لحضور القلب فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس . وأما البسملة فمعناها أدخل فى هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك بسم الله لا يحولى ولا قوتى بل أفعل هذا الأمر مستعيناً بالله متبركاً باسمه تبارك وتعالى هذا فى كل أمر تسمى فى أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا . فإذا أحضرت فى قلبك أن دخولك فى القراءة مستعيناً بالله متبرئاً من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب فى حضور القلب وطرده الموانع من كل خير (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلم والعليم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أى أكثر من الآخر رحمة . وأما الفاتحة فهى سبع آيات ثلاث ونصف لله وثلاث ونصف للعبد فأولها (الحمد لله رب العالمين) فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى فأخرج بقوله الثناء باللسان الثناء بالفعل الذى يسمى لسان الحال فذلك من نوع الشكر ، وقوله على الجميل الاختيارى الذى يفعله الإنسان بإرادته . وأما الجميل الذى لا صنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحاً لا حمداً والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحساناً إلى الحامد

أولم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور فمن هذا الوجه الحمد أهم من الشكر لأنه لا يكون على المحاسن والإحسان فإن الله يحمد على ماله من الأسماء الحسنى وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال (الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية وقال (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض) وغير ذلك من الآيات . وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام فهو أخص من الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان ولهذا قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) والحمد إنما يكون بالقلب واللسان . فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه والآلف واللام في قوله الحمد للاستغراق وجميع أنواع الحمد لله لاغيره . فأما الذي لا صنع للمخلوق فيه مثل خلق الإنسان وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح . وأما ما يحمد عليه المخلوق مثل ما نشئ به على الصبا بخير والأنبياء والمرسلين وعلى من فعل معروفًا خصوصًا إن إسداده إليك فهذا كله أيضًا بمعنى خلق ذلك الفاعل وأعطاه ما فعل به ذلك وحببه إليه وقواه عليه أو غير ذلك من أفضال الله الذي لو يخيّل منها لم يحمد ذلك المحمود فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار . وأما قوله (لله رب العالمين) فالله علم على ربنا تبارك وتعالى ومعنى الإله أى المعبود لقوله (وهو الله فى السموات وفى الأرض) أى المعبود فى السموات والمعبود فى الأرض (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) الآية . وأما الرب فمعناه المالك المتصرف . وأما العالمين فهم اسم لكل ماسوى الله تبارك وتعالى فكل ماسواه من ملك ونبي وإنس وجن وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه فقير محتاج إليه كلهم صامدون إلى واحد لا شريك له فى ذلك وهو الغنى المصمد وذكر بعد ذلك (مالك يوم الدين) وفى قراءة (ملك يوم الدين) وذكر فى أول هذه السورة التى هى أول المصحف الألوهية والربوبية والملك كما ذكره فى آخر سورة فى المصحف (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة فى موضع واحد فى أول القرآن ثم ذكرها مجموعة فى آخر ما يطرق سمعك من القرآن فينبغى لمن نصح نفسه أن يعتنى بهذا الموضع ويبذل جهده فى البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما فى أول القرآن ثم فى آخر القرآن إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتهما ومعرفه الفرق بين هذه الصفات فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى

فإذا عرفت أن معنى الله الإله وعرفت أن الإله هو المعبود ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أن هذا الله ، وإن دعوت مخلوقا طيبا أو خبيثا أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو الله فمن عرف أنه جعل شمساً أو تاجاً برهة من عمره هو الله عرف ما عرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل فلما تبين لهم ارتاعوا وقلعوا لما ذكر الله عنهم (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه وهذا حق ولكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله فيهم في القرآن في غير موضع كقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار) إلى قوله (أفلا تتقون) فمن دعا الله في تفرج كربته وقضاء حاجته ثم دعا مخلوقا في ذلك خصوصا إن قرن بدعائه المخلوق فنسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله في دعائه فلان عبدك أو قول عبد عليّ أو عبد النبي أو عبد الزبير قد أنزل بالربوبية في دعائه عليا أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى وأقر له بالعبودية ليأتى له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله قد أقر له بالربوبية ولم يقر بأنه رب العالمين بل جحد بعض ربوبيته، فرحم الله عبدا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات. ومثل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم وهذه السورة بهذا أم لا . وأما الملك فيأتي الكلام عليه وذلك أن قوله مالك وفي القراءة الأخرى (ملك يوم الدين) فمعناه عند جميع المفسرين كلهم ما فسر الله به بقوله (وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك مع أنه سبحانه وتعالى مالك كل شيء ذلك اليوم وغيره عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة التي بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها، فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها فأين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله صلى الله عليه وسلم « يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا » من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي	إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي	محبا وهو أوفى الخلق بالدم
إن لم يكن في معادي آخذا بيدي	فضلا وإلا فقل يازلة القدم

(١٥ — تاريخ نجد — أول)

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الآيات ومعناها ومن فتن بها من العباد ومن يدعى أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن هل يجتمع في قلب عبد التصديق بهذه الآيات والتصديق بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) وقوله «يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا» لا والله لا والله كما لا يجتمع في قلبه أن موسى صادق وأن فرعون صادق وأن محمداً صادق على الحق وأن أباجهل صادق على الحق والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان، فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فتن بها عرف غربة الإسلام عرف أن العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال بل هم الذين بدعونا بالتكفير والقتال بل عند قوله (فلا تدعو مع الله أحدا) وعند قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية، فهذه بعض المعاني من قوله (مالك يوم الدين) بإجماع المفسرين كلهم ، وقد فسر الله سبحانه في سورة (إذا السماء انفطرت) كما قدمت لك فاعلم أرشدك الله أن الحق لا يقين إلا بالباطل كما قيل * وبضدها تتميز الأشياء * فتأمل ما ذكرت لك ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم وشهرا بعد شهر ومئة بعد مئة لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد فتحشر معهما ولا تصد عن الخوض يوم الدين كما يصد عنه من صد عن طريقهما . ولعلك أن تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما المستقيم في الدنيا . فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع . وأما قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فالعبادة كمال الخضوع وكمال المحبة والخوف والذل وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحرص أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين . فالأول التبري من الشرك . والثاني التبري من الحول والقوة، فقوله (إياك نعبد) إياك نوحده ، ومعناه أنك تعاهد ربك أن لا تشرك في عبادتك أحدا لا ملكا ولا نبيا ولا غيرهما كما قال تعالى للصحابة (ولا يأمرمكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمرمكم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك في الربوبية أنها التي نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها في تاج وأمثاله ، وقوله (وإياك نستعين) هذا فيه أمران :

أحدهما سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبرى من الحول والقوة، وأيضا طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد . وأما قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فهذا هو الدعاء الصريح الذى هو حظ العبد من الله وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم الذى لم يعط أحد فى الدنيا والآخرة أفضل منه ، كما منّ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح بقوله (ويهديك صراطا مستقيما) والهداية هنا الإرشاد والتوفيق ؛ وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التى تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقى الله. والصراط الطريق الواضح المستقيم الذى لا عوج فيه والمراد بذلك الدين الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنت دائما فى كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم . وعليك من الفرائض أن تصدق الله فى أنه هو المستقيم وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج وهذا أول واجبات هذه الآية وهو اعتقادك ذلك بالقلب . وليحذر المؤمن من خدع الشيطان وهو اعتقاد ذلك مجملا وتركه مفصلا فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وأن من خالفه على الباطل فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) وأما قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلومهم والضالون العاملون بلا علم ، فالأول صفة اليهود ، والثانى صفة النصارى ، وكثير من الناس إذا رأى فى التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرّ أن ربه فارضه عليهم وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو به دائما مع أنه لا حذر عليه منه ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله ، هذا آخر الفاتحة . وأما قوله : آمين، فليست من الفاتحة ولكنها تأمين على الدعاء . ومعناها اللهم استجب، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله والله أعلم تمت وقه الحمد. وقال أيضا رحمه الله فى مسائل ذكرها على سورة الفاتحة : الأولى (إياك نعبد وإياك نستعين) فيها التوحيد . الثانية (اهدنا الصراط المستقيم) فيها المتابعة . الثالثة أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب فى الأولى وهى (الحمد لله رب العالمين) والرجاء فى الثانية وهى

(الرحمن الرحيم) والخوف في الثالثة وهي (مالك يوم الدين). الرابعة هلاك الأَكْثَر في الجهل بالآية الأولى أعنى استغراق الحمد لله واستغراق ربوبية العالمين. الخامسة أول المنعم عليهم وأول المغضوب عليهم والضالين . السادسة في ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد . السابعة ظهور القدرة والمجد في ذكر المغضوب عليهم والضالين . الثامنة دعاء الفاتحة مع قوله «لا يستجيب دعاء من قلب غافل» التاسعة قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فيه حجية الإجماع . العاشرة ما في الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه . الحادية عشرة ما فيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه . الثانية عشرة ما فيها من التنبيه على بطلان الشرك . الثالثة عشرة التنبيه على بطلان البدع . الرابعة عشرة آيات الفاتحة كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيها وكل آية أفرد معناها بالتصنيف فقال رحمه الله في كلامه على آيات من سورة البقرة . وقال الشيخ رحمه الله ورضي عنه قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كَفَرُوا يعلمون الناس السحر) إلى قوله (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) فيه مسائل : الأولى كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة وأرادوا إقامة الدليل عليها تركوا كتاب الله كأنهم لا يعلمون واحتجوا بما في الكتب الباطلة . الثانية أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل . الثالثة أن الكلام يدل على أنهم يعلمون لقوله كأنهم لا يعلمون . الرابعة أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذبا عليهم . الخامسة أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين . السادسة أن ذلك مما تتلوا الشياطين على زمان الأنبياء كما وقع أشياء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . السابعة أن الشياطين مزجت به الحق في زمن سليمان . الثامنة بيان ضلال من ضل ممن يدعى العلم في شأن سليمان ممن نسب ذلك إليه واستحسنه أو قدح في سليمان كما ضل أناس كثير في علي لما قتل عثمان . التاسعة أن من فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل . العاشرة أن الشياطين يعلمونه الناس . الحادية عشرة أن العبد لو بلغ ما بلغ في العلم والعمل فلا يأمن مكر الله . الثانية عشرة لا ينبغي له التعرض للفتن وثوقا بنفسه بل يسأل الله العافية . الثالثة عشرة سعة حلم الله ومغفرته ورحمته . الرابعة عشرة يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر . الخامسة عشرة أن النساء من أكبر الفتن . السادسة عشرة أن طاعة الهوى جماع الشر كما أن مخالفته جماع الخير . السابعة عشرة أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال .

الثامنة عشرة أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لا يشترط في كفر من تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك. التاسعة عشرة أن المتكلم لا يعذر ولو أراد أن يقضى به غرضا مهما. العشرون أن قتل النفس أعظم من الزنا. الحادية والعشرون أن المعاصي يريد الكفر. الثانية والعشرون أن بعضها يجر إلى بعض. الثالثة والعشرون أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم. الرابعة والعشرون أن قبول التوبة بلا عذاب لا يحصل لكل أحد بل هو فضل من الله. الخامسة والعشرون أن من النعيم تعذيب العبد بذنبه في الدنيا. السادسة والعشرون حسن الظن بالله. السابعة والعشرون القاعدة التي هي خاصية العقل وهو ارتكاب أدنى الشرين لرفع أعلاهما وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما. الثامنة والعشرون أن السحر نوعان. التاسعة والعشرون أن له تأثيرا لقوله (يفرقون به بين المرء وزوجه) . الثلاثون الإرشاد إلى التوكل بكونه لا يضر أحدا إلا بإذن الله. الحادية والثلاثون أن في من يدعى العلم من اختار كتب السحر على كتاب الله . الثانية والثلاثون أنهم يعارضون به كتاب الله. الثالثة والثلاثون أن اتباع كتاب غير كتاب الله ضلال. الرابعة والثلاثون لا تأمن الكتب ولا من ينتسب إلى العلم على دينك . الخامسة والثلاثون أن فساد العلماء يفسد الرعية . السادسة والثلاثون أن السحر وقع في زمن خلافة النبوة حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد . السابعة والثلاثون أن الحسد سبب لرد كتاب الله. الثامنة والثلاثون أن الحاسد قد يبنض الناصح ويسعى في قتله . التاسعة والثلاثون أن الحسد يحمله على رد حظه من الله في الدنيا والآخرة. الأربعون أنه من أخلاق اليهود. الحادية والأربعون أن المحسود يرفعه الله على الحاسد. الثانية والأربعون أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة وبالمعصية العكس. الثالثة والأربعون أن في من ينتسب إلى العلم من يختار الكفر على الإيمان مع علمه أن من اختاره لاحظ له في الآخرة . الرابعة والأربعون أن الإنسان يجتمع فيه الضدان يعلم ولا يعلم. الخامسة والأربعون بيان غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم في هذا الشرط . السادسة والأربعون أن السبب في هذا الشرط اشتراء شيء خسيس تافه من الدنيا. السابعة والأربعون أنهم لمحبتهم ما هم عليه من الجاهلية وغرامهم به نبذوا كتاب الله الذي عندهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعرفونه. الثامنة والأربعون أن حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم لكن مخالف لعاداتهم

الجاهلية. التاسعة والأربعون الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين وتشبيهها بذلك. الخمسون التنبيه على قول الصجاني «أو يأتي الخير بالشر» وجوابه صلى الله عليه وسلم. الحادية والخمسون أنه لا ينبغي للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علماً فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فثام من الناس لظنهم أنها تخالف ما علموه من الحق وتكلم بسببها ناس في نبي الله سليمان بن داود عليه السلام وقوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) فيه مسائل: الأولى كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجرى منهم هذا عمداً جرأة على الله وما أكثر من ينكر هذا. الثانية التنبيه على كثرة هذا الصنف. الثالثة كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه. الرابعة أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد لا خوف مضر ولا طلب مصلحة. الخامسة أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أن مصلحته لدنياه ليزيله وفيما يعلم أنه مضر لدنياه ليأتي به فإنهم يعلمون أن زوال المفسد وحصول المصالح في هذا الدين وكانوا يستفتحون على من ظلمهم فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر. السادسة أن الحسد سبب للكفر كما وقع لهؤلاء. ولإبليس. السابعة ذكر العفو الذي هو من أسباب العز وقهر الخصم كما ورد في الحديث. الثامنة الفرق في الأمر وفعله بالتدريج كما فعل عمر بن عبد العزيز. التاسعة أنه سبحانه يهمل ولا يهمل. العاشرة الإشعار بالنسخ قبل وقوعه. الحادية عشرة تسلية المظلوم المحسود. الثانية عشرة التنبيه على العلة. الثالثة عشرة أن الظالم الحاسد يذله الله كما جرى لهؤلاء إلى يوم القيامة وقوله فيه (إن الله على كل شيء قدير). الرابعة عشرة وهي الاستدلال بالصفات على الأفعال. الخامسة عشرة وهي الاستدلال بالقدرة على ما لا يظن وقوعه السادسة عشرة وهي الاستدلال به على جعل العفو سبباً للعز العافي وذلة المعفو عنه عكس ما يظن الأكثر. وأما الاستدلال به على ما كذب به الجاهل استبعاداً مثل عذاب القبر وغيره أو مثل الصراط واليزان وغيرهما وما يجري في الدنيا من تبديل لأحوال من الغنى إلى الفقر وضده ومن الذل إلى العز وضده فأكثر من أن يحصر ولكن من أحسن ما فيها. المسألة السابعة عشرة وهي تنبيه أعلم الناس على أشكال المسائل بقوله (إن الله على كل شيء قدير) والله سبحانه وتعالى

أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

ذكر بعض ما في قوله تعالى (قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم إلى قوله يعلمون) من بيان الحق وإبطال الباطل : الأول إذا كانت الحاجة في الله سبحانه من قرب إليه من المختلفين في مسألة التوحيد وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ومعرفة حالنا وحالكم في مسألة، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم في العبودية بخلاف ملوك الدنيا فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ومجمعون أيضاً أنه لا يظلم أحداً من عبيده بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت بخلاف ملوك الدنيا فإنهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون، وكيف يظن به أنه يساوي بين من قصده وحده لا شريك له ومن قصد غيره وأعرض عنه ، وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بني آدم خصوصاً إذا كان كريماً أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولا يضيفه ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره مع استواء الجميع في القرب منه والبعد ؟ هذا لا يظن في الآدمي فكيف يظن رب العالمين ؟ فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل وما فعل المشركون هو العجائب المخالف للعقل، فيالها من حجة ما أعظمها وأبينها لكن لمن فهمها كما ينبغي .

قال الشيخ رحمه الله ذكر بعض ما في قوله تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) إلى الجزء . ففي الآية الأولى مسائل : الأولى أنه تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها لأنه ما جعله إماماً إلا بعد ما أتم ما ابتلاه به ، وسأل بعضهم أيما الابتلاء أو التمكين ؟ فقال الابتلاء ثم التمكين . الثانية إذا كان يبتلى الأنبياء هم يفعلونه أم لا فكيف بغيرهم . الثالثة الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التي ابتلاه بها . وقيل إن الله لم يبتل أحداً بهذا الدين فأتى به إلا إبراهيم ولهذا قال (وإبراهيم الذي وفى) . الرابعة أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور منها أنه جعله للناس إماماً ، ولما علم عليه السلام كبر هذه العطية سألها للذرية وهي الخامسة . والسادسة أن الله أجابه أن هذه المرتبة لا ينالها ظالم ولو من ذرية الأنبياء . السابعة أن هذا يدل على أن الإمامة في الدين تحصل لغير ظالم فليست بمختصة .

الثامنة معرفة قدر هذه المرتبة التي أكرم بها وهي الإمامة في الدين . وأما الآية الثانية ففيها مسائل : كونه سبحانه جعل البيت الذي بناه إبراهيم مثابة مع الشاق العظيمة وذلك

من الآيات. الثانية أنه جعله أمنا عند الكفار ، وذلك من أعجب الآيات. الثالثة أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى وهذا من الخصائص فليتنظروا المؤمن للشبهة المبتدعة لأنه لا يجوز أن يتخذ من مقام غيره مصلى . الرابعة أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظمونه مع ما فيه من الآيات ومع ما عندهم من العلم بذلك . وأما الآية الثالثة ففيها مسائل . الأولى ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا له هذه الطائفة ولذلك أنزل الله (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) . الثانية أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين . الثالثة العجب العجيب مع كسبهم هذا الأمر فلا يردون عنه إلى الطائفة المأمور بتطهيرهم له . الرابعة أنه نعمهم بالطواف والركع والسجود والعكوف فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة . الخامسة أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك. وأما الآية الرابعة ففيها مسائل : الأولى دعوة إبراهيم للبلد وأهله ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض . الثانية دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق . الثالثة الآية العظيمة في إجابة هذه الدعوة . الرابعة تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر . الخامسة قوله ومن كفر فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته . ولما خص بالأمر الآخر من آمن بالله، قال الله : ومن كفر، وذلك للفرق بين الدارين . السادسة أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره فقد يتوهم منه كرامة الجميع فأخبر أنه لو عم العاصي فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار . السابعة أن المجاورة عنده كما أنها تنفع المطيع، فهي تضر العاصي لقوله (ثم أضطره إلى عذاب النار) ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف . وأما الآية الخامسة ففيها مسائل : الأولى التصريح بأن الاثنين بنياه . الثانية جلال الله وعظمته في قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول . وكان بعض السلف إذا قرأها يبكي ويقول : خليل الله يرفع قواعد بيت الله ويخاف أن لا يقبله . الثالثة توسلهم بالصفات . الرابعة طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام وهما ، والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب . الخامسة إشارتهما في الدعوة بعض الذرية ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته . السادسة طلبهما أن يعلمهما المناسك ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتها . السابعة طلبهما أن يتوب عليهما وهما ففيها خوفهما من الذنوب . الثامنة التوسل بالصفات . التاسعة التعليل

بكونه التواب الرحيم ، ولولا ذلك لاستحقا العقوبة . العاشرة الرد على المشركين وأهل الكتاب . الحادية عشرة أن دعوتهما بهذه النعمة التي هي أعظم النعم للذرية جعلها الذرية من أعظم المصائب . وأما الآية السادسة ففيها مسائل : الأولى دعوتهما للذرية ببعثة الرسول فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتتهما . الثانية أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم ، قيل إن استماع التلاوة والتزكي بها فرض عين . وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية . الثالثة أن نسبة الزكاة إلى السبب لا بأس به مع أن المزكي في الحقيقة هو الله وحده . الرابعة التوسل بالصفات . وأما الآية السابعة فهي من جوامع الكلام وأظهر البراهين فنذكر شيئا من ذلك : الأولى أنه بين أن ملة إبراهيم هي الإسلام ومنه تعظيمه وحججه ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه ، وهذه مسألة مهمة يدل عليه قوله «ومن رغب عن سنتي فليس مني» . الثانية أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام وعندهم لافضيلة فيه ولا بد عندهم من نسبة دين خاص . الثالثة أعجب من ذلك أنهم لا يعرفون معنى الإسلام بل هذا عندهم صورة لا معنى لها . الرابعة أعجب من الجميع أنهم إذا بين لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك مع قراءة هذه الآية وأمثالها . الخامسة التي سبق الكلام لأجلها أنك إذا عرفت ملته فالواجب الاتباع لا مجرد الإقرار مع الرغوب عنها . السادسة أن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه . السابعة أن ذلك في غاية الجهل والسفه الواضح مع ادعائهم الكمال في العلم . الثامنة كيف يطلب أفضل من طريقه والله سبحانه هو الذي اصطفاه ووعد في الآخرة ما وعده بسبب طريقه . وأما الآية الثامنة ففيها مسائل الأولى أن مسألة الإسلام الذي هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذي أمره بذلك . الثانية أنه استجاب لله فيما أمره فقال (أسلمت لرب العالمين) الثالثة وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله . فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام مع حقارته وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها . وأما الآية التاسعة ففيها العجب العجيب : الأولى أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنه وهماهما . الثانية أن يعقوب وصى بها بنيه وهم هم . الثالثة تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذي اختاره لهم فلا ترغبوا عن اختيار الله . الرابعة مع هذا التقرير الواضح عند من يدعى كمال العلم ويدعى اتباع الملة أحقر الطرائق

ولا مدح فيه ولا يصير من المسكوت عنه إلا من رغب عنه إلى اسم غيره وإلا من اقتصر عليه اتخذوه هزواً فاعتقدوا غاية جهله بل أفتوا بكفره وقتله. وأما قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فخرصوهم على لزوم ذلك إلى الممات وعدم الزيادة عليه لما في طبع الإنسان من طلب الزيادة خصوصاً مع طول الأمل. وأما الآية العاشرة ففيها مسائل: الأولى وصية يعقوب عند الموت ولم يكتف بما تقدم . الثانية لبنيه وهم هم . الثالثة لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال . الرابعة أنه قال (من بعدى) لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون . الخامسة جوابهم له (نعبد إلهك) الآية ، لأن في هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم ، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم فهذا خلاف العقل . السادسة (إلهها واحداً) يعنون للخلائق كلهم لكن مهتد وضال . السابعة إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعدموته . الثامنة ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لا شريك له ليس لك ولا لآبائك منه شيء . التاسعة أن العم أب لأن إسماعيل عمه لكن مع التغليب . العاشرة أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم مع إقرارهم بذلك ومع هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها . الحادية عشرة أن فيها رداً عليهم في المسألة الخاصة وهي اتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً . وأما الآية الحادية عشرة ففيها مسائل: الأولى المسألة التي ضل بها كثير وهي ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم . الثانية بيان أن الذي ينفع الإنسان عمله . الثالثة أن الذي يضره عمله ولا يضره معصية أبيه وابنه . وأما الآية الثانية عشرة ففيها مسائل ، وهي من جوامع الكلم أيضاً: الأولى من عبر إلى ملة كانت هي من الملل الممدوحة السالم أهلها قيل له (بل ملة إبراهيم) لأنها إن كانت باطلة فواضح وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » . الثانية وهي مما ينبغي التفطن لها أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفاً بريئاً من المشركين وذلك لأن كلا يدعيها فمن صدق قوله بالفعل وإلا فهو كاذب . الثالثة أن الحنيف معناه المائل عن كل دين سوى الإسلام لله . الرابعة أن من الناس من يدعى أنه لا يشرك وأنه مخلص ولكن لا يتبرأ من المشركين وملة إبراهيم الجمع بين النوعين . وأما الآية الثالثة عشرة ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه أن نقول ما ذكر في الآية ، وليس هذا من إظهار العمل الذي إخفاؤه

أفضل . الثانية الإيمان بجميع المنزل . الثالثة عدم التفريق بينهم . الرابعة التصريح بالإسلام . الخامسة التصريح بإخلاصنا ذلك لله ، وليس هذا من باب الثناء على النفس بل من بيان الدين الذى أنت عليه . ولهذا قال بعض السلف ينبغى لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه . وأما الآية الرابعة عشرة ففيها مسائل : الأولى قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل . الثانية أن هذا الكلام فى غاية إنصاف الخصم . الثالثة أن الذى لا ينقاد له ليس داؤه داء جهالة بل مشاقة . الرابعة أنك إذا أنصفته وأصر فهو سبب الانتقام لله منه . الخامسة الاستدلال بالصفات . وأما الآية الخامسة عشرة ففيها مسائل : الأولى قوله (صبغة الله) أى دين الله فدل على أن ذلك هو العمل . الثانية الدلالة الواضحة وهى أنه لأحسن من الدين الذى تولى الله بيانه والأمر به . الثالثة أنكم أيها الخصوم افتخرتكم بإسلامكم بالأنبياء والصالحين فإسلامنا لله وحده ، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذى تولى الله بيانه . وأما الآية السادسة عشرة ففيها مسائل : الأولى أمر الله لنا أن نحاجهم بهذه الحجة القاطعة . فإذن كان الله رب الجميع ، وأيضاً أنه يقرر لكم عدل لا يظلم بل كل عامل فعمله له وافترقنا فى كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره فكيف يسوى بينكم وبيننا أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده ؟ هذا لا يدخل عقل عاقل . الثانية أن الخصوم محاجتهم فى الله لافى غيره مع فعلهم هذا فى الخصومة . وأما الآية السابعة عشرة ففيها مسائل : الأولى إن كانت الخصومة فى الصالحين ودعواهم أنهم على طريقهم فهم يقدرُونَ أنهم يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقهم فلا يقدرُونَ بل يصرحون أنهم على غيرها ولكن يعتذرون أنهم لا يقدرُونَ عليها فكيف هذا التناقض ؟ يدعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم وزعمهم أن أحدا لا يقدر عليه . الثانية قوله (وأنتم أعلم أم الله) فهذه لا يقدر أحد أن يعارضها ، فإذا سلمها وسلم لك أن العلم الذى أنزله الله ليس هو لعدم القدرة فهذا الذى عليه غيره وهذا إلزام لا محيد عنه . الثالثة أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفاً من الناس مع كونه لا ينكره (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) فكيف بمن جمع مع الكتمان دفعها وسبها وتكفير من آمن بها . الرابعة الوعيد بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) والله أعلم . وقال رضى الله عنه قوله تبارك وتعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة

ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله (الآيتين). إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت تريد أن نعبدك عرفت أنها من أوضح ما في القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك ومن أعظم ما يبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنبي والإثبات فنفي عنهم أن يأمرُوا أتباعهم بالشرك بهم أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرُون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لا يتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة فغيرهم أظهر وأظهر ، وإذا كان الأمر الذي يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ومعرفة الإخلاص والشرك ، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ما حصل المؤمن لـكن فيه من البيان قول اليهود إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى وقول النصارى تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيزا أن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمى ويصم وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ولا يعرف ما فيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة ، وفيه ما على من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه ، وفيه أن عليه أن يعمل به ، وفيه أن يكون ربانيا ، وفيه أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه ، وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه ، وفيه معرفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه من العدل والتواضع كيف يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له ، وفيه أن من أشرك بشيء فقد اتخذ ربا ، وفيه أن قوله في القرآن من دون الله ليس كما يقول الجاهلون لأن أهل الكتاب لا يتركون عبادة الله وقوله عز وجل (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآيتين فيه ما هو من أيين الآيات للخاص والعام وكونه صلى الله عليه وسلم مذكورا مبشرا به في كتب الأنبياء ، وفيه حجة على أن دعوته عامة في الظاهر والباطن ، وفيه أن الإيمان به لا يكفي عن نصرته بل لابد من هذا وهذا ، وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه ، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده بخلاف ما عرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص في حقهم

وفيه مزيد التأكيدي بقوله (أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) وفيه إسهادهم مع شهادته سبحانه ، وفيه أن من تولى بعد ذلك جرمه أكبر ، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لا يخالف له فإذا كان هذا في أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذي أنزل الله عليهم وهو الذي ينتحلونه (فإن تولوا) بعد معرفته (فأولئك هم الفاسقون) فإن جمعوا مع التولى تكذيبه فإن جمعوا مع التكذيب الاستهزاء فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبأهم واستحلال دمه وماله فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبأهم ونصره بما قدروا عليه وبذل النفوس والأموال في نصرته وعداوة دين نبأهم وإزالته من الأرض حتى لا يذكر الله فيها فالله المستعان ، و(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ومن قوله (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) إلى قوله (وما الله يريد ظلما للعالمين) الأولى سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم . الثانية الخوف على مثلهم الردة بذلك فكيف بمن دونهم . الثالثة أن في من أوتي الكتاب من يدعو إلى الردة مثلما أن فيهم من يدعو إلى الله . الرابعة التصريح بأن ذلك بعد الإيمان . الخامسة لطف الله تعالى بعبده بدعوتهم بهذا الوصف . السادسة استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله ، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية . السابعة أن آيات الله لا نظير لها في دفع الشر في سائر الكلام كما أن رسوله لا نظير له في سائر الأشخاص في دفع ذلك . الثامنة الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لا يفهم معناه . التاسعة أن الاعتصام بحبل الله جامع . العاشرة أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم . الحادية عشرة ذكر حق تقاته . الثانية عشرة لطافة الخطاب . الثالثة عشرة لزوم الإسلام إلى الممات . الرابعة عشرة فيه التنبيه على قوله «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» لأن ذلك سبب النزول . الخامسة عشرة كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك . السادسة عشرة خوفك الردة وإن كنت من الصالحين . السابعة عشرة ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن ففيه دليل على أنه عصمة . الثامنة عشرة الأمر بالاجتماع على ذلك . التاسعة عشرة تأكيده ما تقدم بالنبأ عن الافتراق . العشرون تذكيرهم بالنعمة العظمى وهي إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جرف منها . الحادية والعشرون ذكره هذا

البيان الواضح في آياته . الثانية والعشرون أن الفائدة في تعليمهم العلم تذكر التعلم واهتداؤه . الثالثة والعشرون ذكر الأمر بطائفة متجرة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . الرابعة والعشرون تخصيصها بالفلاح . الخامسة والعشرون نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجيء الآيات . السادسة والعشرون فيه دليل على أن الله ذكر في دواء هذا الداء مافيه الشفاء . السابعة والعشرون وعيد من ارتكب هذا المنهى عنه بالعذاب الأليم . الثامنة والعشرون بياض الوجوه وسوادها التاسعة والعشرون أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أو تجرد إليه . الثلاثون الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك . الحادية والثلاثون أن هذه النصائح والمواعظ هي آيات الله . الثانية والثلاثون أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا . الثالثة والثلاثون تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق . الرابعة والثلاثون الاعتقاد بأنه لا يريد ظلم أحد من العالمين . الخامسة والثلاثون تذكيرنا بأن له مافى السموات ومافى الأرض . السادسة والثلاثون تذكيرنا بالرجوع إليه . وأما قوله تعالى (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون) .

وفيها من المسائل : الأولى أمره سبحانه وتعالى بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد لكن بشرط التفكير والتأمل ، فيا سبحانه الله ما أقطعها من حجة وكيف يخالف من أقربها . الثانية إذا تحققت معنى هذا الكلام مع ذكر الله تعالى له في مواضع من كتابه عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان وقول بعض أئمة المشركين إن الذي يفعل في زماننا شرك أصغر في غاية الفساد ، فلو نقدر أن في هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى وفعل أهل الطائف مع اللات وفعل أهل المدينة مع مناة هو الأصغر وفعل هذا هو الأكبر ولا يستريب في هذا عاقل إلا إن طبع على قلبه . الثالثة أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لا يدل على محبته لهم ولا أن ذلك كرامة وأنت تفهم لو يجرى شئ من هذا في زماننا على يدي بعض الناس ما يظن فيه أهل العلم مع قراءتهم هذا ليلا ونهارا . الرابعة معرفة العلم النافع والعلم الذي لا ينفع ، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم ونسيانهم إياها ذلك الوقت يعادون الله هذه المعادة ويوالون آلهتهم تلك الموالاة قال تعالى (أفبالباطل

يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) وأما قوله تعالى (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) إلى قوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) ففيها مسائل : الأولى ذكر سنته سبحانه في خلقه . الثانية أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة والضراء هو الأمراض . الثالثة أنه سبحانه أخبر بمراده أنه سلط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلوا سعادة الدنيا والآخرة ، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهالتهم وعتوهم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعتو . الرابعة ذكر السبب الذي منعهم من ذلك مع اقتضاء العقل والطبع له وهو قسوة القلب وكون عدوهم زين لهم ما أغضب الله عليهم فلم يعرفوا قبحها بل استحسوها . الخامسة أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شيء ، فيالها من مسألة . السادسة أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه . السابعة أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح . الثامنة أن ذلك الأخذ بغتة . التاسعة أنه بعد ذلك النعمة . العاشرة أنه سبحانه الحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم . وأما قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) إلى قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه برىء من ادعاء خزائن الله . الثانية إخبارهم بالبراءة من ادعاء علم الغيب . الثالثة إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه ملك وأنت ترى من ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده في هذه المسائل بالمعاكسة . الرابعة الاقتصاد على ما يوحى إليه واليوم عند الناس هو هو . الخامسة أن الذى يقتصر على الوحى هو البصير وضده الأعمى ومن يدعى العلم بالعكس في هذه والتي قبلها ولست أعنى العمل بل عقيدة القلب . السادسة حثه سبحانه على التفكير الذى هو باب العلم كما حث عليه سبحانه في غير موضع . السابعة الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين . الثامنة أن من فقدتهما لم تنفعه النذارة . التاسعة فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها . العاشرة النهى عن طرد المتصفين بما ذكر . الحادية عشرة عظمة شأن صلاة العصر والصبح . الثانية عشرة عظمة الإخلاص . الثالثة عشرة كون الأمر اليسير كبيراً مع الإخلاص . الرابعة عشرة ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية وهى (أن لاتزر وزارة وزر أخرى) . الخامسة عشرة أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين ، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين . السادسة عشرة أن حسن النية فى ذلك ليس عذراً . السابعة عشرة أن

منعهم من الجلوس مع العظماء في مجلس العلم هو الطرد المذكور . الثامنة عشرة ذكر فتنه سبحانه بعض خلقه ببعض . التاسعة عشرة ذكر بعض الحكمة في ذلك . العشرون أن من ذلك رفعة من لا يظن الناس فيه ذلك . الحادية والعشرون أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة التي لا تساويها من الدنيا . الثانية والعشرون أن من الفتنة حرمانه سبحانه من لا يظن الناس أنه يحرمها . الثالثة والعشرون المسألة العظيمة الكبيرة وهي الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع في أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم وخص هؤلاء بالكرامة . الرابعة والعشرون جلالة هذه المسألة وهي مسألة علم الله لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية كما ترى . الخامسة والعشرون أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكرو البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء في مواضعها ، والأشعرية يزعمون أنه لا يفعل شيئاً لشيء والله أعلم . وأما قوله تعالى (قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) إلى قوله (وهو الحكيم الخبير) ففيه أربعة عشر جواباً لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل لأجل ما فيه من مصالح الدنيا والهرب من مضارها ، ولكن ينبغي أن تعرف أولاً أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه ؛ فالأول أن تجيبه بقوله (قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) وهذا تصويره كاف في فساده . الثاني (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) وهذا أيضاً كذلك . الثالث هذا المثل الذي هو أبلغ ما يرغبك في الثبات ويبغض إليك موافقته . الرابع قولك إذا زعم أن الهدى في موافقة فلان وفلان بدليل الأقل فتجيبه (إن هدى الله هو الهدى) . الخامس أن تجيبه بقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فإذا أمرتني بالإسلام لفلان وفلان فالله أمرني بما لا أحسن منه . السادسة أن تقول وأمرنا بإقامة الصلوات وهذه خصلة مسلمة لا جدال فيها ولا يقيمها إلا الذي أمرتني بتركه والذين أمرتني بموافقتهم لا يقيمونها . السابع أنا مأمورون بتقوى الله وأنت تأمرني بتقوى الناس . الثامن أن هذا الذي أمرتني بتركه أمره (هو الذي إليه تحشرون) كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك (إنا إلى ربنا منقلبون) . التاسع أنه (هو الذي خلق السموات والأرض بالحق) وهذا مقتضى ما نهيتني عنه والذي تأمرني به يقتضى أنه خلقها باطلاً . العاشر أن هذا الذي تأمرني بترك أمره حشر هذا الخلق العظيم .

مادونه إلا قوله (كن فيكون) . الحادى عشر أن هذا الذى أمرتنى بترك أمره قوله الحق وقد قال ما لا يخفى عليك ووعد عليه بالخلود فى النعيم ونهى عما أمرتنى به وتوعد عليه بالخلود فى الجحيم وهو لا يقول إلا الحق فكيف مع هذا أطيعك .

الثانى عشر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور ، فإذا أقررت بذلك اليوم وأن عذابه ونعيمه دائماً فما ترجو فى الشفاعات كلها باطل ذلك اليوم ، وقد بين تعالى معنى ملكه لذلك اليوم فى آخر الانفطار . الثالث عشر أنه عالم الغيب والشهادة فلا يمكن التلبس عليه بخلاف المخلوق ولو أنه نبى . الرابع عشر أنه هو الحكيم الخبير فلا يجعل من اتبع أمره ولو خالف الناس كمن ضيع أمره موافقة للناس حاشاه من ذاك ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الناس فارقناهم فى الدنيا أحوج ما كنا إليهم إلى آخره والله أعلم . ومن قوله تعالى (وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر) إلى قوله (إن هو إلا ذكر للعالمين) : الأولى قوله (أنتخذ أصناماً آلهة) السؤال عن معنى الآلهة فإنها جمع إله وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر فكيف يتخذ جماداً وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضياً لأن الحيوان أكمل من الجماد فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله فكيف بمن اتخذ فاسقاً إلهاً مثل نمرود وفرعون فإن كان اتخذ بعد موته فأعجب وأعجب . الثانية القدح فى حجته لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هى فيدل على الرسوخ فى مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله (إنى أراك وقومك فى ضلال مبين) . الثالثة قوله تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة بيديه العقل لأن من رأى نحلاً كثيراً لا يتخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحدة منه فكيف بملكوت السموات والأرض . الرابعة أن هذا النفى إنما نفى لأجل الإثبات . الخامسة (وليكون من الموقنين) فلم يكمل غيره حتى كمل . السادسة عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعليم علة لإيصاله إليه . السابعة براءته من شركهم نفى أولاً كونها لا تستحق ، وثانياً عن نفسه الالتفات إليها . الثامنة نفى النقائص عن ربه . التاسعة ذكر توجهه الذى هو العمل . العاشرة ذكر الدليل الذى دله على النفى والإثبات . الحادية عشرة تحقيقه ذلك بكونه حنيفاً وهذه المسألة التى قال الله فى ضدها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الثانية عشرة تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته . الثالثة عشرة

تصريحه بالبراءة منهم بقوله (وما أنا من المشركين) . الرابعة عشرة قوله (وحاجه قومه) ولم يذكر حجته لأن كلامه كاف عن كل ما يقولون . الخامسة عشرة أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم فذكر أنه لا يخاف إلا الله لتفرده بالضر والنفع بخلاف آلهتهم فذكر النفي والإثبات . السادسة عشرة سعة العلم وما قبله سعة القدرة وهما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنا لهما . السابعة عشرة من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب ولذلك قال (أفلا تتفكرون) . الثامنة عشرة قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) الخ ، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم . التاسعة عشرة قوله (إن كنتم تعلمون) يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم . العشرون البشارة العظيمة والخوف الكثير في فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ماجرى للصحابه وما فسر لها لهم به النبي صلى الله عليه وسلم . الحادية والعشرون تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه وأنه الذى أعطاها إبراهيم عليه السلام ردًا عليهم . الثانية والعشرون أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات . الثالثة والعشرون معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها . الرابعة والعشرون كونه علما بمن هو أهل لها كما قال تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) . الخامسة والعشرون ذكر نعمته على إبراهيم بالنبيه التى أنعم عليهم بالهداية . السادسة والعشرون أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله (ونوحا هدينا من قبل) السابعة والعشرون هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومن فى درجتهم . الثامنة والعشرون ذكره الذين هداهم الله وهو الصراط المستقيم وهو المقصود من القصة . التاسعة والعشرون التنبيه على استقامته . الثلاثون القاعدة الكلية أن هذا الطريق هو هدى الله ليس للجنة طريق إلا هو . الحادية والثلاثون التنبيه على أن الهداية إليه بمشيئته ليظهر العجب وشكر النعمة . الثانية والثلاثون العظيمة التى لم يعرفها أكثر من يدعى الدين وهو تكفير من أشرك وحبوط عمله ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم . الثالثة والثلاثون أنه أعطاهم ثلاثة أشياء : الكتاب والحكم والنبوة فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه . الرابعة والثلاثون مافى قوله (فإن يكفر بها هؤلاء) إلى آخره من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم وما فيه من التنفير من الجهل وتقييده . الخامسة والثلاثون قوله (فبهداهم اقتده) أن دينهم واحد وأن

شرعهم شرع لنا . السادسة والثلاثون النهى عن البدع فإن في التحريض عليه نهياً عن ضده . السابعة والثلاثون كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد في ذلك لم يطلب منا أجراً عليه . الثامنة والثلاثون كونه ذكرى ، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر . التاسعة والثلاثون قوله (للعالمين) فيه تكذيب من قال لا يعرفه إلا المجتهد . الأربعون الحصر فيما ذكر والله سبحانه أعلم . ومن كلامه رحمه الله على آيات من سورة الأعراف الآية الأولى وصفه بأنه كتاب . الثانية كونه منزلاً إليه . الثالثة النهى عن الحرج . الرابعة التفريع . الخامسة ذكر الحكمة في ذلك وهى الإنذار العام والذكرى الخاصة . الآية الثانية فيها الأمر باتباعه . الثانية التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا . الثالثة النهى عن اتباع ماسواه . الرابعة أنه لا بد من هذا وهذا . الخامسة ذكر أن التذكر منا قليل . الآية الثالثة ذكر عقوبات من لم يفعل . الثانية أن ذلك كثير . الثالثة أن البأس جاءهم وقت الغفلة . الرابعة ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله . الخامسة أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره . الآية الرابعة لما ذكر عقوبات الدنيا توعدهم بالحساب . الثانية أن الحساب على الرسالة . الثالثة أنه عام حتى المرسلين . الرابعة أنه يقص عليهم ما فعلوا . الخامسة بسبب أنه شهيد على الجزئيات . الآية الخامسة ذكر الوعيد بالميزان . الثانية أنه الحق لقطع الأطماع . الثالثة أن الفلاح بسبب ثقله . الرابعة أن الحسارة بسبب خفته . الخامسة ذكر سبب الخفة . الآية السادسة ذكر نعمته بالتمكين في الأرض . الثانية ذكر نعمته بما فيها من المعاش . الثالثة ذكر فلة شكرهم ؛ وأما قوله عز وجل (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) إلى آخر القصة قال ابن القيم : قال ابن عباس خلقناكم يعنى آدم وصورناكم ، ومثال هذا ما قل مجاهد خلقناكم يعنى آدم وصورناكم في ظهر آدم . وفي الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم في صورة الذر ، ونظيره (فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد بأباؤهم كقوله (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وغير ذلك من الآيات . وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع كقوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) إلى آخره . فالخلق من سلالة آدم ومن نطفة ذريته ، وقيل إن صورناكم لآدم أيضاً لقوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فأضاف النفخ إلى نفسه ، وفي الصحيح في حديث الشفاعة

« فيقولون أنت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء » فذكروا له أربع خصائص . فالنفوخ منه الروح المضافة إلى الله إضافة تخصيص وتشريف والله هو الذي نفخ في طينته عن تلك الروح ، هذا الذي دل عليه النص . وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها بأمره كقوله (فنفخنا فيه من روحنا) مع قوله (فأرسلنا إليها روحنا) إلى آخره فهذا يحتاج إلى دليل فإنه أضاف النفخ في مريم لكونه بأمره ، وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ . وفي القصة فوائد عظيمة . وعبر لمن اعتبر : منها أنه خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه في غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته ، ومنها أنها من أدلة الرسل عامة ، ومن أدلة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ومنها الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم ، ومنها الدلالة على القدر خيره وشره فقد اشتملت على أصول الإيمان الست في حديث جبريل ، ومنها وهو أعظمها أنها تفيد الخوف العظيم الدائم في القلب وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره وذلك من قصة إبليس وما كان فيه أولاً من العبادة والطاعة ، ففي ذلك شيء من تأويل قوله صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع » إلى آخره ، ومنها ألا يأمن عاقبة العذاب ولو كان قبله طاعات كثيرة وهو ذنب واحد فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عاجل ، ومن هذا قول بعض السلف : نضحك وأهل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال اذهبوا فلا أقبل منكم عملاً أو كلاماً هذا معناه ، وأبلغ منه قوله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » . قال علقمة كم من كلام منعه حديث بلال يعني هذا ، ومنها أنها تخلع من القلب داء العجب الذي هو أشد من كثير من الكبائر ، ومنها وهي من أعظمها أنها تعرف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته وجبروته ، ولا يدلى عليه ولو بلغ في الطاعة ما بلغ ، وقد وقع في هذه الورطة كثير من العباد فمستقل ومستكثر ، ومنها التحذير من معارضة القدر بالرأي لقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت على) وهذه بلية عظيمة لا يتخلص منها إلا من عصمه الله لكن مكثراً ومقللاً ، ومنها وهو من أعظمها تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأي

كما استدلل بها السلف على هذا الأمر ولا يتخلص من هذا إلا من سبقت له من الله الحسنى، ومنها عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية لقوله (رب بما أغويتني) بل يقول كقول أبيه (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية، ومنها معرفة قدر المتكبر عند الله خصوصاً مع قوله (أخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) ومنها الفخر بالأصل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم التشديد في ذلك، والفخر مهى عنه مطلقاً ولو كان بحق فكيف إذا كان باطلاً، ومنها الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة ومعصية آدم بسبب الشهوة. ومنها عدم الاغترار بالعلم فإن اللعين كان من أعلم الخلق فكان من أمره ما كان. ومنها عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة فإنه كان له منزلة رفيعة وكذلك بلعام وغيره ممن له علم، ومنها معرفة العداوة التي بين آدم وذريته وبين إبليس وذريته وأن هذا سببها لما طرد عدو الله ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له؛ وهذه المعرفة مما يغرس في القلب محبة الرب جل جلاله ويدعوه إلى طاعته وإلى شدة مخالفة الشيطان لأنه سبحانه ما طرد إبليس ولعنه وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة إلا لأنه لم يخضع لنا فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان المنعم جل جلاله كما ذكر هذه الفائدة بقوله (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً)، ومنها معرفة شدة عداوة عدو الله لنا وحرصه على إغوائنا بكل طريق فيعدّ المؤمن لهذا الحرب عدته ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربه إلا بمعونة الله كما قل قتادة: إن عدوا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤنة إلا من عصم الله، وقد ذكر الله عداوته في القرآن في غير موضع وأمرنا بأنحاذه عدواً، ومنها وهو من أعظمها معرفة الطرق التي يأتينا منها عدو الله كما ذكر الله تعالى عنه في القصة أنه قال: (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم). وإنا نعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شيء من معاني هذا الكلام. قال جمهور المفسرين انتصب صراط يحذف على، التقدير لأقعدن لهم على صراطك. قال ابن القيم والظاهر أن الفعل مضمّر فإن القاعد على الشيء ملازم له فكأنه قال لألزمه ولأوصدنه ونحو ذلك. قال ابن عباس دينك الواضح ومن بين أيديهم يعني الدنيا أو الآخرة ومن خلفهم يعني الآخرة أو الدنيا. وعن أيمانهم، قال ابن عباس أشبه عليهم أمر دينهم.

وعنه أيضاً من قبل الحسنات وقوله وعن شمائلهم الباطل أرغبهم فيه . قال الحسن السيئات يحثم عليها ويزينها في أعينهم . قال قتادة إناك الشيطان يابن آدم من كل وجه إلا أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بيدك وبين رحمة الله وهذا يوافق قول من قال ذكر هذه الأوجه للمبالغة في التوكيد أى أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم ولا يناقض ما ذكر السلف فإن ذلك على جهة التمثيل ، فالسبل التى للإنسان أربعة فقط فإنه تارة يأخذ على جهة شماله وتارة على يمينه وتارة أمامه وتارة يرجع خلفه؛ فأى سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصداً له فإن سلكها فى طاعة ثبطه وإن سلكها بالمعصية هداه ، وأنا أمثل لك مثالا واحداً لما ذكر السلف وهو أن العدو الذى من بنى آدم إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا فى بعض الأشياء وهى الأشياء الغامضة والأشياء التى ليست بعالية ، فلو أراد أن يمكر بك فى أمر واضح بين مثل التردى من جبل أو برّ وأنت ترى ذلك لم يستطع خصوصاً إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة ولو أراد لميمكر بك لتتزوج عجوزاً شوهاء وأنت تراها لم يستطع ذلك ، وأنت ترى اللعين أعاذنا الله منه يأتى الآدمى فى أشياء واضحة بينة أنها من محارم الله فيحمله عليها حتى يفعلها ويزينها فى عينه حتى يفرح بها ويزعم أن فيها مصلحة ويدم من خالفه كما قال تعالى (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية ، وقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وقوله (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) وهذا معنى قول من قل بين أيديهم من قبل الدنيا فإنهم يعرفونها وعيوبها وجمعون على ذمها ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم وسفكوا دماءهم وفعلوا ما فعلوا وهذا معنى قول مجاهد من بين أيديهم من حيث يبصرون فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التى يجهلون أنها معصية مثل ما فسر به مجاهد خلفهم . قال من حيث لا يبصرون ولا من جهة الغيب كما قال فيها بعضهم إلى آخره أشكركم فيها لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاها فى الأمور التى يعرفونها عياناً أنها النافعة وضدها الضار وفى الأمور التى يعرفون أنها سيئات وضدها حسنات ومع هذا فأطاعوه فى ذلك إلا من شاء الله كما قال تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) وقال تعالى حكاية عنه (وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) الآية . قال الضحاك

مفروضا معلوما وحقيقة الفرض التقدير. والمعنى أن من اتبعه فهو من نصيبه المفروض؛
فالناس قسمان نصيب الشيطان ومفروضه وحزب الله وأولياؤه ، وقوله (ولأضلنهم) يعنى
عن الحق (ولأمنينهم) قال ابن عباس تسويق التوبة وتأخيرها . وقال الزجاج أجمع
لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة وقوله (ولأمرنهم
فليبتكن آذان الأنعام) البتك القطع وهوها هما قطع آذان البهيرة وقوله (ولأمرنهم
فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس دين الله. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم
معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة وهى الإسلام كما قال تعالى (فأقم وجهك
للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) الآية، وفى الصحيح « مامن مولود يولد
إلا على الفطرة وأبواه يهودانه » الحديث، فجمع صلى الله عليه وسلم بين الأمرين تفسير
الفطرة بالتهويد وغيره وتغيير الحلقة بالجدع وهما اللذان أخبر إبليس أنه لا بد أن
يغيرها ثم قال تعالى (يعدهم ويعنيهم) فوعده ما يصل إلى قلب الإنسان نحو سيطول
عمره وتنال من الدنيا وتعلو والدنيا دول مستكون لك ويطوّل أمله ويثمه الحسنى على
شركه ومعاصيه ويعنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها ، فالوعد فى الخير والتنى
فى الطلب والإرادة ، ومنها أن معرفة هذه القصة تزرع فى قلب المؤمن حب الله تعالى
الذى هو أعظم النعم على الإطلاق . وذلك من صنعه بالإنسان واتشريفه وتفضيله على
الملائكة وفعله بإبليس ما فعل لما أبى أن يسجد له وخلق إياه بيده ونفخ فيه من
روحه وإسكانه جنته ، وقد خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الموجودين فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم بما فعل مع آبائهم وذكرهم بذلك واستدعاهم به وذكر أنه فعل بهم
كقوله (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وغير
ذلك ، وذكر النعم هى أصل الشكر الذى هو الدين لأن شكرها مبنى على معرفتها
وذكرها ، فمعرفة النعم من الشكر وهى أم الشكر كما فى الحديث « من أسدى إليه
معروف فذكره فقد شكره فان كتم فقد كفره » هذا فى الأشياء التى تصدر من بنى
آدم فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يوما فى داريتنا كرون
ما من الله عليهم به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . وجلس الفضيل وابن أبي لبى
يتذاكرون ، ومنها أن التأويل الفاسد فى رد النصوص ليس عذرا لصاحبه كما أنه سبحانه
لم يعذر إبليس فى شبهته التى ألقاها كما لم يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئا بل

كان ذلك التأويل زيادة في كفره ، ومنها أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق كما يفعلون مع الخطيء المتأول بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التي يستحقها بقدر ذنبه والإعراض عنه إن لم يقدر عليه كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل ولما عتب على الملائكة في قتلهم أبدى لهم شيئا من حكمته وتابوا وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غزائه التي فتح الله فيها مكة فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم وبين لهم شيئا من الحكمة ، ولما قال له الرجل العابد اعدل قال له كلاما غليظا واستأذنه بعض الصحابة في قتله ولم ينكر عليه لكن ترك قتله لعذر ذكره ، ولما فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة ما فعل رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم ولا نعلم أنه عاتب خالدا ولا منعه ذلك من تأميره على الناس ، ومنها أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن الخوض معه في إبطالها تضييع للزمان وإتاعاب للحيوان مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته . وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل في رد باطلهم كما عليه المتأخرون بل يعاقبونهم إن قدروا وإلا أعرضوا عنهم . وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا فإن جاءك مسترشد فأرشده ، وهو سبحانه لما قال للعين (أنا خير منه) قال اخرج منها فإنك رجيم) ولما قالت الملائكة ما قالت (قال إني أعلم ما لا تعلمون) ثم بين لهم ما بين حتى أذعنوا ، ومنها معرفة قدر الإخلاص عند الله وحماية الله أهله لقول العين (إلا عبادك منهم المخلصين) فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص ، ومنها أن كشف العورة مستقر قبحه في الفطر والعقول لقوله (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما) وقد سماه الله فاحشة ، ومنها أنه لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بالفجرة بل يكن على حذر منهم ولو قالوا ما قالوا خصوصا أولياء الشيطان الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته فإن العين حالف (إني لكم لمن الناصحين) ، ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل في صورة الحق كما في الحديث « إن من البيان لسحرا » فإن العين زخرف قوله بأنواع : منها تسمية الشجرة شجرة الخلد ، ومنها تأكيد قوله (إني لكم لمن الناصحين) وغير ذلك مما ذكر في القصة : فينبغي للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود ، ومنها أن

في القصة شاهدا لما ذكر في الحديث « إن من العلم جهلا » أى من بعض العلم ما العلم به جهلا والجهل به هو العلم ، فان اللعين من أعلم الخلق بالحيل التي لا يعرفها آدم من أن الله علمه الأسماء كلها فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل ، وفي الحديث « إن الماجر خب لئيم ، وإن المؤمن غر كريم » وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها؟) فقل لهم ما قيل وعوتبوا فكانت توبتهم أن قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ما علمهم سبحانه ، وفي هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى في الشريعة المنبى عليها في مواضع : منها قوله صلى الله عليه وسلم « وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ومنها أنه لا ينبغي أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله فان اللعين أنظره الله تعالى ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له ، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير؛ فينبغي للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها ويعلم أن الكرامة هي لزوم الاستقامة . ومنها أن الأمور التي يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر فان الله أعطى اللعين من النظرة ما أعطاه . ومنها أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه ، وأن كثيرا منها قد لا يعلمه من نفسه فإن أكثر الكبائر القلبية مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك قد يتلطف بها الرجل وهو لا يشعر ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة وهو في غفلة عن هذه العظام ، ومنها أن يعرف قدر معصية الحسد وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به ما فعل ، ومنها وهو من أحسنها أن يعرف صحة ما ذكر عن بعض السلف أن من لم يجاهد في سبيل الله ابتلى بالجهاد في سبيل الشيطان ، ومن بخل في إنفاقه المال في طاعة الله ابتلى بإنفاقه في المعاصي وفيما لا ينفعه ، ومن لم يمش في طاعة الله خطوات مشى في معصية الله أميالا وأشباه ذلك ، والدليل من القصة شيء أبلغ من هذا بكثير فان اللعين أبى أن يسجد لرغمه أن ذلك نقصا في حقه ثم صار بعد ذلك يكدر جهده في القيادة والديانة وأنواع الرذائل ، ومنها أن في القصة معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » إلى آخره . ومن ذلك قوله حكاية عن إبليس (ولأمرنهم فليغيرن خلق الله) فإنهم ذكروا في معناه

أنه أمرهم بتغيير خلق الله وهي فطرته التي فطر عباده عليها وهي الإسلام لله وحده لا شريك له . ومنها أن فيها معنى القاعدة الكبرى في الشريعة المذكورة في مواضع : منها قول النبي صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وهي من قوله (ولا أمرهم فليبتكن آذان الأنعام) فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البهيرة تقربا إلى الله على عادات الجاهلية ، ومنها أن تفيد المعنى العظيم المذكور في قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين الرء وفنیه) وما في معناه من النصوص وذلك مستفاد من منع اللعين فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه وأنه لا محيص له عنه ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ومع ذلك لم يتب ولم يرجع بل أصرّ وعاند وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحة من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته وتقليبه القلوب كيف يشاء وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره ، ومنها أن الله سبحانه قد يعاقب العبد إذا غضب عليه بعقوبات باطنة في دينه وقلبه لا يعرفها الناس مع إمداده إياه في الدنيا كما قال تعالى (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) كما فعل إبليس ، ومنها أن فيها شهادة لما ذكر ، عن بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، ومنها أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل وذلك أن قصده الترفع فقبل له (فاخرج إنك من الصاغرین) فقصده العز فأذله الله بأنواع الذل ، ومنها الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف في قوله : والله إن معالجة النقيّ التقوى أهون من معالجة غير النقيّ الناس ، وقول من قل مصانعة : وجه واحد أهون من مصانعة ألف وجه .

وبيان ذلك أن اللعين لما تخيل أن عليه من أمر الله شيئا من النقص ، فلو قدم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم فلو قدر أن ماتخيله صحيح وأن ذلك غضاضة لكان في جنب ما آتاه من الشر والهوان والصغار جزاء يسيرا والله المستعان . فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعاده كما هو عادة الله في خلقه أن من تواضع لله رفعه ، ومنها أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والادراكات في العلوم والأعمال حتى في صحة الفراسة كما ذكر عن اللعين حيث تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين فصدق الله فراسته في قوله (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه

إلا فريقاً من المؤمنين) فإن قيل في الحديث « اتقوا فِرَاسَةَ المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ولا يناقض ما ذكرناه بل يدل على أن المؤمن أتم في هذه الخصلة من غيره وأصدق كما كان في العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك ولو كان للفجار شيء من هذا ، ومنها الشهادة المعروفة للقاعدة المعروفة في الشريعة أن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو باطل لاستثنائه المخلصين . ومنها الشهادة للقاعدة الثانية ، وهي أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول لقوله في القصة (اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى) الآية ؛ فقسم الناس إلى قسمين إلى أهل الجنة . وهم الذين اتبعوا الهدى المنزل من الله ، وأهل الشقاق والضلال وهم من أعرض عنه فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق . القاعدة الأولى فيها حديث عمر « إنما الأعمال بالنيات » والقاعدة الثانية فيها حديث عائشة « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . الثامنة عشرة فيها تذكيره ما يوارى السوءتين . الثانية تذكيره بإزالة الريش . الثالثة تذكيره بإزالة لباس التقوى . الرابعة إخباره بخير اللباسين . الخامسة ذكره أن ذلك من آياته . السادسة ذكره الحكمة في ذلك . التاسعة عشرة إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان . الثانية تمثيله بما لا يستطيع أحد دفعه . الثالثة ما جرى في طاعته من التعب الماحل . الرابعة نزع عنهما لباسهما . الخامسة مراده في ذلك . السادسة تنبيه هذا على المهم وهو كونهم يروننا ولا نراهم . السابعة القاعدة الكلية وهي من مسائل الصفات . العشرون فيها إنكاره عليهم هذه الفاحشة . الثانية الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلي . الثالثة إنكار حجته الأولى والثانية . الرابعة أمره بالقول الذي فيه تنزيه الله عن ذلك . الخامسة اشتغال هذا الكلام على ما لم يخص من المسائل . السادسة أن معرفة الله نفي ما لا يجوز عليه . السابعة إنكاره القول عليهم بلا علم . الحادية والعشرون الأولى أمره أن تقول هذا الإثبات . الثانية الاستدلال بالصفات على الأفعال . الثالثة الاستدلال بالعموم . الرابعة ذكر أمره بالعدل . الخامسة إقامة الوجه عند كل مسجد . السادسة دعوته بالإخلاص . السابعة ذكر المعاد . الثامنة الاستدلال عليه بالمبدأ . التاسعة ذكر الإيمان بالقدر بذكر الهداية والإضلال . العاشرة الإشارة إلى الأمرين . الحادية عشرة ذكر الأمر العظيم وهي اتخاذهم الشياطين أولياء .

الثانية عشرة ذكر حسابهم أنهم مهتدون . الثالثة عشرة أن ذلك ليس عذرا . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية ذكر الأكل والشرب . الثالثة ذكر النهي عن السرف . الرابعة ذكره أنه لا يحب المرففين وقوله عز وجل (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) إلى قوله (ويحسبون أنهم مهتدون) هذه الآية ذكرها الله سبحانه بعد مارد على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها : منها أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة يقولون الثياب التي عصينا الله فيها لا نطوف فيها فقال الله رداً عليهم (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) والفاحشة في هذا الموضع إخراج العورة للعبادة مثل ما يفعل كثير من الناس يكشف عورته الاستنجاء وغيره بنظره يريد بالاستنجاء في هذه الحالة التقرب إلى الله فلما رد عليهم الباطل أخبرهم بالحق الذي شرعه فقال (قل أمر ربي بالقسط) وهو العدل (وأقيموا وجوهكم عند مسجد) وهو إقامة الصلاة بحقوقها (وادعوه مخلصين له الدين) يقول ادعوه بهذا الشرط لا تدعوا مع الله أحداً . يقول الأمور التي تعبدوني بها ما أمرتكم بها والأمور التي أمرتكم بها لا تفعلونها ، فالظلم والبغى ضد القسط وهو جاهكم وسمتكم الذي تبدلون فيه الأعمار والأموال وإقامة الوجه عند كل مسجد لا تفعلونها بل إن فعاتم صليتم صلاة لا تجزى والإخلاص ليس عندكم ، ودينكم الذي ترجون عليه الثواب هو الشرك . إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف ونزل هذه الآية على أحوالهم تر العجب ، ثم قال (كما بدأكم تعودون) أي لا بد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة ثم قال (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا القدر (يهدي من يشاء ويضل من يشاء) فجمع في هذه الآية الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالشرع والإيمان بالقدر وذكر فيها تفصيل الشرع الذي أمر به وذكر حال من عكس الأمر فجعل المنكر معروفا والمعروف منكراً ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة ، وهي (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) فلا أجهل ممن هرب من طاعة الله واختار طاعة الشيطان ، ومع هذا يحسب أنه مهتد مع هذا الضلال الذي لا ضلال فوقه والله أعلم . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية إضافتها إلى الله . الثالثة تنبيهه على العلة بقوله من الرزق . الرابعة أمره أن يقول هذا القول .

الخامسة ذكر تفصيل الآيات . السادسة ذكر أهل هذا التفصيل . الرابعة والعشرون أمر أن نقول هذا القول . الثانية حصر المحرمات فيما ذكر . الثالثة تحريم الفواحش . الرابعة تحريم الإثم والبغى بغير الحق . الخامسة تحريم الشرك . السادسة ذكر هذا القيد العظيم . السابعة تحريم القول على الله بلا علم . قوله (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) الآية . فيه مسائل : الأولى تفصيل شئ من قوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) . الثانية معنى قوله « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » . الثالثة الملائكة في الدعوة إلى الله لقوله « يا قوم » أضافهم إلى نفسه . الرابعة التي أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها . الخامسة تفسير الإله . السادسة دعاؤهم بالرغبة . السابعة دعاؤهم بالتخويف . الثامنة جواب الملائكة لهذا الكلام بهذه الجهالة . التاسعة كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة بل إلى السفاهة بل إلى السحر بل إلى الجنون . العاشرة حسن جوابه لهم ومقابلته بالإساءة بالتي هي أحسن . الحادية عشرة تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين . الثانية عشرة تعريفهم بما فيه من الخصال التي لا غناء لهم عنها . الثالثة عشرة تعريفهم أن تلك الخصال لا تقتضي الحسد بل تقتضي المحبة والانقياد . الرابعة عشرة لما عرفهم أن الرسالة التي أتتهم منه وعظهم بأنه رب العالمين . الخامسة عشرة تعريفهم أن هذا الذي استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب في العقل وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله . ففي هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق وذكر أدلته العقلية وإبطال الباطل وذكر الأدلة العقلية على بطلانه ما لا يخفى على من له بصيرة . السادسة عشرة ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل الفريقين . السابعة عشرة ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته فدل على أنه أتاهم بآيات الله . الثامنة عشرة أن السبب في ذلك التكذيب هو العمى والجهالة فهي وصفهم لا وصف خصومهم . وأما قصة عاد فنذكر ما فيها من الفوائد خاصة . الأولى التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك . الثانية وصفه الملائكة منهم بالكفر . الثالثة وصفهم نبهم بالسفاهة التي هي أبلغ من الجهل . الرابعة وصفهم إياه بالكذب . الخامسة استعظافه إياهم بأمانته . السادسة وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة . السابعة فيه ما يدل على أنهم يعلمون ذلك لقوله (واذكروا) . الثامنة وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم في الأرض بعد قوم نوح .

التاسعة وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم في الخلق بسطة. العاشرة ذكر أن ذلك لا يدل على الكرامة بل قد يكون السبب للإهانة الحادية عشرة ذكر أن هذا الذي كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم. الثانية عشرة ذكر ما أجابوه به عن هذا الكلام الذي هو في غاية الحسن . الثالثة عشرة ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم في توحيد العبادة لا في أصل العبادة . الرابعة عشرة ذكر أن عمدتهم اتباع السواد الأعظم. الخامسة عشرة زيادة العقوبة لهم (فأثنا بما تعدنا). السادسة عشرة ذكر أن الصدق ممدوح عندهم وكذلك الكذب مذموم عندهم . السابعة عشرة ذكر المسألة المهمة وهي إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل مع كونه لم ينزل فيه نص من الله . الثامنة عشرة كونه بين لهم كبر جهالهم كيف تجاسروا على الجدل بذلك . التاسعة عشرة معرفة الأشياء التي لاحقيقة لها من الحقائق . العشرون كون الشيء معمولاً به قرناً بعد قرن من غير تكبر لا يدل على صحته ، الحادية والعشرون أمره إياهم بانتظار الوعيد. وأما قصة ثمود فنذكر ما فيها من الزوائد على القصتين أيضاً: الأولى وعظه إياهم بالآية العظيمة . الثانية استعطافهم بذكر ربوبية من جاءت منه لهم . الثالثة ذكر إضافة الناقة إلى الله . الرابعة تفسير البينة لهذا . الخامسة تخصيص الله إياهم بناقته . السادسة العجب العجيب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم وهو كف الأذى عن ناقة الله التي فيها من نعم الدين والدنيا لمن قبلها ما لا يظنه الظانون . السابعة أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى . الثامنة تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور في السهل . التاسعة نعمة الله عليهم في هذه القوة العظيمة وهي قدرتهم على نحت الجبال بموتنا . العاشرة تذكيرهم بنعم الله فدل على أنهم يعرفون ذلك . الحادية عشرة وعظه إياهم أن الذي ينهاهم عنه هو الفساد في الأرض ، وهو قبيح بإجماع العقلاء . الثانية عشرة ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التي جمعت لهم خير الدنيا والآخرة . الثالثة عشرة نعمته الملاءم بهم بالكبر . الرابعة عشرة أن الذين استجابوا للحق هم الضعفاء ، وأما الملاءم المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم . الخامسة عشرة جمعهم بين هذه الثلاث عقر الناقة والعتو عن أمر ربهم وقولهم لرسولهم هذا . السادسة عشرة ذكر قولهم (إن كنت من المرسلين) فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة . السابعة عشرة ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه . الثامنة عشرة ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن . التاسعة عشرة ذكر أن العلة في عدم

القبول عدم المحبة للناصح لاعدم البيان . وأما قصة لوط فسنذكر أيضا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث : الأولى التصريح أن هذا الفعل لم يفعل قبلهم . الثانية موعظة نبيهم إياهم بذلك فدل على أنه متقرر عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس لغيره . الثالثة تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام . الرابعة تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا لقوله (إنه كان فاحشة) . الخامسة تنبيههم على مخالفة العقول والشهوات لقوله (أتأتون الرجال شهوة من دون النساء) فتتكون موضع الشهوة مع حسنه عقلا ونقلا وتتبدلون به غير المشتبه مع قبحه عقلا ونقلا . السادسة تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السرف . السابعة هذا الجواب العجيب تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل . الثامنة إقرارهم أن آل لوط الطيبون وأنهم الحبيثون . التاسعة تصريحهم أن هذا هو الذي تقوم عليهم وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد . العاشرة ما في إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد والدلالة على أن من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل عملهم . الحادية عشرة ذكر الأمر بالنظر في عاقبة المجرمين . وقوله عز وجل (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فيه مسائل : الأولى معرفة أن لا إله إلا الله كما في قصة آدم وإبليس ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك وهو الغلو في الصالحين والجهل بعظمة الله . الثانية معرفة أن محمداً رسول الله يعرفه من عرف عداوة علماء أهل الكتاب له . الثالثة معرفة الدين الصحيح والدين الباطل لأنها نزلت في إبطال دينهم الذي نصرّوا وتأييد دينه الذي أنكروا . الرابعة معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حيله . الخامسة أن من انسلخ من الآيات أدركه الشيطان ومن لم ينسلخ منها حمته منه ثم صار أكثر من انتسب إلى العلم يظن العكس . السادسة خوف الخاتمة كما في حديث ابن مسعود . السابعة عدم الاغترار بغزارة العلم . الثامنة عدم الاغترار بصلاح العمل . التاسعة عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء . العاشرة أن الانسلاخ لا يشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه . الحادية عشرة أن من أخلد إلى الأرض واتبع هواه لو عرف الحق أحبه ، ولو عرف الباطل أبغضه . الثانية عشرة معرفة الفتنة فإنه لا بد منها فليتهاهب ويسأل الله العافية لقوله (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) الآيتين . الثالثة عشرة عدم أمن مكر الله . الرابعة عشرة عقوبة العاصي في دينه ودنياه . الخامسة عشرة ذكر مشيئة الله وذكر السبب

من العبد . السادسة عشرة أن محبة الدنيا تكون سببا لردة العالم عن الإسلام .
السابعة عشرة تمثيل هذا العالم بالكلب في اللهث على كل حال . الثامنة عشرة أن هذا
مثل لكل من كذب بآيات الله فليس مختصا . التاسعة عشرة كونه سبحانه أمر بقص
القصص على عباده . العشرون ذكر الحكمة في الأمر به . الحادية والعشرون قوله (ساء
مثلا) كقوله (بنس مثل القوم) . قوله (يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا
أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون
من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) فيه ثمان حالات :
الأولى ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة
كما جرى لسعد مع أمه . الحال الثانية أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه
وتركه لا يفتن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته فذكر هذه الحال
بقوله (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) . الحال الثالثة إن قدرنا أنه ظن وجود
الذكر والفعل منه فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ولو لم يقض هذا الفرض
إلا بالحرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يباغون الغاية في العداوة حتى يصرح
بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم . الحال الرابعة إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث
فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين والجد والصدق وهو إقامة الوجه للدين . الحال
الخامسة إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلا بد له من مذهب ينتسب إليه
فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ففي الحنيفية
عنه غنية . الحال السادسة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن
يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم . الحال السابعة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود
الحالات الست فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غيره لشيء من مقاصده ، ولو كان ديننا
يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصا عند الخوف أنه
لا يدخل في هذا الحال . الحال الثامنة إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من
إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح
الناس قد صار من الظالمين أو يقول كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك
وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من يفهمه ، وإن لم يعمل بل ما أعز من
لا يظنه جنونا . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مافي سورة هود من العلوم : الأول علم معرفة الله ذكر أنه حكيم . الثانية أنه خير . الثالثة أنه قدير . الرابعة أنه ذكر شيئاً من تفصيل العلم في قوله (ألا إنهم يثنون صدورهم) الآية . الخامسة ذكر شيئاً من تفاصيل القدرة في قوله (ومامن دابة) الآية . السادسة (خلق السموات والأرض في ستة أيام) . السابعة كون عرشه على الماء . الثامنة ذكر شيئاً من تفصيل الحكمة في قوله (ليباؤكم أيكم أحسن عملاً) . التاسعة كونه وكيلاً على كل شيء . الثاني الإيمان باليوم الآخر ذكر أنه إليه المرجع . الثاني (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت) . الثالث ذكر الجنة والنار . الرابع ذكر العرض عليه . الخامس كلام الأشهاد . السادس ضل عنهم افتراؤهم . السابع كونهم هم الأخسرون في الآخرة . الثالث تقرير الرسالة : ذكر أولاً المسألة الكبرى . الثانية أنه نذير من الله وبشير لنا . الثالثة تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها سحر مبين مع موافقتها للعقل . الرابعة تقريرها بقولهم (لولا أنزل عليه كنز) . الخامسة تقريرها بمعرفة العلماء بها . السادسة تقريرها بالتحدى . السابعة تقريرها بأنها الحق من الله . الرابع ذكر الوعد والوعيد : ذكر المتاع الحسن لمن قبله . الثانية ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى . الثالثة (يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) . الرابعة وعيد من أراد الدنيا . الخامسة وعيد من افترى عليه . السادسة وعد المؤمنين المحبتين . السابعة وعيد من كفر . الثامنة (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) بالقرآن . الخامس ذكر الأمر والنهي : فذكر النهى عن الشرك والأمر بالإخلاص . الثانية الأمر بالاستغفار والتوبة . الثالثة الأمر بالمضى على أمر الله بالتحدى . الرابعة نهيه عن المرية فيه . السادس أمور مدحها لنفعلها منها الصبر . الثانية عمل الصالحات . الثالثة مدح العلم الصادر عن اليقين . الرابعة مدح معرفة القرآن . الخامسة ذكر نتيجة الأمرين . السادسة الإيمان . السابعة الإخبارات إلى الله . السابع أمور كرهها ذكرها لتترك : منها التولى . الثانية تنهى الصدر . الثالثة الاعتراض على الحق الصريح . الرابعة استبطاء وعيد الله . الخامسة كون الإنسان يثوسا عند الضراء . السادسة كونه كفوراً عندها . الثامنة كونه فرحاً عند النعماء خفوراً عندها ولو كانت بعد ضراء والتي قبلها ولو كانت بعد سراء . التاسعة

نتيجة معرفة الإيمان . العاشرة فائدة النتيجة . الحادية عشرة كونه يريد الدنيا . الثانية عشرة كونه يفترى على الله الكذب . الثالثة عشرة الصد عن سبيل الله . الرابعة عشرة بغى العوج لها . الثامن النشور ذكر أن الأكثر لا يؤمنون به . الثانية ذكر مثل المؤمنين . الثالثة ذكر مثل الكافرين . الرابعة التنبيه على التذكير بالخالين . الخامسة كونهم ما يستطيعون السمع . السادسة الفرق بين العالم والجاهل .

وقوله عز وجل لما ذكر قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) إذا تأمل الإنسان حاله أول ما تعلم من العلوم من أهله ثم تفكر في هذه القصة هل علم منها زيادة على ما عنده ولا عرف مسائل : الأولى عظمة الشرك ولو قصد ما فيه صاحبه التقرب إلى الله وذلك ما فعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودا وسواها وبغوث ويعوق ونسرا . الثانية شدة بطشه وعقوبته حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك . الثالثة معرفة آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما قصه مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة . الرابعة التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شيء ولو كان نبياً مرسلًا لسبب ما فيها من قصة ابن نوح . الخامسة تبين الله سبحانه الحجج الباطلة والتحذير منها مع أنها عندنا أولى وعند أكثر الناس حجج صحيحة . السادسة تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله أو علم الغيب مع أن الطواغيت في زمننا ادعوا ذلك وصدّقوا وعبدوا لأجل ذلك . السابعة التحذير من استحقاق الفقراء والضعفاء لقوله (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتبهن الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين) مع أنه سائغ ممن يدعى العلم ويستحسنه الناس منهم . الثامنة وهي من أعظم الفوائد التحذير من الشبهة التي أدخلت أكثر الناس النار وهي السواد الأعظم والنفرة من القليل لقوله (وما آمن معه إلا قليل) . التاسعة معرفة شيء من عظمة الله في تأديبه الرسل لما قال لنوح (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) . العاشرة وهي من أهمها أن فيها شاهدا لقول الحسن نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا وقال لا أغفر لكم وذلك من قوله (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) مع سخريتهم منه . الحادية عشرة التحذير من اتباع رؤساء الدنيا وقبول حججهم لقوله (قال الملاء) وهم الأشراف والرؤساء

الثانية عشرة بيان الله تعالى لتلك الحجج ، فقلوه (ما نراك إلا بشرا مثلنا) فيه القياس الفاسد وقولهم (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج بما ليس حجة ، وقولهم (وما نرى لكم علينا من فضل) احتجاج برؤيتهم وهو من أفسد الحجج وقولهم (بل نظنكم كاذبين) احتجاج بالظن . الثالثة عشرة أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذي عليه نوح وأتباعه أمر الله ثم جاهروا بعصيانهم بل قالوا (نظنكم كاذبين) وقالوا (لو شاء الله لأنزل ملائكة) وغير ذلك ، وأنت ترى الدين يكونون من أهل العلم والعبادة كيف يقرون ويجادلون بالكفر (ويحسبون أنهم مهتدون). وقال رضى الله عنه في الكلام على قوله تعالى حكاية عن يوسف (يا صاحبي السجن ، أرباب متفرقون) دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد بأنواع من الأدلة : أحدها أنه ذكر أن هذا العلم الذي تميز به عليهما وعلى غيرها أنه من تعليم ربه إياه ، فالذى يعطى ويمنع هو الذى يستحق العبادة . الثانية أنه حكيم يضع الأشياء فى مواضعها فشرفنى بسببين ترك الشرك وفعل التوحيد . الثالثة أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء . الرابعة أن الشرك لم يرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يرخص فى غيره . الخامسة أنه منفى عما سوى الله فليس يصح منه شئ لغيره ولو علت درجته . السادسة أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد وهو أفضل النعم . السابعة أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك . الثامنة أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به لا مجرد العلم . التاسعة أنه ذكر لهم ما يحرضهم على القبول ، وهو أن الداعى من أهل ذلك البيت . العاشرة أن مع هذا البيان الواضح أكثر الناس لا يشكر . ثم قرره بالأدلة العقلية وذلك من وجوه : الأول أن الله خير من المخلوقين . والثانى أنه واحد وأولئك أرباب متفرقون . الثالث أنه قهار وهم عاجزون . الرابع العجب العجيب من إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لاحقيقة لها . الخامس أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها . السادس نفى الأدلة عنها وهى إنزال الله الحجة بذلك . السابع تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره . الثامن أن الذى له الحكم حكم بهذا أو ألزم به واختص به عن جميع ما سواه . التاسع أن هذا هو الدين الصحيح فقط . العاشر أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا قليل . ومن قصة أول سورة الكهف : ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط

إلى أحبار يهود فقالوا سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول ، ففعلوا ففقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول فإن لهم حديثاً عجيباً ، وسلوه عن طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح فأقبلا فقالا جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . فسألوه عن الثلاث؟ فقال : سأخبركم ولم يستثن فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل فشق ذلك عليه حتى جاء بالسورة فيها المعاتبة على حزنه عليهم وخبر مسائلهم . ففي الآية مسائل : الأولى حمده نفسه على إنزاله الكتاب الذي هو أكره شيء أتاهم في أنفسهم مع كونه أجل ما أعطاهم من النعم . الثانية أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين ، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم . الثالثة أنزله مبتدلاً لعوج فيه ، ففيه معنى قوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) . الرابعة أن الأعداء والمشبهين لا يجدون فيه مغمزا بل ليس فيه إلا ما يكسرهم . وقوله (لينذر بأما شديداً من لدنه) ذكر الفائدة في إنزاله فذكر فوائد : الأولى لينذر عذاب الله فيصير سبباً للسلامة منه . الثانية بشارة من انتقاد إليه بالحظ المذكور . الثالثة الإنذار عن الكلمة العظمى التي تفوقها من تفوقه إليه بتعظيم الصالحين . الرابعة الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم لانهم ولا بمن قبلهم . الخامسة تعظيم الكلمة كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه) . السادسة أن الكذب يسمى كذباً ويسمى صاحبه كاذباً ولو ظن أنه صادق ، ويصير من أكبر الكذابين المقترين . وقوله (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) أي قاتلها أسفاً على هلكتهم ، ففيه ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة عليهم وتسليمية الله سبحانه له . وقوله (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) فيه مسائل : الأولى التسليمية للمؤمن عمن أدبر عنه . الثانية أن حكمة الله التزيين ليعين الأحسن عملاً من غيره . الثالثة أن جميعها يصير صعيداً جرزا أي لا نبات ينبت فيه . قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يعني أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة أعظمها الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك والدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ، ومن قبله الدلالة على اليوم الآخر . ففي الآيات المشاهدة من خلق السموات والأرض وغير ذلك ما هو أعجب وأدل على المراد من قصتهم مع إعراضهم عن ذلك . وأما دلالتها على التوحيد

وبطلان الشرك فواضح . وأما دلالتها على النبوات فكذلك كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته . وأما دلالتها على اليوم الآخر فمن طول مكثهم لم يتغيروا كما قال تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) . وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الآية، فيه مسائل : الأولى كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة ، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن الفرار منها . الثانية قولهم (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى من عندك لانهصلها بأعمالنا ولا بحياتنا . الثالثة قولهم (وهى لنا من أمرنا رشدا) طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدا مع كونه عملا صالحا فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه أو يرجع على عقبه أو يشمر له العجب والكبر ، وفى الحديث « وما قضيت من قضاء فاجعل عاقبته رشدا » . وقوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) إلى قوله (من أمركم مرفقا) فيه مسائل : الأولى من آيات النبوة وإليه الإشارة بقوله (الحق) . الثانية (إنهم فتية) وهم الشبان وهم أقبل للحق من الشيوخ عكس ما يظن الأكثر . الثالثة قوله (إنهم آمنوا بربهم) فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله . الرابعة ما فى الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد الخامسة فى قوله (وزدناهم هدى) أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، و« من عمل بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لا يعلم » . السادسة أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه ولولا ذلك الربط لافتنوا . السابعة قولهم (ربنا رب السموات والأرض) فهذه الربوبية هى الألوهية . الثامنة المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول : لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين . التاسعة المسألة العظيمة الشككة على أكثر الناس مع أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقهم فقد كذب فى قوله لا إله إلا الله واتخذ إلهين اثنين وما أكثر الجهل بهذه والى قبلها . العاشرة أن ذلك لو يصدر منهم أعنى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك فى قوله (شططا) والشطط الكفر . الحادية عشرة قوله (لو لا يأتون عليهم بساطان بين) فهذه المسألة مفتاح العلم ، وما أكبر فائدتها لمن فهمها . الثانية عشرة قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) ففيه أن مثل هذا من افتراء الكذب على الله وأنه أعظم أنواع الظلم ولو كان صاحبه لا يدري بل قصد رضاء الله . الثالثة عشرة قوله (وإذا اعتزتموهم وما يعبدون إلا الله) فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوديهم وأن ذلك لا يجرك إلى ترك مامعهم من

الحق كما قال تعالى (ولا يجزمنكم شئان قوم على أن لا تعدلوا) . الرابعة عشرة قوله تعالى (فأووا إلى الكهف فيه شدة صلابتهم في دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفا في رأس جبل . الخامسة عشرة حسن ظنهم بالله ومعرفتهم ثمر الطاعة ، ولو كان مبادئها ذهاب الدنيا حيث قال : (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) . السادسة عشرة الدليل على الكلام المشهور أن التعب يشمر الراحة والراحة تشمر التعب . السابعة عشرة عدم الاغترار بصورة العمل الصالح قرب عمل صالح في الظاهر لا يثمر خيرا أو عمل صالح يهيئ لصاحبه مرفقا . العشرون قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) فيه مسائل : الأولى كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة . الثانية أن الصواب في المسائل المشكلة عدم الجزم بشيء بل قول الله أعلم . فالجهل بها هو العلم . الثالثة التورع في المأكل . الرابعة كتمان السر . الخامسة المسألة العظيمة وهي قولهم (إن يظهروا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) عرفوا أنه لا بد من أمرين إما الرجم وإما الإعادة في الملة ، فإن وافقوا على الثانية لم يفلحوا أبدا ولو كان في قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر . وقوله تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) فيه مسائل : الأولى أن الإغثار عليهم لحكمة . الثانية معرفة المؤمن إذا أعثر عليه (أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) كما رد سبحانه موسى إلى أمه (لتعلم أن وعد الله حق) . فتأمل هذا العلم ماهو . الثالثة أن الساعة آتية لا ريب فيها لما وقع بينهم من النزاع ، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة فأعثر عليهم ليكون دليلا على بعث الأجساد . الرابعة أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا . فإذا تأملت ما قالوا وأن الذي حملهم عليه محبة الصالحين ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم « أولئك إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » عرفت حقيقة الأمر . قوله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) الآية . فيه مسائل : الأولى الإخبار بالغيب . الثانية بيان الجهل والباطل بالتناقض . الثالثة الإنكار على المتكلم بلا علم . الرابعة إسناد الأمر في هذه المسائل إلى علم الله سبحانه . الخامسة الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه . السادسة أن من العلماء من يعرف عدتهم لكنهم قليل . السابعة النهي عن المراء في شأنهم . الثامنة الاستثناء . التاسعة النهي عن استفتائنا أحدا من هؤلاء فيهم .

العاشرة (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) فيه مسائل : الأولى
النهى عن مثل هذا الكلام . الثانية الرخصة مع الاستثناء . الثالثة الأمر بذكر الله
عند النسيان . الرابعة الاستثناء يقع في مثل هذا . الخامسة الدعاء بهذا الدعاء عند النسيان
إن صح التفسير بذلك . وقوله (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) إلى آخر الكلام ، فيه
مسائل : الأولى النص على مدة لبثهم . الثانية الرد على المخالف بقوله (الله أعلم بما لبثوا) .
الثالثة الرد عليه بقوله (له غيب السموات والأرض) . الرابعة الرد عليه بقوله (أبصر
به وأسمع) . الخامسة قولهم (ما لهم من دونه من ولي) . السادسة كونه لا يشرك في حكمه
أحدا . السابعة النهى عن إشراك مخلوق في حكم الله على قراءة الجزم . الثامنة الحث
على تلاوة الوحي وإن عارضه شبهة أو شهوة . التاسعة تقريره ذلك بقوله (لا مبدل
لكلماته) . العاشرة تقرير ذلك بقوله (وإن تجد من دونه ملتحدا) . الحادية عشرة
الكبيرة وهي أمره نبيه أن يصبر نفسه مع من ذكر . الثانية عشرة لا يصبر المؤمن
كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها . الثالثة عشرة أن يلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ما ذكر .
الرابعة عشرة أن صلاة البردين بإخلاص توصل إلى المراتب العالية . الخامسة عشرة فيه
قوله « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » السادسة عشرة
النهى عن طلوع العين عنهم إرادة لمجالسة الأجلاء . السابعة عشرة المسألة الكبرى وهي
اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله . الثامنة عشرة أنه لما ذكر الخوثر على مجالستهم
ذكر ضدهم . التاسعة عشرة نهيه عن طاعة الضد . العشرون سبب ذلك . الحادية
والعشرون ذكر الخصال الثلاث : إغفال القلب عن ذكر الله . واتباع الهوى ، وانفراط
الأمر . الثانية والعشرون إثبات القدر ، وهو الإغفال . الثالثة والعشرون لا يخرج
من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهما جيدا . الرابعة والعشرون قوله (وقل الحق
من ربكم) الآية .

وأما قصة موسى والخضر عليهما السلام ففيها مسائل : الأولى ما يتعلق بجلال الله
وعظمته ، وفيه مسائل : الأولى سعة العلم بقوله « ما نقص علمي وعلمك » ، وهذا من أعظم
مسمعا من عظمة الله . الثانية الأدب مع الله لقوله فعتب الله عليه . الثالثة الأدب معه
أيضاً في قوله (فأردت أن أعيها) وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) . الرابعة
معرفة أنواع سعة جود الله تعالى ومن ذلك العلم اللدني . الخامسة الأدب معه تعالى

بمعرفة أن له أسراراً في خلقه تخفى على الأنبياء فلا ينبغي الغفلة عن هذه المهمة .
 السادسة الأدب معه في تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم . السابعة معرفة شيء من
 عظيم قدرة الله من إحياء الموتى وجعله سبيل الحوت في الماء طريقاً وغير ذلك، ومعرفة
 هذا مع الأولى هما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتهما . الثانية ما يتعلق
 بأحوال الأنبياء، وفيه مسائل : الأولى أن النبي يجوز عليه الخطأ . الثانية أنه يجوز
عليه النسيان . الثالثة فضل نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة لقوله موسى
 بنى إسرائيل . الرابعة ما جبل عليه موسى عليه السلام من الشدة في أمر الله . الخامسة
 أنه لا ينكر إصابة الشيطان للأنبياء بما لا يتدح في النبوة لقوله (نسيا حوتهما) مع قوله
 (وما أنسانيه إلا الشيطان) . السادسة ما عليه الإنسان من البشرية ولو كان نبياً وذلك
 من أدلة التوحيد وذلك من وجوه : منها قوله (فاستطعما أهلها) . الثالث مسائل الأصول
 وفيه مسائل أعظمها التوحيد ، ولكن سبق آنفاً فنقول : الأولى الدليل على اليوم
 الآخر لأن من أعظم الدلالة إحياء الموتى في دار الدنيا . الثانية إثبات كرامات الأولياء
 على القول بعدم نبوة الخضر . الثالثة أنه قد يكون عند غير النبي صلى الله عليه وسلم
 ما ليس عند النبي . الرابعة إذا احتمل اللفظ معاني فأظهرها أولاها كما قال الشافعي .
 الخامسة إثبات الصفات كما هو مذهب السلف . الرابعة ما فيها من التفسير : الأولى أن
 المذكور هو الخضر لا كما قال الحر بن قيس . الثانية موسى هو المشهور عليه السلام
 خلافاً لنوف . الثالثة أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما باعها .
 الرابعة قوله (ألم أقل) . الخامسة أن قوله (يأخذ كل سفينة غصبا) المراد سفينة سالمة من
 العيب . السادسة أن غداً هما هو الحوت . السابعة أن قوله (عجباً) أى لموسى وفتاه .
 الثامنة لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات وإن وقع فيه من وقع .
 التاسعة أن السلف يشددون في ذلك تشديداً عظيماً لقوله « كذب عدو الله » . العاشرة
 أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصاً بالآخرة بل يدخل فيه أمور الدنيا حق
 في الذرية بعد موت العامل . الخامس أدب العالم مع المتعلم ففيه مسائل : الأولى تسمية
 التلميذ الخادم فتى . الثانية أن تملك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع يوشع . الثالثة تعلم العالم
 ممن دونه . الرابعة اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها لانهمة يفيضها . الخامسة التعلم بعد
 الرياسة . السادسة الرحلة في طلب العلم . السابعة رحلة الفاضل إلى المفضل . الثامنة

ركوب البحر لطلب العلم . التاسعة اشتراط الشيخ على المتعلم . العاشرة الشروط والتزام المتعلم
الشروط . الحادية عشرة الاعتذار بالنسيان . الثانية عشرة قبول الاعتذار . الثالثة عشرة
قبول المتعلم لقوله (هل أتبعك) إلى آخره . الرابعة عشرة قبول نصيحة الشيخ لعلمه منك
ما لا تعلمه من نفسك وإن كنت أفضل منه . الخامسة عشرة أن من المسائل ما لا يجوز
السؤال عنه . السادسة عشرة أن من المسائل ما لا ينبغي للمسئول أن يجيب عنه .
السابعة عشرة إعفاء المتعلم مما يكره . الثامنة عشرة مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط .
التاسعة عشرة احتمال المشاق في طلب العلم لقوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) .
السادس مافيها من مسائل الفقه : فالأولى عمل الإنسان في مال الغير بغير إذنه إذا خاف
عليه الهلاك . الثانية من شرط الجواز خوف الهلاك بل قد يجوز للإصلاح لقصة
الجدار . الثالثة أنه ليس من شرط المسكين في الزكاة أنه لا مال له . الرابعة أنه استدل
بها على أنه أحسن حالا من الفقير . الخامسة أنه لا بأس بالسؤال في بعض الأحوال
لقوله (استطعما أهلها) . السادسة أنه من لم يعط يتعزّ بهذه القصة ، وكم ممن هان على
الناس وهو جليل عند الله ، وقد قيل :

فإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

السابعة أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التي شرطها بعض الفقهاء . الثامنة أنه يجوز
أخذ الأجرة على العمل الذي لا يكلف خلاف ما توهمه بعضهم . التاسعة الترحم على الأنبياء ،
وأنه لا ينقص من قدرهم بل هو من السنة . العاشرة أن تمنى العلم ليس من التمنى المذموم .
الحادية عشرة أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة . الثانية عشرة كيف الجواب
إذا سئل أيّ الناس أعلم . الثالثة عشرة خطأ من قال تخلو الأرض من مجتهد .
الرابعة عشرة التعزّي باختيار الله وحسن الظن فيما تكره النفوس . الخامسة عشرة
الخوف من مكر الله عند العمل . السادسة عشرة قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) لا يعد
من الشكوى . السابعة عشرة الفرق من المسألة المأمور بها والمنهى عنها وإن كان
معذورا بل مأجورا . الثامنة عشرة سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة . التاسعة عشرة
أن الخضر معروف في ذلك الزمان لقوله « لما عرفوه حملوه بلا نول » . العشرون أن
احتمال المنّة في مثل هذا لا بأس به . الحادية والعشرون شكره نعمة الخلق . السابع
المنثور الجامع : الأول القصة بجملتها من أعجب ما سمع ولا يعرف في نوعها مثلها .

الثانية عين الحياة وما لله من الأسرار في بعض المخلوقات . الثالثة ما ابتلى به موسى عليه السلام مما لا يحتمله وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة . الرابعة نسيان الفتي الحوت في ذلك اليوم وتلك الليلة ونصف اليوم الثاني ، مع أنه لم يكلف إلا ذلك ومع أنه زادها يحمل على الظهر . الخامسة الأمر العظيم في الماء صار طاقا حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدنيا . السادسة أن الشيطان يتسلط تسلطا لا يعرف لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب . السابعة الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة الثامنة الرد على منكري الأسباب ، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة وتثبيت أبوى الغلام وإخراج الكنز له بدون ماجرى . التاسعة الرد على من قال إن موسى لا يجوز له السكوت عنه لأنه اعتذر من النسيان ولأنه لا يعد من نفسه ترك واجب . العاشرة الحكم بالظاهر لقوله عليه السلام (نفسا زكية) الحادية عشرة تسمية المدينة قرية . الثانية عشرة أن التأويل في كلام الله وكلام العرب غير ما يريد المتأخرون . الثالثة عشرة أن المال قد يكون رحمة وإن كان مكنوزا . الرابعة عشرة فائدة طلب العلم للرشد . الخامسة عشرة نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله . السادسة عشرة أن ذلك الممنوع قد يكون أنضل ممن يعرف ذلك . السابعة عشرة أن الكلام يقتصر على المتبوع لقوله (فانطلقا) كما قيل (اهبطوا منها جميعا) . وقوله عز وجل (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما يحكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها خمس مسائل : الأولى كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر الذي تصديقه (ليس لك من الأمر شيء) بتوحيد الألوهية وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقتلوه . الثالثة تعظيمه بقوله (فمن كان يرجو لقاء ربه) كما تقول لمن خالفك كلامي مع من يدعى أنه من أمة محمد . الرابعة أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا يشرك بعبادة ربه أحدا ؛ ففيه التصريح بأن الشرك في العبادة ليس في الربوبية ، وفيه الرد على من قال أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بالصالحين لأنه قال (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فليس بعد هذا بيان ، وافتتح الآية بذكره براءة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة وختمها بقوله « أحدا » . اعلم رحمك الله أنه لا يعرف هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية تميزا

تاما ، وأيضاً يعرف ما عليه غالب الناس : إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذى لم يصل شرك المشركين إليه ، وإما مصدق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى والله أعلم . وقوله عز وجل (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) الآيتين ، فيه مسائل : الأولى أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنهم فيدل على أنه من عظيم الأمور . الثانية أن الرسل إذا أمروا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك . فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة . الثالثة إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة نبيا واحدا وكتابتها واحد . الرابعة أن خطاب الرسل عام للأمم بدليل قوله (فتقطعوا أمرهم) . الخامسة الأمر بالأكل من الطيبات ففيه رد على الغلاة الذين يمتنعون عنها ، وفيه رد على الجفأة الذين لا يقتصرون عليها . السادسة الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات ، ففيه رد على ثلاث طوائف : أولها الآكلون الطيبات بلا شكر والشكر هو العمل المرضي . وثانيها من يعمل العمل غير الخالص مثل المرأى وقاصد الدنيا . وثالثها الذى يعمل مخلصا لكنه على غير الأمر . السابعة المسألة العظيمة التى سبق الكلام لأجلها وهى فرض الاجتماع فى المذهب وتحريم الافتراق ، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة ونبيا واحدا وكتابتها واحد ودينها واحد . الثامنة ذكر مسجانه فعلهم الذى صدر منهم بعد ما عرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهى عن الافتراق وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعد ما سمعوها بما يضادها غاية المضادة وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتباً غير كتب الآخرين ، ثم قال : كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى وفرحت بما ابتدئته من الضلال كما قيل :

حلفت لنا ألا نخون عهودها فكانها حلفت أن لا تنفى

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) فيه مسائل : الأولى التنبيه على جلالة القرآن وعظمته . الثانية التنبيه على وضوحه ، وقوله « بالحق » فيه علامة النبوة . الثالثة أن العلم بين يعرفه أهل القرآن

والإيمان وإن جهله غيرهم. قوله (إن فرعون علا في الأرض) إلى آخره، فيه ذم العلو في الأرض. الثانية ذم جعل الرعية شيعا. الثالثة التنبيه على كبر هذا الظلم. الرابعة التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فعله ومن أراد اتباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم. وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) إلى آخره هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وأمثالها فهي إرادة شرعية. الثانية أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم وكونهم أئمة وكونهم الوارثين والتمكين لهم في الأرض وتعريف عدوهم بما يحذره فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى. الثالثة تبين قدرته العظيمة لعباده. الرابعة أن الحذر لا يفك من القدر. وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) إلى آخره هذا وحى إلهام؛ ففيه إثبات كرامات الأولياء. الثانية أنها أمرت بإلقائه في اليم وبشرت بأربع. وقوله (فالتقطه آل فرعون) فيه حكمة هذا الالتقاط. الثانية أن اللام لام العاقبة. الثالثة أن الإنسان قد يختار ما يكون هلاكه فيه. الرابعة أن ذلك القدر بسبب خطيئات سابقة. وقوله (وقالت امرأة فرعون) الخ، فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء. الثانية قولها (قرة عين لي ولك) فيه محبة الفأل. الثالثة ذكر الترجى. الرابعة عدم الشعور، وقوله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) الآية. فيه ما ابتليت به. الثانية لولا منة الله عليها بالربط. الثالثة (لتكون من المؤمنين). الرابعة أن الإيمان يزيد وينقص، وقوله (وقالت لأخته قصيه) الآية، فيه أن التوكل واليقين لا ينافي السبب. الثانية تسبب الأخت أيضاً. الثالثة عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات، وقوله (وحرمنا عليه المراضع) الآية، هذا التحريم قدرى؛ وأما قوله (وحرمنا عليهم طبيبات أحلت لهم) وأمثالها فتحريم شرعى. الثانية أن هذه العلامة الظاهرة في كلامها ولم يفهموه مع فطنتهم، وقوله (فرددناه إلى أمه) إلى آخره، فيه أن الرد لثلاث فوائد. الثانية تفاوت مراتب العلم لقوله (ولتعلم). الثالثة أن بعض المعرفة لا يسمى علما يصح نفيه من وجه وإثباته من وجه. الرابعة المسألة العظيمة الكبيرة تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لا يعلمون أن وعده حق، وقوله (ولما بلغ أشده واستوى) فيه أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشد والاستواء. الثانية الفرق بين العلم والحكم. الثالثة ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين. الرابعة ترغيب

عباده في الإحسان . الخامسة أن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها . السادسة فيه أسرار الفدر . وقوله (ودخل المدينة) إلى آخره ، فيه أن الرجل الصالح قد يسخر له الفاجر وينشأ في حجره . الثانية قد ييسر السكال العظيم بسبب أعظم المكروهات . الثالثة أن قتل الرجل صار ذنباً . الرابعة نسبة ذلك إلى عمل الشيطان . الخامسة قوله (إنه عدو مذل مبين) . السادسة ذكر توبته عليه السلام . السابعة ذكر مغفرة الله له . الثامنة ذكر سبب المغفرة . التاسعة شكر نعمة الخلق . العاشرة كون شكرها عدم مظاهره المجرمين . وقوله (فأصبح في المدينة) إلى آخره ، فيه أن هذا الخوف غير المذموم في قوله (ولا يخشون أحداً إلا الله) . الثانية أن ذلك الترقب لا يذم . الثالثة ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الشدة . الرابعة قوله لذلك الرجل (إنك لعوى مبين) أن مثل ذلك لا يذم . الخامسة العمل بالقرائن . السادسة الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد في الأرض بالتجبر . وقوله (وجاء رجل) إلى آخره فيه قوة ما حكمهم . الثانية ما عليه الرجل من محبة الحق وأهله . الثالثة تأكيده عليه بالأمر بالخروج وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة . وقوله (فخرج منها خائفاً يترقب) فيه أن ذلك الخوف والترقب لا يذم . الثانية استغاثته بالله مع فعله السبب . الثالثة أن كراهة الموت لا تذم . الرابعة أن الظالم يوصف بالظلم وإن كان في تلك القضية غير ظالم . وقوله (ولما توجه) إلى آخره ؛ فيه أنه توجه من غير سبب . الثانية سؤاله الله أن يدخله الطرق . الثالثة أن « عسى » في هذا الموضع سؤال .

وقوله (ولما ورد ماء مدين) إلى آخره ؛ فيه ما أعطى عليه السلام من القوة . الثانية إحسانه إليهما في هذا الحال . الثالثة مخاطبة النساء لمثله . الرابعة ظهور النساء في خدمة أموالهن للحاجة . الخامسة قائلها في عدم مزاحمة الرجال . السادسة ذكرها له السبب . السابعة أن المانع له عدم القوة لا الترف . الثامنة سؤاله ربه . التاسعة تأدبه في السؤال بذكر حاله للاستعطف . العاشرة أن الشكوى لا تذم . وقوله (فجاءته إحداها) إلى آخره فيه التنبيه على الحياء . الثانية الثناء على المرأة . الثالثة إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة . الرابعة عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح . الخامسة قوله (لا تخف) لأنهم ليس لهم سلطان عليهم . السادسة كونهم معروفين بالظلم عندهم . وقوله (قالت إحداها) إلى آخره ، فيه أن المرأة قد تصيب وجه الرأي . الثانية ما أعطيت من الذكاء . الثالثة

أن طاعتها في مثل هذا لا تندم . الرابعة الولاية لها ركنان القوة والأمانة فالأمانة ترجع إلى خشية الله والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق . الخامسة أن الاحتياط للمال لا يندم . وقوله (قال إنى أريد) إلى آخره ، فيه أن هذه الإجارة صحيحة بخلاف قول كثير من الفقهاء من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة . الثانية أن المنفعة يصح جعلها مهرا للمرأة خلافا لمن منع ذلك . الثالثة أن هذه المهنة لا تنقص فيها ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم » . الرابعة أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها . الخامسة أن ذكر مثل هذا في الإجارة وهى قوله (أيما الأجلين قضيت) لا يبطل الإجارة . السادسة المسألة الكبيرة الدقيقة وهى قوله صلى الله عليه وسلم « قضى أطيب الأجلين » أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل . السابعة تأكيد العقد بقوله (والله على ما نقول وكيل) . وقوله (ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله) فيه أنه قام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفة فرجه . الثانية تسمية ذلك النور نارا . الثالثة هذا الفرج بعد الشدة الذى أفرد بالتضييق ولم يذكرها لهذه نظيرا ولا ما يقاربها . الرابعة أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولانار معهم . الخامسة أنهم ضلوا الطريق . السادسة جواز مثل هذا السفر للحاجة . السابعة ذكر الموضع الذى ناداه منه . الثامنة إثبات الصفات . التاسعة الرد الواضح على الجهمية فى قولهم هذه عبارة . العاشرة تقريبه نجما ، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة ، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذ طلبت منه الشفاعة . الحادية عشرة كونه أمر بإلقاء العصا فصارت آية . الثانية عشرة كونه أمر بإدخال اليد آية أخرى . الثالثة عشرة كونه ولى مدبرا ولم يعقب . الرابعة عشرة قوله (أقبل ولا تخف) . الخامسة عشرة تبشيره أنه من الآمنين . السادسة عشرة كونه أمر بضم جناحه من الرهب . السابعة عشرة تسميتها برهانا . الثامنة عشرة كونه من ربك . التاسعة عشرة كونها إلى فرعون وملئه . العشرون التعليل بأنهم قوم ظالمون . الحادية والعشرون هذه المطية العظيمة فى هذه الشدة العظيمة . الثانية والعشرون اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم . الثالثة والعشرون برثائه لسانه . الرابعة والعشرون طلبه الاعتضاد بأخيه . الخامسة والعشرون طلبه الرسالة . السادسة والعشرون تعليله بخوف تكذيبهم . السابعة والعشرون إجابة الله إياه . الثامنة والعشرون تبشيره أنه يجعل لهما سلطانا فلا

يصلون إليهما. التاسعة والعشرون تبشيره بعلبته وغلبة أتباعه وقوله (فلما جاءهم موسى بآياتنا) إلى آخره ، فيه أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله وأنها بينات . الثانية أنهم قابلوها بما ذكر . الثالثة أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا في آبائهم . الرابعة جواب موسى عليه السلام . وقوله (وقل فرعون يا أيها الملاء) إلى آخره هذا الإنكار الذي هو غاية الكفر . الثانية قوله لهامان (أوقد لي) كيف اجتراً على الله في قول العاصين . الثالثة استدلالها الأئمة على الجهمية . وقوله (واستكبر هو وجنوده في الأرض) وصفهم بأن فيهم المهلك وأنهم عدموا المنجى ولذلك أخذهم بما ذكر . الثانية أمر المؤمنين بالنظر في عاقبتهم . الثالثة أنه أتى بلفظ الظالمين ليمين أن ذلك مختص بهم . وقوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) هذا الجعل القدرى ، وأما قوله (ما جعل الله من بحيرة) ومثاله فهذا الجعل الشرعى . الثانية أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر في الأئمة إذا كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ومنهم من قل فيه (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) . الثالثة ذكر ما لهم في القيامة . الرابعة ما ألقى على ألسنة الناس في الدنيا . الخامسة (ما لهم في الآخرة) وأما الزيادة التي في سورة طه ، فالأولى استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على إفهامها . الثانية (أو أجد على النار هدى) دليل على أنه ضل الطريق . الثالثة أمر بخلع التعليين . الرابعة إخباره أنه بذلك الوادى . الخامسة الإخبار بأنه مطهر . السادسة تبشيره بأن الله اختاره . السابعة أمره بالاستماع الثامنة أن أول ذلك المسائل على الإطلاق التوحيد وهو إفراده بالعبادة . التاسعة أمره بإقامة الصلاة . العاشرة تعليل ذلك . الحادية عشرة وقت الإقامة . الثانية عشرة قوله (إن الساعة آتية) إلى آخره ، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر . الرابعة عشرة أن عاقبة الإيمان . الخامسة عشرة مبالغته سبحانه في إخفافها . السادسة عشرة الحكمة في إقامتها . السابعة عشرة تحذيره من صاحب سوء . وقوله (وما تلك بيمينك يا موسى) إلى آخره فيه سؤاله عنها وهو أعلم . الثانية جوابه عليه السلام . الثالثة أمره بأخذها ولا يخاف فإنه سيعيدها . الرابعة أن ذلك من الآيات الكبرى الخامسة تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه . السادسة سؤاله عليه السلام . السابعة أنه لم يسأل حل لسانه بل عقدة منه . الثامنة أن مراده ليفقهوا كلامه . التاسعة أنه علمه مأسأله لأجل أن يسبحاه ويذكراه كثيرا . العاشرة تعليله بقوله (إنك كنت بنا بصيرا)

الحادية عشرة إجابة سؤاله . الثانية عشرة ذكر منته عليه من قبل ثمانية أمور . الثالثة عشرة نهيهما أن لا ينيا في ذكره . الرابعة عشرة رفقه سبحانه ومحبه للرفق . الخامسة عشرة شكواهما إلى الله تعالى الرفق . السادسة عشرة الفرق بين التذكر والخشية . السابعة عشرة شكواهما . وقوله (فأتياه فقولا إنا رسول ربك) إلى آخره فيه من الرفق والتلطف أمور : أحدها (إنا رسول ربك) فإن أطعت ما أطعت إلا هو . الثانية (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم) فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم . الثالثة (قد جئناك بآية من ربك) فربك قد قطع عذرك . الرابعة إضافته إلى الله . الخامسة (والسلام على من اتبع الهدى) أى هذا هو الذى فيه السلامة التى هى مطلوبة لكل أحد خصوصا الملوك . السادسة (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب) أى كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك . السابعة لم يقولوا إن العذاب لك إذا توليت بل كلام عام . الثامنة ذكر سبب العذاب . التاسعة الفرق بين التكذيب والتولى . وقوله (قال فمن ربكما يا موسى) إلى آخره هذا جواب اللعين بهذا الكلام اللين . الثانية جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر . الثالثة التفكر فى الخلق والهداية . الرابعة جواب اللعين عن هذه . الخامسة جواب موسى عليه السلام عن شبهته ، وهى أن العلم أجلّ الفوائد عند المناظرة . السادسة ذكر العلم والكتاب ، ولأن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ . الثامنة الاستدلال بالآيات الأرضية والسموية . التاسعة ذكر إسباغ نعمته . العاشرة ذكر أن فى ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة . الحادية عشرة لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجرى لنا فيها . وقوله (ولقد أرينا آياتنا كلها فكذب وأبى) فيه الفرق بين التكذيب والإباء . الثانية ما أكثر الله له ولقومه من الآيات . الثالثة مكابرتة فى تسمية ذلك سحرا . الرابعة رمية موسى بنية طلب الملك . الخامسة معارضة آيات الله بالسحر . السادسة اهتمامه بذلك الموعد . السابعة دعاء الإنصاف بقوله سوى . الثامنة إجابة موسى إياه . التاسعة ذكر جميع كيده قبل إتيانه . العاشرة وعظه إياهم . الحادية عشرة كونه يقول (لا تفتروا على الله كذبا) . الثانية عشرة قوله (وقد خاب من افترى) كلمة جامعة . الثالثة عشرة سرهم بينهم بما ظنوه فى موسى وأخيه . الرابعة عشرة اغترارهم بطريقتهم . الخامسة عشرة ذكرهم الاجتماع والإتيان صفا .

السادسة عشرة قوله (وقد أفلح اليوم من استعلى) . السابعة عشرة دعواهم الإنصاف في الخصومة . الثامنة عشرة احتضار إلقائهم أولا . التاسعة عشرة هذا السحر العظيم . العشرون إيجاس الحيفة في مثل هذا غير مذموم . الحادية والعشرون بشارة الله إياه الثانية والعشرون أمره له بإلقاء العصا . الثالثة والعشرون ما فعلت العصا . الرابعة والعشرون القاعدة السكلية فما فعلوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أنى . الخامسة والعشرون ما فعل السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه من فعلهم وقولهم . السادسة والعشرون كون الإيمان برب هارون وموسى . السابعة والعشرون قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم . الثامنة والعشرون جوابهم لهذا الطاغى الغادر وهى سبع جمل كل جملة مستقلة .

وفي سورة الأعراف من الزيادة قوله عليه السلام (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) . الثانية استعظام الله سحرهم . الثالثة قوله (فوقع الحق) الآيتين . الرابعة قوله لهم (إن هذا لمسكر مكرتموه في المدينة) لهذا . الخامسة قولهم (إنا إلى ربنا منقلبون) . السادسة قولهم (وما تنقم منا) إلى آخره . السابعة سؤلهم الله هذه المسألة . الثامنة كلام الملائكة . التاسعة جوابه لهم . العاشرة إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات . الحادية عشرة ذكر الحكمة في ذلك . الثانية عشرة أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم بل عكسوا الأمر . الثالثة عشرة قوله (ألا إنما طأرهم عند الله) . الرابعة عشرة كون الأكثر لا يعلمون هذه المسألة . الخامسة عشرة شدة عنادهم . السادسة عشرة ذكره إرسال الآيات عليهم . السابعة عشرة كونهم مع ذلك استكبروا . الثامنة عشرة (وكانوا قوما مجرمين) . التاسعة عشرة كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز . العشرون نكثهم ما قالوا . الحادية والعشرون قوله (فانتقمنا منهم) بإلقاء . الثانية والعشرون ذكره السبب . الثالثة والعشرون ذكره فضله على الضعفاء . الرابعة والعشرون أن ذلك سبب صبرهم . الخامسة والعشرون تدمير ما استعملوا وما كانوا يعرشون .

وأما ما في سورة الشعراء من الزيادة . فقوله (ألم نريك فينا وليدا) . الثانية جواب موسى عليه السلام . الثالثة قوله (وما رب العالمين) الرابعة جواب موسى عليه السلام . الخامسة قوله (لمن حوله) . السادسة جواب موسى عليه السلام . السابعة قوله (إن رسولكم) إلى آخره . الثامنة جواب موسى عليه السلام . التاسعة كونه فزع (١٨ - تاريخ نجد - أول)

إلى القدرة لما بهرته الحجة. العاشرة جواب موسى عليه السلام . الحادية عشرة أثنى الآيات . الثانية عشرة قوله (هل أنتم مجتمعون) . الثالثة عشرة توسلهم بعزة فرعون . الرابعة عشرة قولهم (لاضرير) . الخامسة عشرة قولهم (إنا نطمع) الآية . السادسة عشرة كونه أمره أن يسرى بهم . السابعة عشرة كونه ذكر لهم أنهم متبعون . الثامنة عشرة إرساله في المدائن حاشرين . التاسعة عشرة ذكره لرعيته لما حشرهم . العشرون إتباعهم إياهم مشرقين . الحادية والعشرون ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التي سلبوها . الثانية والعشرون كونه أورث الجميع بني إسرائيل . الثالثة والعشرون كون اتباعهم مشرقين . الرابعة والعشرون قوله (لما تراءى الجمعان) الخامسة والعشرون جواب موسى عليه السلام لهم . السادسة والعشرون ذكره أنه أمره أن يضربه بعصاه فكان ما كان . السابعة والعشرون ذكره نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء . الثامنة والعشرون تنبيه العباد على فائدة القصة . التاسعة والعشرون هذا العجب العجيب عدم إيمان الأكثر مع ذلك . الثلاثون أنه هو العزيز الرحيم . وأما ما في سورة النمل من الزيادة فقوله (أن بورك من في النار ومن حولها) . الثانية تسبيحه في هذا المقام . الثالثة قوله (إني لا يخاف لديّ المرسلون) . الرابعة الاستثناء . الخامسة ذكره أن اليد في جملة تسع آيات . السادسة جردهم الآيات مع اليقين . السابعة أن سببه الظلم والعلو .

وأما ما في سورة يونس من الزيادة فقوله (أتقولون للحق لما جاءكم) إلى آخره . الثانية قوله (أتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) . الثالثة (وتكون الكما الكبرياء في الأرض) . الرابعة قوله (ما جئتم به السحر) . الخامسة القاعدة الكلية (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) . السادسة كونه يحق الحق بكلماته . السابعة (ولو كره المجرمون) . الثامنة ما آمن لموسى إلا من ذكر . التاسعة أنه على خوف من فرعون وملئه . العاشرة وصف فرعون بالعلو والإسراف . الحادية عشرة نصيحة موسى . الثانية عشرة التوكل من لوازم الإسلام والإيمان . الثالثة عشرة جوابهم وقبولهم النصيحة الرابعة عشرة دعاؤهم وما فيه من الفوائد . الخامسة عشرة قوله (أن تبوأ لقومك) إلى آخره . السادسة عشرة كون المؤمن داع . السابعة عشرة قوله في هذا المقام (فاستقيما) إلى آخره . الثامنة عشرة كلام فرعون عند الغرق . التاسعة عشرة ما أجيب به . العشرون ذكر غفلة الجميع عن آياته .

وفي سورة هود قوله (وما أمر فرعون برشيد) . الثانية كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار .

وفي سورة الإسراء ذكر أن التسع آيات كلها بينات . الثانية أمره نبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال بني إسرائيل . الثالثة قول فرعون له . الرابعة جوابه . الخامسة أنه عوقب بنقيض قصده . السادسة قوله (وقلنا من بعده لبني إسرائيل) إلى آخره . وفي سورة الحج (وكذب موسى فأمليت للكافرين) إلى آخره .

وفي سورة الصافات كون فعل فرعون معهم كرب عظيم . وفي سورة المؤمن قوله (بآياتنا وسلطان مبين) . الثانية إلى الثالثة . الثالثة جوابهم له . الرابعة ما قالوه لما جاءهم الحق من عند الله . الخامسة أن ذلك الكيد في ضلال مبين . السادسة قوله (ذروني أقتل موسى) الآية . السابعة قول موسى . الثامنة كلام المؤمن وما فيه من الفوائد . التاسعة جواب فرعون . العاشرة قول المؤمن الثاني وما فيه من الأصول ووصف القيامة وتذكيرهم برسالة يوسف وما فعلوا . الحادية عشرة قوله (لعلني أبلغ الأسباب) إلى آخره . الثانية عشرة كون كيد فرعون في تباب . الثالثة عشرة قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف . الرابعة عشرة وقاية الله له مكرهم . الخامسة عشرة كونهم يعرضون على النار . السادسة عشرة استدلال العلماء على عذاب القبر .

وفي سورة الزخرف مقابلتهم آيات الله بالضحك منها . الثانية قوله (وما نريهم من آية) إلى آخره . الثالثة قوله (لعلهم يرجعون) . الرابعة خطبة فرعون وما فيها من استدلاله على النفي والإثبات . الخامسة قوله (فاستخف قومه) إلى آخره . السادسة قوله (فجعلناهم سلفاً) إلى آخره .

وفي سورة الدخان قوله (أن أدوا إلى عباد الله) . الثانية وصفه نفسه بالأمانة . الثالثة نهيه إياهم عن العلو على الله . الرابعة قوله (وإني عدت بربي وربكم) إلى آخره . الخامسة قوله (واترك البحر رهوا) . السابعة (فما بكت عليهم السماء والأرض) . الثامنة عدم الإنظار . التاسعة أن فعله لهم عذاب مهين ، وفي سورة المؤمنين كونهم كلهم قوماً عالين . الثانية حجتهم على عدم الإيمان لهما . الثالثة التنبيه على أنهم من جملة من أهلك وليس مختصاً بهم .

وفي سورة الذاريات (فتولى بركنه) الثانية قوله (ساحر أو مجنون) . وفي سورة القمر تكذيبهم بالآيات كلها . الثانية تكذيبهم بالنذير . الثالثة ذكر

العبرة لهذه الأمة فيهم . وفي سورة المزمل المسألة الكبيرة لهذه الأمة . وفي النازعات قوله (إلى أن تزكى) إلى آخره . الثانية قوله (ثم أدبر يسعى فحشر فنادى) . الثالثة الكلمة العظيمة . الرابعة الجمع بين الآخرة والأولى . الخامسة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) إلى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) فيه مسائل : الأولى الجواب عن قول المشركين هذا في الأصنام . وأما الصالحون فلا . قوله (قل أفغير الله) عام فيه ماسوى الله . الثانية أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الإيمان فإنهم لم يريدوا من النبي صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته ، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفا منهم ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارها . الثانية أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم في الظاهر ، وأن العقل والمهم الذكي هو التصريح بمخالفتهم ولو ذهب مالك خلافا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل وذلك في آخر الآية (أيها الجاهلون) وأما الآية الثانية ففيها مسائل : الأولى شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد . فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه فكيف بغيرهم ، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه . الثانية المسألة الكبرى وهي كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون هذا شرك ولكن لا يكفر من فعله لكونه يؤدي الأركان الخمسة ، فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فكيف بغيرهم . الثالثة أن الذي يكفر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة ، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر إلا من أكره . وأما الآية الثالثة ففي الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على المنبر وقال إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه وأنه يقول أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك العزيز أنا الكريم . قال ابن عمر

فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا ليخرن به» وفيها ثلاث مسائل أيضاً :
 الأولى التنبيه على سبب الشرك وهو أن المشرك بان له شيء من جلاله الأنبياء
 والصالحين ولم يعرف الله سبحانه وتعالى وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق
 وهذا معنى قوله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . المسألة الثانية ما ذكر الله تبارك
 وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا ، وهذا قدر ما تحتمله العقول وإلا
 فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط به عقل كما قال : « ما السموات السبع والأرضون
 السبع في كنف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم » فمن هذا بعض عظمته وجلاله
 كيف يجعل في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . هذا هو أظلم الظلم وأقبح
 الجهل كما قال العبد الصالح لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . الثالثة
 أن آخر الآية وهو قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ينهك على الحكمة على أنه
سبحانه يغفر الكبار ولا يغفر الشرك وتزرع بغض الشرك وأهله ومعاداتهم في قلبك
 وذلك أن أكبر مسببة بعض الصحابة مثل أبي بكر وعمر ولم يجعل في منزلته بعض
 ملوك زماننا مثل سليمان أو غيره مع كون الكل منهم آدمي ، والكل ينتسب إلى دين
 محمد والكل يأتي بالشهادتين والكل يصوم رمضان ويصلي . فإذا كان من أقبح المسببة
 في زماننا لأبي بكر أن يسوى بينه وبين بعض الملوك في زماننا فكيف يجعل المخلوق
 من الماء المهين ولو كان نبيا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله من كونه يدعى
 كما يدعى ويخاف كما يخاف ويعتمد عليه كما يعتمد عليه . هذا أعظم الظلم وأقبح المسببة
 لرب العالمين وذلك معنى قوله في آخر الآية (سبحانه وتعالى عما يشركون) ولكن
 رحم الله من تنبه للكلام وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات من كون المسلم يوافقهم
 في شيء من دينهم الظاهر مع كون القلب بخلاف ذلك فإن هذا هو الذي أرادوا من
 النبي صلى الله عليه وسلم فافهمه فهما حسنا لعلك تعرف شيئا من دين إبراهيم عليه
 السلام الذي بادر أباه وقومه بالعداوة عنده والله أعلم . وهذه مسائل مستنبطة من
 قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال الشيخ رحمه الله فيها عشر
 درجات . الدرجة الأولى تصديق القلب أن دعوة غيره باطل ، وقد خالف فيها من
 خالف آخر ما وجدت .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل مستنبطة من سورة اقرأ : الأولى الأمر بالقراءة . الثانية الجمع بين
 التوكل والسبب خلافا لغلاة المتفقه وغلاة المتصوفة . الثالثة السر الذي في الإضافة

في قوله (باسم ربك) المقتضى للتوكل . الرابعة وصفه سبحانه بالخلق الذي هو أظهر آياته . الخامسة ذكر خلقه الإنسان خاصة . السادسة كونه من علق . السابعة تكرير الأمر بالقراءة . الثامنة الوصف بأنه الأكرم . التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذي هو في المرتبة الرابعة . العاشرة تعليم الإنسان خاصة ما لم يعلم . الحادية عشرة أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده . الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله (من علق) . الثانية عشرة معنى اعرف نفسك تعرف ربك . الرابعة عشرة معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة . الخامسة عشرة الجمع بين الخلق والتعليم . السادسة عشرة الدلالة على النبوة . الثامنة عشرة الرد على الجهمية . التاسعة عشرة أن الاستحالة تطهر . العشرون الرد على الفدرية . الحادية والعشرون الرد على الجبرية . الثانية والعشرون أن العبرة بكمال النهاية لا ينقص البداية . الثالثة والعشرون ذكر شرف العلم . وأما آخرها ففيه مسائل :

الأولى أن الغنى من أسباب الطغيان . الثانية أنه ينشأ عن رؤية الغنى لاعتن الغنى . الثالثة التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال . الرابعة أن هذا وصف الإنسان فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته . الخامسة الإيمان باليوم الآخر . السادسة الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان . السابعة تسليية المطغى عليه بذلك . الثامنة كونه إلى رب محم ففيه الجزاء على الأعمال . التاسعة تقرير الشرع بالعقل لقوله (أرايت) . العاشرة كون ذلك النهى عن آثار الطغيان . الحادية عشرة تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبداً صلى لربه . الثانية عشرة التوقف عن ما لا يعلم وإلا فلا يلوم إلا نفسه . الثالثة عشرة أن ذلك عام فيمن تنكر عليه فيما يفعل وفيما يأمر به غيره . الرابعة عشرة الاستدلال على الناهي واستجهاله بقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) . الخامسة عشرة الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية . السادسة عشرة أن العلم بذلك ليس هو الإقرار . السابعة عشرة أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم . الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد . التاسعة عشرة الدلالة على النبوة . العشرون أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة . الحادية والعشرون كون العقوبة قد تعجل في الدنيا . الثانية والعشرون ما يرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء . الثالثة والعشرون أن المال والقوة قد يكونان سببا لشر الدنيا والآخرة . الرابعة والعشرون أن بعض أعداء الله قد يكشف له فيرى بعينه من الآيات ما لا يراه المؤمن كالسامري .

الخامسة والعشرون الجمع بين قوله (كاذبة خاطئة) فوصفه بفساد القول والعمل . السادسة والعشرون أنه لو دعا نادية أو دنا من النبي صلى الله عليه وسلم لعوجل ولكن رفع عنه ذلك لكونه ترك ما في نفسه . السابعة والعشرون النهى عن طاعة مثل هذا . الثامنة والعشرون أنه ختمها بالسجود الذي هو أشرف أفعال الصلاة وافتتحها بالقراءة التي هي أشرف أقوالها . التاسعة والعشرون الأمر بالاقتراب من الله ، ففيه معنى « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . الثلاثون تسلية الحق إذ اسلط عليه مثل هذا وأمره بالصلاة . وأما قوله تعالى (يا أيها المدثر) الآيات ، ففيه مسائل : الأولى الدعوة إلى الله لا يقتصر على نفسه . الثانية خطابه بالمدثر . الثالثة أن الداعي يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها . الرابعة تعظيم الله سبحانه علما وعملا . الخامسة هجران الرجز . السادسة قوله (ولا تمنن تستكثر) . السابعة قوله (ولربك فاصبر) فأمره بالطريق إلى القوة على ما تقدم فهو الصبر خالص ؛ ففيها آداب الداعي لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها ، فمنها الحرص على الدنيا فنهى عنه بقوله (ولا تمنن تستكثر) ومنها عدم الجد فنهى عليه بقوله (يا أيها المدثر) ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع ، ومنها التقصير في تعظيم العلم الذي هو من التقصير في تعظيم الله ، ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة ، ومنها عدم الإخلاص ، ومنها عدم هجران الرجز والتقصير في ذلك وهو من أضرها على الإنسان وهو من تطهير الشيايب لكن إفراده بالذكر كمنظأره . فأول اقرأ فيه الأمر بالعمل به . الثانية أول اقرأ فيه معرفة الله ، وأول المدثر فيه الأدب مع الله . الثالثة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه الصبر . الرابعة أول اقرأ فيه الإخلاص والاستعانة وأول المدثر فيه إخلاص الصبر . الخامسة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادات . السادسة أول اقرأ فيه فضله عليك وأول المدثر فيه حقه عليك . السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر فيه أدب العالم . الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر والنهى . التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى . العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وهما العلم والقدرة وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهى وهو الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك الحادية عشرة في أول اقرأ ذكر العلم الذي لا يستقيم العمل إلا به وأول المدثر فيه ذكر الصبر الذي لا يستقيم العمل إلا به . الثانية عشرة في أول اقرأ ذكر التوكل وأنه

يفتح المعلق وأول المدثر فيه الصبر الذى يفتحه . الثالثة عشرة فى أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل المتعدى . الرابعة عشرة فى اقرأ ست مسائل من الخبر وأول المدثر ست مسائل من الإنشاء . الخامسة عشرة فى أول اقرأ ذكر بدء الحلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه . السادسة عشرة فى أول اقرأ ذكر أصل الإنسان وأول المدثر فيه كماله . السابعة عشرة فى أول اقرأ الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية الخاصة . الثامنة عشرة فى أول اقرأ شاهد لقوله «اعقلها وتوكل» وفى أول المدثر الصبر الذى هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . التاسعة عشرة فى أول اقرأ ابتداء النبوة وأول المدثر ابتداء الرسالة . العشرون فى السورتين شاهد لقوله العلم قبل القول والعمل . ومن اقرأ إلى آخره أن قريشا صريح آل إبراهيم وأيضاً ولاية البيت الحرام وأيضاً خصوا بنعم مثل الرحلتين ودفع الفيل . وأما أهل الكتاب فأهل العلم وذرية الأنبياء وجرى من الكل على رسالة الله ماجرى . الثانية أن هذا من الرئيسين أبى لهب وأبى جهل ذكر عنهما ماذكر . الثالثة أن أهل الكتاب لم يتمعروا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم . الرابعة أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول وبما ينبغى للعاقل أن يلتزمه ولا ينبغى به بدلاً لحسنه وسهولته . الخامسة أن الذى استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذاباً وينبغى للعاقل البعد عنه لقبحه رصعوبته . السادسة أن مع سهولة الذى تركوا وحسنه وقبح الذى انتقلوا إليه ومشقته أشربوه فى قلوبهم فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا . السابعة أنه سبحانه توعده بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة وقدم أهل الكتاب فى الذكر . الثامنة أن العامة أشربوا حب دينهم وصبروا على المشقة فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا ناراً وهذا من العجائب . التاسعة التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التى أنزل فيها . العاشرة أن له سبحانه خصال من الأزمنة كماله من الأمكنة . الحادية عشرة أن الأعمال تتضاعف وإن تساوت فى الظاهر بما يجلب عنه الوصف . الثانية عشرة عطف الروح على الملائكة . الثالثة عشرة أن خشية الله جامعة للدين كله . الرابعة عشرة النص على العبادة بالإخلاص . الخامسة عشرة ذكر الحنفاء . السادسة عشرة عطف العبادتين على ذلك . السابعة عشرة نصه أنه دين القيمة . الثامنة عشرة بان أن من ساء عمله شر من الجعلان ولو علم . التاسعة عشرة كون الضد خير البرية .

العشرون الآية الجامعة الفاذة . الحادية والعشرون ذكر شئ من تفاصيل القيعة من شهادة الأرض وغير ذلك . الثانية والعشرون معاملة الإنسان ربه لقوله (الكنود) . الثالثة والعشرون كونه شاهدا لذلك . الرابعة والعشرون نعتة بشدة حب المال . الخامسة والعشرون مافيهما من ذكر الحساب والحوض والميزان ورؤية النار في الموقف . السادسة والعشرون إخلاص الصلاة . السابعة والعشرون إخلاص النحر . الثامنة والعشرون الأمر بنحتم العمل بالتسبيح والاستغفار . التاسعة والعشرون الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم . الثلاثون التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله . الحادية والثلاثون التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم . الثانية والثلاثون التصريح لهم بالرضا بالله وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً . الثالثة والثلاثون بيان العقيدة السلفية . الرابعة والثلاثون البراءة من عقيدة المتكلمين . الخامسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق . السادسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة من الشيطان . السابعة والثلاثون التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك لكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف . الثامنة والثلاثون النهى عن الحمز والهمز . التاسعة والثلاثون النهى عن الاغترار بالمال . الأربعون النهى عن دع اليتيم . الحادية والأربعون النهى عن عدم الحض على طعام المسكين . الثانية والأربعون النهى عن السهو عن الصلاة . الثالثة والأربعون النهى عن الرياء . الرابعة والأربعون النهى عن البخل . الخامسة والأربعون النهى عن شتانه صلى الله عليه وسلم . السادسة والأربعون الاعتبار بأبى لهب في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو من أكفر الناس . السابعة والأربعون النهى عن حمل الخطب . الثامنة والأربعون النهى عن النخيمة . التاسعة والأربعون النهى عن الحسد . الخمسون النهى عن النفث في العقد . الحادية والخمسون النهى عن الوسوسة في صدور الناس . الثانية والخمسون الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها . الثالثة والخمسون السؤال عن النعيم . الرابعة والخمسون خسران الإنسان إلا المستثنى وفيها ذكر النار ذات اللهب وصلبها واطلاعها على الأفئدة وكونها مؤصدة، وفيها من الأعمال الممدوحة الإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر والحث على الشكر بذكر الرحلتين؛ وفيها أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل، وفيها من القصص قصة الفيل والرحلتين وقصة أبي لهب وقصة سحر اليهود

وفيه من الوعظ العجب العجاب . وأما أدلة التوحيد في مواضع ، وأما أدلة النبوات في مواضع . وقال رحمه الله ورضي عنه قصة سبب نزول تبت إلى آخرها ففيها مسائل : الأولى ما فيها من دلائل الإلهية . الثانية ما فيها من دلائل النبوة . الثالثة ما فيها من فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله الحق الذي لا يقدر غيره يقوله . الرابعة أن هذا هو العقل والصواب أعنى صعود الجبل والصياح في هذه المسألة ولوعده أكثر الناس سفها بل جنونا . الخامسة شدة الخطر العظيم فيمن عدل من فعل ذلك . السادسة لعل الكلمة التي لا يلتقي لها بال لا يكتب الله له بها سخطة إلى يوم يلقاه ولعله يعتقدونها نصيحة أو صلة رحم . السابعة مراقبة العواقب في إعطاء الله نعم الدنيا من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة . الثامنة تعظيم أمر النجيمة . التاسعة أن الولد من الكسب ، ففيه دليل على أن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم . العاشرة أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه . قال رحمه الله في تفسير سورة الإخلاص عن عبد الله بن حبيب قال : « خرجنا في ليلة مطر مظلمة فطلبت النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا فأدركناه فقال : قل فلم أقل شيئا ، قال : قلت يا رسول الله ما أقول ؟ قال قل هو الله أحد والعوذتين حين تمشي وحين تصبح ثلاث مرات تكفك من كل شيء » قال الترمذي حديث حسن صحيح والأحد الذي لا نظير له ، والصمد الذي تصمد الخلائق كلها إليه في جميع الحاجات ، وهو الكامل في صفات السوود ؛ فقوله أحد نفى للنظير والأمثال ، وقوله الصمد إثبات صفات الكمال ؛ وقوله (لم يلد ولم يولد) نفى للصاحبة والعيال (ولم يكن له كفوا أحد) نفى للشركاء لدى الجلال .

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد) فمعنى أعوذ أعتصم وألتجئ وأتحرز ، وتضمنت هذه الكلمة مستعازا به ومستعازا منه ومستعيذا به . فأما المستعاز به فهو الله وحده ، رب الفلق الذي لا يستعاز إلا به ، وقد أخبر الله عمن استعاز بخلقه أن يستعازنه زادته رهقا ، وهو الطغيان فقال : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون رجال من الجن فزادوهم رهقا) والفلق هو بياض الصبح إذا انقلب من الليل وهو

من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته . وأما المستعيز فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه إلى يوم القيامة . وأما المستعاذ منه فهو أربعة أنواع : الأول قوله (من شر ما خلق) وهذا يعم شرور الأولى والآخرة وشرور الدين والدنيا . والثاني قوله (ومن شر غاسق إذا وقب) والغاسق الليل « إذا وقب » أى أظلم ودخل في كل شئ وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة . الثالث (شر النفاثات فى العقد) وهذا من شر السحر ، فإن النفاثات السواحر التى يعقدن الحيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يريد من السحر ، والنفاثات مؤنث أى الأرواح والأنفس لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة . الرابع شر الحاسد إذا حسد وهذا يعم إبليس وذريته لأنهم أعظم الحساد لبني آدم أيضاً ، وقوله (إذا حسد) لأن الحاسد إذا أخفى الحسد ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله لم يضره ولم يضر المحسود .

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله (قل أعوذ برب الناس) فقد تضمنت أيضاً ذكر ثلاثة أمور : الأول الاستعاذة وقد تقدمت . الثانى المستعاذ به . والثالث المستعاذ منه . فأما المستعاذ به فهو الله وحده لا شريك له رب الناس الذى خلقهم ويرزقهم ودبرهم وأوصل إليهم مصالحهم ومنع عنهم مضارهم (ملك الناس) أى المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه المدبر لهم كما يشاء الذى له القدرة والسلطان عليهم ، فليس لهم ملك يهربون إليه إذا دهمهم أمر سواه ينخفض ويرفع ويصل ويقطع ويعطى ويمنع (إله الناس) أى معبودهم الذى لا معبود لهم غيره فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق إلا هو ، خلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكه واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها . وأما المستعاذ منه فهو الوسواس وهو الخفى الالقاء فى النفس إما بصوت خفى لا يسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد . وأما الخناس فهو الذى يخنس ويتأخر ويختفى ، وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء ، وهذان وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان ، وذلك أن العبد إذا غفل جثم على قلبه وبذر فيه الوسواس التى هى أصل الشر . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس . قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب . فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب

عنيهِ ويحدثه ، فإذا ذكر الله خنس وجاء بناؤه على الفعل الذي يتكرر منه فإنه كلما ذكر الله انخنس ، وإذا غفل عاد ، وقوله (من الجنة والناس) يعنى أن الوسواس نوعان إنس وجن ، فإن الوسوسة الإلقاء الخفى ، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن ، والجن لا يحتاج إليها ونظير اشتراكهما فى الوسوسة اشتراكهما فى الوحي الشيطاني فى قوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) والله أعلم .

هذا آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه
بمنه وكرمه آمين .

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



تم الجزء الأول ، ويليه : الجزء الثانى
وأوله : كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

فهرس

الجزء الأول من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة الكتاب .
٥	الفصل الأول في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك وغيره في نجد والحساء وغيرهما .
١٤	فوائد : الأولى في بيان ما يجب على كل مسلم فعله .
١٧	الفائدة الثانية في بيان ما قاله ابن تيمية في كتابه في بيان الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .
١٨	الفائدة الثالثة في بيان أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة .
٢٢	الرابعة في بيان غربة الإسلام التي وعد بوقوعها خير الأنام .
٢٥	الفصل الثاني في نسب الشيخ ، ومبدأ أمره وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة .
٥٠	خاتمة في وفاة الشيخ ، والرسالة التي كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحساني .
٦١	فصل في بيان الرسالة التي ألفها الشيخ لعامة المسلمين .
٧٢	بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل .
٧٤	بيان أن العلماء من قديم الزمان كانوا ينكرون ما حدث في هذه الأمة من تعظيم القبور وبناء المشاهد والمساجد عليها الخ .

الصفحة	الموضوع
٨٧	بيان مقاله الشيخ تقي الدين من أنه لا يسأل إلا الله تعالى بأسمائه وصفاته .
٩١	مقاله ابن القيم في قوله عليه الصلاة والسلام : لا تتخذوا قبري عيداء الخ .
٩٥	الفصل الثالث في بيان بعض الرسائل التي أرسلها إلى بعض البلدان .
١٣٨	الرسالة التي كتبها الشيخ إلى سليمان بن سحيم .
١٤٥	رسالته إلى أهل الرياض .
١٥١	إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام .
١٧٥	الفصل الرابع في المسائل التي سئل فيها فأجاب عنها .
٢٢٢	الفصل الخامس في كلامه عن آيات متفرقة من القرآن .
٢٦٣	المسائل التي في قصة موسى والخضر عليهما السلام .

كلمة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مسهل الصعاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والأصحاب
وبعد : فإنى لما رأيت تواريخ نجد قليلة الوجود ، عزمت بحول الله
تعالى على أن أنشرها لأبناء وطنى راجيا من الله المعونة والتوفيق .
وقد اخترت أن تطبع فى :

« شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر »

لعلى بعنايتهم بالتصحيح والإتقان آخذين بقوله صلى الله عليه وسلم :
« رحم الله امرأ صنع صنعة فاتقنها » .

ولا يفوتنى أن أذكر جملة من مطبوعاتنا التى طبعت فى السنوات
١٣٦٥ - ١٣٦٨ ، وهى : —

- ١ — إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد .
- ٢ — القول السديد فى مقاصد التوحيد .
- ٣ — الأصول الثلاثة وأدلتها ، وشروط الصلاة ، والأربع قواعد .
- ٤ — الدين وشروط الصلاة .
- ٥ — دعاء ختم القرآن العظيم .
- ٦ — استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس .
- ٧ — التطفلات الأدبية .

- ٨ — رسالة الأدعية التي تقال في الطواف والسعى . . . الخ
٩ — تحفة الناسك في أحكام المناسك .
١٠ — حاشية على الأربعين النووية ، ومعها المتن المذكور ، وقد ألحقت
بثمانية أحاديث من شرح ابن رجب .
والمصاحف بأنواعها ، والكتب الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، والدواوين
الشعرية وغير ذلك .
شعارنا الصدق والأمانة والتضحية في سبيل نهوض الوطن . نرجح قليلا
أنكسب كثيرا .

الناشر

عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية

الرياض -- نجد

تأليف الشيخ بن محمد

المستقى

روضة الأفكار والأفهام
لمرقاة هال الإمام ونقاد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته
ومشائحه والمسلمين آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين
صاحب المكتبة الأهلية - بالرياض نجد

توزيع مطبعة النجدي بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

وذكر السبب الذي حمل على ذلك فنقول :

لم يزل الشيخ رحمه الله مقبياً في بلد العيينة على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس دينهم ويميت ما قدر عليه من البدع ، ويقيم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها ؛ وفي تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهى : أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعاً ، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مراراً فسأل عن عقلها فأخبر بتامه وصحته فأمهلهما أياماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار ، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات في أيام متواليات . فأمر الشيخ رحمه الله الوالي برجمها لسكونها قد أحصنت ، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت . فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ؛ فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان المذكور ، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها . فلما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال ، وطارت قلوبهم خوفاً وفزعاً ، وانخلعت ألبابهم رهباً وفزعاً ، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية ، والخصلة المرضية السنية ، والفعلة المحمودة السنية مالم يعاينوا قبله مثله حزن ، ولم يعرج على أسماعهم في سابق الزمن ، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك ، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك ، كيف وقد أتاهم مالم يحتسبوا ودهمهم مالم يرتقبوا وطاف بهم مالم يسعهم منه أن يهربوا ، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ما ليس لهم به دفاع مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع . فيالله العجب كيف تنكر القلوب والعقول سنة

الرسول وتناولت السنة العلماء على من نصر الشريعة وحمت، ولكن الحب يعمى ويصم لم يكن لهم عدول ولا إباء عن سنة الأسلاف والآباء ، وكذلك شأن النفوس إلى الباطل تميل ، ولا يجدوا زعاً من نفسه إلى الحق إلا القليل . فنحمد الله المولى الجليل أن جعل الشيخ من هذا القليل ، وبنصر السنة كفيل . ثم إن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والحسا ، وكان قبحه الله مغرماً بالزنا مجاهراً به غير محتف بذلك ، وحكاياته في ذلك مشهورة ، وقصصه فيه غير محصورة ، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم ، ويسمى في قطع ما أنتم عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور . فلما خوفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله أو إجلائه عن وطنه وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام ، وشدد عليه في حصول القصد والمرام ، وصرح له في المكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندي مستباح ، وليس علينا في ذلك من جناح ، فأثر الدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين ، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج ، وذلك لما اقتضته الحكمة الإلهية والعناية الصمدانية من إحياء دارس السنة الحمدي والآثار السلفية ، فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المرعية المحروسة إن شاء الله من كل بلية ، فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود أسكنه الله دار الخلود ، قام من فوره مسرعاً إليه ومعه إخوته ثنيان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه وبادره بالقبول والتقبيل ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده من جميع من عاداه وكاده ، إلا أنه طلب من الشيخ رحمه الله العهد والميثاق أن لا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق ، وهذا من عناية الله تعالى بهذا الرجل ونوفيقه وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفاً ، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً ، مشهوراً بذلك دون من هنالك . فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام أن لا يخرج عنه إلى بلاد ، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ما خلقوا لأجله ويحث على ذلك بخيله ورجله حسب الاستطاعة لا يفتقر عن ذلك ساعة ،

وكذلك قام معه وزرائه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه . ومن مشاهيرهم
ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم
والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغيث وسليمان الوشيقرى وحمد
ابن حسين وأخوه محمد وغيرهم ؛ فجردوا للدعوة أمضى سنان ، وأرخوا في ذلك العنان
من غير تراخ ولا نوان ، وشهروا سيف العزم وباتر الهمة والحزم ، جزاهم الله خيراً .
وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة في حدود سنة سبع وخمسين
بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية . فلما استقرَّ به الفرار في محروسة تلك الديار
وساعده على إعلان تلك الدعوة الملك القهار ومن ذكرناهم آنفاً من الأخيار حشرهم
الله في زمرة الأبرار ، بقي رحمة الله عليه وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من
غير شك ولا مین ينصح الناس ، ويكشف عن الحق حجب الالتباس ، ويشيد السنة
النبوية بأقوى أساس . وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله
قصدهم : منهم عبدالله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبد الله بن غنام
وأخوه موسى ، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير . وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان من القدام
على الشيخ وابن سعود من حيلة لما رأى من جماعته وشاهده ، وعلم أن الله رفع للدين
مصاعده . فأقبل إليهم وقدم عليهم وحاول الشيخ في الرجوع إلى بلده فأحال الأمر
على محمد بن سعود فأبى ولم يسعفه بالمقصود ، فرجع على عقبه ولم يفرز بغاية طلبه .
فأضمر العداوة والشر وجدَّ في الغدر والمكر . وفي أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ
والأمير محمد بن سعود دهام بن دواس رئيس البلدة المعروفة بالرياض ، فاجتهدوا في ذلك
غاية الاجتهاد . فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض ، بل أعرض عنه نهاية الإعراض
واعتاض الدنيا عن الآخرة وبئس الاعتياض ، وحمله على ذلك البغي والحسد اللذان قلَّ
أن يخلو منهما جسد وينجو منهما أحد ، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين وأن
ما يدعو إليه هو الحق المبين ، وقد صح النقل عنه والنطق بذلك منه ، ولكن حقت
عليه كلمة العذاب وسبق له ذلك في أم الكتاب ، فأبطن عداوة هذا الدين ، وأظهر
موالاة المبطلين ، وكان هذا الدين قد فشا في بلده ودخل فيه كثير منهم ، فإذا رأى
من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيئه أخذ يصادره ويؤذيه . وإذا رأى عدواً يقربه
ويؤويه ، فجعل يزايد في العداوة ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة ، ويعلم

بالقبائح الشنيعة والفضائح الفظيعة ، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة . وكان أبوه رئيساً في بلد منفوحة متغلباً عليها فقتل أناساً من جماعته من المزاريع ظلماً وعدواناً ، فبقي بعد ذلك زماناً ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض أهل منفوحة فقتلوه وأجلوا إخوانه ، ومن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركى ومشلب وفهد ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب مأثور ، وكان الذي قتله أحد بني عمه ، وكان معتوه العقل صعد إليه وهو نائم في عليية له فذبحه بسكين معه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله ورماه من رأس العلية ، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغاراً وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك . فأقام والياً عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفاً من أهلها لأمور جرت منه . فأقام في الحائر مدة ثم أتى منفوحة فأقام بها مدة ، ثم عدا عليه رجل من أهلها كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس ، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادماً له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهام ابن دواس بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام ، فزعم أنه يكون نائباً عنه في ذلك حتى يكبر ويعقل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية ويتصل ، وهيات الرجوع عن الأخلاق والطباع وردع النفوس المذبذبة على البغي والأطماع ، فجرب مع ابن أخته على عادته وسنته وعامله بما رسخ فيه من جورهِ وسطوته ، فأجلاه عن البلاد وأخلفه ذلك الميعاد ، فبعد صدور هذه القضية واشتهاره بهذه الفعلة الردية كرهه أهل الرياض وسعوا في عزله إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله ، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصلوه فيه ؛ وكانوا عامة وغوغاء ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره ولا مصدر يصدرون عن رأيه وفكرته . فأرسل أخاه مشلباً راكباً فرساً إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية ، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قيام ، وأرسل إليه من الجنود فئام ورئيسهم مشارى بن سعود ، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود ، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا إمهال . فبعدها

قر ملكه فيها ، وأقام رئيسها وواليتها وأقام مشاري عنده شهورا ، ولم يتوقع ماصدر من الخبيث من الشرور ، فاستفحل أمره وتعظم خبره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بأمور ، وأعلن بفجور تحاكي الأفعال النمرودية والقضايا الفرعونية : فمنها أنه غضب يوما على امرأة فأمر بفمها أن يخاط ويتكرر في شفيتها تردد المخاط . ومنها أنه غضب يوما على رجل فقطع من خذه قطعة وقال : لا بد أن يسيغها مضغة مضغة فحاول الرجل المعضب بعد أن لم يجد له مهربا أن يأكلها بعد أن تشوى فلم يسعفه بذلك فأكلها نعوذ بالله من البلوى . ومنها أنه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له أنه فك بأسنانه الحديد ، فأمر بمقمة من حديد فضربت بها أسنانه فتساقطت في مرة بلا تردد . ومنها أنه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض أغوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة ، ونظائر محقة شهيرة ، فلم يزل في تلك الحال وأهل بلده يعانون منه التنكيل والوبال ، ثم لما من الله تعالى بظهور هذا الدين ولعلت شوارق الحق المبين ونادى منادى المولى الكريم (إنك لعلى هدى مستقيم) دعى دهام إلى هذا الحق الواضح والبرهان الساطع اللائح ، فأبى ونفر وأعرض واستكبر بل صد الخلق عن الدخول فيه وحذر ، وأخذ يسعى لأهله بالمكائد ويترصد في عداوتهم المراصد ويستليح كل معاند وجاحد . فأول ما تظاهر في هذا الدين بالعداوة والحراية وجمع لذلك أعوانه وأحزابه أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه أنه خان أهل منفوحة وهم إذ ذاك قد دخلوا في هذا الدين ، والأمر محمد بن سعود من المتبعين ، وهو إذ ذاك مظهر لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق ، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق . وحاصل ما جرى منه ، وصفة ماصدر عنه أنه عدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادي فرقان من آل ظفير وأهل منفوحة على غرة وغفلة ، لم يتبين من العداوة لهم شئ ، فكمن لهم في أحد دور البلد ليلا وأمر البوادي والخييل أن تغير على بعض الزروع والنخيل لكي يخرج أهل البلد فيعقبهم الكمين على البيوت . فلما أصبح الصباح وغارت الخيل والبادية على النخيل وفزع أهل البلد عليهم ، ولم يبق في البلاد أحد من المقاتلة ، خرج الكمين ودهام معهم فلم يخطئوا قصر الإمارة فصعدوه وقهروا البلد وأقاموا في ذلك ساعة . فلما علم بذلك من خرج رجع على عقبه وانزعج وهما بالرحيل والنقلة بلا تثبيط ولا مهلة حتى إن الله أعقبهم بالنصر والفرج . فانشرح

صدر كل موحد وابتهج . وسبب ذلك أن علي بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبت الله أقدامهم وأعانهم وأعظم إكرامهم سعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الإمارة ، وبقوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناسا . فلما أعيتهم الحيل وضائق عليهم السبل ، وتحققوا أنهم إن بقوا ساعة هلكوا ، بعد ما جزموا أنهم ولوها وملكوا ، رموا بأنفسهم من وراء الجدار إذ لم يكن لهم على معاينة الحمام اضطبار ، فهربوا وقد لبثوا ثياب الحزى والخيانة والعار ، وتردوا برداء الردى والشنار ، وصاروا عقي من ثاؤهم وأخفاهم عنده في تلك الدار . شناعة السمعة ، وحلول الدمار ، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم وجارهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلى ، وغيرهم نحو الأحد عشر ، وأصيب دهام صوابين وقتل حصانه وقطعت أصابع رجله وهرب هو ومن معه بعض أنامله من شؤم فعله ، ويتجرع حرارة الجرح والصلف ، ويتحسى مرارة الندم والأسف . ثم لما تظاهر بعداوة الدين وعداوة بن سعود وتمزى بذلك وتميز ، وسوّل له الشيطان أنه للسياسة قد أحرز حاربه ابن سعود . فلما تيقن ذلك حمله الشيطان من التيه والطغيان على نذر جزور لتاج بن شمسان إن قطع ابن سعود على الفوارة عادين على بلادى . فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون في قصره فوفوا بذلك الوعد ، وبذلوا لتحقيقه الجهد فأتوا إلى باب القلعة التي فيها قصره فشذبوا الباب بالمنشار ، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس ، فعمقوا فيهما إبلا كثيرة ورموه بالرصاص وهو في عليته ثم خرجوا سالمين ولله الحمد ، ثم بعد ذلك يبسير عدا ابن دواس على العمارية فقتل عبد الله بن علي وعمقوا إبلا . فلما بلغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة فرأى أنه يرصدهم ، ويكن لهم في فيضة لبن لأنها طريقهم الذي يرجعون منها ، وكان ابن دواس قد كمن فيها ورصد هو وإخوانه خوفا على عدوته أن يسد عليهم الطريق ، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته حتى توافى الفريقان في الفيضة ، واقتتلوا ساعة ثم انهزم دهام وجماعته والمسلمون بأثرهم ، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التي صدرت من العمارية ، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا ، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم أكرمهم الله بالشهادة ورجع كل منهم وقصد بلاده . ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشيب لأنه قد قتل منها شيب

من آل ابن شمس من أهل الرياض . وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية ساروا جميعاً إلى أهل الرياض ، فلما قربوا من البلد أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم . فخرج دهم مع أهل الرياض فالتقوا بمكان يسمى الوشام خارج السور . فلما خرج الكمين عليهم انهزموا ولم يأل أحد على أحد ، بل كل منهم عربد وشرد ، وقتل منهم نحو العشرة من المشهورين : منهم أحمد بن علي بن ناصر وشايبان من آل شمس . ثم بعدها الواقعة المسماة بوقعة العبيد ، وذلك أن ابن سعود خرج في أهل الدرعية وقرأها خاصة ، وصار على أهل الرياض وعباً كمينه في جرف يقال له جرف عبيان ، ثم أغار على البلد فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور . فلما التقى الفريقان خرج الكمين فرجع دهم ومن معه مكسوراً ، وقتل منهم نحو العشرة غالبهم عبيد ، ولهذا سميت بهم الواقعة بلا ترديد ، وتسمى أيضاً وقعة غيبة لأن القتلى بقوا فيها أياماً بلا دفن . وكفى بذلك مصيبة ، وبقي دهم بعدها متحسراً ، وفي أمره متندماً متحيراً إلا أنه للحرب في تهيو واستعداد ، وفي التأهب للملاقاة وجمع الأمداد طلباً للمقاضاة والأخذ بالثأر ليشفي الفؤاد . فأجمع أمره وصمم رأيه وفكره أن يأتي إلى الدرعية ويغير ويجعل الكمين فيما خفي من الحفير ، فجمع الحاضرة والبادية فأصبحت خيله على البلاد عادية ، فخرجوا إليه سرا ولم تأل المقاتلة غير القتال دفاعاً . بل باعوا النفوس دفعاً عن الحرم حتى كشفه الله تعالى فانهزم ، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الكمين ولى غالبهم مدبرين وقتل خمسة من المسلمين ومن مشاهيرهم فيصل بن الأمير محمد بن سعود وأخوه سعود ابن الأمير محمد ، وكان الأمير محمد رحمة الله عليه حين خرج ورأى أن الغارة لم تفد ولم تعرج على نقش أحد أشار برأى مبارك ميمون ، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون ولا يناشبونهم القتال خوفاً من الكمين بالرجال ، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده ولم تكن همته عن القتال قاعدة ، بل كانت إلى ذرى المعالي صاعدة ، وفي هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة لمحمد والمسلمين مالا تحده ولا نعه تحريراً ، (وعسى أن تكرر هوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ، وكانت هذه الوقائع المسطرة والأفعال المقررة في حدود السنة التاسعة والحسين بعد المائة والألف . ثم دخلت سنة

الستين بعد المائة والألف ، وفيها وقعة تسمى وقعة دلة . وذلك أن أهل العينة وأهل حريلا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة خرجوا في ربيع الأول يريدون الرياض ومصادمة أهلها فيها ، فانفلت رجل من أهل حريلا يقال له أبو شيبة من آل داود فأنذر دهما وجماعته ، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال فصبحهم المسلمون في جوف البلد فلذا سميت وقعة دلة فاقتتلوا فيها قتالا شديداً وحى القتل عند باب القصر والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس وكان فاتكا وتقاتلا راجلين ، فضرب حمد بن محمد دهما ضربات بالسيف في جسده ورأسه حتى أتى موسى ابن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله وصار سبباً لسلامة دهام بعد أن أشرف على الحمام ، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجميل إلا المعاقبة والتنكيل ، وذلك أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة فذكر ذلك لدهام فأمر بقطع يده ورجله فقطعتا ونفاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام فمات ، وقتل في ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سوداء وسرحان البكاي وابن مسيفر وثمانية غيرهم . وأما الجراحات فكثيرة ، واستشهد من المسلمين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير وحسن الشميري وغيرهم ، وكانت تلك الغزوة من غير رضا عثمان بن معمر ومشورته لما يهتمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية إلا أن هذه الواقعة زادت رجسا إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه ، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهد ومرا أهل حريلا على العينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريلا محمد بن مبارك العهد والميثاق على الإخاء والمصافاة والاتفاق ، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوى النفاق مع أن قلبه قد ملئ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والذل والحجل ؛ ثم إن عثمان غشيه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم وخشى وقوع الازلال والإهانة وتصديق ما يرمى به من النفاق والحياة ، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود في قبول العذر والاعتذار والصفح عن التخلف الذي صار. فقبلا منه جلي عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريلا والعينة وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد فتوهموا فيه الصدق والوفاء وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى ، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المسلمين

وأمره وصار ابن سعود له منقاداً ولأمره طالباً مرتاداً ولا يخالفه ولا يشاققه بل يتابعه ويوافقه في السفر والبلاد والغزو والجهاد ، وكان من أعظم ما على عثمان به تقم وأوضح مارى به واتهم، أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ترمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العينة ويتفوه في المجالس والمحافل أنه لمنهج الإصلاح مائل ولتكثير سواد المسلمين فاعل والله أعلم أنه خائن خاتل، فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إهمال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهما من الأعيان فصار سببا لما ناله من اللد والهوان فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهاما إليه قصد شق عليهم ذلك وعابوه ، وانكهم من الفتك به هابوه ، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين ، فاجتمع أهل البلد جميعا وساروا إليه سريعا ، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موّه عليهم مطلوبة وقصده ، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصالح ويتم بمجيئه المرام والصلح ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الأحكام ، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم ؛ ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة يحثه على المجيء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور ، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيائته وتحقق أنه لم يوف أمانته بل حكى أن الشيخ جاءه النذير يحذره عن الحضور والمسير ، وأبدى غاية الامتناع واعتذر عن الموافاة والاجتماع ، فلما أخبرهم الرسول بعدم القدوم والمثول عرف المسلمون من أهل البلد ما أعمله عثمان من المكر واجتهد فحصروا ابن دواس في قصر عثمان وهموا به إذا خرج بلا استئذان فلما جن الظلام خرج دهام هاربا ولبده طالبا وللهمان والحزى كاسبا ، وكان صدور هذا الأمر منه والتفوه بالمكر عنه قبل أن يأتى إلى الشيخ والأمير محمد ويأخذ منهما العهد المجدد ، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب خاف من وقوع الشقاق وارتقب وأخذ يصانعهم ويرضهم بقوله ويعتذر إليهم بمصدر عن فعله لعلهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ، وماربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا وعلموا أنهم تضمخوا بقدر

الحيانة وما أفادوا ، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمدا تدرع لباس الحراة وارتدى وتنصل عن الدين واعتدى وفارق منهج الحق والهدى وبادر المسلمين بالحرب وابتدا . ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف وفيها جرت وقعة تسمى وقعة البنية وذلك أن عثمان بن معمر لما أعطى العهد وأمر كما ذكرنا سار بمن معه من أهل العينة وأهل حريملا ومجد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма إلى الرياض فأتوها من شرقها يمشون في وادي الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية ، فلم يجر ذلك اليوم قتال إلا أن رجالا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد ، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه وأصيب منهم كثير ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير واستشهد من المسلمين عبدالله بن عبيكة وابن عقيل ، فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأي ويبرمونه غاية الإبرام حتى انتظم الرأي واتفق واجتمع الفكر وانتسق على المسير إلى الرياض والكابرة ومنزلتهم بالجد والمصابرة ، فتعبأ المسلمون للقتال وافترقوا فرقتين للمحال فعمدت فرقة إلى صياح فدخلوه وقت الصباح فاستولوا على ما فيه من الأموال وذلك بعد شدة القتال وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر والفرقة الأخرى ساروا إلى أهل حريملا وأهل عرقة فعمدوا إلى مقرن فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس فاقتتلوا مليا ، ثم خرج من ذكرنا من المسلمين بعد ما اجتمع عليهم أهل البلد منهزمين وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلا فخرجوا مسرعين ، ثم إن دهاما وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة أسرعوا في المسير إلى صياح وكان من وليها من المسلمين إذ ذاك في البيوت والنخيل متفرقين فدهمهم فيها دهام وأكرم الله بالشهادة من قرّب له الحمام وجاءهم بمن معه بغتة وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة فقتل منهم عشرين وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين ، ثم لما ظهر المسلمون على البلاد اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية ، وهدموا تلك المربعة البنية فلهذا سميت بهذا الاسم ووسمت بهذا الوسم ثم رجع كل إلى بلاده ووطن أهله وأولاده ، وفي السنة المستورة جرت وقعة تسمى وقعة الحزيرة وسميت بذلك لكون القتال في مكان يقال له الحزيرة وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العينة وحريملا وعبد العزيز بن مجد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма ، فساروا

جميعاً وأميرهم عثمان بن معمر حتى نزلوا بصياح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح، فخرجوا إليهم سراعا وراموا عن البلد دفاعاً فاقتتلوا قتلاً شديداً وقتل من أهل الرياض ستة تقريباً لاتحديداً، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة أربعة من النخيل محقة ثم رجعوا إلى بلدانهم وساروا إلى أوطانهم . وفي السنة المسطورة أيضاً جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحرعلا وعبد العزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية وقرائها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فساروا إلى ثرمدا فنزلوا بها ليلاً حتى انفلق الصبح وبدأ وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كميناً يكون لهم إذا نشب القتال معينا، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال خرج إذ ذاك عليهم الكمين فولى الكفار مدبرين ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم وقتل أشرفهم وكانت القتلى نحو السبعين على سبيل التحقيق لا التخمين، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يسمى قصر الحرّيص فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة فأشار عبد العزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعالجة فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومحائلة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام ووبخه ولأمله غاية الملام ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض صريداً دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا لامتنال أمره وأتباعه ولكن كان الذي معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجم الغفير، ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعاً إلى بلاده وبقي عبد العزيز متحيراً بين الدخول فيفوز بمراده أو اللحق بعثمان فيواقفه في إرتياده حتى اختار الله تعالى له ما اختار فجذب في لحوقه فلم يأتته إلا آخر النهار وأعظم ما صرف رأى عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من بقي معه من الأجناد فأشار عليه وجوه من بقي معه أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه إلا أن الأحوال متغيرة والقلوب بينهما متنافرة فلما أضاء صبح الليلة وأسفر جمع عبد العزيز حرسه الله تعالى جميع الغنيمة وأحضر ونادى بالرحيل في قومه وثور وأخذ سائراً على طريق الخبرة لما أجمع على المفارقة أمره وقال لا بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود حتى يقسمها على

المنهج المحمود فقدم بها عليهم وأحضرها لديهم . وفي تلك السنة أيضا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية ، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية والأمير عليهم عثمان ، ولم يخرج من أهل البلد للقتال إنسان فدمر المسلمون المزارع إذ لم يحل دونها من مدافع ، ثم انقلبوا مسرعين وإلى بلدهم راجعين . وفيها أيضا غزا المسلمون ثادق فلما وصلوا إلى قرب تلك المرافق وكان وصولهم ليلا وعقبوا الجيش واستعد الكمين حتى ينشب القتال ويستبين فلما خرج المقاتلة ظهر الكمين بالمعاجلة فأخذوا عند ذلك منهج الفرار ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار ، وقتل منهم عند الانكسار محمد بن سلامة وستة معه وأخذوا جميع الغنم المرتبعة . ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى الحبونية سميت بذلك لأن القتال بها صار وهدم ما بها من جدار ، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض وأميرهم محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم ما يوجب الحذر هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج ، فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج وأخذوا يترامون معهم بالرصاص ، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مناص ، وقد قتل بينهم رجال في ذلك المجال فقتل من المسلمين ثلاثة عبد الله بن شاذب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج وقتل من أهل الرياض سبعة منهم عبد الله ابن سبيت ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة ، وقد وقعت في هذه السنة وقعات كثيرة اكنها صغار فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار . ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه وأضر ذلك أنه لما تزايد شره على أهل النوحيد وأخذ يعمل في إذلالهم بلا ترديد وظهر للمسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل وماربك عما أراده بغافل وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه واشتراكه للمسلمين واختلافه وكانت حاله بذلك شهيرا (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية العذر والخافة وتثبتت في تسطير هذه الانتقال وتحرير ما يرمى به من سوء الأفعال وتحقيق ماله أنمى وخشى على المسلمين وقوع ما به رعى قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العيينة أريد

منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاته من والاه ومعاداة من حاربه أو ناوأه ولو أنه أميركم عثمان فأعطوه على ذلك صفقة الإيمان فتتابعوا على البيعة أفواجا فملئ قلب عثمان من ذلك رعباً وانزعاجاً؛ فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنه لا يفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الإيمان ويحلى من يسلم لأقصى البلدان فينجلى ما بقلبه من الهم والأحزان ، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان يحثهم ويدعوهم إلى المحي عندده والاجتماع حتى ينفذ ما عزم عليه بالمسلمين من الإيقاع ، فلما تحقق أهل الإسلام ما عزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لدوى الألباب من الأنام مصداق قوله (إن الله عزيز ذو انتقام) فتعاطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النعمة والبأس ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد ، فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه في مسجده ومصلاه وأريح المسلمون من أذاه فلم ينتض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عزان بل أغمدت والله المحمود قواضب الفتنة وأخذت لواهب المنة واطمأنت المسلمون (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) فلما قدم إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير عجل الشيخ إلى العيينة المسير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف ، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عنان الرأي والمشورة والقضية في ذلك مشهورة في الترييس والتأمر وتفويض الرياسة والتدبير ، والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والإيمان ، لاسيما من باشر أو سعى في قتل عثمان ، حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولى عليهم منهم إنسان ، خشية أن ينالهم منه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم ، ولم يعرج على اجتهادهم ، بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك ، فرأس عليهم مشارى بن معمر وكبره فيهم وأمر ، وكان ذلك منتصف رجب ، كما حققه من حسب . وفي هذه السنة أيضاً ، وقعة تسمى وقعة البطحاء ، وذلك أن المسلمين عدوا على الرياض ليلافدخوا البلاد ، واستحرج القتال والجلاد عند باب الروة بعد مداخلوها فجوة ، فلما تراجع على المسلمين الإفزاع نهض غالبهم إلى الخروج والإسراع ، ودارت

رحى الحروب على سبعة ، وحصلت لهم من الله إعانة ومنعة ، منهم علي بن عيسى الدروع ، وسليمان بن موسى الباهلي ، ومحمد بن حسن الهلالي ، وعلي بن عثمان ابن ريس ، وعبد الله بن سليمان الهلالي وإبراهيم الحر ، فاقتتلوا أشد القتال مع ضيق المعترك والمجال ؛ فقتل تلك الساعة من مشركه تلك الجماعة : ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة آخر ، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان ، وسليمان بن جابر من الأولين . وفيها أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الوطية ، وكانت من أعظم قضية ، وذلك أن المسلمين غزوا وأميرهم عبد العزيز حفظه الله وساروا إلى ثرمدا سريعا ، فجاءهم النذير ، فاجتمعوا مع أهل وثيثا ومرارة جميعا ، فلم يأتهم الجيش والأجناد إلا وهم في أتم الاستعداد ، وتأهب للجلاد ، وقدرزوا خارج البلاد ، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كيا ، فلما استمر القتال مليا خرج عليهم ذلك الكمين ، فانهمزموا مدبرين ، وقتل منهم خمسة وعشرون ، منهم أمير وثيثة علي بن زامل ، وسيهان وكثير من تلك الشجعان . ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف ، وفيها عدا المسلمون على الرياض فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجلد . وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين فخرجوا بعد القتال منهزمين ، وقد قتل أناس من المشركين وقتل نحو الثمانية من المسلمين ، منهم علي بن عيسى الدروع خانه القضاء ، فلم يفر لما كثرت عليه الجموع رحمه الله ، وكان من القتاك والشجعان المشهورين بالعلو على الأقران والصبر عند الطعان في ذلك الوقت والزمان . وفيها ارتد إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن أمير ضرماء ، ورجع عن الإسلام وخان وقتل من أشراف جماعته وقومه لشؤم فعله ولؤمه عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى لسكونهم من أهل الإسلام والدين ، وفي الدنيا من أهل الثروة والتمكين ، فأخذ ما لهم بعد قتلهم أجمعين ، فلم يبق بعد هذه الفعلة سوى أربعة شهور في المهلة حتى قتل هو وأولاده عيدان وسلطان وأناس غيرهم من الأعوان المشهورين بالتعدي والطغيان ، وهرب من سلم إلى سائر البلدان . وصفة ما صدر أن آل سيف السيارة صقر وإخوانه وإبراهيم ابن سلطان آل ذباح ، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان على الفتك به لما ارتد وخان فأتوه مع جماعته وهم في المجلس قعود ، فقتلوه وفازوا بالمقصود ، ثم بعد هذه القصة المسطورة ، ولي الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة ضرماء المذكورة ، وفيها

غزا المسلمون الزلفي وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز ، فلما وصلوا الحساحم عبد العزيز حفظه الله فأمر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن وانقلب راجعا فأغار الغزو على الزلفي وأخذ غنما كثيرة ثم رجع . ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ، وفيها جرت خيانة أهل رغبة ، لأهل سدير والوشم ، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرواد معهم آل ظفير وحزبوا على أهل رغبة ، وهم إذ ذاك قد دخلوا في الإسلام وجرت عليهم الأحكام فحصرهم في البلد أيام ؛ ثم إن بعض أهل البلاد جنحوا إلى طريق الفساد وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوى الإفساد ، إلا أنهم أخذوا جميع أموال البلاد وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ، فأصبحوا بعد حلول هذه المصائب عليهم والنقم يعضون أنامل الأسف والندم ، على ما حل بهم ودهم . وفيها أيضاً حزب أهل الضلال ، أهل الوشم ، وأهل سدير ، وأهل الجنوب ، وآل ظفير وجلوية ضرماء ، فساروا إلى ضرماء وحصروا أهلها أياما ، وعزموا أن يطيلوا بها مقاما ، وفي مدة هذه الإقامة كل شد للقتال ساعده ، وشد سهامه حتى إنهم في بعض أيام الحصار نصبوا السلام على رفيع ذلك الجدار وأرخصوا في نيل مطلوبهم غالى الأعمار طلبا للفوز بالمنى والأوطار وأخذوا بأنفة الثار ، فصعد منهم السور من قرب أجله من الحضور ، وكانوا نحو الثلاثين ، فلم يرجع منهم أحد ، وقتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين في العدد ، وغالب القتلى من أهل الحريق ، ومنهم حمد بن عثمان الهزاني على التحقيق؛ ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين ومن مرادهم خائبين . وفيها غزا المسلمون الخرج وأميرهم في تلك الغزوة ، مشارى بن معمر فأغار على الدلم وأخذوا جميع سوايم الغنم ثم انقلبوا راجعين ولبلدانهم طالبين ، فاقتفى طلب أهل الخرج آثارهم بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم ف وقعت في عفجة الحار الموافاة وحصلت المصادمة والملاقاة فأناخ لهم المسلمون وكلهم للموت مستوطنون ، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد ، والفزع فوق المائة بالتوكيد ، فوطنوا نفوسا عن الفرار أئبة ، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية ، وصبروا عند هذه البلية ، فجرى القتال من بعيد والكل يرمى بالبنادق ويحيد ، فلما رأى المسلمون ذلك لا يجدى ولا يفيد ، نهضوا عليهم للاختلاط وعاجلهم لقصد الارتباط ؛ فلما عاينوا من المسلمين الموت عرفوا أن لا منجى سوى

الهروب والفوت ، فكل منهم امتطى راحلته ونادوا إثر الهروب والفرار ، ولم يكن لهم على ملاقاتة المسلمين اضطبار ، وقتل المسلمون منهم قريبا من الثلاثين رجلا ، منهم شريقان قرب له الأجل وأخذوا كثيرا من الركائب والسلاح ، وبدا للمسلمين في ذلك الطلب الفلاح ، وكان خيرة لهم وصلاح كما قيل :

{ الصبر كالصبر مرة في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل وأعلى من ذلك وأرفع وأعلى منه وأنفع قوله تعالى : (إن الله مع الصابرين) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله به المسلمين وأغاروا على فريق بدو يقال له دهيمان ، فأخذوهم أجمعين ، وقتل من المسلمين اثنان : علي بن عثمان ابن ريس وابن جرى عمران . وفيها وقعت من أهل حريملا الردة والافتتان ، واجتمع على ذلك كل إنسان من أهل الفساد والعصيان ، وتماثلوا على قتل من عندهم من أهل التوحيد والإيمان ، وحملهم على ذلك الشيطان وزين لهم ما كانوا عليه سابقا من البغى والطغيان ، وزخرف لهم سننهم القديمة في غابر الزمان ، وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تعقبها الذلة والهوان ، فصار كل منهم إلى الفتنة ظمآن ، وإلى لقاء الردة ولهان ، فلهذا أوضحوا سبيل الفتنة والردة ، وأخذوا في تهيئة أسبابها المعدة وأقاموا جهرا أعوجها ، وشادوا طريقها ونهجها . وتبينت لها منهم أسباب ، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب ، وعرفوا أنهم على الدين ليسوا بما كثرين ، بل ناقضين للعهد ناكثين ، واستنشق الشيخ من أخيه سليمان أنه لأسباب الردة معوان ، وأنه يلقي إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبا كثيرة ، وإعما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة ، فلاجل إلقائه عليهم الشبهة وترويجه عليهم بما خفي علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه ، بل أنبه وكأفه وحذره شؤم العاقبة ، وبين له أنه لا يدرك مطالبه ، فلم تجده النصائح والإنذار ، ولم ينجح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار والطمأنينة والسكنى في تلك الديار ، بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار ، وكان سليمان قبل أن يطير من الردة اللهب حين عدله الشيخ وعتب ، أرسل إلى الشيخ رسالة حبر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله - ولكنها للعهد قد تضمنت ، ولعقد الإيمان قد حوت وأحكمت - أنه إن وقع من أهل حريملا ارتداد لا يقيم يوما في تلك البلاد ؛ فلم يف بذلك الوعد بل أخلف الميثاق والعهد وآثر السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء ، كيف لا وهو أبو عذرها ، والباعث على تأسيس

أمرها والداعى إلى تأسيس قبيلتها ونكرها ، وصفة ماجرى وصدر وظهر منهم وبدر ، أن كبار القرية الذين تعاهدوا على القرية عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك وكان هو الأمير وولى التنفيذ والتدبير ، وأصابه منهم إنسان يسمى ابن وحشان ثم أجلوه مع أولاده عن مسكنه وبلاده وفر غيره من أهل الدين إلى بلدان المسلمين : منهم عدوان بن مبارك ، وابنه مبارك بن عدوان ، وعثمان بن عبد الله أخو الأمير وعلى بن حسن وناصر بن جذيع وغيرهم ، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد ابن سعود فأخبروهم بذلك الأمر المشهود وشرحوا لهم تلك الأفعال وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال ثم بعد ذلك بأيام قلائل أرسلوا حمولة الأمير وعصابته إليه الرسائل وزينوا له الحجى والقُدوم وحسنوا له الإقبال والهجوم ووعدوه بعد الوصول المساعدة على المأمول والقيام معه والتبيين ورده في منصبه والتمكين ، فاستشار الشيخ في ذلك والأمير ، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير ، وقالوا إن كان لابد أنت فاعل فإني لمددك معك جاعل يكون لك عوناً على من هو خاتل ، فأبى عن المراد وأقبل بمن معه من العباد حتى دخل تلك البلاد ، وكان دخوله في غسق الدجى ، فلم يشعر به جماعة إلا حين توغل وجفا ، فلما تلاً من الفجر نوره وولى من الظلام ديجوره تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره ، فلم يكن لهم عليه بد من القيام . فأقبل عليه منهم فثام وجرعوه كأس الحمام وكتب له الشهادة ومن معه الملك العلام إلا مبارك بن عدوان ، فهرب وأعجزهم في الطلب ، وكان جملة المقتولين ثمانية ، كانت مناياهم دانية ، ولم يحصل من رفاقته النصرة له والنجدة ولم ينحوا مراده وقصده ، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده ، ولا ينفع الحذر إذا حمَّ القدر (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) بل ينقطع أمدّها وأملها ، ثم بعد ذلك اجتهدوا في أسباب الخرابة وأعدوا للحرب عدته وأسبابه ، وانتفخ منهم السحر لما جرى وصدر ، ولم يكن لهم عزم ولا همّ بعد إتيانهم تلك المدلّمة إلا البناء على البلاد والتسوير مخافة الخراب والتدمير ، ثم أرسلوا إلى مشارى ابن معمر أن يدخل معهم في هذا الأمر المقرر ، فأعرض عن ذلك وأنكر ، وبقوا على ذلك الحصار ومكابدة الأضرار بقية تلك السنة لا تخالط أجفانهم في الدجى سنة ، وكانت تلك القضية في شوال من غير شبهة ولا إشكال . ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف ، فعدا أهل حريملا على أهل الدرعية فلم يحصلوا من

ذلك بالأمنية ، ثم عدا المسلمون عليهم مرات وكروا عليهم في بلادهم كرات ؛ وفي أواخر
تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين ونبذوا عهد المسلمين وطرّدوا محمد بن صالح
إمام المصلين (والله لا يهدي كيد الخائنين) . فلما وقعت هذه الواقعة خرج مهاجرا من
نفسه إلى الحق وازعة ، وإلى الدين نازعة ، وللباطل وأهله رادعة ، وللشيطان قامعة ،
وفي أسباب الخير طامعة ؛ وكان من خرج منهم في يوم سبعين ثم بعده تلاحق أناس
منهم مسترسلين . ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف وفيها طلب
دهام ، من الأمير محمد بن سعود الدخول في الذمام ، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام
الإسلام ، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام ، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبلها أشد
الأحكام ، فطلب منه خيلا وسلاحا ، فلم ير بذلك بأسا ولا جناحا ، ورغب في منهاج
الإصلاح فبذل ما طلب ، وجنح للهدية ورغب ، واستدعى من الشيخ رجلا إماما يطيل
عنده مقاما ، وينشر في بلده للرعية أحكاما ، فأرسل إليه عيسى بن قاسم فكان بشرائع
الإسلام حاكم وبتعليم التوحيد ، قائم يقوم بذلك ويقعد ويدل على الله تعالى ويرشد ،
ويجد حسب طاقته ويجهد ، فانتفع به من أهل الرياض جماعة حصلوا من التوحيد
على بضاعة ، وصارت لهم فيه قدم ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم ، وسيأتي
ذكرهم في محله عند تحرير الارتداد ونقله . وفيها جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان
وبين المواعظ في الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان ، وأوضح
ما يجري على أهل التوحيد من جوار العبيد (وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز
الحمد) وكشف لهم معاني آيات القرآن ، وما ذكر في محكم التبيان ، وكلهم لقوله رحمه الله
منصتون ، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون ، ويتلوا عليهم ما به ينتفعون (ألم
أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وبشرهم بالنصر والظفر وحصول
المنى وقضاء الوطر إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا
وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النية والأوبة وتصدقوا بصدقات كثيرة وسألوا
الله النصر وتيسيره . وفيها مقتل أولاد سيف السيارة صقر وإخوانه لما قاموا مع
الباطل وأعوانه وهما بقتل الأمير فأخبره بذلك النذير ، فبادر إلى قتلهم خشية فعلهم ،
فبادر بذلك وأسرع وقتلهم بغوره أجمع ، ولم يعاود على قتلهم أحد بل جد في ساعته
واجتهد ؛ وفيها مقتل سليمان بن خويطر . وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية وهم

إذ ذاك بلد حرب ، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابا وذكر فيه شيئا من خرفة ، وأقاويل مغيرة محرفة ، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت ، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت ، وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شيئا مضرًا شينة غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان ، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان ، فكان يفعل ما به أمر ، فلما تحقق حاله واختبر أمر الشيخ به أن يقتل فقتل وامتلأ أمره وقيل ، ثم إن سليمان على حاله لم يزل يرسل الشبه في الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل ، ويبذل في ذلك الجد في العمل . ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله ، نحا فيها منهج الصدق وبين واضح الثواب والحق ، فهي تجر زخريته وطمى وسحاب همل ودقه ، وهى زين فلكها بنجوم الحق الزواهر وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواجر ، تلين قلوب السامعين أقوالها ويصغى لها أهل الهدى بمسامع دلائلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع وهذا فصلها بحروفها .

فصل

قال الشيخ رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . روى مسلم في صحيحه عن عمرو ابن عبسة السلمي رضى الله عنه قال : « كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان ، قال فسمعت برجل في مكة يخبر أخبارا فقعدت على راحتي حتى قدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جراء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت وما أنت ؟ فقال أنا نبي ، قلت وما نبي ؟ قال أرسلني الله . فقلت بأى شيء أرسلك ؟ قال أرسلني بصلاة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيئًا ، فقلت ومن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال . فقلت إني متبعك ، فقال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتني . قال فذهبت إلى أهلى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت فى أهلى ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة . فقلت ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراعا وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة

فقلت يا رسول الله أتعرفني ؟ قال أنت الذي لقيتني بمكة ؟ قال : فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله ، أخبرني عن الصلاة ، قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطالع بين قرني شيطان وهي حينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفء فإن الصلاة محضورة حتى تصلي العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله : فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسما لمادة المشابهة . ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصعد إليه صمدا ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة ، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله انتهى كلامه . فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون المؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم ، وقص قصص الكفار والمنافقين لتجنب ويجتنب من تلبس بها أيضا ؛ فما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابي الجاهل لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما في قلبه من محبة الدين والخير ، وهذا فسر به قوله تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أي حرصا على تعلم الدين لأسمعهم أي أفهمهم ، فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين ، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعليم ، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأسا ، فإن حضر أو استمع

فكما قال تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون .
لاهية قلوبهم) . وفيه من العبر أيضا أنه لما قال أرسلني الله قال بأى شئ أرسلك قال
بكنا وكذا فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته
وحده لا شريك له وكسر الأوثان ، ومعلوم أن كسرهما لا يستقيم إلا بشدة العداوة
وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة ؛ وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه
أمر كبير غريب ولأجل هذا قال من معك على هذا قال حر وعبد ، فأجابه أن جميع
العلماء الملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل
على أن الحق قد يكون أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض ، والله در الفضيل
ابن عياض رحمه الله حيث يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر
بالباطل لكثرة المالكين ، وأحسن منه قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه
فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) . وفي الصحيحين « إن بعث النار من كل ألف تسعة
وتسعون وتسعمائة ، وفي الجنة واحد من كل ألف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه
قال صلى الله عليه وسلم : إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ
العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين » قال الترمذي حسن صحيح .
فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام . ومن اتبع الرسول
صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا
أنه قال صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » تبين له الأمران
هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية . (فما بال القرون الأولى) والحجة القرشية
(ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة) وقال أبو العباس رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط
المستقيم في الكلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) وأيضا فإن قوله (وما أهل
لغير الله به) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر
من تحريم ما ذبح للحم ، وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى
الله كان أركى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له
أعظم من الاستعانة باسمه في فواحش الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة
بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من
منافقي هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع

في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلام الشيخ ، وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتداً بذلك وهذا في المعين إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين . وقال أيضاً في الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف وذكروا أنه في الأصل كان رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء .

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمون بها ذات أنواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن « لتركن سنن من كان قبلكم » فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف الذي فيه تمثال كف يقال إنه كف علي بن أبي طالب حتى هدم الله ذلك الوثن . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد ، وفي الحجاز منها مواقع ؛ ثم ذكر كلاماً في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك وذكر ذلك الشافعي وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبي بكر الأثرم عللوا بهذه العلة ، وقد قال تعالى (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيراً) ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم ، ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد ،

ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون ترابها نجسا ، وقال في نفسه « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد » فلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسدت الذريعة لئلا يصلي في هذه الساعة وإن كان المصلي لا يصلي إلا لله ولا يدعو إلا إياه لئلا يفضي ذلك إلى دعائها والصلاة عندها وكلا الأمرين قد وقع ، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية ، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ، وصنف فيه بعض المشركين كتابا على مذهب المشركين مثل أبي معشر البلخي وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالجبث والطاغوت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي نسب عنه من أزاغ قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبي معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرها أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى ، وتأمل ما ذكر أيضا في اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا قوله في مجرد مشابهتهم في اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشيء من هذا كلام الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زيعهم . قال رحمه الله أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى انتهى كلامه .

وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة ، وإذا بلغت حكم عليه بما تقضيه تلك المسئلة من تكفير أو تفسيق أو عصيان ، وصرح رضي الله عنه أيضا أن كلامه أيضا في غير المسائل الظاهرة ، فقال

في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال وهذا إذا كان في المقالات الخفية فقد يقال إنه مخطئ، ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها، لكن يصدر هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام، ومثل إيجابه للصلاة الخمس وتعظيم شأنها، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رؤوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي يعني الفخر الرازي قال وهذه ردة صريحة، فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله، لكن من يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئاً، على أن الذي نعتقد وندين الله به ونرجو أنه يثبتنا عليه أنه لو غلط أو أجل منه في هذه المسألة وهي مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ولو غلط من غلط، فكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافاً في هذه المسألة، وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق). أنزل عليه الذكر من بيننا).

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم. قال فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه حرق { الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقتلهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو

في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ؛ فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو اجبرني وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر (والذين يدعون مع الله إلها آخر) مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى -- ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم ذكر رحمه الله آيات ، ثم قال عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل « ما شاء الله وشئت قال أ جعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، وقال في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مما فعلوا ، وقال « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » وقال « لاتخذوا قبري عيدا ، ولا يوتكم قبورا ، وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تباغنى » ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ؛ فأعظم آية في القرآن آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » والإله هو الذى يأله القلب عبادة له واستغاثة له ورجاء له وخشية وإجلالا انتهى كلامه . فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبيا أو وليا مثل أن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل يكون هذا إلا فى المعين والله المستعان . وتأمل كلامه فى اللات والعزى ومناة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم لله ويغضبون لمنتقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثروا إن استوحش لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذى قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرها اتخذها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) . فهذا حال من اتخذ من دونه وليا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم فى كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا فى تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره يبين لك بطلان الشبهة التى أدلى بها الملحدون ، وزعم أن كلام الشيخ فى هذا الفصل أعنى الفصل الأول فى الشرك الأكبر على الآية التى فى سورة سبأ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) وتكلم عليها ، ثم قال والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول

الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشئ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وأقره ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويدفع بتجريد متابعة الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا، والله المستعان .

فصل

وأما الشرك الأصغر فليسير الرياء والخلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك مالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده . ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ما ذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ. ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم . ومن أنواعه النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والنذل لغير الله وإضافة نعمه لغيره . ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن استغاث به أو سأل أنه يشفع إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم

راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، والله در خليله إبراهيم حيث يقول (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيدة الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله انتهى كلامه .

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر وشبهته أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر ، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحا لا يحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليسفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آ نفا وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره ؛ فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله . وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين أن من دعا على بن أبي طالب فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر، فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقتته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ؟ وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبدين في العمل ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية فلهذا لم يفهم به معنى القرآن وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أتيتم قبل هذه خطه بيده ، ويقول بيني وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا ؛ فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضا بالشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين (والسما ذات الحبك إنكم لنفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك - بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر

(مريح) فرحم الله امرأ نظر لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بمعاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وعلم بما حكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه الاسلام وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون كعلي بن أبي طالب وغيره لما حرقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يقتلون بالتحريق والله الموفق . وقال أبو العباس بن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال وكل شرك في العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمرهم منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعاً ، فتدبر هذا فإنه نافع جداً ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمررون بالشرك ، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوِّغون الشرك أو يأمررون أو لا يوجبون التوحيد ، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك وهم إذا ادَّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد أن يعبد الله ويتخذة إلهاً دون ما سواه ، وهو معنى قوله لا إله إلا الله انتهى كلام الشيخ ؛ فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جداً ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ولكنه لا يدين بذلك إما بغضاله أو عدم محبته كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا ، وإما إيثاراً لدنيا مثل تجارة وغيرها فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه كما قال الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الآية ، وقال (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) . فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غر هذا الكلام ضعيف البصيرة ، وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن وراءهم

يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأخسها فإذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل وأيضا لم يحدثوا في بلدهم أو ثانا جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقولون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ما هم عليه من السب لدين الله وبغى العوج له ومدح الشرك وذبحهم دونه بالمال واليد واللسان والله المستعان . وقال أبو العباس أيضا في الكلام على كفر مانع الزكاة والصحابة لا يقولون هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق لعمر رضي الله عنهما : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لاجد الوجوب ، وقد روى أن طوائف كانوا يقولون بالوجوب لكن يخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي قتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله . وأما قتال المقرين بنبوة مسيئة فهو لاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم انتهى ، فتأمل كلامه في تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبي حريمه وأولاده عند منع الزكاة فهذا الذي ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين . قال رحمه الله بعد ذلك وكفر هؤلاء وإدخالهم في أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة انتهى كلامه . ومن أعظم ما يجلو الإشكال في مسألة التكفير والقتال عند من قصده اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبي ذراريهم وفعلهم فيهم ما صح عنهم ، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين ، فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع أعنى المدعين للإسلام وهي أوضح الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لما صعبت التكاليف على الجاهل والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه ؛

والمراد منه قوله وهم عندى كفار بهذه الأوضاع . وقال أيضا لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمة حق أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقر أوامره وزواجره ، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعصم مالك بقطع يد مسلم في سرقة ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الحف مقام مسح الرجل إشفافا عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سدا لرمقك وحفظا لصحتك ، وزجرك عن مضارك بمجد عاجل ووعيد آجل وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك ، أحسن بك مع هذا الإكرام أن ترى على مانهاك منهمكا وعمما أمرك مرتكبها ، وعن داعيه معرضا ولداعى عدوك فيه مطيعا ، يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حظ رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك ! هل عادت خادما طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف اعترف العبيد للموالى فلا أقل أن تقتضى نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافى المساوى ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء مسجودا له تتراعى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجد ساجدا لصورة في حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو لصورة ثور خائر أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والحوادث بعد الكور ، لا يليق بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لا يرى إلا عابدا لله في دار التكليف أو مجازى لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد أنه جعل أقبح حال وأخفها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ، ومثله بأنواع : منها السجود لشمس أو لقمر ، ومنها السجود لصورة كما يسجد للصور التى فى القباب على القبور . والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض ، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ابن عباس أى ركعا . وقال ابن القيم فى إغاثة اللهفان فى إنكار تعظيم القبور ، وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى عبادة الأصنام ، وهذا الذى ذكره

ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف ينكر تكفير المعين . وأما كلام أتباع سائر الأئمة في التكفير فنذكر منه قليلا من كثير . أما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك ، وقال في النهر الفائق : واعلم أن الشيخ قاسما قال في شرح درر البحار إن النذر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلا ياسيدي فلان إن رد غائبى أوعو فى مريضى فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعا لوجوه إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر ، واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما فى مولد الشيخ أحمد البدوى انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام . وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة لهم على إزالته . وقال القرطبي رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال هذا حرام بالإجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر . ولما علم أن حرمة بالإجماع لزم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذى نقل عنه فى كفر من استحل السماع مع كونه دون مانحن فيه بالإجماع بكثير كثير . وقال أبو العباس رحمه الله : حدثني الحضيرى عن والده الشيخ الحضيرى إمام الحنفية فى زمانه . قال : كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافرا ذكيا ، فهذا إمام الحنفية فى زمانه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون فى ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام . وأما كلام المالكية فى هذا فهو أكثر من أن يحصر . وقد اشتهر عن فقهاءهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التى لا يفتن لها أكثر الناس ، وقد ذكر القاضى عياض فى آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفا . ومما ذكروا أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون مانحن فيه بما لانسبة بينه وبينه . وأما الشافعية فقال صاحب الروض رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبي صلى الله عليه وسلم كفر ، وقال أيضا من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر وكل هذا دون مانحن فيه ، وقال ابن حجر فى شرح الأربعين فى الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» مامعناه أنه من دعا غير الله فهو كافر، وصنف فى هذا النوع كتابا مستقلا سماه [الإعلام بقواطع الإسلام] ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال (٣ - تاريخ نجد - ثان)

والأعمال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين وغالبها لا يساوى عشر معشار مانحن فيه . وتام الكلام في هذا أن يقال الكلام هنا في مسألتين : الأولى أن يقال هذا الذى يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأخبار والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذى فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله ؟ أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا ؟ فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقولون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم فأكثر أحوالهم يقولون أنه الشرك الأكبر ، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة ، وتارة يقولون لا يكفر إلا من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه إلى ابن القيم في المدارج كما تقدم ، وتارة لا يذكرون شيئاً من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم في الجملة وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة ، وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والاجماع ، ومن أصرح ما يجابون به بإقرارهم في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضاً إقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجد بداً من الإقرار به لوضوحه . المسألة الثانية الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر لكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة ، وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرها ، وهذا هو الذى يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات وإلا المسألة الأولى قل الجدل فيها والله الحمد لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم أن تصوّر هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في إبطاله من غير دليل خاص لوجهين : الأول أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها في التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها ، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود . فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا

أشرك الشريك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلي ويفعل كذا وكذا لم يكن للشريك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد في الحلقة والعمى والعرج وإن كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملّة غيرها فهو كافر وهذه فضيحة عظيمة كافية في ردها القول الفطيع. الوجه الثاني: أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم في الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية ، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلههم ماتقول فيمن عصى الرسول ولم ينقله في ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبع إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة أو سؤال أحد من العلماء ، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق ، فلا تحقرها وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضا من الذين يهدون بأمره . ومن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينا ماجرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ، ومثل قتال الصديق وأصحابه لما نعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين ، ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) حل الحمر لبعض الخواص ، ومثل إجماع الصحابة رضي الله عنهم في زمن عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلة مع أنهم لم يتبعوه وإنما اختلف الصحابة في قبول توبتهم ، ومثل تحريق علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه ، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت ، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين وهلم جرا من وقائع لاتعد ولا تحصى ، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بني خنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويذكرون ، وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن

بنى عبيد الدين ملك المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرها بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم في زمن ابن الجوزي ، وصنف ابن الجوزي كتابا لما أخذت مصر منهم سماء النصر على مصر ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا من هؤلاء الملاحين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ، ولكن من فعله أو حسنه أو كان من أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحق فليذكره ، ولكن الأمر كما قال النبي في قصيدته :

أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخارى في صحيحه حيث قال باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تضطرب البيات نساء دوس حول ذى الخلصة » وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله « ألا تريحنى من ذى الخلصة ، فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فبرك على خيل أحمرس ورجالها خمساً » وعادة البخارى رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره في الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاته أوليائه ، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول :

باب وجوب عداوة أعداء الله

من الكفار المرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) وقول الله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) إلى قوله (كفرونا بكم وبداء بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الآية وقوله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله) .

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح : أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : اعلم يا أخى أن ما حماني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبتهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بك وصاروا يبدعهم مستترين ، فأبشر أى أخى بثواب ذلك واعتدّ به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيائنا من سقى كفت أنا وهو كهاتين في الجنة وضم بين أصبعيه » . وقال « أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة » فمضى يدرك هذا أجر شئ ، من عمله ، وذكر أيضاً « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها » فاعثم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من كذا وكذا » وعظم القول فيه ، فاعثم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك بذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء في الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائع الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فإنك لن تلقى الله بعمل شبهه . وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب

فإنه جاء الآخر «من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة و وكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام» وجاء «مامن إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى» وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا ، وكما ازدادوا اجتهدا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ؛ فافرض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده انتهى .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتي من كلام أمثاله من السلف في معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة لكنهم شددوا في ذلك وحذروا منه لأمرين : الأول غلظ البدعة في الدين في نفسها ، فهي عندهم أجل من الكبار يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبار كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ولو كان عالما أو عابدا أبغض وأشد من السنن المجاهر بالكبار . الأمر الثاني أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع . فمثال البدعة التي شددوا فيها مثال تشديد النبي صلى الله عليه وسلم على من عبد الله عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذي يصير المسلم مرتدا ، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام في الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهلها وهذا هو الذي نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه) الآية وقوله (يا أيها النبي جاهد الكفار) الآية . وقال ابن وضاح في كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع في هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي والأموال وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال انتهى كلامه .

وقال رحمه الله أيضا : أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال : قال ابن مسعود « إن الله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله » . قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيدا) . ثم ذكر بأسناده عن بعض السلف قال « لئن أرد رجال عن رأي سيء أحب إلى من اعتكاف شهر » . أخبرنا أسد عن أبي إسحاق الحذائي عن الأوزاعي قال كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياما ولا صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا ، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشتمز منهم قلوبهم ويحذرون الناس

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين يبدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر بالحاده ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعري قاعد فقال : رأيت رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال أبو موسى في الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان في الثالثة قال والله لانستفهمه فدعابه حذيفة فقال : رويك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار ، ثم قال : والذي نفسي بيده ليدخلن النار مثل الذي سألت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يعرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالي ماتكموه وإني واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لآمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعيه في أذنيه ثم قال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتي ، قال . فقال يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال بإزاره يشده عليه وتهيا للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرج عليك إلا خرجت ، أفيجل لك أن تخرج رجلا من بيته ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكني خفت أن يلقي في قلبي شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرني حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشد منه قال فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه » . أخبرنا أسد قال أخبرني موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل يرى رأياً فرجع عنه فأتيت محمداً فرحا بذلك أخبره فقال أشعرت أن فلانا ترك رأيه الذي كان يرى ؟ فقال انظروا إلى ماذا يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه . ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال إن الدين قد استضاء استضاء هذه ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذرّه على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال : لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم اليوم ما عرف شيئاً بما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة . قال الأوزاعي فكيف كان اليوم قال عيسى يعني الراوى عن الأوزاعي فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان . أخبرنا محمد ابن سليمان بإسناده عن علي قال « تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتي بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم » . أخبرنا يحيى بن يحيى بإسناده عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . حدثني إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال : ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قولكم لا إله إلا الله . أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ثم قال : أما والله لمن عاش في هذه النكر أو لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً فكذلك فكونوا إن شاء الله . حدثني عبد الله بن محمد بإسناده

عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة . أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت : دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت له ما أغضبك ؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ، وفي لفظ : لو أن رجلا يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئا . حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه . قال مالك وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما

دخلوا فيه أفواجا . قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغرّ المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل . ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبي أمية قال أتيت أبا ثعلبة الحشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت بها خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منهم ؟ قال أجر خمسين منكم » . ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يغيظهم أكثر ممن يحبهم » . أخبرنا محمد بن معيد بإسناده عن المعافري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى للغرباء الذين يسكون بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تطفأ » . أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » . أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، فقيل وما الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يصلحون عند فساد الناس » .

هذا آخر ما نقلته من كتاب الحوادث والبدع للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى . قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعالى أحاديث الغربية وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم : الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره ، فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ، ما أقله ما أقله ! ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » وفي رواية « يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحببت أن أنقل أولها اعظم منفعة قال : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا صلى الله عليه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناصحين القدوتين أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب في قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة باللسان والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه العاليين لمن ناوأهم من الأقران ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان والله محقق ذلك ومنجز وعده في السر والإعلان ومنقمة من حزب الشيطان لعباد الرحمن لكن على ما اقتضت ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ قد

دل على أن لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة لذوى السيئات والطفیان فقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يترك بلافطنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وأخبر سبحانه بخسران القلب على وجهه عند الفتنة التي يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به) الآية ، وقد قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين - ونبلو أخباركم) وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية ، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأنت مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيرا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له » والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحدة من السراء والضراء في حقه تفضي به إلى قبح المآل فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين وفيها تثبت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة وينصر دينه

وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى كلام أبي العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز ؟ فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهي من أخبث الخبائث المحرمة سواء أكل منها كثيرا أو قليلا لكن الكثير منها للمسكر حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع في الطريق ، وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) فاتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا انتهى ما نقلته من كلام الشيخ ، فتأمل كلام هذا الذي ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام ، انظر كيف كفر المعين ولو كان عابدا باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التي تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه في المعين وكلام الصحابة فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءا من ألف جزء منه ، والحمد لله رب العالمين انتهى .

وفي هذه السنة أيضا جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلي وهو رجل في قصر من قصور ظرم فعزم على الردة وصمم عليها قصده فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان يخبره بذلك الأمر والشأن ويستنجد به بأن يرسل إليه أعوانا فأرسل إليه بعض الجيش لكي تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش فعثر على ما نواه وأراد واطاع على حاله أمير البلاد فأرسل إلى الأمير محمد بن مسعود يخبره بالأمر المعقود فجهز الأمير جيشا في ساعته من أهل العينة وأهل الدرعية وغيرها من جماعته وبادروا إلى قصر ظرم بالمسير ليعاجلوا ذلك التدبير وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ظرم وغالب

قومه بعد التهيؤ في الحال والاستعداد في القتال ، فلما قارب البلد كمن في زرع الذرة وقعد ، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فبدروهم بالحملة وقتلوه فوراً من غير مهلة ولم يسلك منهم فجع الانهزام إلا من نجاب رأس طمرّة ولجام ، وقتل من أهل ثرمدا ممن أقبل منهم واعتدى على سبيل التحقيق لالتخمين قريباً من نحو سبعين وأسر أناساً من الأمائل منهم عبد الكريم بن زامل . ثم دخلت السنة الثامنة والستون . وفيها فتح الله تعالى للمسلمين حريملاً فأخذوها بالسيف عنوة وبغتوا أهلها بها فجوة ، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له في الأجل وبلغه غاية الأمل ، غزا بالمسلمين وكانوا نحو الثمان من المئين وخيلهم لا تزيد على عشرين فأناخ شرق البلاد وقد اشتد ظلام الدجنة في السواد ، وقد عبأ المسلمين وجعل ذلك الكمين في موضعين فصار الأمير عبد العزيز في شعب عوجا ومبارك ابن عدوان مع مائتي رجل أقاموا بالجزيع فوجا ، فلما بدا جبين النهار وأسفر وجهه واستنار وأخذ أهل الفلاحة في الانتشار شن الشعواء وأغار ، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اضطبار ، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد عوّل ، وأرخصوا عند ذلك المهج ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يكن أحد على القرار ثانياً بل جدوا في الفرار بلا توان وملك المسلمون أعقابهم وحققوا مطالبهم فقتلوا منهم مائة عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم ، ونال المسلمون بذلك غاية الآمال والمنازل وغنموا تلك الدخائر والأموال ، وطاف على أهل ذلك الأفعال طائف العذاب والوبال وقتل من المسلمين سبعة رجال ، ودخل المسلمون البلد ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان وكانت البلد فيثا من الله على سبيل الامتنان وخرج هارباً منها محتفياً ابن عبد الوهاب سليمان وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبئس الأمير كان لأنه آثر بعد ذلك سبيل الشيطان كما يأتي بيان رده في شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال كل نفيس عزيز وخيره في البيوت والمنازل وفي البساتين والأصائل وأخذ ما شاء من تلك الدار واختار ما طاب من العقار .

ولما توقف في حكم أموال أهل هذه البلدة الناس كشف الشيخ رحمه الله تعالى

عن ذلك حجب الالتباس وأماط عن وجه الحكم الأدناس وبتّ الحكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس نظير ماصدر وجري من أفعال السلف الكبرى ، وكانت ما ذكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة ، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم . وفيها تظاهر على نصرة الدين ومحاربة أهل الضلال والمشركين عامة أهل شقرا فأدركوا بذلك عزاً ونفراً وأحرزوا ثواباً وأجراً فاجتمعوا على ذلك بعد الافتراق ، واضمحل ما كان منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق. وفيها محاربة ابن دواس الثانية في شعبان بدت الردة من دهام واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام بلا سبب من المسلمين لذلك باعث ، بل على سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث ، فأول ما جرى منه أنه عدا على أهل أبي الكباش وانقلب راجعاً منجاش ، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتداء وعدل عن سنن الاهتداء وتبين ذلك منه وبدا حناق على أهل الدين والهدى من أهل بلده السكنى غند أهل الردا ، فأجمعوا على الهجرة وكل حقق عليها رأيه وأمره فتركوا الأموال والوطن وباعوها بأعلى وأعلى وأعلن على مولى المن فتمت مشاهيرهم محمد بن صالح وسعيد بن عمران أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن صالح وسعيد بن عمران وحما بالحويل ومحمد بن دخيل وعياله أحمد وموسى وعبدالله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلي بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد صالح وراشد بن نفيسة وعلي بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أبو الحويل وعبد الرحمن أبو الحويل. ثم هاجر جميع ما ذكرنا من منفوحة إلى الدرعية لما ثبتت أسباب الردة من ابن فارس. ثم هاجر معهم من مشاهير أهل منفوحة حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته ناصر وسلامة وموسى والخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد علي يحيى وموسى وعلي بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ، ومن الزمامات يحيى وموسى وآل نذيان ثلاثة محمد والمغليث وراشد وعلي ومنصور بن قاسم وسويلم بن قرأش وعثمان بن مجلى وعرييد وعثمان العليوى ومحمد

ابن طفل ومبارك بن مرجان وغيث بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم علي وراشد التحنفي وعثمان التحنفي وسليمان الشعبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهام بن فارس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل نادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميعا فوصلوها وسلطان الليل قائم والكرى على الأجفان حاكم وغالب الأحراس نائم فدخلوا في حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وملك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صبح يومه وحمل بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقي طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين في البيوت خوف الاغتيال ، ومكثوا نحو خمسة أيام في أشرّ مقام ؛ وفي مدة هذه الإقامة كل يشد للرمي سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور وحق عليهم المكر والفجور ، وحان عليهم القضاء المحتم المسطور ، فقتلوا قتلة رجل واحد ، وكان دهام على مقتلهم واجد ، وأخذوا مامعهم من سلاح ، وغدا دهام بالخزى وراح ، وكان جملة المقتولين من الأحزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة فخان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر تقموا عليه بما صدر كيف وفي الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بي فغدر» فأخذ منهما الغضب غايته وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تقشع عن أهل القويعة غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عرف الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولالتزام أحكام الإسلام راغبة ، فقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعة فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا في تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس فما خاعوه ولا نفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق

وداعيه ووعته منه أذن واعية ناصر بن جمار العريفي وسعود بن حمد فـكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا الفوز والمرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين في رفعة وتمكين إلى منفوعة والرياض فعدوا على منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا دواب كثيرة إبلًا وبقرا وحميرا ، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحضر بينهم وبين المسلمين اقتتال والجلد وكل شمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال منادى الهوان والإذلال فولوا مدبرين وابلدهم طالبيين ورجعوا بالحبيبة والحسرة وكم لهم مثلها من مرة وكان دهام في تلك الأيام باديا على أهل سدير والوشم في تدبير الحرب والانتظام والسياسة والمواعدة على المسلمين والإسلام ، وكان عند عبد العزيز بذلك خبر قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ما صدر ، فلما رجع إلى الدرعية وتحقق القضية خرج مسرعا يريد له الرصد . فيمكن له قرب ظرما فإذا هو قد وفد ولكنه شعر بالمسلمين فولى مع من معه مدبرين ، فطلبه المسلمون أشد الطلب ولكنه جد في الفرار والهرب ورمى عن الركب كل ثقل وترك من المطى كل ظهر لا يسرع في العارة والذميل وأخذ المسلمون ما طرحه وترك ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك ، ثم إن عبد العزيز حرسه الله تعالى استأذن الغزاة في إعطاء جميع الغنيمة المهاجرين فطابت بذلك نفوسهم أجمعين فأذنوا له في ذلك . ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى وقعة الرشا عند من ترعرع في ذلك الوطن ونشا ، وكانت على أهل منفوحة لأن المسلمين نقضوا البناء المعدّ لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك ، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور ؛ ثم إن دهما أتاها الخبر المسطور فنهض من ساعته مع مقاتلة جماعته بعد ما قال لمن جاءه بذلك المقال اثبتوا لهم ساعة فإني أدهمهم مع الجماعة ، فأقبل ابن دواس على المسلمين وقد صاروا يهدم أساس الرشا مشغولين فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس . وتصادم دهام في ذلك الظلام مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه ، وتصادف الفرسان عند ذلك الطعان وسقط كل منهما على الأرض وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع وخرج الذين دخلوا وسط الدور بعد قتال مشهور قتل

فيه عبد الوهاب بن مشرف وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحمام وأشرف ،
وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد دهام بن دواس ومن معه من الأجناد ، فلم
يعرفوهم وظنّوهم من أهل الدور أمداد ، وقد عرف المسلمون دهاما وقومه وظن كل
منهم أنه ملاق حمامه ويومه ، فحقن الله تعالى دماءهم وأنجح سؤلهم ومنّاهم إلا أنهم قتلوا
ثلاثة رجال من أهل الرياض ذوى الضلال قد عرفوهم بالرؤوس فخرّعوهم من الحمام
مرّ الكؤوس ، ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد استشهد منهم عشرة في تعدادهم . وفيها
أيضاً حزب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا وراموا بذلك من الهتك أمرا ،
فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحق والضعائن فنزلوا بأجمعهم في قرية القرائن ، وأقاموا بها
من الأيام ثلاثة وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثاء ، ويقع
بينهم في قتال وطعان ومجال حتى أراد الكبير المتعال الخذلان لأهل الضلال ، فجاء
محمد بن سعود الخبر وتيقنه خبرا ، فجوّد صارم العزم للمسير وأخبر بذلك أهل شقرا ،
وعين لهم الزمن المعلوم وبين لهم يوم القدوم الذي أجرى الله فيه القضاء المحتوم على
من هو لاستئصال المسلمين يروم ؛ فلما جاء ذلك اليوم وحان الذل بالقوم خرج إليهم
أهل شقرا ليشغلوهم بالحرب قسرا ، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجيء المسلمين خبرا ؛
فلما نشب القتال وحى ، طلع عليهم عبد العزيز والسكى ، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذا
ولا سوى قرية القرائن معادا ، فولوا إليهم مدبرين وبقوا بها منحصرين ، وولى المسلمون
أكتافهم في الهزيمة ولولا قرب القرية لسكانت المقتلة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم
نحو خمسة عشر وكان منهم من هو مشتهر : منهم حمد المعبي وسويد بن زايد وغيرهما
وأخذوا ركابا وسلاحا وفرسا ثم حصروهم في القرائن وأطالوا لهم مجسا وأقاموا
قريبا من عشرين يوما في الحصار في غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار ولكن الله
لما أراد لهم السلامة أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وإعلامه فخرجوا ليلا
مخفيين وللنجاة طالبين . وفيها قتل غرو بن فايز في مكان يقال له الحسى ؛ وذلك أن
المسلمين جاءهم عنه الخبر فجرد له عبد العزيز ونفر وكن له في الحسى ورصد حتى جاء
إليه ووفد ، فاستأصل المسلمون شأفته وقتلوا جماعته وأضحى ابن فايز في أيديهم أسيرا
حتى بذل في فداء نفسه مالا كثيرا وكان جملة ما أعطى وأظهر خمسمائة أحرر . وفيها
أيضاً وقعة باب القبلي وذلك أن عبد العزيز حرمه الله تعالى شمر ساعده للحرب
(٤ — تاريخ نجد — ثان)

والانتهاض وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض وأعدّ في الليل الكمين والكمين قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين ، فلما انجلي من الليل ظلامه ونشرت من الصبح أعلامه وانتشر في الطريق الأنام ظهرت غارة المسلمين والإسلام ، فأسرع أهل الرياض إليهم وشرّعوا الأسنة عليهم وأطلقوا الأعنة لديهم ؛ فلم يكن غير لحظة أو ساعة حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة وسبب ذلك حين عاينوا الموت في الكمين وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين ، فعمدوا إلى الباب من الهرب وكل أراد الدخول قبل الآخر وطلب ، وتضايقوا عند الباب وتكسرت في الدخول الحراب ، وقتل منهم ثمانية رجال دنت منيتهم بلا إمهال : منهم كنعان الفريد وصالح وابن نعران ورطيمان وغيرهم ، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى الرياض ونزل البنية وخرب جميع زروع الشمسية . وفيها غزا المسلمون الوشم وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ظرما ، فوافق المسلمين في طريقهم ذلك غزو للصملة أكثر من المسلمين هنالك ، ففر المسلمون منهم وجدّوا في الفرار عنهم وأسروا منهم بعض الناس ففقدوا أنفسهم من الأحباس . وفيها غزا المسلمون وشيقر وأميرهم عبد العزيز ، فلما وصلوا إلى تلك البلاد وكنوا لهم في تلك الوهاد وخرج المقاتلة للجلاد واشتد الحرب وكثر بينهم الطعن والضرب ، طلع عليهم ذلك الدفين وأقبلوا إلى المعركة مسرعين : فلم يثبت أهل البلاد بعد شدة ذلك الجلاذ بل ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل منهم أربعة رجال محققين . وفيها غزا المسلمون أهل ثادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به أحسن الطرائق ، فلما وصلوا إلى حاتها نزلوا قريبا من نخلها ومحلها ، فناوش المسلمين الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها فتراموا بالرصاص بينهم من بعيد وكان ذلك الراحي يصيب ويفيد ، وقطع المسلمون عليهم نخلها وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلا وقتل منهم ثمانية رجال وأقاموا محتصرين يديرون الكرة والاحتياي ، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من غير إمهال وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم مطلوبهم ومناهم ، وقدموا مع الغزو إلى الشيخ في الدرعية وأخبروه بحاصل القضية وأمر عليهم دخیل بن سويلم وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام ويحكم لهم الشرائع غاية الإحكام ، وقد قتل من المسلمين ثمانية رجال منهم محمد بن دغثير ومحمد بن مانع وغيرهما . وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرسه الله

تعالى أميرهم الذي ترجع إليه سياستهم وتديرهم فساد بالمسلمين ممن معه وساعده وتبعه ، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد الكمين فاعل ، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل ، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مدبرين على الأعقاب ، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب ؛ ونهب المسلمون من بيوت البلد ما استطرف ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف ، وأقبل معه من مطاوعة سدير حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن عضيب وذلك لما طلبهم عبد العزيز وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم وقراءتهم عليه وأخذهم عنه ، وأقبل معه أيضاً ابن سعدون وابن حماد مخافة أن يزينا لأهل العودة الارتداد ، ولما قدم عبد العزيز الدرعية ومن معه من تلك الجلوية أتاه أمير العودة عبدالله بن سلطان وطالب منه المنة والإحسان على ابن حماد وابن سعدون ، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهون وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون ، فأطلقهما لأجل وجاهته ولم يدر ما يصدر عليه من جماعته ، فلما وصلوا البلاد أخذوا للردة في الاستعداد ، فلما هيئوا أسبابها على المراد لم يجدوا ما تطيب به النفس ويتم لهم به السرور والأنس سوى قتل من غمرهم بذلك الجميل ومقابلته بالصنع الويل ، فقتلوا عبدالله بن سلطان مقابلة لذلك الإحسان ، وهذا شأن من وضع المعروف في غير محله وصرفه إلى غير أهله يجازيه بقبيح فعله كما قالت العرب في أمثالها « سمن كلبك يا كلك » وقال الشاعر :

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر
وقال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعلل مضرّ كوضع السيف في موضع الندا
وفيها غزا المسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهاما إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل ، وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نوا يظفرون إلا أنهم في تلك الإقامة خرج زيد الصمعر فواقوه فجرعوه حمامه ، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من المسلمين إلى بلادهم سالمين .

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون . وفيها غزا المسلمون ثرمدا وأميرهم عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره . وأتباعه ، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب ؛ وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجي لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجي ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد ، فلما زال سواد الظلام وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمسلمين وما هم عليه مجتمعين وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطا نقبوا لهم نقبا في جداره وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره ، والكمين الثاني خارج البلد لم يشعر به أحد ؛ فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا في النخل مكانه ومحلّه ، وبقوا ساعة بقربه وحياله ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله ، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج ، فقاموا يخرجون منه واحدا واحدا ولم يكن أحد منهم لغيره فاقدا ، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالا ولا يفهمون لمن يخرج منه حالا حتى اسودّ النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم ، فتيقنوا مصاب أصحابهم وتحققوا مصارعهم في انقلابهم ، فلما تبين للمسلمين ذلك خرج جميع من هنالك ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة ، وقتل منهم اثناعشر منهم عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلع ، واستشهد من المسلمين في تلك الغزوة قريب من عشرين : منهم عيسى بن ذهلان وعبد الرحمن بن موسى ومفرج بن جلال . وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا فوافق عبدالله بن سليمان معه أسيرا ، ثم بعد وصوله حريملا من عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير ولم يستشر في ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود فنقموا عليه بذلك الفعل الغير المحمود . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير فاستولوا على الحوطة والجنوبية ، وذلك لأن أهل البلدين أرسلوا للأمير يريدون منه القدوم والنيسير ومرادهم الدخول في الإسلام والاستمرار تحت الذمام ، فأسعفهم بالمقصد والمأمول وأسرع إليهم الحجي ، والوصول ؛ فلما دخلها عبد العزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام ، ثم رجع عبد العزيز بعد أن نصب لهم في كل بلدة أميرا وإماما . وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة . وفيها غزا المسلمون جلاجل أيضا وأميرهم عبد العزيز فأخذوا منها سوارح الغنم ثم لحقهم

الطلب ، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولي وانهمزم وملك المسلمون أعقابهم ولم يكن سوى البيوت مأبهم ، وقتل منهم ستة رجال في تلك الساعة والحال . وفيها أتى المساميين الخبر أن عريعرًا كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله ، وقد صرح بذلك في قوله لا في فعله ، وأخذ المسلمون للحرب في الاستعداد وتحصين البلاد . وفيها في شهر رمضان سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض تسمى وقعة أم العصافير ؛ وذلك أن المسلمين قدموها ليلاً وجعلوا لهم رجالاً وخيلاً أعدوا لهم رجالاً في مكان يقال له القبة كميناً ؛ فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معيناً ، فاستمر بينهم القتال وضاق في المعترك المجال حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال وقتل منهم تركي بن دواس وابن فريان والجبري وحمود بن ماجد ، ولم يقتل من المسلمين غير واحد ثم انقلب المسلمون إلى بلادهم بعد تحصيل مرادهم . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهجته إلى الرياض فنزلوا البنية وملكوها وتلاحقت عليهم الأفزاع من منفوحة والرياض ، فاقتتلوا في تلك الأراضي والبقاع وكان القتال من بعيد بالبنادق والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق . وقتل بالرمح ذلك اليوم من أولئك القوم ثمان ابن مبيريك عبد الدرعات وآخر يقال له الدفين ، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة ، ثم ثور الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن فأناخ بالعدوانة في ذلك الباطن ، فأمر المسلمين جزاء الله تعالى خيراً وأعظم له أجراً أن يبنوا في ذلك الباطن قصراً يكون للمسلمين حصناً وثغراً ، فأقاموا سبعة أيام في ذلك البناء والإحكام ؛ ثم بعد الفراغ منه والتمام ، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدوم عليهم من المشاة على الأقدام وبقي هو مع الجيش بعض أيام . وفيها جرت ردة مبيريك بن عدوان وأتباعه منهج الشيطان ، وذلك أنه لما رجع من غزو البنية وبناء القصر إلى الدرعية عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير عن الإمارة في حرمل والتدبير ، وأمر أحمد بن ناصر بن عدوان وأرسلا معه مفرج بن شعلان وذلك لأنهما تخوفا على المسلمين منه لأمر صدرت نسبت عنه فاسترخص مبيريك الشيخ ومحمد الأمير أنه يريد العينة ثم يسرع إليهما بالسير فأرخصا له في ذلك ؛ فلما خرج مورياً بالسير إلى هنالك اجتمع في ذلك الطريق مع أناس من أهل حرمل فعاودهم على الردة

فلبى له منهم فريق ثم سار يريد حريملا مع من وافقه من جماعته ، فلم يصل إليها إلا بعد ماملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمارته ، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعاونته فلم يجبه أحد إلا بخذلانه ومهاتته ، فحين تحقق الأمر وعينه وعرف من جماعته المعادة والمباينة ولى على وجهه مدبراً وبقي على فعله نادماً متحسراً وصارت منسيخ له وجهة ، فولى حريملا دبره ومنح تيك وجهه وقتل من ساعده على الردة رجال وفر الباقون باستعجال ، ولما أتى الشيخ ومحمد الأمير بما رآه مبيريك من التدبير أرسل إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك فجمع من عنده من الغزاة هنالك فأخبرهم بالواقع والحادث وأن ابن عدوان للعهد ناكث وطلب منهم تجديد العهد والمباينة على الموت والمتابعة ، فلما صدقوا في النية وأخلصوا لله الطوية وساروا يريدونه ودخلوا في طريقهم الدرعية لقضاء بعض الحوائج والأغراض ، فلما عزموا على النهوض والانتهاض وراحوا سائرين إلى النعمية فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمنية ، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية فحمداً الله تعالى وشكراً وسبحاً وكبراً ، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريملا تركبداً للبلاد وتطييباً لقلوب أولئك العباد . وفيها حزب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والجمعة من كل مرید شیطان وقصده بذلك حريملا ليشفي منها الفؤاد ويفوز منها بالظفر والمراد فأتى الأمير محمداً والشيخ الخبر بما جرى وصدر ، فأرسل عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوى الفساد ، فجاء الخبر مبيريك بن عدوان فلم يقدر على وصول ذلك المكان ولكنه سار مع أصحابه وجملة أعوانه وأحزابه فأناخ على البلدة المسماة رغبة ، فقاتلهم ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له فوافقه على ما أراد وطالبه وأدخل بعض البيوت والدور ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور إلا أن أمير رغبة وابنه راضياً قتلوا وولى مبيريك بمن معه خاسراً لمأموله لم ينل ، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين وأجلى من وافق مبيريك أجمعين وأمر بهدم السور خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور .

ثم دخلت السنة الثانية والسيبعون بعد المائة والألف . وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمداً الأمير أن عريعر يريد الخروج على نجد والتسيير فأمروا جميع بلدان المسلمين بالبناء والاستعداد والتحصين ، وقام عبد العزيز حرسه الله تعالى بالجد والاجتهاد وشم

ساعده في البناء والاستعداد ، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التسور والعروج ، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بنى خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد وللضلال مؤيد معاضد ، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حرجلا وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام ، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال في أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها وثوروا منها وطلبوا من عريعر المدد والأمداد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بنى خالد وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانة ونحا أصحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جنادب للجلاد فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والدلة . وكفى بذلك عارا ومذلة ، وقتلوا منهم رجلا عشرة والجرحى أكثر من أن نعدهم ونحصرهم . ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأثوس وساروا جملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين ؛ فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين وانهمزمو راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيرا من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفا بمن هو للتوحيد محاربا مجانفا وحصل التوافق مع عريعر ومن معه واتفق رأيه مع من ساعده واتبعه أنهم يلقون عصى التسيار بالجبيلة محملة الصحب الأخيار وينزلون تلك الفيافي والقفار ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار ، فعند ذلك ساروا جميعا إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطلبوا تلك الخيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاءوا به من الباطل والضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياما في أشد الجلاد والقتال ، ثم إن أهل الباطل والضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم في ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلو منهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدميه وشرد ، وقتل منهم في أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة ، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة . وفيها طلب أهل المحمل من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول في الإسلام فأعطوا ذلك المرام وطلب منهم

نصف الزرع وربيع الثمرة فالتزموا بتلك الأمور المقدرة . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فساروا ونزل بالقصب وجعل له كميناً خارج البلد يشد أعقاب من بادر إلى ذوى الغارة وطلب ، فلما تبين الفجر وانجلي وارفع ضياؤه وعلا وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين خرجوا إلى القتال أجمعون ، فلما استمر بينهم القتال خرج عليهم الكمين باستعجال ، فولوا مدبرين وبقوا ببلدهم منحصرين ، وقتل منهم سيف بن ثقبه ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول في الإسلام وأن تجرى عليهم تلك الشرائع والأحكام فوافقهم على ذلك المرام وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحرر فقبلوا ذلك المقرر .

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أعزّه الله تعالى على الأعداء وأعلا به منار الهدى ، فسار بأهل التوحيد وغلب العنق على التوحيد ، فلم تطب له راحة في ذلك المسير ، حتى أصبح على الجمعة مغير ، وعدا على تلك البلد وقتل فيها من وجد . فقتل في ذلك اليوم على بن دخان وأربعة من أولئك القوم وعقروا كثيرا من الدواب ، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مأب . وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدم ودخلها ليلا وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من دكا كين كثير أموال ثم خرج منها وانصرف عنها وعدا على قرية نعبان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان وقتلوا منهم عودة بن علي ثم رجعوا سالمين . وفيها أيضا سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى ثرمدا فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا وكنوا لأهلها على العادة طلبا للإفادة ، فلما خرج أهلها إليهم وأسرعوا إلى الفرع عليهم وجرى بينهم القتال انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا إمهال . فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين في ذلك المجال . ثم بعد ذلك أرخص عبد العزيز لمن معه من الرجال أن يعمدوا إلى أهلهم وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيهم عليه وحاله فشنّ على أهل الدم الغارة وقد سبقه عليهم النذارة ، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين فاقتتلوا أشد القتال مع المسلمين ثم شدّ المسلمون عليهم وعمدوا بالصدق إليهم ، فأنكشفوا مسرعين إلى الديار وتحصنوا بذلك الجدار وقتل المسلمون منهم سبعة وأخذوا إبلا مجتمعة ، ثم بعد ما صدر من الدم جمع رأيهم وعزم أن يغزو الوشم ، فسار على وجهته وتصمم عزمه

وهمته فأناخ على وشيقر ليلاً وهياً الكمين ، فشعر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا جميعاً إليهم وأقبلوا للقتال عليهم والكل قد صدق الطعان في ذلك الوقت والزمان حتى غشيتهم حملة الكمين وخالطتهم أسنة الدفين ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل نحو العشرين ، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين . وفيها عزل الأمير محمد والشيخ مشاري بن معمر عن إمارة العينة لأموار كثيرة ثبتت عنه شينة ، وقدم الشيخ العينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محيسن المعامرة على من بها من سائر الأنام وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر . وفيها غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع . وفيها جرت وقعة آل ريس في بلد الرياض فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض منهم على وقتل معهم غيرهم . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرمه الله تعالى آل عسكر من آل ظفير وكانوا على الثرمانية فصباحهم عبد العزيز بالغارة الشعوائية فوقع بينهم القتال واحتكت القضية في المجال حتى قتل رئيس أولئك الأبطال وكان يقال له فوزان الديبحة من رهوس آل عكر ، فانسكس ذلك الفريق وأدبر وقتل سهم عشرة رجال وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فسار إلى الوشم وحقق عليهم العزم فوافق في طريقه خمسة عشر رجلاً من أهل ثرمدا ، فشن عليهم الغارة وعدا فزبنوا بلدا يقال لها الحريق فنازلها المسلمون وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون ، فأبى عن الموافقة والطاعة من بالبلد من الجماعة وقالوا هذه بشى الشناعة . فلما ألح عليهم عبد العزيز وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجويز اقتدوهم منه بألف وخمسمائة زر فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر .

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أدام الله تعالى فوزه وكثر من الخير حوزة ، فسار بأهل الدين يريد سدير وحث لأجل ذلك السير فلم يصل إليهم حتى سبقه النذير عليهم فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله ولم يكن معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب ، فأغار على بلدة يقال لها الروضة وجرى بينهم قتال وصار عن قتل شهيل بن مسحيم الانفصال ولم يقتل سواه من المسلمين ، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير فصارت

على الروضة منهم الغارة ، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدرة ، وشدوا للقتال إزاره ، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره ظهر عليهم الكمين فانكسروا أى انكساره وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استه ثم رجع المسلمون إلى بلادهم بعد نيل مرادهم . وفي تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفي فجوة فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام فتركوا ما معهم من الغنم وصمموا على قتال من قصدهم ودهم ، وجرى بينهم القتال ساعة ثم كل إلى محله ارتجاعه . وفيها سار عبد العزيز أعز الله تعالى به المسلمين وأدام له التأييد والتكئين فنزل على الرياض بالمسلمين وأعد في مظم الديجور ما شاء من الكمين ، فلما قارب الفجر في الانبلاج تبين حال المسلمين ووقع في البلد الارتجاج وخرج أهلها ووقع القتال بينهم وعجل الله لأهل الباطل حينهم . فبعد ما حمى الحرب واستعر وشد لها تلك الأفزاع الأزر ظهر عليهم من المسلمين الكمين ، فلم يكن لهم عون ولا معين ، فولوا سراعامدبرين وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس ولم يكن بعد كسرهما لهم صبر ولا احتباس ، وعاش فهيد نحو أربعين يوما بعد كسره ثم حواه لحد قبره ، وقتل منهم ثمانية رجال واستشهد من المسلمين ستة في ذلك المجال . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فنزل منفوحة بالمريقات وأقام فيها بقية ليلته وبات ، فلما انبلج من الفجر الضياء وتشعشع نوره وأضاء وقد أعد الكمين في دياجر الليل وكان المسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الليل ، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن وتبين لهم في العيان لم يكن لهم عن اللقاء من توان ؛ فلما خرجوا إليه مسرعين وأقبلوا عليه مهطعين وناوشوا القتال المسلمين ظهر عليهم الكمين المذكور وحن بينهم القضاء المسطور ، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض كل منهم منهزم مكسور ، وقتل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصبح مساعد بن فياض مع قومه بالعتش في تلك الغياض ، فاما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتلون وراموا حماة ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشده المسلمون عليهم الحملة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتووا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز

كما بان تعداده ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى قصر الغدوانة يريد زيادة بنائه وتحصينه ثم يرجع بعد حينه ولكن إذا أراد الله تعالى أمرا فلا بد من إنفاذه وتكوينه ، فلما أراد الله عز وجل أن يبرز للخلق ما سبق في الأزل ويبلو الناس بما فعل ويهيء الأسباب لمن دناله الأجل همَّ عبدالعزيز ببلغ الله به الأمل أن يهجم على الرياض ليلة العيد ويبيت أهلها ويبيد ، فسار بعد ما أظلم الليل وأغلس والصبح لم يتنفس فدخل البلد من المسلمين عدوه فرآهم رجاجيل لابن دواس صادرين من ناد أوندوه فجعلوا إليه بالأخبار ، فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدار ، فخرج بخيله ورجاله ودولته يريد ركن المسلمين مع جماعته فبادر إلى الركن المعد قبالة البلد فلم يدرك منهم أحدا ثم ظهرت العدو التي دخلت البلاد وقطعت ساقة ابن دواس ومن معه من الأجناد ، ومثن المسلمون عليهم الغارة بالخيول والجيش والنهبت نار الحرب وزاغت الأبواب من الجزع والطيش ، ثم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته ، وقد قتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبو الحجير واستشهد من المسلمين خزام بن عبيد وعثمان بن مجلى .

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى منفوحة ايلا وقد أعد الكمين ، فلما أخذ الصبح في الضياء والتبيين تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين ، فنهذوا إلى اللقاء وبادروا من غير بقاء ، فاقتتل الفريقان وحمل بينهم الطعان ، فلما ظهر عليهم الكمين أدبروا منهزمين وقتل منهم سعد ابن محمد بن فارس وشبيب الصنان ولم يقتل من المسلمين إنسان . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الخرج وكن لأهل نعجان ولم يفتن بذلك من أهلها إنسان ، فلما تبين الصبح وأتار خرج أهلها للقتال على البدار ، فاستعجل كمين المسلمين بالظهور ، وذلك لما قدره الله من الأمور واشتد بينهم القتال ثم انكسروا على استعجال ، وقتل المسلمون منهم سبعة رجال وحصروهم في تلك القرية أياما وليالي وقطعوا من تلك النخيل العوالي ، ثم سار عبد العزيز بمن معه إلى الوشم ودخل ضرمًا لأجل فقد الأزواد ثم ساروا ولم يكن لهم دون مراة من مراد ؛ فلما وصل في الليل إليها وقدم في الظلام عليها هيا للحر كمينه ، وأمرهم بالصدق وإخلاص النية ،

فلما تبين الفجر وانكشف روى مد لهم الليل وانحرف ، تبين لأهل مراة الحال ، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال فخرجوا للحرب مستعدين ولموت مستوطنين ، فلم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين ثم ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل المسلمون منهم قريبا من عشرين وقتل من المسلمين رجلا ثم انقلب المسلمون إلى البلدان . وفيها أيضا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم ونزل بأهل الفرعة وأناخ عليها في الليل جيشه وجمعه ، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين واستمروا على القتال مجتمعين خرج عليهم بعد ذلك الكمين فولوا مسرعين وقتل منهم سبعة رجال ولم يقتل أحد من المسلمين في ذلك المجال ، ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا الدخول معهم في الإسلام فأجابوهم إلى ذلك المرام . وفيها أيضا غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد ثرمدا وقد جد لأجل ذلك السير فسبقه إليهم النذير ، فلما أغار عليهم لم يدرك المراد لتحصن أهل البلاد وجرى الرمي من بعيد ولكنه لا يجدى ولا يفيد ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص في العدد ، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته ونزل بين الفرعة ووشيقر وبني هنالك قصرا يكون للمسلمين ثغرا ويضيق على وشيقر وأهله وهذا من شديد رأيه وفعله وأعد فيه للحرب والقتال شرذمة من الرجال ، ولم يزل ذلك القصر مأهولا وبالمسلمين موصولا جامعا لأسباب العمارة والنظام حتى دخل أهل وشيقر الإسلام .

وفي تلك الغزوة أيضا وضع عبد العزيز في شقرا خيلا ورجالا زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالا ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالا . وفيها غزا جدعان ابن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فناروا عنه مجتمعين ونزبنوا قارة في ذلك المكان ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان ، فلما أقبلوا إليهم بند العهد وخان ، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان وقتل من تلك الغزاة عبد الله بن براك ومهين بن ذباح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة . وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرن في الرياض فاقتتلوا معهم وقتل من أهل الرياض ثلاثة وأصيب شعلان بن دواس ، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهورى وحمد بن سليمان القاضي . وفيها أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره وحمل الله أثماره .

ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز فصار بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عليها فجذ السير حتى نزل حوالها وعبأ كمينه وعدوته وهياً في ليله سطوته ، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون حتى لمع بریق الفجر فعلم ذلك الشأن والأمر ، وأقبل أهل الرياض في أشد عزيمة وانتهاض فتجالدوا مع العادين وكانوا لهم مبادين ، واستمر ذلك القتال في ذلك المجال بين أولئك الرجال ؛ فقتل أربعة من أهل البلد فولوا مدبرين وقتل دهمش بن سحيم من المسلمين . وفيها أيضاً سار عبد العزيز بالمسلمين وكانوا لأهل الرياض منتدبين فأسرعوا لذلك الشأن حين تحكّم الرقاد في الأجفان فوصل إلى تلك البلاد ، فعبأ للعداوة من أراد وكانوا نحو المائتين من غير شك ولا مين ، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمأنّ وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن وظنوا أن عيونهم قد حكّم عليها الوسن ، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهمام بما دبروه حالا فأتاه من أصدقه مقالا ، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالا وأتاهم في مكانهم فرسانا ورجالا وأراد أن يقتطعهم دون الجيش الذي أبدى عن البلد اعتزالا ، فبادره المسلمون حملة واحتمالا وشمروا له جلادا وقتالا ، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرا للجلاد أذبالا فاقتتلوا ساعة ، ثم انهزم دهمام وقد قتل من قومه ستة رجال وثلاث من الخيل ونال ولله الحمد هوانا موالى ، وقتل من المسلمين شمریان ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان . وفيها عدا دهمام ابن دواس وأبدى غاية الكيد والإبلاس ، دّرام بالمسلمين قاصمة الظهر ، ولم يدر أن الله تعالى مرید لهم التمكين والظهور ، فأعد لباطل ذلك الكيد عدة وأعدّ لذلك الأمر أهل النجدة واختار ذوى البأى والشدة ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين مما دبر من حاله وقبيح أفعاله حتى جاء المسلمين النذير يخبرهم بوصوله واستعجاله ، فتفاوض المسلمون في الرأى والتدبير ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير ، فأشار عبدالعزيز على والده محمد برأى مبارك رشيد وتدبير ميمون سديد ، وذلك أن المسلمين يخرجون من القرى لكونه طامنا خفي وأرسلوا لها سبرا يحقّقه خبرا ، فلم يرعهم إلا الرمى بصوته فبادروا إليه قبل فوته . فالتقت الخيل مسرعة وأطلقوا أعنتها متبعة حتى جئوا دواسا ومن تبعه ، فاشتد بينهم القتال ، ثم تلاحق الجيش والأبطال رحى الحرب واستعر ، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر حتى إن الله تعالى

جالت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر ، ورزقهم على عدوهم الظفر ، فقتلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين ثم ولوا بعد ذلك مدبرين وغنموا أربعاً من الخيل وأخذوا جميع الركاب ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب وقد كان عبدالعزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكى من ألم الحمى بعض الضرر ، فلما جاءت به بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الإضرار بل شمر ساعده وشد الإزار للقاء الأعداء والفجار ، وقام في ذلك الأمر وقعد وجد فيه طاقته واجتهد حتى أنجح الله تعالى له ما قصد وحقق له في أعدائه سؤله وبلغه في أهل الباطل مأموله ، وحده في تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض على القروا وسعد الرابع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك فشفاه الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الحسا فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قلوب المسلمين الهم والأسى وكانت خيل المسلمين قريباً في العدد من ثلاثين فوصل إلى تلك الديار بعد ما أخذ النهار في الإدبار وذهب ضوء شفق النهار فأناخ قريباً من البلاد وأرسل عينه إلى المطير في ليرتاد ، فألفاهم وقد أخذ الرقاد من أجفانهم المراد وحكم عليهم الكرى بالإجهاد ، فأخذ في أهبة دخول البلاد بالتهيئة ، والاستعداد ، فلما انجالت من الليل غياهبه وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه ، هجم عليهم المسلمون فيها وجالوا في قاصيها ودانيها واستداروا في بيوت تلك البلد يقتلون من يشاهدونه من أحد ، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد فقتلوا نحو السبعين من أولئك المشركين وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب ما لا يحصره العدد والحساب وحسن المسلمين في ذلك المآب . فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب أغاروا على أهل المبرز في ذلك الصباح وقتلوا أيضاً في طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجايل ثم انقلب المسلمون راجعين ، فلما أتوا العرة وافقوا أناساً مجتمعين من أهل الرياض وحرمة فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم وتركوا أهل حرمة وحاطهم لأنهم إذ ذاك مهادنون وفي السلم داخلون ؛ ولما وصل المسلمون إلى الرياض في هذه الغزوة أغاروا على أهلها فجوة وأخذوا لأهل منفوحة أغنام ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام ، وقسمت تلك الغنائم في الدرعية بين الغزاة بالسوية . وفيها وقعت الردة من أهل وثيثا وذلك أن أهل وثيثا لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبدوا

للعهد نكثا أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن ويستنجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم ، فقال ذلك ما كنا نريد وهذا هو الرأي السديد فقتلوا عند ذلك عبد الكريم بن زامل ودخلوا مع إبراهيم في طريقه وعهده وانتظموا في سلكه وعقده . وفيها غزا عبدالعزيز حرس الله مهجته بالمسلمين وآل كثير يريد سبيع لما نقضوا العهد ، فجد في المسير وأخذ سائرا في الجنوب يريد سرعة الوصول فوافقهم على سيح الدبول ، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول ولحقهم الجيوش مثل السيول ، فوقع بينهم المصادمة والقتال ثم كان عن قتل مائق بن شلية الانفصال وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل . وفيها غزا المسلمون سدير وقصدهم بذلك بعض العربان فلم يوافقوا أحدا في ذلك الزمان .

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها كاتب دهام ابن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود على أنه يريد الدخول في المنهج الحمود ويلتزم النيام بجميع شرائع الإسلام ويحافظ على الوفاء بالعقود ويقسم أعظم الإقسام إنه يوفى العقود فوافقوه على ما طلب وأراد ، مع علمهم بأنه لا يوفى بوعده ولا ميعاده ، ولكن لا يسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد ، من أراد الدخول فيه من العباد وطلب الدلالة والإرشاد ، ولكن طلبوا منه على سبيل التوبيخ له والتكليل وطريق التأديب عن التغيير والتبديل ألفي زر معجلة وأموال المهاجرين يرد كل لمن هو له ، فالتزم بذلك الصدق والقيام وأظهر غلبة الانقياد والالتزام ، وأرسل إلى الشيخ والأمير ما شرط عليه من النقد في التقدير . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى إلى سدير لملاقاة ذلك العدو الكثير ، فلما وصل إلى جلاجل والظلام قد أخذ في التراجع وأقام يهين التدبير لملاقاة العدو الكثير ، فلم ينبج من الصبح عموده حتى استعدت أحزابه وجنوده وكن في موضعه الكمين وعرف أهل الغارة من المسلمين ، فلما استنار بياض الصباح وخرجوا للقاء والكفاح ، فلم يابشوا للقتال إلا يسيرا ثم صار ذلك الفرع ينهزم مكسورا ، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح وفي الحقيقة ليس عليهم في ذلك من جناح ، إذ لا طاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين في الكفاح ، وقتل من أهل البلاد عشرة رجال في التعداد

وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل ثم انصرفوا راجعين بالتأميل ، وقتل من المسلمين فرحان التمامي وصالح بن محمد بن صالح ؛ فلما وصل المسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فريقا من سبيع في الذمة ونهبه ، واستولى على مال ذلك الفريق وسلمه ، فأخبر ذلك الفريق عبدالعزيز في أثناء الطريق فشمّر مساعد الجد والعزم ورفع إزار الهمة والحزم ، وسار في يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد ، لم يثنه حرصه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقة الأجناد ، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائرا في آثارهم متطالبا لأخبارهم حتى وصل إلى فيفاء سهلة تسمى إذ ذاك قذلة ، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقبيله وثقله ، فلم يكن لهم دون لقاءهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحمت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان في ذلك المجال ، وصدق المسلمون النية لمولاهم فأنجح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال ، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال فقتلوا منهم نحو الحسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المسلمين مصاب ، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين ، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين ، وكانت هذه الواقعة العظيمة والمنة الجسيمة في شهر رمضان فحصل السرور والتهان .

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزوة تسمى غزوة المديهم وكانت في صفر ؛ وذلك أن عبدالعزيز أعزه الله تعالى بالإسلام وأنجح له السؤل والمرام غزا بالمسلمين ومعهم في تلك الغزوة دواس بن دهام مع قومه فسار عبدالعزيز مجدا في يومه ولم يزل في السير مجدا يبدل فيه جدا يؤثر الوخد فيه على الدميل ولا ينيخ فيه إلا القليل وقصده بذلك الغزو والمسير فرقان من آل ظفير يسمون مديهم وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم ، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم وأرسل عينه إليهم فنظرهم وأشرف عليهم فإذا هم على التحقيق فريقان ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان وليس لأحد به يدان ، فلم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار من الملك القهار على أولئك الأشرار وبذل الجد والاجتهاد في قتال ذوى البغى والفساد وتفاوض المسلمون بينهم في صفة القتال والتلاقى لأن الفريقين كانوا في المنزل على افتراق ، فتخوف

المسلمون منهم أنهم إذا صبحوا فريقا غشيهما الفريق الثاني بالتطبيق وكان المسلمون إذا
ذاك ليسوا بالكثير وركابهم لا تزيد على مائة وثلاثين بالتقدير فأشار عليهم المبارك الميخون
برأى به النجاح يكون وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجال فإذا انكسروا
انقلبوا إلى ركبهم فركبوها عجلا فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين فيهمزونه أجمعين
فلما أضاء الصبح ونور أخذ المسلمون في ذلك الرأى المدبر، فلم يفجأ تلك الأعراب
إلا أسنة المسلمين الأحباب فبقوا معهم ساعة في جلال وبذل وجد واجتهاد حتى
عابوا ما ليس لهم به قبل ، فولوا سراعا على عجل وقتل منهم نحو الثلاثين وأخذوا أموالهم
أجمعين وقتل من المسلمين المغيلث ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم ولم يقع لهم مثلها
في المقاسم . وفيها في ربيع الثاني جرت على المسلمين وقعة الحائر ذات اللقب المشهور
والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب
الحزن وفتح أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوى الضلال والعصيان
وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان
وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوى التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك
لدى الناس ويظهر الطيب البرأ من الأدناس من الخبيث المتضمخ بالأرجاس ويشاهد
حاله ويستبين (ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) فكان سبب تلك الواقعة
والنازلة الجامعة أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا وقتلوا في قذلة وقهروا وشرروا للشار
أطراف الذيل وجدوا في السير للنهار والليل ، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والمسير
إلى نجران والهجوم فشكوا لهم الحال وما عابوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق
ما صدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على
التوال ودعوههم إلى المسير والتسيار والأخذ لهم بالشار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة
والكل منهم مد للشر باعه وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن
هبة الله قبحه الله وأخزاه ، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان والتأم معه
قبائل اليمن فأقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطئوا
بلاد المسلمين فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين ، فجمع عبد العزيز رحمه الله
تعالى مقاتلة المسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال
والاستعداد للقاء ذوى الضلال وسار بهم جميعا يريد قرية الحائر وكانت من بلاد المسلمين
(٥ - تاريخ نجد - ثان)

وقد أرسل لهم قبله مددا يكون عوننا وناصرنا فلما وصل إليها وأشرف عليها وقد كان رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقي بها مدة أيام وليال كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال ، وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى الحائر الذي نزل به ذلك العدو الجائر والجند المارق الفاجر يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذي يكون غالباً به المعاقبة والعقاب فيصير سبباً إلى الابتلاء من رب الأرباب ، فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالى الرقاب حمى بينهم الوطيس ، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس ، وبقي فرسان الإسلام تجول ورجاتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكريماً أوليائه وخذلان أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحق عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعاً من عقود المئين فصارت هذه الحادثة والنازلة البكارثة طهرة وتمحيصاً للمؤمنين ومحققاً للضلال والمعتدين ورفع درجات للمستشهادين وعبرة للمعتبرين ، وأقام رئيس نجران أياماً بذلك المكان ثم ارتحل بالغدوانة فكان ذلك الباطن مكانه ، ولما نزل بذلك الموضع المذكور خرج أهل ذلك القصر المشهور إلى إبل له نحو عشرين وأخذوها وانقلبوا راجعين ثم تحصنوا في مكانهم وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته ثم بدا عليه دهام بن دواس وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس ورغبة مما في قلبه من الشر والإفلاس أن يمشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس ووعدوه على ذلك كثيراً من الأموال وأنتك إن جردت سيف الجهاد والقتال في هؤلاء الذين اعتدوا في الفعال وفتحت بلدانهم وقتلت أعوانهم فزت بالسودد والمحامد ، وألقت إليك نجباً بالمقالد وصرت رأسها ورئيسها وغرتها ونفيسها وغدت حاكمها وواليتها تنفذ التدبير في أسافلها وأعاليتها ، فهش الحبيث عند زخرف ذلك المقال وبش حين ماوعى ماموّه عليه من الأقوال ولم يدر حاله ولم يختبر أفعاله بل بدا له أنه ناصح أمين يريد له الظهور والتكبير وما عرف أنه خئون أفاك ومعتد سفاك وحنثه على التأخر والإقامة ، وأظهر حشيمته وإكرامه ثم أرسل أيضاً دهام إلى عريعر بالحبر والإعلام ويحثه على الظهور إلى نجد ويقرب له المرام

والقصد ويستجيشه في ذلك العام ويخبره أن أهل نجد في غير نظام وأن كلمتهم متفرقة وأحوالهم متشتتة متمزقة ، وفي إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين في القوم الذين كانوا عندهم مأسورين فقبلوا ذلك الحال وكان الشرط بينهم في المقال أن يطلق ما عنده من أسرى المسلمين ويطلقوا من عندهم أجمعين ، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ما هو مأسور نحو الثلاث من المثين فأطلقهم جميعا مكرمين ، وقد مكث في ذلك المكان نحو خمسة عشر يوما من الزمان ، وقدم عليه أيضا في ذلك المكان ذوو الضلال والطغيان زيد بن زامل و فيصل بن سويط وأثنوا عليه بتلك الأفعال وحمدوه في ذلك القتل والقتال والتزموا له إن بقي جزيل الأموال ، فلم يلق إليهم بالا ولم يرع لباطل ذلك المقال وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه حتى يقدم عليه وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب وزخارف الأباطيل والأكاذيب ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال والحطام وأجاويد الخيل الكرام إن بقيت في ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام ويعنيه منكرا وزورا ويعده باطلا وجفورا (يعدمهم ويعنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) فلم تجد تلك الوعود فيه ولم يجنجح إلى ما يعده ويعنيه ، ولم ترض للأقامة شكيمته ولم ترض بباطل الوعود شيمته ، ولم تركن لما زخرفوه همته ولم تصغ لها عزيمته ولم تكن نفسه أبية عن الأطماع بل تطمع في المال غاية الإطماع وتنزع إلى حبه أشد النزاع ، ولكن لما قذفه الله تعالى في قلبه من الرعب والافزع والخوف والاجزاع لم يقم غير ما ذكرنا في تلك البقاع ، وأزاله الله تعالى عنها وطرده وقذفه في هوة الدل وأبعده ، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال شأن ولا حال بل كتب عليه الهوان والاذلال وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال وقال المصنف في ذلك الحال :

عين جودى بواكف هتان	واسكى عبرة من الأجفان
وأفيض على الحدود دموعا	تحكى صوب الغمام في الحملان
واهجرى لذة الكرى في الدياجى	قد كفى ما جرى من الأحزان
واذ كرى معشرا وابكى مصابا	ما جرى مثله بماضى الزمان
لهف نفسى على فراق صحاب	قد تتالوا بطاعة الديان
نهدوا للجهاد صدقا وباعوا	غالى النفس فى رضى الرحمن

أسرعوا في امتثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان
صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران
فأنيلوا الحياة مع مشهى الـ جنات والخور في رفيع المكان
وانقضى راجعا بنحزى وذل من أتى غازيا مع النجران

وفيهما خرج عريعر إلى الدرعية مع بنى خالد كافة وأهل الحساء وسائر الرعية ، فلم
تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهناء حتى اختلج رئيس نجران ذهنا
ومزج الخوف لبه وملاً الله بالعرب قلبه ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم جد السير إلى بلاده
وخدا ودميلاً وآثر الليل هادياً ودليلاً ، فلما وصل عريعر إلى فياض الجلسا ، وارتوى
من تلك الحياض القعسا طاب كثير من أهل البلدان نفساً .

ولما استقر به القرار في معمور تلك الديار ، وانتشرت جنوده في فسيح ذلك
الوهاد ، وملئت تلك الفيافي والمهاد ، تبين من أهل نجد الارتداد ونجم الضلال والنفاق
وقام الباطل على ساق ودعا ، فلبت بسرعة له أعوانه وأجابته على الفور أخذانه
وسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه ، وأوّل من أجاب لداعيه ولبي الصوت مناديه
وبادر إليه عجلاً وسار له هرولة ورملاً ، ورام أن يبلغ بذلك الباطل أملاً ، وشهر راية
الفتنة والإبلاس دهام بن دواس فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس وأهل منفوحة
سلكوا معه في ذلك العرين وتتابع نجد من ذوى الإسلام والعهد أجمعين (ومن
الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ثم إن عريعرا استشار من أهل
نجد ذوى المعرفة والشأن في المنزل الذى ينزله من الدرعية مع تلك العربان ويسع
الحضر والبدو من أهل الحسا وسائر البلدان ، فاستقرت الفكر والأذهان على أنه
ينزل بين قرى القصير وقرى عمران كما هو معروف بذلك إلى الآن فوجلت قلوب
أهل البلاد مما جاء به وكاد ، وما جره عليهم وقاد ، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة حين
ضرب خيامه ومدّ أظنابه ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب وأزعجهم ما رأوا من
الأجناد والخيلاء والإعجاب وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب وبهرت قلوبهم تلك
المدافع التى ليس أحد دونها بممانع ، ولم يكن المسلمين . غير الله دافع ولا سواه من معين

ولا مدافع ، فأُتُوا إلى الله واستسلموا ولجئوا إليه في كشف ما به دهموا وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا ، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا ، وعلموا أنهم يرحمون ، فأعينوا ورحموا وكل صدق النية لله وأُتِىَ ، وأخلص في الإيمان والاحتساب رجاء من الله في جزيل الثواب وتأميلاً من المولى أن يحسن لهم المآب ، فلما أُنْخِذَ بذلك المكان الفسيح أقام ذلك اليوم ولم يبد حرباً ليستريح ، فلما بدا اليوم الثانى نهض مسرعاً من غير توان حين أكلت الطلوع شمسهُ مشمراً للقتال طيبة نفسه وقرب المدافع والآلات وتلك الجيوش المزعجات إلى قريب من الجدارات ، وأقام يرمى بها رميات يريد أن يهد تلك اللبئات ، ويقض تلك البروج المستكينات ، وأخذ يحث الرماة ويزجر ويرد عليهم ويصدر ، فلم ينل والله الحمد المراد وصدر وما أفاد ولم ترم مدافعه لبنة من جدار ؛ فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار وزيادة يقين في دينهم واستبصار ، وقوة رجاء في الإعانة والانتصار فكأنما والله قد نشطوا من عقال أو خرجوا من حبس واعتقال ، بل كأن الخوف لم يخطر لهم على بال ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال ، وتأيمد من ذى العزة والجلال ، وإلا فقلوب البشر لا تطيق بعض ما صدر ولكن كما قال تعالى (ولا يربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) ولما كان آخر النهار قبل وقت الأعصار من ذلك اليوم المذكور خرج المسلمون للعرضة خارج السور وكان ذلك بأمر عبد العزيز حرسه الله تعالى من جميع الشرور ، ففرح بذلك أولئك الجنود وقالوا هذا المنى والمقصود ، فأسرع عليهم الأقوام وكانوا على تهيئة في الانقسام فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان ، وأسرعت الدول تسير على عجل تريد من علو الباطن الدخول حتى يفوزوا بالمأمول ، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة وكان علو الباطن مراده وقصده ، فسابقهم إليه قبل الدخول ولم يكن لهم إلى التمكن فيه وصول فلم يكونوا من مأمولهم على حصول ، وأخرجهم المسلمون منه قسراً ونحوهم عنه قهراً ، وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا فرس ديوان ، وكان لعريعر خيال وقتل من المسلمين سلطان بن عدوان وهو يدعى ابن نعران وبني عبد العزيز في ذلك ما هدم وأحكم بناؤه وردم ، وأقاموا على ذلك أياماً قلائل كل يوم ينصبون

للحرب الجبائل ، ويعملون الآراء والفكر فيما يقع بالمسلمين من الإضرار والضرر ، وقد أقاموا من الأيام مدة في أعظم ضيق وحر ج وشدة ، وقد بلغ الضرر منهم حده والكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذي تقدم وبسوف ترياق الأسف والحسرة وبعض أنامله من الندم حيث أجمع على المسلمين أمره ، وأضحى عريعر ذلك الجبار مما شاهده وعائنه وصار يدعو بالحياة والعتار والويل والدمار على من عليه أشار بذلك المسير والتسيار ، فكانوا في المنزل في غاية النذل يقاسون من الظمأ والعطش شدائد لبعدهم عن المياه والموارد وكل يوم تغيب شمس وتطلع تطلب نفسه الهروب وتزع ويروم الرحيل والترحال لما وقع به من الوبال ، وتأتية شياطين أولئك الأعوان وتثبطه على الإقامة بذلك المكان مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول ولقمع الدين وأهله آمل ، فيلين لهم بعض اللين وينخون أيضا بنى عمه عليه فيأتونه للراضة ويستكين حتى نفخ الله تعالى سحره وطاش وأراد العجلة والانهياش ، فأتوا إليه وتلبوه وحاولوه بطنا وظهرا وقلبوه ، فلم يروافيه وجدا ولم يحدوا به وردا ولكنهم أدركوا منه تسييرا ومعدا وحدوا له في ذلك حدا وذلك بعد ما أتوا إليه عتاة أهل الحريق وزينوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبا والطريق ونحن لك القادة وسترى منا لك الإفادة ، فراض إلى قولهم وقصد معرفة فعلهم ، فلما توثقوا من راضته شرعوا في الرأي وإفاضته ، واستقرت المشاورة والمعاودة ، على أن غدا تكون بيننا وبينهم المناهدة ونصدقهم الحرب والمجاهدة ، ونتفرق عليهم ثلاث فرق ، ونظموا رأيهم ذلك حين انتظم سواد الغسق وأخذ الرأي جهده من الحدق ، فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب ، فأسرع بذلك من وعاء وهو سالم بن جمهور أثابه الله خيرا وجزاه ونقله إلى عبدالعزیز ونماه ، فلم تستر بالضياء جهات الأرض حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقائهم الغرض ، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الكبار تروم الحصن والجدار ، وأخذت القنبرة والمدافع في لفح الشرار واستعظم الأمر واستطار ، وزاغت القلوب والأبصار ، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر ، فصارت المهاشير ومن معهم على الزلال وكافة بنى خالد وأهل الحسا ذوى الضلال نحروا جدران سمحان وأهل الحريق وابن دواس

وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان ، قصدوا قرى قصير وصار قصدهم في ذلك المسير واكتنفوا جميع البلدة والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حده وراموا في ذلك أمرا إذاً، وكل قد حارب ربه وتعدى ، فلم يزل كل منهم رشدا ولا حاز مفخرا وسعدا ، ولا نال من مراده مطلوبا ولا حصل من سؤله مراما ولا مرغوبا بل رجع كل منهم خائبا مرهوبا خائفا وجملا مرعوبا ، وقتل منهم نحو الخمسين وهربوا عن المدافع مدبرين ، فلو يلو أحد منهم إليها ولا عرجوا تلك الساعة عليها ، لما عاينوا من الإرعاب (وصب عليهم ربك سوط عذاب) ، وكان عيد بن تركي في المقتولين ، وكان والده يديم عليه البكاء والحزن ، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين ، وانهمزم رئيس المدافع بعد ما قطع الله يمناه وتنحت يده قدر ميل في الفلاة ، ولم يحصل له بعض ما تمناه ، ثم لما ولي عنهم الارتياح كروا على مدافعهم بالارتجاع ، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المرة ومقاسمتهم تلك الأهوال المرة قواضب قتال ، ولم تسدد للرعى سهام ولا نصال بل باءوا بالخزي والوبال وشتات الشأن والحال وهموا في غدهم بالمسير والارتحال ، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين . قال المصنف :

نفوس الورى إلا القليل وكونها	إلى الغى لايلفى لدين حنينها
فسل ربك التثبث أى . واحد	فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك فى بيد الضلالة سائر	وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعة سالك	ومنة خير المرسلين تبينها
فكن صابرا إن حلّ أو جل حادث	فعاقبة الصبر الفقى يستزينها
وإياك أن تبدى لخطب مخافة	ولا جزعا من حادثات تشينها
وإن شئت من سحب الحوادث بارقا	فلا تخش لو يزجى إليك هتينها
فكم فرجت من شدة إثر شدة	وكم محنة مرت فسرت سنينها
وكيف نفوس الخلاصين ينالها	هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريعر	محزبة غث الورى وسمينها
وجاءوا بأسباب من الكيد مزعج	مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
وأبدوا أمورا يذهب الالب عندها	ويسقط من بطن الرذاح جنينها

وأقبل قادة الضلالة والردى
وتبغى لأهل الدين فى الأرض وقعة
وهتك حمى البطحا ومن حل سوحها
وراموا أصول الحق والدين والهدى
وهدم دعائم المحجة بعدما
وتغير منهاج تألق نوره
ولكنهم حادوا عن الرشداً وابتغوا
ومن يعش عن ذكر الإله تضله
نخانت لهم نجد لما قد أتوا به
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة
لقد زاغت الأبصار ساعة أقبلت
ولكن مولى النصر ثبت أهلها
فقام بها عبد العزيز مشمرا
فأبت قلوب الناس من بعد طيشها
فأضوا وقد راضوا يقينا وجردوا
وقد وطنوا للوت والله أنفسا
وليس لها إلا التصبر واللقا
فناوا عظيم الفوز والعز والمنا
وآبت جيوش الفسق بالحزى والردى
أبى الله أن تعالى على الدين راية
وأن يطاء الفساق فى ذلك الحى
فلا زالت البيضاء يسمو منارها
بحكم إمام المسلمين وعدله
ولا برج المولى معزا وناصرها

وساداتها تبغى الهداة تهينها
يغنى بها فى كل قطر مهينها
وسلب غوان ماتبدل عينها
يريدون أن يحتث منها متينها
أشيد ذراها واستقر رصينها
قابصره غرب النواحي وصينها
مناهج آباء تغير دينها
شياطين لايفك عنها قرينها
ولم يبق فى الإسلام إلا أمينها
على الدين بالبلوى فبان كمينها
بنو خالد أظعانها وظعينها
كما هو فى دفع الأعادى يعينها
وساعده فى الحروب متينها
وقرت عيون واستسر حزينها
قواضب غضب ليس ينبو سدينها
لنيل الرضى والعز هان ثمينها
من الله جيش والثبات كمينها
وما نال هذا بالنفوس ظنينها
وليس لها إلا الشنار رهينها
فثربو ضلالات ويسمو مهينها
ويهتك من تلك العوالى حصينها
ويزهو بحياها ويصفو معينها
تحاط نواحيها ويحمى عرينها
سعود الذى يهوى العلا ويرينها

وفيها طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد فأجاباه إلى ذلك المقصد واتفق على ذلك منهما الرأي والنظر وكان ذلك من أدق الفكر ، فهودن مجانا وأقام في الهدنة زمانا يقصر عن السنة عدده بل نحو عشرة أشهر أدمه . وفيها في ذي القعدة قتل محمد بن فارس وولده عبد المحسن وذلك أن أولاد زامل أخيه وأناسا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير ، فنهوهم عن ذلك وأبوا ولم يسهفوه على ما طلبوا بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام وأن عقد الهدنة قوى الإحكام ، فلم يجد فيهم ذلك التهديد ولم يبالوا بذلك الوعيد ، ولا أثر فيهم ذلك الكلام بل أئخنوها بالكلام وسددوا لهما من الردى مصيب السهام وأوردوه وابنه حياض الحمام في مجلسه الذي لا يرام ، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار فنهض من ساعته في المبادرة والابتدار إلى منفوحة مع جماعته وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية في ساعته ، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين في السير إلى منفوحة مسرعين مخافة أن يسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين . وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فملوا تلك الأفعال طلبوا ذلك منا وعالجونا عليه قبل لما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا عليهم المقال إلا أنا ذكرنا لهم أنا لا ننفيك بل نذب عنكم ونؤويكم ، فإن كنت تريد على الهدنة البقاء فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء وإن كنت تريد النكث والحراية فاسلك منهجه وأسبابه ، وجاءه الرسول وقد قرب به إلى منفوحة الوصول ، وجرى بينهم من القتال فصول ، وقتل من أهلها رجالين تلك الساعة وقتلوا منه واحد ، حين مد لدخولها باعه ، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب وعرف خوى الخطاب بادر إلى بلده بالانقلاب ، فلم يصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب ؛ ثم إن عبد العزيز بعد ما خرج من منفوحة سار إلى قصر الغدوانة وأقام فيه أياما يصلح شأنه ، ثم خرج منه وقصد مكانه . ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها في ربيع الأول اعتدى دهام بن دواس وأبدي الخيانة والإبلاس ، فجمع زيد بن زامل وعبرهم فعدا على الصبيحات وأخذ منها طرشا كثيرا ، وخرج أهل منفوحة فاقتتلوا معه وقتل منهم ستة أو سبعة وقتلوا منه نحو ذلك وكان لهم عنه أقوى منعة وثارت بينه وبين المسلمين

بعدها الحراية وهو الذى فتح من الشر بابا ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه ، وفى ذلك من السر المصون والغيب المكنون مالا تحيط به الأفهام ولا تدركه أفكار الأنام ، بل تقع التقادير والأقـدار وتصدر إرادة الجبار على غير ما يحول فى الخلد والأفكار وما لا يتخيله المتفكرون ولا ينتجه المتفكرون ليتذكر أولو الألباب ويقفوا بالتسليم والاحتساب لما دبره رب الأرباب، ويحصل لهم الأجر والثواب إذ كانوا لأحكامه وإبرامه يسلمون (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فكانت هذه القضية وصدور هذه الخيانة الردية سببا لخروجه عن بلده بالكلية ومبدأ لذهابه وأعوذجا على عذابه .

وفى منساخته ربيع الأول توفى الأمير محمد بن سعود رفعه الله إلى جنات الخلود وآمنه يوم الفزع والورود وسقاه من حوض محمد المورود . وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام ، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصى منهم والدان وتتابع على ذلك الحضر والبدوان ، والشيخ رحمه الله تعالى هو رأس ذلك النظام والحكم للعقد بالإبرام ، وكان يتلو عليهم أحكاما وموعظه وتعلما (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجرا عظيما) وأسقط حرسه الله تعالى جميع المظالم وأبطل كافة المعارم وارتفع عمود الحق واستقام وانتظم أعظم انتظام وتأود غصن المحجة البيضاء وأقبلت الدنيا على رعيته فيضا وملئت قلوب العدا بما شاهدوا من سيرة الهدى حسرة وغبطة وشهرت رايات الإسلام فى الأقطار وسارت بالفتوح الركبان فى سائر الأمصار وطارت قلوب أهل الضلال أى مطار ، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينا وتسليما وجدوا فى الدين والتوحيد تفهما وتفهما (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الريح ، وذلك أنه حرسه الله تعالى سار بمن معه إليها وملك بروج حصان وأدرك منها نيلا ، فلما تبين الصبح وانتشر الناس بلغ الخبر دهام بن دواس فأرسل سريعا فى الحال رجلا من جماعته خيال إلى سبيح وكانوا قريبا منه فعاجلوا بالجىء والإقبال وبادروا فى سرعة الامتثال ، فلم يشعر المسلمون إلا بنجيلهم فى اقتبال ، ثم خرج ابن دواس مع جماعته لما علم مجىء سبيح من ساعته وقصده الخديعة والمكر بالمسلمين (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فحينئذ أمر عبد العزيز

المسلمين بالظهور والخروج والنزول عن تلك البروج ، ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعا إليهم يريد أن يناوشهم الحرب ويشغلهم حتى تقدم سبيع عليهم ، فعند ذلك سدد الله تعالى عبدالعزيز وثبته وحماه من ذلك المكر وجماعته وصارت بينهم جولة قتال قتل فيها من المسلمين عدة رجال ، وأقبلت خيل أولئك البدوان ، فابتدروهم من المسلمين فرسان وحمل بينهم الطعان ثم بعد ذلك انفصل الفريقان وكل قصد له مكان ، ولم يدرك دهام من المسلمين مارام . وفيها غزا المسلمون العودة وأميرهم عبد الله بن محمد فلم يجر بينهم قتال ثم رجع إلى حريملا فغزا إلى شلية من سبيع وهم بالعزيمة فصباحهم وأخذ إبلهم وخيلهم وماعهم من الغنم والأمتعة . وفيها أتى بردعظيم لم يعهد مثله فمات الزرع والعشب . وفيها جرت وقعة تسمى وقعة العدو ، وذلك أن المسلمين عدانهم على الرياض ستون رجلا خرج ولد زيد بن سليمان عجلا مرتدا من الدرعية ، فأخبر أهل الرياض بالقضية ، فلم تأتهم تلك العدو إلا وهم مجتمعون لها في ندوة ، فعدوا على صياح فارتفع عند ذلك الصياح ، ووقع بينهم الكفاح ؛ ثم انهزم المسلمون والخيل لهم وراءهم متبعون فقتلوا منهم ثمانية رجال وخمسة أسروا في الاعتقال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فساروا إلى الرياض وأعدوا في الليل الكمين ، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين فبادروا إلى القتال ولم يكن لهم عنه بدء ولا احتيال ، فلما حميت نار الحرب واستقر الطعن والضرب وظهر عليهم كمين المسلمين انهزموا جميعا مدبرين ، وقتل منهم ستة رجال وانقلب المسلمون راجعين . وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة فوصل المسلمين الخبر فأسرعوا إليهم بالنفر . فلم يستقر دهام في تلك النخيل حتى جاءه مجيء المسلمين بالتمجيد فولى على عقبه هاربا لبلده رائما طالبا .

ثم دخلت السنة الثمانون بعد المائة والألف ، وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز ثريدا وأتاهها بعد أن هدا الأنام ، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع ما بها من الأغنام فاستاقها ذوو الإسلام وفزع من في البلد من الأقوام حتى وقع الاختلاط والالتحام ، وجرى بينهم القتال وضاق المجال وخرج الكمين فشدت عليهم فرسان المسلمين ، فعند ذلك ولوا مدبرين : وقتل منهم نحو العشرين ، منهم محمد بن عبيد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان ، وقتل من المسلمين فواز التمامي وابن غدير وتسمى هذه الغزوة غزوة الصحن عند أهل ذلك الوطن ، لأن القتال وقع في مكان

يقال له ذلك ، ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبدالعزیز بالجیوش إلى منفوحة ؛ وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركبا لابن دواس فقتلهم منهم محيسن بن قارى العلوى على التحقيق ، ثم دخل عبدالعزیز منفوحة بالسرور والابتهاج لإرادة عقد الدخول بينت زامل الزواج . وفيها في الفطر الأول سار عبدالعزیز حرسه الله تعالى بالمسلمين فنزل بالبنية من الرياض فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض ، فقتل منهم المسلمون أربعة رجال ولم يبرزوا للطعان في مجال ، وقتل من المسلمين مرشد بن حصين .

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف وفيها ارتفعت الأسعار والأثمان ووفق الزاد في جميع البلدان وبقي الناس في مقاساة البأس ، وبلغ الأنعام من غلاء الطعام هم وضئى ، وحزن وعنا ، حتى بلغ الصاع جديد ونصف ووزنه ونصف بجديده . وفيها غزا المسلمون العربان ، فلما سار المسلمون إليهم سبقه النذير عليهم ، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان ، إلا بعد ما أخذوا الأهبة للطعان ، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين ، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين ، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام وأخذوا بعض الإبل السوام أطبقت عليهم خيل المطران وفرسان أولئك العربان ، فاشتد بينهم الطعان ، ولم يكن لهم إلى الفرار من إمكان ، فثبت الله أهل الإيمان ونحاصوا من شر ذوى الطغيان وقتل بينهم بعض رجال من المسلمين وذوى الصيخى وابن ربيع ورجعوا على اعتجال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم هذلول بن فيصل ومعه سعود بن عبد العزيز ، وهذه أول غزوة غزاها فساروا يريدون العودة فأتوا تلك البلاد وقد هجع العباد وقد حكم على المقل الكرى ، وما شعر أحد بدخولهم وما درى ، وقد أعدوا لهم في مكان كمين من الشجعان وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد الفزع والظهور يعقبونهم على تلك القلعة والدور ، فلما تبين ضياء النور وأدبر ظلام الديجور أغار المسلمون على أطراف البلدة ، وكل من جيشه وكمينه عرف قصده ، فبدرهم بالقتال من أهل البلدة ذوو النجدة فلم يأخذ المجال حده حتى دخل الكمين البلاد فقتلوا نور بن سعدون وأناسا من أهل الفساد ، فلما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر رجعو القلعة فإذا هي عنهم في منعة ، وقتل المسلمون منهم رجالا ونودى بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال وصار ابن حماد فيها هو الأمير ولم يغير عليه فيها بتغيير حتى صدر على المسلمين منه ما يضير ثم رجع المسلمون . وفيها سار عبد العزيز

حرس الله ذاته بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالمشيقي وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ولكن الله من على المسلمين بالثبات ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالي ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على مجيئهم ودخلهم في الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام ، فأقبل أهل الوشم ببلده وقراه ، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مراره ، فدخلوا في الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه ، وبايعوا أهل الإسلام ؛ واستمرت عليهم تلك الأحكام . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطى جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مرتدا قبل ذلك الحال فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسا فطاب بها عبد العزيز نفسا لكونها خيلا بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة ، ثم سار عبد العزيز حرسه الله تعالى في طريقه ذلك مجدا ، وكان فريق من اليمن على المربع له قصدا ، فصباح الفريق بالغارة وأخذ عليهم إبلا ثم طلب أثره ورجع إلى بلده سالما وللهال غانما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز ، لكون الواقعة بمكان يسمى بذلك ، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك ، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة ولكن كل أدرك بالرمي مطالبه فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال ومن الخيل أربعة ، وقتل من المسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعا منهم مبارك بن سبيت وزيد ابن سعيد وابن رشيدان ، وأقام عبد العزيز بقصر العداونة أياما يغير على الرياض ويرجع مكانه .

ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف . وفيها استمر غلاء الزاد وبرز كافة العباد من المعيشة في مكابدة ونكد ، وتسمى هذه سنة موقه لأن السعر بلغ حده وطوقه . وفيها غزا سعود بالمسلمين ، وهو أول غزو تأمر فيه فأغار على الزلفي وقتل ثلاثة رجال ثم رجع بلا إمهال . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين إلى سبيع وكانوا حينئذ على الحائر فلم يزل يجد السير إليهم حتى قارب الهجوم عليهم فسبقه عليهم النذير لما اقتضته الإرادة الإلهية الأزلية من التدبير ، فلم تقبل عليهم المسلمون إلا وهم للقائه مستعدون ، حين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل ، فالتحم الفرسان وحمى بينهم الطعان ، والتزم الثبات كل من الأقران حتى نصر الله تعالى

المسلمين وأعان ، فشد عليهم المسلمون الحملة ، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة ، فانهزموا جميعا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعا فأقاموا به محتمين وكان أهله إذ ذاك مرتدين ، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والحيل والإبل ورجعوا فأتزين بغاية الأمل . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المقصود ، فأغار على فريق من اليمن بعد ما قاربهم واستكن ، فلما صبحتهم منه الغارة لم يثبتوا غير ساعة فلزموا الانكسار وتبعهم إلى بيوتهم الخيول ولم يكن لهم سواها وصول ، وقتل منهم رجال ولكن الله أراد لهم السلامة ، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه إلا بالتثام بعض العربان عليهم وإقبالهم إليهم ، واستحرق الطعن في أعقابهم ورجعوا من حيث ما بهم ، وأقبلت بعد ذلك العرب المكسورة واجتمعوا على المسلمين فكانت بينهم وقعة مشهورة ، فاحتفى المسلمون وسلموا ، وقتل منهم سبعة غفر الله لهم ورحموا : منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر ، ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها غزا سعود بالمسلمين وركابهم نحو المائة على التخمين ، فأغاروا على عنيزة وخرج أهلها مجتمعين وكانوا ذوى عدد من المئين ، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال ، وأبدى المسلمون في ذلك اليوم المجال من النجدة والإقدام وفرط البأس والالتزام ، مابهر عقول أولئك الأقوام وأدهش أذهانهم والأفهام حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام ، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام ، وقتل المسلمون نحو العشرة وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إهمال .

ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز حرمه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض ، فوافق في ساعة خروجه من غير ارتياض خيلا كثيرة لدهام على الدرعية عادية ، وقد أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية فأطبقت عليهم خيل المسلمين مبادية ، واستقر بينهم المجال ساعة ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة ، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يعرفون مطرود الفريد وابن الرابع وحسن الجعفرى ودوخى بن مروان ، ورجع عبدالعزيز فلم يسر إلى ذلك المكان . وفيها غزا عبدالعزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقرأها ، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها أمر من هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول وقصد ما يريد من محل فأنانخ بالمسلمين على

الجمعة وكان المسلمون عليها مجتمعين وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبد الله وقويفل ابنا عثمان وهما أخوا حمد رئيس الجمعة ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر الجمعة وغزا بالجيش من ذلك المسكان ، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان فجدّ سائراً في ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وقد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم ، فأنّخ عندها في ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله ، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا في ذلك غاية الحال ، وليكن الله السكبير المتعال . سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال وهتك المسلمون البلد في ذلك الحال ودخلوها في تلك الحال ، وأخذوا جميع ما بها من الأموال ثم نودى فيها بالأمان بعدما قتل من أهلها رجال ، وأقام بها عبد العزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيههم أمر عظيم من المخافة فرغبوا في الدخول في الإسلام والالتقياد لمنير تلك الأحكام ورفض ما يعبد من الأوثان والأصنام ، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام ، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية ؛ وفي أثناء ذلك عثر على أثر غزو ابن خالد كبرهم بطين هنالك ، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا لا طاقة لنا بأهل الدين ، وكان هذا من رأيهم أجمعين ، فتركوا المسلمين ومنازلهم بعد ما حققوا مشاورتهم (وكفى الله المؤمنين القتال) وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان من سبيع بأرض ضرما مقيمين في ذلك المسكان ، فجرى بينهم قتال وطعان وحمل الحرب بين الفرسان وساعد أهل البلد من الحضر أولئك العربان وشمروا للقتال مع تلك البدوان ، فهزم الله تعالى أهل الطغيان وقتل منهم تلك الفرسان ، وأخذ المسلمون منهم أموالا كثيرة وخيلا نحو ست شهيرة . وفيها غزا المسلمين ركب فصادف الشريف منصور فأخذ مع ركب معه وأتى به مأسور فمنّ عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفدا فرجع بعد ذلك برخصته من شريف مكة في الحج لدوى الهدى ، فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة غير خائفة وقضت ركن الإسلام وأدت المناسك على التمام في ذلك العام ، ورجعت بالحشيمة والإكرام .

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير ، فأغار على المحمرة منهم في ذلك المسير وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير ، ولكن أخذوا عليهم إبلا كثيرة وصارت بينهم مقاتلة شهيرة قتل منهم بعض رجال ، وانصرف المسلمون بتلك الآبال . وفيها غزى عبد العزيز بالمسلمين وأقاموا في الحائر مجتمعين ، ولم يخرج إليه من أهلها أحد ، فشرع في قطع النخل واجتهد ، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد طار منهم اللب والفؤاد ، وحين شاهدوا هذه القضية عظمت عليهم الرزية وأحاطت بهم البلية ، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهجا وإظهار الانقياد والإسلام معاذا وملتجا فطلبوا من عبد العزيز في الإسلام الدخول فأجابهم إلى ذلك السؤل وأسعفهم بالمأمول ، فبايعوه على الإسلام والتزموا في الأحكام بالقيام ورجع عبد العزيز بمن معه .

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى يريد منيخ فلما وصل حريملا بمن معه من المسلمين ذكر له غزو آل ظفير مجتمعين وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي و وهق بن فياض فجند في ساعته في الانتهاض وحث السير في أثرهم بعد تحقق أخبارهم ، فأدركهم في أرض غيانة وأسرعت إليهم بها فرسانه ، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه فعض المسلمون عليهم الساقة ، وأسروا بعض أولئك الرفاقة وقتلوا منهم رجالا منهم وهق بن فياض وشقتوهم حالا ، فلم يسلم من القتل والإسار إلا من طلب الفرار ، ثم رجع المسلمون . وفيها أرسل الشيخ وعبد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كاتبهم ورأسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيها وعالما من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة ، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز الشيخ عبد العزيز الحصين وكتب معه إلى الشريف رسالة ، وهذه نسختها وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعزبه دين جده سيد الثقلين إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل مافيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاية الأمور ، ولما طالبتكم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل

إليكم ويحضر في مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة ، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين) إلى قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أئمتنا فلا بد من الإيمان به ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام ثم أنتم في حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور نزل على الشريف الملقب بالفعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفى وعبد الوهاب بن حسن التركى مفتى السلطان وعبد الغنى بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إلينا من التكفير بالعموم . والثانية هدم القباب التى على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب فهو الحق والصواب كما هو مسطور فى غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى النوازل فقد نص عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذى فعله الأوائل ولا يجادل فى جوازه إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقناع فرأوا عبارته فى الوسائط وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار بإسراع وتفوقوا بها أن هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام المعظم ، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلا مكرما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معسكال وخرج أهلها فجري بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدار تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قد صار وظهر عاديا على أهل عرقة وأيس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا فى ذلك الشأن التقوا جميعا قريبا

(٦ - تاريخ نجد - ثان)

من ذلك المكان فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان ، فلم يلبثوا ساعة للطعان بل انهمزوا إلى تلك البلدان فكان أول قتيل منهم دواس بن دهام ثم جد في أثرهم أهل الإسلام وهم فيهم يقتلون حتى قتل منهم عشرون وآخرهم ابن لدهام واسمه سعدون ، وكان الذي باشر قتل دواس عبد العزيز أمير الناس صرف الله عنه كل باس ، فرجع دهام بأعظم الباس مرتديا من الذل والحزى أضفى لباس ، متجعرا من الهم أصفى كاس ، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون ما لا يعرف ولا يقاس ، لاسيما على مفارقة سعدون ودواس ، فنودى عليه بلسان الحال من بعيد (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد). وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين حتى زل الرياض وخرج أهلها مسرعين ولم يكونوا عن القتال منثنين وطال القتال بينهم فعجل الله لبعض أهل الباطل حينهم وشد عليهم المسلمون فأسرعوا يجهدون ، وقد قتل منهم أربعة رجال منهم ابن روى الذي في ذلك المجال .

ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين فلم يبرحوا في ذلك السير مجدين يريدون آل حبيش وكانوا نازلين بأرض صباحا ؛ فلما قاربوهم كنوا حق يحققوا أمرهم مراما ونجحا ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعانا وكفحا ، فلما انجلي الديجور وعم ضياء النور وفرغوا من الصلاة صباحا شنت عليهم عاديات المسلمين صباحا فأخذوا عليهم آبال وفزع أهلها للقتال وراموا لها فكاك ولم يكن لهم إلى ذلك إدراك ، بل وقعوا في هوة الأدراك ، وقتل منهم أناس ورجع المسلمون يائسا . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة ، فلم تزل همته على الجد في السير بارحة حتى وصل إليها بعد الهجود فكمن كمينه هناك سعود ، فلما خرجت السوائم للرعاية بدت غارة المسلمين إليها بداية فالتجأت إلى البلد الإبل وخرج الفزع إليها بالعجل ، فتقابل كل من الفريقين واقتتل حتى صدهم فرسان المسلمين فانهزموا مدبرين ، وقد قتل منهم سبعة منهم مرخان بن فريان وعبد الله الساري . وفيها غزا عبد العزيز فسار بأهل الدين يريد أهل الرياض السرفين ، فوصل لذلك قريب السحر فقضى قبل الصبح من التعب الوطر فلما بدا الصبح مسفرا منيرا وقضى الصلاة تبدى مغيرا وارتفعت الأصوات في البلاد وخرج بعد الاستعداد من يريد القتال والجلاد ، فلما عاينوا أهل الإسلام جلهم الرعب والإحجام فلم يحصل

لهم بعد الالتحام فرط إقدام بل مكثوا في القتال زمان مرتدين ثياب الهوان ، فلما شد عليهم أهل الإيمان انهزموا من غير توان وقتل منهم مرزوق المطيري ومحمد بن فائز وقتل من المسلمين علي بن محمد الأمير . وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى في رمضان . وفي آخره مات ثنيان بن سعود أسكنهما الله تعالى دار الخلود وكان لهما بهذا الدين المنهج المحمود .

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين متع الله تعالى به سنين ، فنزل بالرياض وألقى رحله في تلك الغياض ونازل أهلها مدة من الليال وكل يوم يجري بينهم قتال ، واستولى المسلمون على بروج وجدوان فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ وقتل من أهل البلد رجال وبنات أهلها في غاية الأوجال يسامرون في الدياجي السها مما حل بهم ونزل بساحتهم ودعى وقد عرّتهم الذلة والدهشة وغشيتهم الرجفة والرعشة لا تهدأ لهم قلوب ولا عيون وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون ، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والاندعار ولكن إرادة المولى غالبية على العباد وليس يجري إلا ما اختاره وأراد ، فانصرف عنهم جميع المسلمين وآخر الفتح إلى حين ، وقد قتل من المسلمين اثنا عشر رجلا نالوا من الشهادة أملا منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيطان وكانت هذه الواقعة في صفر ولم يشرق بعدها لدهام عز ولا سفر بل هم بالرحلة والسفر والجللاء عن ذلك الوطن الذي ثوى فيه وقطن وحل به وسكن ، فأخذ في تدبير النقلة والارتحال مما داخله من الرعب والأوجال وخالط قلبه من الخوف والإذلال ، فبقى أياما وليالي لا يحسن له حال ولا ينشرح له بال مخافة على أهله والعيال وأسفا على ذهاب تلك الأموال وأسفا على فراق الحلة والبعد عن تلك المحلة ومعاناة الجللاء والنقلة والأرض به راجفة وريح المهروب عليه عاصفة ، وهو يصبر نفسه ويتصبر ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر ، وينادى بالويل على نفسه كل ساعة وهي إلى الفرار نزاعة لا تروض إلى البقاء والاستقرار ولا تميل إلى المكث في هاتيك الديار حتى نادى عليه منادى الذل والصغار إلى متى التصبر والاصطبار والحلول والقرار وحتى متى تقدم في ذلك رجلا وتؤخر الأخرى والجللاء هو الأولى لك والأخرى ، وصاح به قلاع الحصون إلى متى هنا السكون

فقد آذن ليل الباطل بالزوال وأعلنت سحب الشرك بالارتحال وتفشعت غياهب الزيغ والضلال ولاح نور الهدى والهداية وانجلى دياجى الضلالة والغواية وتلاّأ عمود الصباح وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح وغدا البلاء على الباطل وراح وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) فلما حان من شمس الباطل غروبها وآن لأهلها جلاؤها وهروبها وأن تثبت في روضة الرياض قواعد الدين وتمحق دولة المفسدين ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتمكين وتعلو كلمة الحق على المبطلين وتمحى آثار ذوى المكر والمعتدين (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) جمع جميع أعيان بلده وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده وأنه يريد الهروب والجلأ، وأن فؤاده ملى رعباً ووجلاً فصاحوا كلهم عليه وأقبلوا بأجمعهم إليه، وقالوا ما حملك على هذه الأفعال وما الموجب لها من الأحوال أهذا لنا مكر وخداع حتى تعرف منا الصدق بإجماع أم حدث بك من الجن انتزاع فاستعد بالله من الشيطان فلن ترع ، فقال دعوا عنى هذا الهذيان فليست الرياض لى بأوطان وليس عيالى فيها بسكان وما شاء الله كان، ولم يرعو من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال ، ولم يستطع إلى ذلك سبيلاً ولا وجد من قلبه عليه دليلاً انتفخ سحره ولبه وطاش فؤاده وقلبه وتعاضم منه فى الحشا) ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) فانفضوا من حوله سراعا وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعاً فازدادوا ذعراً وارتبعا وتحققوا أنهم منها مخرجون وأنهم له متبعون (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فتردوا رداء القنوط والإياس وكل ساعة ينتظرون حلول النعمة والباس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما انتصف ربيع الثانى خرج عبد العزيز حرمه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض وحرّبها وتدميرها وخرابها وقد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام ، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالى وأيام ، ولم يكونوا بما فى الغيب مشعرين (ادخلوها بسلام آمنين) فلما وصل حرس الله مهجته وأيد عزه ودولته فى مسيره ذلك إلى قريب عركة انبلج له عمود الأنس والسرور وانسلخ مدّهم ذلك الديجور وطلع له طالع السعد وبرق له بارق الفخر والمجد وتبدى له فى أفق ذلك الطريق لوامع المسرة والالطف والتوفيق ، وكان بذلك جديراً وحقيق وناداه لسان المبشر والبشير

إلى م تسعى وتسير ؟ وجميع عدالك في تدمير وإلى كل بلد في مطير ، فأرخ ذيول الهنا
فقد جاءك القصد والمنى وزال عنك النصب والعنا ، فسعيك إن شاء الله مشكور وأنت على
ذلك مأثور ، وقد وضوعفت لك في هذه المدة الأجور وصارت لك العقبي على ذوى الفجور ،
والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور ، فقد خلت لك القصور وتأهبت إلى لقائك
الصدور ، وقد أقفرت تلك الدور ممن كان بها يتعدى ويجور ، وقد حقت كلمة العذاب
على الفاستقين ، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فحمد الله تعالى على هذه الأنعام وشكره على
هذه المواهب الجسام والعطايا الوافرة العظام وقال وهو خاضع لربه مستكين حامدا لله
رب العالمين (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل
صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فسار يريد ما هيا الله تعالى له من
مكان وما خوله من تلك الأوطان وشيعه فى ذلك الطريق الأمن والأمان وحفه فيه
الأنس والتهان ووصل إليها قبل غروب الشمس بأكل فرح وأنس وطيب قلب ونفس ،
فدخل تلك البلد فإذا دهام قد ولى منها وشرذ ، وذلك أن دهام بن دواس لما حاق به
من ربه الباس وقرب أن يسقى كؤوس الأحزان ويلقى المذلة والهوان وتكون الدائرة عليه
لأهل الإيمان جمع كافة ماله من أعوان وما أراده من الشان فكل بقى متحسرا حيران
يعض أنامله ندمان ، فخرج هو وأولاده وأعوانه وغالب أهل البلد شأنهم شأنه ولم يبق فى
البلاد إلا القليل مخافة من فعلهم الويل وقصدوا جميعا الدم ونوى سكنائها وعزم
وجدت فى الطريق ومن معه ومات نحو أربع مائة من الخلق ممن تبعه لأن جلاءهم كان فى
القيظ فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ فصارتهم لواعج القیظ وجمرته
وحرقتهم عواصفه وحدته . هذا والمسلمون قد جدوا فى أثرهم المسير ينقذون بالماء كل
ضعيف وفقير ويقتلون كل شيطان مرید وكل ذى بأس شديد حتى وصلوا إلى الدم
المعروفة وقطعوا تلك المفاوز المخوفة ونادى عبد العزيز فيها بالأمان إلامن كان مشهورا
بالسوء بإعلان ، فعند ذلك ظهر من كان محتفيا وبان ، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص
وصالح المشورى وبراك بن حميدان ومحمد بن سليمان ، ولم يقتل غيرهم إنسان ، وأرسل
عبد العزيز إلى أهلها الذين ناروا وخرجوا مع دهام وساروا يدعوهم إلى الرجوع
فلم يكن أحد عنه بمنوع إلا من تميز بالشر والفساد وتوغل فى طريق العناد وتسربل

بالبغي والإفساد ففأوا إليها وآبوا ، وقد ربحوا في ذلك وما خابوا وسكنوا بها فطابوا ، وكانت جميع تلك الأموال والنخيل ذوات الأغلال فيئا من الله ذى الجلال لكونها لم يوجف عليها بنخيل ولا ركاب ، فكانت لبيت المال من غير ارتياب وحسن تملكه لها وطاب ؛ وأقام بها عبد العزيز أياما ونصب فيها أميرا وإماما وكتب الشيخ لعبد العزيز في تلك الأيام رسالة أرسلها إليه فقدمت في الرياض عليه وقال فيها : أحب لك ما أحب لنفسى وقد أراك الله في عدوك ما لم تؤمل ، فالندى أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصرى كان إذا ابتدأ حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمتنا وأحسنمت معافاتنا ومن كل ماسألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

خاتمة

يحتاج لها كل طالب وتشوق إليها نفس كل راغب ويرتدع بها كل عدو محارب ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب ، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب وهي أن الله القادر الحكيم والآخذ الشديد الأليم أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين ويبذل جده في حرب ثلاثين من السنين والأعوام لا يكاد يهنا له طعام ولا تستغرق عيونه في دجى الظلام بل يذيد المنام إلا أنه أظهر الاستعانة وأبدى الاسكانة في ثلاث سنين للدخول مع المسلمين وأقام في بلده الأحكام والشعائر ولكنه يتربص بأهل الدين الدوائر فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام في توقيره وإكرامه وقعد وأظهر له في الإسلام الغبطة والرغبة وإن كان قد ملئ من بغضه قلبه ، وإذا رأى أحدا من جماعته مبديا التوحيد والديانة أخفى له الدلة والإهانة وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من السنين في عشرين والذي قتل من الفريقين في هذه المدة أربعة آلاف في الحساب والعدة ألف وسبعمائة من المسلمين نالوا الكرامة ، وألفان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة ، قال المصنف :

كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس
وأزال الصباح ديجور ليل طال ما ساعد الأسى في احتباس
فظلام الضلال والشرك ولى وضيء الرشاد والرشد راسي

وتجلت غياهب البغي لما
ورياح القبول والنصر هبت
ومنادى السرور أضحي ينادى
وليالى الهموم ولت سريعا
زانها الصبر فى اللقا فاستنارت
وطيور الافراح بالفتح غنت
حين أمّ الإمام بالفتح ساع
فاستزاد الإسلام حوزا وفوزا
ومضى الهم والعنا وتجلى
كم بدا من أبى سعود سعود
قد علت رتبة الشريعة لما
وسما منهج المحجة سكا
وتبدى الهدى فأضحى سنه
وأضاءت بذاك بلدان نجد
وأنت بعد ذا الفتوح وأضحى
فاستقرت قواعد الدين فيها
وأبى التوحيد يتلو جهارا
وبدا الدين وجهه مستنيرا
خلد الله فى النعيم إماما
وغدا معلنا بدعوة حق
أوضح السبل للأنام وأحيا
وجلا الوقر عن مسامع قوم
ساعده عصاة الحق حتى
عصبة لاتهاب هول المنايا
عزروا الدين بالقنا والقواضى
بذلوا للجهاد فيه نفوسا
كم تجلت لهم خطوب شمس

أذن الزيف والردى بانتكاس
فالأعادي قلوبهم فى ارتجاس
بالهنا والمنى بغير التباس
وتقضت بلا قنوط وياس
بضياء السعود من غير ياس
فوق أفنان غصنه المياس
مخبر عن جلا بنى دواس
وسرورا وعاد باستيناس
يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس
وفتوح ومفخر لأناس
شاد أركانها بأقوى أساس
واستبانت معالم فى اندراس
ساطع النور لامع النبراس
ومضوا بعده بغير احتراس
طالب الدين فى مزيد التماس
واستمرت سكانها فى اقتباس
سورة الفتح لانتصار الناس
حين ميّطت براقع الأدناس
أظهر الدين بعد طول ارتكاس
والورى فى مناهج الخناس
ميتا غيبوه فى الأرماس
والعمى عن بصائر فى انطماس
لبسوا للحروب أقوى لباس
كلهم فى اللقاء صعب المراس
وأزالوا عنه قنذا الأنجاس
روّضوها الموت بعد شماس
خلوها بكل لدن وقاس

أيد الله نصرهم وعلاهم ببقاء الإمام في إنساس
وأدام الإله نصر سعود ناصر الدين لابني العباس
وفيها وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد وتزايد أمره
وتفاقم وجل الخطب وتعاضم ، وكل يوم يموت من البشر ويدفن في تلك الحفر
مئات من الأنام وطال ذلك عليهم ليالي وأيام حتى فني أكثر أهل البصرة ومن والاها
من قرى الحجرة ويذكر أنه مات في ذلك الطاعون مائة الألوف من جميع البلدان
متفرقون . وفيها أرسل عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى زيد بن زامل رئيس الدم
بنبد العهد والأمان وليس هنا إلا الدخول في دائرة أهل الإسلام والإيمان ، فلم يثن إلى
ذلك الشأن منه عنان ولا التفت إليه محتالاً بما لديه وسعى في حشد الناس والأحزاب
لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه
ويعده على محيئه الأموال ويعنيه ويضعف أمر هذا الدين ويوهيه فلم يرعو إلى ذلك
المقال وقصده زيادة الشرط في المال والتوثق قبل الشروع في الحال .

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها أيضاً أرسل زيد بن زامل
إلى رئيس نجران يدعوهم إلى ذلك الشأن ، ويحثهم على القدوم في ذلك الزمان وتعجيله
قبل طوارق الحدثنان ، فلان إلى ذلك فؤاده لأن طلب المال هو اهو ومراده وغارت
لنيل المال عيونه وحارت في ذلك أوهامه وظنونه وصارت أنامل يده ينادى بها عثونه
فتأمل ساعة وفكر ثم أجمع عزمه ودبر وحرر مقصوده وقدر وحقق مطلوبه وقرر
فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبذول ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة الحصول
حتى يكون بعد ذلك الحصول وينجح السير والوصول وينجز السك المرام والرسول
فأرجع إليه بما راض جأشه عليه وأن ذلك يتمثل لديه فوقع بينهما المشاركة وانبرام
العقد والمرابطة ، وحصل التقرارر بعد المعاودة والمفاوضة على قريب من ثلاثين ألف
زر تعجل بها المقابضة وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يرسل إليه أرهان
حق يرسل إليه الذي استقر واستبان ، فأرسل إليه الرئيس رهنا من جماعته وأعيان
قومه وخاصة وعجل بهم له في ذلك العام رغبة في تعجيل الحطام وأداء ذلك الشرط
والالتزام ، فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام جد في تحصيل ذلك المال واستيفائه من
الرعية بالإذلال وأقاموا على ذلك ليالي وأياما لاتذوق عيونهم في الدجى مناما ويعانون
من ذلك جهدا وسقاما وضيقا وإلزاما ورتجون لهم مآبا (فذوقوا فلن يزيدكم إلا عذابا)

فلما نضّله ذلك المال أرسل به في الحال لقصد نبح المرام بقدم أولئك الطعام . وفيها نزل عريعر مع بنى خالد وعنزة على بريدة وأعمل فيها مكره وكيده وأقام بها بعض أيام وهو يحاول في أهلها بالخدعة والإبرام وتليين الجناح لهم في الكلام ، فجاشت إلى ذلك قلوبهم وحاطت بهم ذنوبهم فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج إليه والمواجهة حتى يكون الخطاب مشافهة فاغتر بذلك وظهر وسار إليه وابتدر ؛ فعند ذلك حجر عليه وأسر ، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها ولعل ذلك من شوم ، وكان ذلك على حين غفلة بلا تثبت ومهلة وبئس هذه الفعلة وما أقبحها من خصلة فجالت في البيوت أولئك الأعراب وكسروا لتلك الأبواب فلم يجد أهلها من ذلك مهرباً ولا ألوأ للنجاة مطلباً وشمّر راشد الدريبي لذلك إزاره وقصد في ساعته قصر الإمارة وكان قبل ذلك منه جالياً وذلك البلد منه خالياً وفر من يخاف من المسلمين على نفسه من المبطلين وتفرقوا في البلدان حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان ، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها ونهروا هاربين عنها وهم آل عليان على أنهم يقبلون عليه ويقيمون عنده أحسن الله قصده فأسرعوا إليه المجيء والإقدام وقابلهم بغاية الإكرام ورعا لهم تلك الذمام وأقاموا في نهاية الاحتشام وأقام عريعر في ذلك المكان بعض أيام وليال ، ثم شمّر في المسير والارتحال فسار منها وطمعن عنها ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير ، ولم يزل عنده في حكم الأسير حتى جاءه قضاء العظيم الكبير وحن أن يسقى ذلك الكأس المرير وينفذ فيه الإرادة والتقدير ويتجرع كأس الحمام بعد ذلك العز التام ، فنزل به في أرض الخابية السّم نحر من ذلك المقام السام وضمه ضيق اللحد وصاراً كلة للودود بعد ذلك القنا والقنابل ومسايرة الجيوش والجحافل ، وهذه سعة الله في جميع الخلوقات والعبيد ومفاجأة الحمام بغتة لدوى البأس العتيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يزيد الدم ، والسعد قد قارنه وألمّ ، فسار حتى قرب إليها وشارف المهجوم عليها فأناخ على حين غفلة من الناس وقد هجى أهل الأندية والأحراس ، فعبأ عند ذلك من الكمين ما أرادوهياً أهل العارة من أولئك الأجناد فلم تستقر الشمس طالعة حتى صارت خيول المسلمين إلى العارة نازعة فوافت كثير الأغنام فاستاقها على التمام وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة وكان استرداد تلك الأغنام قصده ، فناوشهم المسلمون القتال والكل قد بذلوا فيه طاقة الحال حتى ظهر

الكمين عليهم وبدأ فصاح بهم صائح الذل والردى ، فانكسروا ولكن بعد ما جهدوا وجدوا فانهمزموا مدبرين وما ألوا على الساقة وما ردوا ، وقتل المسلمون عشرة من رجالهم ودخلوا بلادهم بكسافة بالهم وتشتيت حالهم ، وقتل من المسلمين رجلان عوض بن ذيب وراشد بن مطيع ، ثم بعد ذلك ارتحل سعود ، فلما وصل إلى الحائر جهز سرية من المسلمين وأمر عدامة بن سويرة عليهم أجمعين وأمره أن يقصد الزلفى ويأخذ ما يجده هناك ويلقى ، فسار من ساعته ومن معه عدامة فوافاه ركب من أهل الزلفى أمامه فشن عليهم الغارة ولم ينبج أحد منهم بنيارة ولا أواه حين شمر فيه إزاره فكل منهم تجرع حمامه وكان الموت غايته ومرامه وكانوا نحو العشرين فقتلوا أجمعين . وفيها وفد أهل حرمة والمجوعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام فعاهدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام ، غير أنهم طلبوا منهم عدم المطالبة بالجهاد حتى يتوفر أهل تلك البلاد وكان مرادهم الإمهال سنتين ثم يشمرون بعد ذلك من غيرمين ، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة ساعدهم على الموافقة والطلبه ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة بعد ما أدرك كل مطلوبه . وفيها وفد محمد بن رشيد الهزاني وأعيان أهل الحريق يريدون الإسلام الذي هو أسهل طريق ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز سلك الله بهما مسلك التوفيق ، فبايعوا على الإسلام والتزموا القيام بجميع الأحكام ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم .

ثم دخت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج ، فجد المسير حتى إذا قارب الضيعة بعد المهجوع أناخ يهوى الجوع ويهوى أهل الغارة والكمين ، فلم ينبج الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام ، فعند ذلك شن الغارة على أهلها وأخذوا من الأغنام ، فخرج عند ذلك أهل البلاد وناوشوا المسلمين الجلاء حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا جميعا مدبرين ، وأقاموا في البلاد محتصرين ، وقد قتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلا ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا . ثم إن المسلمين أخذوا في قطع الأشجار والنخيل فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدى . ثم ارتحل عبد العزيز بالمسلمين ونزل بالدم ونوى حصار أهل زميقة وعزم ، فأقام عليها للحصار وأشرف أهلها على الدمار وخرب من نخلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم انصرف راجعا إلى بلاده بعد نيل مراده واستأذن الغزاة في إعطاء تلك الغنيمة آل عليان

فأجابوه بطيب لسان وجنان ، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال منهم فهد بن سلمان رحمهم الله تعالى . وفيها سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان ومحاصرتهم كافة في البلدان فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يقدر على عده حساب ولا تحصره الأبواب ، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطعام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها في الأفهام ، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصا سكان الفياقي والقفار فأقبلت معه وبعده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق عادية وجدوا لأهل التهيئة سيرا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) ومساعدته في ذلك الأمر والشان كل رئيس وحاكم شيطان من أهل نجد وغيرهم من الحضرة والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه المضئ في الديجور جميع أهل المعاصي والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال ولا يحصره لسان المقال ، وبارزوا في ذلك الكبير المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال ، فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال ، وأرسل له بطين بن عريعر من النقود ماناف عنده على المقصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص وأظهر له من أحوال الطعام من الحسا وأشخص ، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من الزاد فزال عنه الجوع والهم والأسى ، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد وهو مقيم على الحائر من تلك البلاد وكل يوم يجري بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتلوا منه في تلك المدة قريبا من أربعين رجلا في العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة وزعر من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن من قصده خسر وخاب وما أطمعهم في المحييء معه والاقدام إلا ما صدر عنه قبل ذلك العام وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمصرة وما انطوت عليه من الحكم والأسرار ما لا تحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعقة غسل فرجعوا بنخبة الأمل وظنوا أن المسلمين أكلة جزور فآبوا بالشبور والعثور ، وكان عبد العزيز حرسه الله تعالى في تلك المدة والإقامة قد أرهف حده واعتزاه وصقل حده واهتمامه في تجهيز الجيوش والأمداد في كل قرية وبلاد ، فأرسل إلى الرياض مددا فأقاموا بها أمدا وخرج سعود بلغه الله المقصود بالمسلمين فعمد إلى ضمما وأقام في نواحيها وغاراته تراوح الأعادي وتغاديا وتباغت البوادي العادية وتفاجيا ، فأغار هو وجنده المنصور على اليمين ذوى الكفر والفجور وكانوا بأرض العمره يسمعون

فيه وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه وبقوا أياما لا تسرح لهم سائمة ولا تبقى لهم عين نائمة وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة ، فلم يجد أميرها راشد الدريبي من الأسباب إلا بعثه إلى جذيع بكتاب يستعينه ويستنجده ، فلم يكن إلى ما يريد من يسعده فرجع منه الرسول بخيبة المأمول ؛ فلما جد به الحصار والضيق وضائق عليه مناهج التسديد والتوفيق لم يجد إلى سلامة عمره منهجا ولا طريق ، سوى أخذ الأمان على عمره وحق به شؤم غدره ومكره فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان وخروجه من تلك الأوطان فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان وبإعلان إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد فقتل من قوم الدريبي كل من عثر عليه ووجد ، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الحسين واستولوا على جميع ما فيها من الأموال وتآمر عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال ، وصارت تلك القضية وصدر هذه الموهبة السنية إنقاذاً لأهل القصيم وما فيها من البرية من غمرة الضلال الويبة الردية ، فأظهروا الإسلام ودانوا بجميع الأحكام ثم بعد مضي ذلك بأيام وليال وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم ، فتلقوا بأتم إقبال ، وقبول وفازوا بأعم مطلوب وسول ، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام ، وأقر عبد العزيز كل أمير بلد في بلده أميراً وزادهم حشمة وتوقيراً ، وأمر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن لا يعارضه منهم أحد فيما أراد وقصد ، واستمروا على حالة مرضية سنين ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتى ذكرها بعد حين . وفيها غزا محمد بن جمار مع جماعة من أهل الوشم فوافاهم بطين بن عريعر بأرض النبقية فقتل غالب أهل تلك السرية ونار باقيهم وسلم ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهدم ، وتضعضع أمره وحاله وتشتت عزمه وباله ، ونقم عليه لقبح أفعاله إخوانه ورجاله وأخذ سلطانه في الضعة والانحطاط وحق به أمر الله وأحاط . وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية ولا معاودة ولا أخذ أمان ولا مفاوضة ولا روية فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدمه ومفاجأته له وهجومه مع أناس من أعيان قومه فبايعوا على الإسلام فتراضت تلك النفوس التي نشأت في التكبر والإعظام وألفت في ذلك منهج آبائهم القدماء ، فدانوا بشريف تلك

الأحكام والتزموا بجميعها القيام وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح وعدة من الخيل المطهمة الملاح ، فلم يلقوا بذلك نجاحا ولا جناح ، ولا رأوا به حوبا ولا بأسا ولا رفعوا الإباء والامتناع راسا ، فأتوا سريعا بما طلب وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب وحقق عليهم وحسب فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب وأحضر لديه المقرر المكتوب أخذ منه جزاء الله خيرا بعضا وبعض تركه لهم رفضا مسامحة لقلوبهم وتطيبيا وتأليفا لأولئك الأشرار وترغيبا .

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف ، وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة ، وذلك أنه أتى ابن زامل في بلاده لما أراد الله كرامته واستشهاده ، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة ، فلم ينقد له ولا وافقه بل نفر عنه ولاطابقه ، وأنبه على ذلك الكلام وقال أنقذ في بلادى إلى الأحكام ، وينفذ على في الشرع النقض والإبرام ، وأنا رئيس من في هذه البلدة من الأثام ؟ فكيف أهان وأسام ويلوى عنق وأضام ؟ فجرد عليه صارما غير كهام ، وجرّعه كأس الحمام ، وارتدى برداء الغدر وتسربل بالحزى والذل والإهانة ، فلم يحصل له والله الحمد الإعانة ، بل مزقه الله تعالى وأعوانه ، وملك الله تعالى المسلمين ترائه ومكانه ، واستولوا على ساحته وأوطانه واحتوا على رعيته وحيطانه ، فسبحان من لا يعجزه شيء ولا يفوته حبي سبجانه ، فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك وظهر منه هذا المكر والهتك وباغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين ، أمر بغزو المسلمين عليه وإرسال الجند إليه ، فجد المسلمون في الوصول إليه ، فلم يلبث إلا قليلا حتى أحاطت به الجيوش في النزول ونزل بساحته الجحافل والخيول ، فلم يستقر بهم هناك القرار ، بل لم يقيموا بها شطرنهار حتى شمر للجلاء الساعد والإزار وحاق به ما اقترف من الآثام والأوزار ، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار ، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار ، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد فلم يغر منها على أحد ، بل أعطى أولئك الأمان إلا أصهار من تعدى وخان وماله من خاصة وأعوان ، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلال ، وأمر عليهم سليمان بن عفيصان واستمروا على ذلك شطر زمان وعليهم سيمة الإسلام والإيمان حتى أراد الله الرحيم الرحمن أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان ، وينخرطوا في سلك أهل الضلال والخذلان .

وفيها قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام وتجديدا لعهد الإسلام ، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب ، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب ، فقبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة ، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاءة ، فدثر حاله حينئذ وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه ، وكان هذا شأنه مع غيره طيب الله في ضريحه مهاده وفراشه ، فكان ذلك سببا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحقيقه بهذا الشأن ، فقام في هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين ، وأفر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف ، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف ، ومات والله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى ، فلم يوافه القضا إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى . وفيها وفد أهل اليمامة وأميرهم البجادي حسن ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز في ذلك الوطن جددوا للإسلام عهدا ، وأرسل معهم معلما في ذلك المبدأ وهو حمد العرينى ، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم ، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية ، ويدبرون فيها مظلم الأراء ويديرون أسباب التمرد والاجترار ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين ، حتى اجتمعوا عليه بيقين وتعاهدوا عليه مجتمعين وتجاهروا به غير محتفين ، فلما تحقق منهم ذلك حمد العرينى وابن داعج وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة ، وأنهم يبغيونهم بالقتل غدا أو بعده خرجا منهم هاربين وكانا للسلمية طالبيين ، ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر ، فأمر المسلمين فورا بالتجهز للغزو ، فخرج سعود بهم وظهر وجد السير إليهم ليلا ونهارا لا ينيخ إلا وقت الراحة اضطرارا أو جنوح الشمس اصفرارا ، حتى وصل إلى السلمية فألقى الرجال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال ، وأرسل إلى الدم والضبيعة ونعجان مرابطة كثيرة من أهل الإيمان خشية معالجة الردة والافتتان ، وبقى أياما كثيرة يكتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية ، ويحث حسن البجادي على إخراج أهل الشر من بلاده والأعدى الذين صدرت منهم تلك السعاية ، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكابة ، فوعده الامتثال والإخراج وليس دون ذلك من إرتاج ولا عن جلاهم من إفراج ولكن بعد ما ترحل عن هذه البلدة يعنى السلمية

وتحط الأثقال في الدرعية وكان هذا منه خديعة ومكرا وقد حاق به شؤم فعله قسرا، وما أغنى كيده ومانوى بل حطه في قعر الإذلال والحزى فتوى ، وذلك أن سعودا لما جاءه منه الوعود بأنه ينفي عن بلده الإمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه ولا تبينت له قبل صلاحية واستقامة وبعد ما تشرع في الارتحال تكون منا الطاعة والامتثال رضى بذلك منه وما جال في خلد ما صدر عنه ، وما شعر أن وراءه من الغدر نسيجه ، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة ، حينما ما أخذ سعود في الارتحال والمسير شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير ، فلم تنخ له في البطحاء الركاب وتحط الأثقال أولئك الأصحاب إلا والردة قد أحكت لها الأسباب وولج إليها من كل باب وأظلم أهلها مداهم العقوبة والعذاب . وحاصل ما صدر وتحقيق ما جرى وظهر أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه يريد من في السلمية من المسلمين ، وكانوا بذلك الأمر مشعرين ولقدومهم مستعدين وللقائهم متأهبين ؛ فلم ينور الصبح بالإسفار حتى هجم أولئك الأشرار وكان لهم إلى حبل النخل البدار ، وراموا أن يسابقوا المسلمين على القلعة المسورة ، فلم يكن والله الحمد لهم عليها مقدرة ، فبذل دونها أهل التوحيد المعذرة وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار ، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاصطبار ، وطال بينهم القتال والكل شعر الساعد والأذيال وأنف من المعرة والإذلال ، وبذل في ذلك جده وجهده وتبين فيه أهل البأس والنجدة وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده ، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين وصرف عنهم كيد المعتدين (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) فرجعوا على أعقابهم من حيث جاءوا وانقلبوا بالعار والحزى إلى مكانهم وفاءوا ، وقتل من المسلمين اثنان ورجع أعداؤهم بالهوان . وفيها صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس وزين في الارتداد منهاجه وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه ، وأقبل عليهم بخيله ورجله ركضا ، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضا ، وفتح لهم اللعين ذلك الباب وطرح بهم في مفازة الهلاك والعذاب وجمع عليهم من أنواع النل أسباب ، ثم نادى فيهم بالخراب والذهاب فقال : ليس لي إليكم رجوع ولا إياب ، فقد صارت عقباكم الندامة ، وليس لكم على ملامة . وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال وما وقع بهم من الإهانة والإذلال . أنهم لما حسنت لهم الردة وحقق كل منهم فيها قصده لم يجدوا قوما ورئيسا ، سوى قرين إبليس وهو زيد بن زامل ، وكان إذ ذاك عن الأمر غافلا وبماد بروه وراموه جاهل ، وليس

(٧ - تاريخ نجد - ثان)

للرياسة حينئذ بآمل ، فأرسلوا إليه بالقدوم فقد جاءك ما تريد وتروم ، فأسرع إلينا بالإياب فإلني أذاك بغير ارتياب ، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى ، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى ولا أقدم عليكم إلا إذا ولكن أرسل إليكم ابني وهو نائب فيكم عني ويقف على حقيقة الحال وما صار إليه المال ، فخرج ابنه يريد الدم ونوى ذلك وعزم ، فلم يرعهم حتى قدم عليهم وهجم ، فأرسلوا عند ذلك إلى آل مرة وكانوا قريبا منهم ليقضى الله فيهم أمره ، وأعلم بذلك أيضا أهل الخيامة فعجل كل منهم مجيئه وإقدامه واجتمعوا يريدون المسلمين الذين في البلاد وليس عندهم خبر بمن ناوأ وكاد بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد ووقع معهم في جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد ، فقتل من المسلمين نحو عشرة رجل ونادوا غالب المسلمين من غير إمهال ، وتفرقوا في بلدان المسلمين وبقى أهل الباطل في الدم مجتمعين ، ولما جاء زيد بن زاهر ذلك الخبر وتحقق من أهل بلده ماجرى وصدر أسرع إليهم بالمسير والارتحال وقدم عليهم بعد مضي أيام وإيال، وما تصور في ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال ، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر إلى إمام المسلمين متع الله تعالى به في تمكين جهاز إليهم سعوذا وأصحابه وعجله في المسير وأحزابه ، فجد السير حتى قدم إليهم هو ومن معه عليهم فأناخ في بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعية ، فأقام فيها نحو يومين حتى تجهز للارتحال ونهيا منها للجلاء والانتقال جميع أهل التوحيد بسكينة وتأيد ، ثم سار مرتحلا بعد مانال منها أملا ، وخرج معه من غير المرابطة حمائل كثيرة من أهل السلمية بجميع ما لهم من أهل وحيوان وأثاث من غير تلبث ولا ارتثاث ولا مبالاة بذلك الوطن ولا اكتراث ، بل هم لما عند الله محتسبون (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه جوده دوالي يريد الخرج وآل مرة الذين فيها ومن ساعد على تلك الردة ومقوتيها ، فجد حرسه الله في ذلك يريد جميع من هنالك ، وقد اجتمع في تلك الأراضي جميع من له في الردة ارتياض وعن له إلى بعثها انتهاض ، وقد ملأ تلك الفيافي الفجاج من له في الباطل والزيف انتهاج ، واحتسبوا في ذلك للقتال والمقاومة وتأهبوا للجلاد والمصادمة ، بل هم كل ساعة إليها في انتظار وليس لهم عنها بد ولا اضطبار ، فتقرب

إمام المسلمين إلى الله رب العالمين بالدعاء بالنصر على المبطلين ، وحثّ إليهم النجائب وأعمل في النص الركائب حتى قاربهم حين الهجود وكانوا عفاة رقاد ؛ فعند ذلك عبأ أهل الغارة والكمين حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين ، فلما انكشف غيب الدجى وزال وجدّ الضوء في الاشتعال ، وفرغ من سبحة الصبح شرع فيما كان فيه له السرور والنجح فأمر أهل الغارة وغاروا فربحوا في سعيهم وما باروا وبادروا إلى أمره وما حاروا ، فاستاقوا جميع الآبال وما كان لهم دونها إهمال ، فلما شعرت قبائل العرب والبادية أقبلت جميعها عليهم عادية ، فاختلطت الفرسان والأبطال وكان بينهم أعظم مجال ، وكان المسلمون قد وطئوهم في مضيق شعب من الشعاب ، فلما نهدت إليهم أولئك الأعراب وعاجلوهم بالفزع والانتداب ، فأمسكوا من الشعب المضيق ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق ، فرمى من المسلمين بعض الناس وكان سبيل الحصول الضرر والبأس فانكشف أهل الدين وجد في ساقتهم فرسان المبطلين ، وأخذوا يجاهدونهم ساقة والكل قد بذل فيه الطاقة ، واحتفى أهل الإسلام في ذلك المكان والمقام وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف وثبتوا لظعانهم في حالة الانكشاف ، غير أن المسلمين قتل منهم نحو الأربعين على سبيل الحدس والتخمين ، وفك أهل الباطل غالب الإبل ، واستاق المسلمون على عجل ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم . ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبا فعقروا فيها إبلا ثم رجع كل إلى أهله آتيا ، وقتل من المسلمين المشهورين عبد الله ابن حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير .

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود يريد الخرج ، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزوا للمسلمين ، فتأهبوا له في الاستعداد ونفر منهم كل جرى الفؤاد ومن مارس الحرب والجلاد ، فخرجوا إلى لقائه قبل غارته واعتدائه ، فتوافق الفريقان وتصادف الجمعان في أرض السهبا والكل منهم قد روض على الصبر قلبا ورام لعدوه استيلاء وسلبا ، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهباً ويفك نفسه مما أحاط به داهية وكربا ، فطال بينهم المجال واستحضر القتال والقتال وقتل من الكل رجال ، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال ورجع كل إلى بلاده ولم يحصل على نيل مراده . وفيها عثر على أهل سدير ومنيع بنسج أردية

الردة وبرود ، وسعاية في فتح بابها المرتج المسدود ، وتبين من أناس فيه قيام وقعود ،
وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسيج والتدير ، وحق له أن
ينشد على لسان التحذير :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فلما أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بمن قام فيها وقعد ، جهز عبد الله
ابن محمد في المسير إلى تلك البلد ، فسار في يومه ذلك ونهد ؛ فلما وصل عبد الله ومن
معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيع ، أمر على الحسيني ومحمد بن إبراهيم ومحمد
ابن عبد الله من أهل حرمة ومن أهل سدير صعب بن مهيدب رئيس الحوطة ومنصور
ابن حماد رئيس العودة وعياله بالجللاء عن ذلك الوطن الذي نوا به إيقاع الفتن ،
لكون تلك الأمور المستورة والأحوال المشهورة المزبورة جميعها منسوبة لهؤلاء
الجماعة المذكورة ، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية ، فلم تقم أولئك
الغزاة في الأوطان بل بادروا بالخروج إلى الخرج بإعلان ، فجده عبد الله بن محمد بمن
معه من المسلمين في ذلك المقصد ففاز بالمكان الأسعد ، وذلك أنه أصبح الدلم بالغارة
وأشعل فيهم ناره ، فقتل ستة رجال وعقر عليهم كثيرا من البقر والآبال . وفيها
نارت للردة في حزمة نائرة وأضرمت للحرب نائرة ، وذلك أن ذوى القلوب الشريرة
الفاصلة والأفئدة المغولة الحاكمة ، والنفوس التي هي للمسلمين في الحقيقة حاسدة ،
وللحق منكرة جاحدة حصل بينهم تواطؤ وتوافق وتساعد وتطابق على إشعال نار
الردى وإطفاء مصباح الهدى . فصارت منهم الأيمان والمعاهدة والحلف والمعاقدة
ورئيسهم في ذلك الغدر وناسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسيني ، فوطأ لقلوب
رءوسا سدير وهم سويد بن محمد وآل ماضي ومحمد بن عثمان على الغدر بأهل الإيمان
وأن أهل كل بلد تقتل من المسلمين من بها قام وقعد ، فأعطوه على ذلك ما أراد
وأطاعوا له بالمراد ، فلم يكن لهم والله الحمد عون ولا إسعاد ولا ظفروا برشاد وخابوا
وآبوا بسخط رب العباد ، فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز ويعاجلوا الفرصة بالانتهاز
أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين في الجمعة أن يأتوا إلى حرمة يعلمون ، فهنا متعلمون
ومستمعون ، وقد انتظم العقد والإبرام وأتقن مرادهم بالإحكام على قتل أولئك الأقوام ،

ولكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللثام ، فلم يجيء أهل الدين والاسلام ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام ، فجاء أهل الدين والاسلام إلى حرمة وهم محمد بن شبانة ومحمد بن عثمان الثميري وكنعان بن عيسى وغيرهم ، فلما كان لهم المجيء والإقدام أرسل جويسر ومن معه من الأقوام إلى أميرهم عثمان بن عبد الله ، وكان في نخل له يعلمونه بقدوم تلك الجماعة ويودون تعجيله وإسراعه ، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة المجيء والإقبال منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان فتكفلوا لهم بذلك الشأن ؛ فلما قدم يريد البلاد وكان أولئك له في طريقه بمرصاد ، وقتله في تأهب واستعداد . قاموا عليه فقتلوه ونال جويسر وقومه منهم ما أملوه ، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه ، وشمروا إلى الجمعة الأذيال وخرجوا يريدونها بلا إمهال ، وغايتهم قتل من بها من المسلمين وإمساك قاعتها للتحصن والتحصين ، فلم يصلوا إلى فنائها بالأقدام حتى كان لأهل الدين ممن في البلد إلى القلعة سرعة وإقدام ، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول ، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول ، فرجعوا منها بخيبة السؤل . وأرسل أهل الجمعة بعد انقضاء القضية إلى عبد العزيز رسولا على مطية يخبره بما صار ، فعجل إليه التسيار حتى وصل إليه الخبر عن الواقعة ثانی نهار ، فأمر سعودا والمسلمين بالتجهز مجتمعين فجد سعود لنيل المقصود وبادر في الأهبة في الحال وخرج على غاية الاستعجال ، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرمة مناخه ومراحه ، فطنب على تلك الهضاب رفيع تلك الخيام والقباب ، وبقي عليها أياما مقيا وكل يوم ينالون من القتال أمرا عظيما . لا ينفكون عنه ليلا ولا نهارا ، والكل يبدي على ذلك الجلد والاصطبار ، وقتل بينهم من الرجال ذوو عدد في تلك المصابرة والأمد ، فلما جهد الحصار أهل البلاد وأضناهم القتال والجلاد وتحققوا أن سعودا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود ، وأيسوا من باطل الوسوس والآمال وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال . طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال وأبدوا له الندم والأسف والإذلال : فأسقط عنهم النكال ، وتلقاهم بالقبول وكان لهم إلى مرامهم وصول ، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار وهو جويسر الحسيني فأسرعوا في البدار فبايعوه على الإسلام والتزموا له جميع الأحكام ، وأمر عليهم ناصر ابن إبراهيم وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه ، ثم لما عزم سعود على السير

والإقبال عزل رئيس الجمعة ، فأمره وأهله بالارتحال لمأصار منه من تلك الأفعال ، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويد بن محمد عنها فأمره وأهله بالانتقال منها ، وأمر في الجمعة عثمان بن عثمان وفي جلاجل ضويحي بن سويد ، وسار رئيس الجمعة إلى القصب وأقام فيها وقصد سويد شقرا ، ورجع سعود بمن معه من المسلمين ، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالحجى ، إلى الدرعية ، فكانت لهم سكن والكل ثوى فيها حتى مات فظمن . وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدم ، ففضى الله تعالى وحكم أن أهل الخرج يوافقونهم قيل الإراكة ، فلم يسع المسلمين الانصراف والانفراكة بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه ، فجالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شهبى وأصيب من الخرج عدة رجال ورجع المسلمون بعد ذلك الحال .

ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى يريد الدم وقد صمم على حصارها وعزم ، فجد السير إليها حتى أناخ عليها وكان وقت لذة الكرى فما أبصره أحد ولا درى . فتوهل بعض الحال ونال منها المراد والأمل وبقي ينتظر الصباح حتى يحصل له من مراده النجاح ؛ فلما أسفر ضوءه ولاح وفرغ من صلاة الإصباح نهده إلى الحرب وأشعل جمرة الطعن والضرب وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلل وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل ، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين (وأملى لهم إن كيدى متين) فجدوا إلى تحصيل المطلوب وإدراك المنى والمرغوب ، ولم يحيطوا علما بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب ، فأرجف أهل البلاد وأيسوا من أنفسهم فى مصابرة الجلال وطمع أهل الإسلام فى الفتح لما عاينوا من علامات النصر والنجاح ، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين والتقوا معهم فى تلك الحلل فكسرههم الله تعالى وهزمهم على عجل فولوا سراعا على غير مهل فعند ذلك داخل أهلها النذل والخلل وملاً قلوبهم الرعب والوجل حتى إن بعض أهل تلك الأوطان طلب لنفسه الأمان ولكن أمر الله غالب ولا يفوته سبحانه هارب ، وكان من قضاء الله تعالى المقدر وحكمه النافذ المراد المدير أن زيد بن زامل كان ذلك اليوم فى الليامة عند أولئك القوم ، فلما سمعوا الرمى فى تلك البلاد فزع هو ومن فيها من العباد ونهدهوا إلى ذلك سريعا وأقبلوا جميعا وكان

غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محيطين وبحلهم محقين وعلى أخذهم مشرفين ، فانصب زيد ومن معه على محطة الجيش المجتمة من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استصبار ، بل قضاء الملك القهار وقدر ميسر من الأقدار وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغظ والأصوات وعاليها المقاتلة والرماة ورام أن يدخل البلد من الباب يظن أن ليس هنالك أحد ، فإذا الجيش بجذائه نازل بقربه وفنائه ، ولم يشعروا إلا بالجلبة والسياح وتشريع أسنة الرماح وإطلاق أعنة الجياد الملاح ، فاندعر الجيش وطاش واندعش حيرة وارتعاش ، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الخمسين وقتل حينئذ بعض المسلمين ، ثم اجتمع المسلمون وتراجعوا سريعا وتلاحت مقاتلتهم جميعا وقربوا إلى البلاد كافة وخرج أهلها للقتال بعد الدلة والخافة ، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال وقتل بينهم رجال ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال ، وسار عبدالعزيز حرسه الله تعالى ومن معه من المسلمين فأناخوا على نعبان أجمعين ، وبقوا أياما لها محاصرين حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها بعض الحبل فأخذوها وفر أهلها على عجل وقتل فيها رجال وفاز المسلمون بكثير أموال ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم ، وقتل من جميع أهل الحرج فيها قريب من ذلك . وفيها نزل سعدون بن عريعر الحرج وأرسل لعبدالعزیز يطالب الصحبة فوافقه على ذلك وشرط عليه أن لا يقرب البلد إن قصده مكر وخديعة يزين لأهل البلد الردة ، ثم بعد ذلك نزل مبايض فبان قصده فنبذ إليه عبدالعزیز عهده ، فأقام مدة ثم خاف من المسلمين فارتحل في القبيظ وتوعر في مضمة الدهنا والصنان وتوسط فيها ذلك الزمان فناله وقومه أعظم النصب وتعبوا أشد التعب ومات ما عندهم من الأغنام وكابدوا طلائع الحمام وأوهن الله تعالى كيده ومارام .

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عزم أهل حرمة على الردة ونووا وخاعوا ملابس الدين وطووا ، ونشروا للخيانة والردى عما وسعوا إليها أمما وهيئوا لأسبابها وفتح بابها أمرا محكما وعقدوا رصينا في زعمهم الفاسد مبرما وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون رئيس بني خالد بما دبروه فكان على ذلك الشأن واجد وعلى القيام فيه والنصرة له يجد مساعد ، فاستدعوا أيضا أهل الزلفي فكان كل منهم على ذلك مستلنى ولإنجازه كل حين منتظر مشفى ، فلما لباهم أولئك الأقوام وأجابوهم على

المساعدة في ذلك المرام ، وأوعدهم على يوم من الأيام ينفذ فيه ذلك الإبرام ، ويصدر فيه العقد والأحكام وتراق فيه دماء ذوى الدين والإسلام ؛ فلما قرب سعدون من البلاد وتحققوا إنجاز المراد وعرفوا أنه يصبحهم غدا عمدا أهل الباطل والردى فألبسوا أناسا منهم ثياب النساء الغوانى ، وأمرهم أن يسيروا إلى الجمعة من غير توائى ، ويصعدوا إلى بروج القلعة حتى يدهموا المسلمين في البلد ثم تكون لهم فيها منعة فلما بادروا إلى ذلك الأمر وعجلوا لنيل ذلك القصر وصعدوا إلى تلك البروج فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم المجبىء ، والخروج ، فتنبه أهل الدين لسكيد المعتدين فسددهم الله تعالى وأعانهم وخسذل تلك الطائفة وأهانهم فلم يظفروا بمرام ونقض الله تعالى حبل ذلك الإبرام ، وأقبل سعدون بن عريعر وبنو خاله وأهل الزلفى وأهل حرمة فأنأخوا على الجمعة أياما وحاصروها وراموا بها من الفتك مراما ، وكان تلك الأيام حسن بن مشارى مقيا في جلاجل مع جماعة من المسلمين ، فلما حاصر أهل الجمعة أحزاب الباطلين نهده هو ومن معه إلى الجمعة ليلا فكانوا لأهلها مددا ونالوا بهم نيلا وأقامت أولئك القبائل والأحزاب في حصار للبلد وإضرار وخراب وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار إذا شاهدوا هذا الإضرار ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار ، فثبت الله تعالى المسلمين وأوهن كيد المعتدين وكان أعظم من امتحن في ذلك الأمر قبل وبعد فبذل في ذلك غاية الصبر والجهد ، وأوذى فيه وابتلى وصدر عنه في القيام ذلك الأمر الجلى أحمد التويجرى رحمه الله تعالى ؛ ولما وصل عبد العزيز الخبر عن ذلك الحال وما دبره أهل الباطل والضلال وما اجتمعوا عليه من الردى أمر بالنفير والمسير على ذوى الهدى ، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طابة وأمر عليهم عبد الله بن محمد فأسرع إلى ذلك الأمر وأنجد ؛ فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب أن المسلمين في قدوم وإياب وليس لهم غيركم طلاب ، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال ، وشمروا في الرجعة والانقلاب ولم يظفروا مما راموا بحسن مآب ؛ فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة وكانوا إذ ذاك نائمين ، فعبا الجيش والسكين ، فلم يسفر بضوئه الفجر وتقض صلاته ذات القدر حتى أخذ كل حزب مكانه وثبت على القتال جنانه ؛ فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد وما حاط بهم من الهلاك والهلم والأنكاد

انذرت قلوب ذوى الشر والفساد وارتعش منهم اللب والفؤاد وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) فأحاطوا بهم من كل ناحية وجزموا عند ذلك بنزول الداهية ، فأقام المسلمون لها محاصرين ولفتحها آمليين ، كل يوم ينهدون إلى القتال والقتل ويجدون في تقطيع الأشجار والنخل ، فقطعوا نخل المويس جملة ولم يكن قطع غير غير أناة ولا مهلة ، فأيس من الأعمار من في البلد من الأشرار ونزل بهم الجهد والحصار وأزعجهم ذلك التخريب والدمار ، وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار ووقع بينهم الجلاذ والجلد والاصطبار ، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية وآثروا الباقية على الفانية ، وقتل من الأشرار من منيته دانية وهم عشرة رجال كل بالغ حده في الشر والضلال منهم مدالج المعى ومحمد بن إبراهيم ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبد الله بن محمد رجالا من المسلمين وخيلا في الجمعة حتى ينال أهلها بذلك عزا وتحصنا ومنفعة وليضيقوا على أهل حرمة المعاش فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش . وفيها في شهر رجب غزا عبد العزيز يريد السلمية فلما قاربها شعر به من بها من البرية ، وانصرف راجعا بعد ما كان بها طامعا ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة لأمر اقتضاه رأيه واختاره ونهد من ساعته في ذلك الطريق لإرادة الله له بالتوفيق ، فجد السير والمسير يريد فرقانا في أرض عروى نجد من مطير ، فصباحتهم فرسان المسلمين والإسلام واستقبلتهم مقاتلة أولئك الأقوام وحمل بينهم الطعان وثبت الله أهل الإيمان ، فشدوا عليهم وصمموا الحملة إليهم فولوا هاربين وأخذوا تلك الأسلاب أجمعين وحزوا من الآبال فوق المراد والآمال ، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال منهم عدامة بن سويرى . وفيها غزا سعود أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى ، فسار بالمسلمين يريد حرمة ويرجو الله أن ينزل به البأس والنقمة فجد السير إليها ليلا ونهارا فلم يجد دونها قرارا حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة بساحة تلك الطوائف المكسورة ، وأقام أياما عليها كل يوم ينهد للقتال إليها ويقع بينهم جلاذ وقتال وتقتل بينهم رجال في كل جولة ومجال ، فصابرهم على ذلك أياما وليال وهم في غاية من الذل والإذلال ، واستولى المسلمون على النخل وحملها فأيس أهل البلد من رجائها وأملها وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام واحتنك عليهم قضاء ذلك المقام وحق بهم قضاء الملك العلام

وتحققوا أن البلديدخل عليها من أقطارها، وقد ذل جميع حمايتها وأنصارها، فلم يجدوا منها من يجتهد ولا عوناً يرتقبونه ويرتجونه سوى النزول على الإسلام وحقق دماء أولئك الأقوام وإزالة ما يخشى على أهل الدين ويحذر، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر فنزلوا وعاهدوا واشتروا من سعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا، فأمر بهدم جميع القصور وإزالة ما فيها من الدور وبجلاء آل مدلج كافة فطاروا إلى البلد من الخافة، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال متندمين، (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) .

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى نصراً وتمكيناً، فحث الأعوجية والجياد وقصده الزلفي لأجل ما جرى منهم من الفساد، فشمروا إليهم المسير وفاجأهم قبله النذير فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد إلا وهم في غاية من الأهبة والاستعداد، فشمروا الإزار والذيل، للخروج إلى لقاء غارة الخيل، فانهزوا لذلك وانتدبوا وأسرعوا إلى مطاعتها وطلبوا فالتحمت الفرسان واستمر بينهم الطعام وقتل بينهم رجال في ذلك المعرك والمجال ثم وقع منهم الانفصال، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعون . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد الله بن محمد، فسار بالمسلمين إلى الزلفي وقصد فأعجل الركائب في نيل ما هو طالب فلم يصل لذلك المحل حتى سبقه النذير على عجل، فكانوا متأهبين للقدوم، وكل يوم ينتظرون الهجوم، فلما أغار على تلك البلاد لم يحصل له منها مراد فانصرف عبد الله راجعاً، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض ورجع أهل سدير وأهل الوشم يريدون بلدانهم وإذا سعدون بن عريعر مع جموع بني خالد لهم مواف معارض، فألبقت عليهم تلك الجيوش والجموع ولم يكن أحد منهم مسلماً ممنوع، فخالوا على جميع ذلك الجيش وسلم الله تعالى من له بقية من العيش، وثارت خيول المسلمين وولى الباقي فرسان المبطلين، وقتل من المسلمين نحو من الثلاثين منهم حسين ابن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا، وفي ذلك اليوم أغارت خيل لبني خالد على فريق من المسلمين سبعان فاذا عندهم أناس من أهل ضرما منصورفون من غزو عبد الله ركائب وفرسان، فحين غارت خيول بني خالد خرج إليهم كل شهم شجاع مجالداً خالدوهم ساعة وزماناً وأسروا منهم فرساناً منهم سعدون ابن خالد وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر أضحى لغالبها ناقد . وفيها سار سعود بالمسلمين

يريد الحوطة فجذ السير إلى تلك البلاد وأعمل في ذلك غاية الاجتهاد ، فأناخ وسط الليل حولها ولم يشعروا بذلك أهلها فرتب أصحاب الكمين وأهل الجيش أجمعين ، فلم يضيء الفجر بإسفار ويخرج أهل الحاجة للانتشار إلا والغارة غادية وغرر الجياد عليهم بادية والأصوات عالية بعدما كانت هادئة ، فأسرع الخروج أولئك الأقوام وكان لهم إلى اللقاء إقدام ، فطال بينهم المجاورة والاتحام وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام ، وقتل من أهل البلد في ذلك المجال خمسة عشر من الرجال ، وقتل من المسلمين بطى المطيرى ، ورجع المسلمون إلى بلادهم .

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود بلغة الله تعالى المنى والمقصود ، فحث على السير جياده وركابه ، وكانت الدم مراده وطلابه ، فتوغل في تلك الأراضى وقد هدأت بلذة الإغماض ، فعند ذلك قام في أداء أكيد الافتراض من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض ، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة حتى أشعل الفجر مصباحه ، وركض الصبح على الدجى وبدره بعموده وجفا ، فعند ذلك أذن للكتوبة وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه ؛ فلما فرغ من صلاته نهدي إلى تعبئته وأخذ الكمين مكانه وحرص على الصبر جماعته وإخوانه ؛ فلما أخذت الشمس في الإسفار كان له إلى الغارة البدار وقبض جميع من في الدم من المقاتلة وراموا الجلال والمقابلة ، فأورث فيهم أهل التوحيد والإيمان مشعل النيران وأرووا من نحورهم أسنان المران ، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم ورعبت كلاتهم وأنصارهم ، فولوا عند ذلك الأدبار ، ولم يكن لهم على ذلك الهول اضطبار ، وانهزموا على أعقابهم مدبرين وبرحوا في بلدهم متحصنين . وأقام المسلمون أياما في قتالهم وحصارهم مجتهدين في حربهم ودمارهم كل يوم يصاحبون قطع نخيلهم وأشجارهم ، فقطعوا خضر بن عشبان في ذلك الزمان فعرتهم الذلة والهوان وعلتهم هموم وأحزان وقتل منهم في ذلك الوقت والأمدرجال من غير حصر وعدد ، ثم إن سعودا حرسه الله تعالى نوى بناء قصر في ذلك المكان ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان من يضيق على أهل تلك الأوطان ، وصمم على ذلك الرأى والبنا ، فقال بذلك الرفعة والثنا ، وقد كان بذلك الرأى والده مشير ، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير ، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال ، فكان وقته الحمد سببا لهدم بدع النغى والزيف

والضلال ؛ فلما فرغ من بنائه وإتمامه وقضى من تشييده وإحكامه ، وضع فيه من الأبطال عدّة ، وجعل فيه خيلا ومن آلة الحرب عدة ، وكان جميع من فيه ذوى بأس في اللقاء والشدة ، وصبر عند الإقدام ونجدة ، وأمر عليهم محمد بن غشيان وكان ذا شجاعة وحدة ثم انصرف سعود راجعا وفي يده راغبا طامعا . وفيها غارت من المسلمين خيل من قصر البدع فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة ، فجالوا معهم ساعة فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادي وجرت عوه حمامه . وفيها ارتد جديع بن هذال بعد ما دعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال ، فولى هاربا وفي الضلال راغبا وانتهجه طالبا فأراد الله أن يوافقه مطير في ذلك السير فناوخه أولئك العربان ، وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهم فباءوا بالخسران . وفيها حزب أهل البغي والعدوان وذوو التعدي والطغيان على قصر البدع الذي فيه ابن غشيان ، وذلك أن هذا القصر لما أسس وبني واهتم بأمره واعتنى ، واختير من الرجال حماة وفرسانه والمرابطون فيه وسكانه ، فكانوا أولى بأس شديد وإقدام ليس في اللقاء عليه مزيد ، ومصابرة في الطعان والإقدام وعدم الخوف من الحمام ، ولم يتبين من أحد منهم في اللقاء إحجام ، وكانوا في غالب الأيالي والأيام يعدون على أهل الخرج وينالون منهم المرام ، ويقعدون لهم المراسد ويأخذون كل قادم وقاصد من الأقارب فضلا عن الأبعد ويقتلون كل صادر ووارد ، واستمر عليهم ذلك الحال وتجرعوا منهم غصص الوبال ، وأقاموا في أكسف بال لا يطعمون لذة المنام في دياجى الظلام ، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد والحرب توقد عليهم غاية الاتقاد ، فلما سقمت منهم الأجسام وضاق عليهم في بلادهم المقام وحالت وجوههم ذلك الزمان ، وتغيرت منهم الألوان وضوت منهم الأبدان ، وعميت عليهم مناهج الحيل وسدت عليهم مناهج جميع السبل ، ولم يلقوا في إزالة ذلك القصر سبب استعانوا في ذلك بأفكار العجم والعرب ، حتى جاءهم شخص من تلك النواحي ممن تسمى بالمعرفة وانتسب ، فشكوا له حالهم ومصائبهم وما نزل بساحتهم وأصابهم ، فقال : ثكلتكم الأمهات وعدمتم الترفهات معشر الحقى والسفاهات وأرباب الجهل والترهات ، لم تترك النساء للحروب ومكاثفات الخطوب وإنما ولدتنم للغنى والهوى والبطالة ، فاستم مساعير الحرب ولا رجاله ، أغرتكم من هذا القصر أحزان حتى ذهب منكم اللب والجنان ، أغشيتكم منه الدلة والهوان وتشبهتم بالعوانى ذوات الأخدان وتلفعتم بمروط النسوان ؟

فقالوا سبحان الله يا أخا العربان : كيف ينطق بالتأنيب منك لسان وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهذيان ونحن الكفاة الشجعان ؟ ولكن قدالتقت حلقتا البطان واحتنكت علينا الأوطان ، فعسى أن يكون للراحة منك يدان . فقال :

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج
وتبصرة وهمة تلقى العدا في رهج إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج
أبدى من العز لكم خفرا رفيع الدرج ففكرتى منقادة وقادة كالسرج
فقد تولى عنكم غيب خطب مزعج وجاكم مرادكم فأصبحوا في بهج

فقالوا دعنا هذه الغميمة واتركنا وهذه الجمجمة ، فبين لنا بالإفصاح حتى نفوز بالأرباح فقال آتوني بأقوى الأخشاب حتى أصنع لكم ما بقى من الرصاص من الأبواب ، وأجعلها مثل الصندوق وأعلاه مطبوق ، والرجال فيه مداريع وبأيديهم المفاتيح والمصاريع ، ويحمل ذلك الصندوق على عجل وأهله فيه قعود على مهل ويدفعونه أولئك القعود فيسير بالذرائج غير مردود ، فإذا وصل إلى السور يفتح ويحصل المراد وينجح فيهدم السور وينقض ويوهى أسامه وينفض ، وترمى أحجاره وتقتل بعد ذلك أنصاره وتدخل فيه الأجناد ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد ، فلما أخبرهم بهذه الحيلة وفاه ، أقبل منهم كل يقبل فاه ، وقالوا (إنك اليوم لدينا مكين) فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين ، فقال : ذلك بعد ما يتم المراد ويحصل لكم الإسعاد ، فاجلوا إلى بالأخشاب والأعواد ، فأسرعوا في الاستعداد وأتوه بما طلب وأراد ، وشرعت الصنائع تصنع في الحديد وأقاموا على ذلك أياما بلا تعديد وهم في تعب شديد حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان وأبرز كيده من غير توان وقعد فيه أناس متدرعون عتاة مردة وأخذوا يدفعونه ويعطى مقوده وهيئوه إلى السور ومرصده ، فلما توسط في الطريق عند القصر ومشهده أبى إلا الوقوف ، وكأنه عن المسير مصروف ، فعجل الله لكثير من فيه الختوف وحاولوا في ذلك أعظم حيلة ، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة وقالوا قد زال الفرع وجاء الترح إن بقى هذا العجل في هذا المكان والمحل هبط من في القصر ونزل فقادوه علينا وأوصلوه إلينا ، فكنا كمن ألقى نفسه في الهلاك ووضع لإتلافها حبائل وأشراك ، وكان القوم الذين فيه لا يقدررون على رده ومن جاء من الأحزاب قتل قبل أن يصل إلى حده ، فخاروا وخاروا وخسروا وباروا ويوم تعدوا وجاروا ، وبقوا

ساعة وزمانا يعانون هما وأحزاناً . وقد تسربلوا بلباس الإحجام وأبت أن تسير إلى رده الأقدام حتى جرى بينهم عتاب وملام وتنادب وبكاء بدموع سجام، فانتدب له رجال وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال ، ثم بعد ذلك شهبوا عليه النار وقالوا لا تستطيع تشاهده منا الأبصار ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود وقد تعاهدوا على ذلك بالآيمان والعقود ، فوصلوا إليه بالحامل والكل للصعود آمل ، فشرعوا في الرقي والصعود ، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود ، وبذلوا جد الاجتهاد فلم يشفقوا بمراد ورجعوا وقد قتل منهم خمسة وعشرون وباءوا بالخزي والهون ، ثم لما أعياهم ذلك القصر وعناهم ونكد عليهم معاشهم ودنياهم وطاروا في أقصاهم وأذناهم ولم يحصل لهم فيه مناهم حدد منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر في تلك البلاد وطلبوا منه المساعدة والإسعاد ، فأجابهم إلى ذلك المراد فتواعدوا على الخروج معه ، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه ونزل على البدع مع تلك العربان ، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان وهم أهل الحريق واليامة والحوطة وأهل الخرج فاجتمعوا على سعدون وهم لهدم ذلك القصر راثمون ومع سعدون المدافع ، فاشتعلت بينهم نار الحرب والكل دون عمره يدافع ، وبقوا يرمون بالمدافع السور ، فلم يقع فيه من الرمي محذور وكان عن الهدم موقى محذور ، حتى تبين لهم الباس وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدررون ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون وقالوا هذا لا يكون فبعدك يقع علينا عذاب الهون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اختاروا منه جافية تسلكون فاستم بعد ذلك تلامون ، فظعن وارتحل ، وكل قصدماله من محل وتفرقت والله الحمد تلك الدول ، وبقى سعدون يدافعه مهتما وعلى إتيانه بها نادما مغتما ، لا يدري كيف يفعل ويصنع وهو إلى الهروب قد أسرع وعلى الانهزام قد عزم وأزمع ، فهو يجد فيه ويربع فاقتضى رأيه الشنيع أن يتركها في اليامة على سبيل التوديع ، فسار وتركها في اليامة ، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة . وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين فسار يريد اليامة ، وأرسل عيونهم أمامه وطلأته قدامه ، حتى أناخ عند البلد وسط الليل وكان له على تعبئة جيشه ميل فرتب الكمين ، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين أغار الجيش على البلاد ،

فخرج أهل الجلال وتطاعنوا قليلا وصبر أهل الدين صبرا جميلا حتى ظهر كمين الموحدين ،
فأسرع أهل الباطل مولين وعلى أعقابهم منهزمين وقتل من أهل البلد دون العشرين
منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجاري ، ثم بعد ذلك انصرف عبد الله بن محمد ومن
معه من المسلمين فأغاروا على الحريق فألفاهم يحشون مجتمعين ، وكان لهم جماعة معهم
مجنين فناوشوا القتال ثم انهزموا بانجفال وقتل منهم عشرون من الرجال ورجع
أهل الإسلام بأحسن حال . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى عزاء وتمكين ،
يريد أسلافا مجتمعة من قبائل العربان من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء مبايض
في ذلك الزمان ، فانتضى سنان الهمة والعزم ، وجرد صارم الجد والحزم إلى ذلك الأمر
والشأن حتى وصل إليهم بعد آن ، فشنت عليهم الغارة الفرسان ، وكانوا على أهبة واستعداد
للقاء الشجعان ، فجال معهم المسلمون وهم على العزم والصبر ثابتون ولأنفسهم على الموت
موطنون ، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام في ذلك اليوم غاية ولا مرام
وانصرفوا عنهم بسلام ، وكان هذا أمرا من الملك العلام ليرى خواص الأنام ، ماخفي في
الغيب من الأسرار والحكم والأحكام ، فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تميم ، ثم أرسل
إلى مدد من أهل سدير فأقبلوا سراعا إليه وقدموا فورا عليه ، فظعن بعد ذلك وارتحل
وجد يريد تلك العربان الأول ، فأسرع النزول مع أولئك الدول ، فلم يعد إليهم بعد
ذلك اليوم إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم فحين رأوا أهل الإسلام
قادمين ، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء
والاستخفاف ، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف ، بل جزموا أنهم لهم غنيمة
وأنهم مهما شددوا عليهم شملوا للهزيمة ، فكان البلاء موكلا بالمنطق فصير الله عليهم ذلك
وحقق ، فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوهم ساعة ثم جدوا في الفرار لا يلوون ، فتولى
المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم ، وقد قتل منهم في ذلك الحال فوق
المائة من الرجال ، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال وجميع السلاح
والأغنام والآبال ، وكان دهام أبا ذراع ممن كان لروحه في ذلك الحين انتزاع .

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز
حرسه الله تعالى من كل مكروه وبلغه ما يرجوه بالمسلمين يريد الحوطة ، فحث السير
إليهم حتى قدم إليهم وكان وقت القدوم والإقدام حين عسعس الظلام ، واستقام غيب

الإسلام ؛ فلما أناخ وأقام لم يسرع إلى لذة الراحة والنام بل أخذ في التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وافترض ، بادر إلى القتال وانتهض ، فأغارت الفرسان على طارفة البلد ؛ فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد ، فالتقوا أهل الدين وكانوا من الصبر على يقين إلا أن الله تعالى ليس لأمره راد ولا يقاومه سبحانه أحد من العباد، فحين صمم المسلمون عليهم باروا وقصدوا البلد وثاروا ، وقتل منهم في ذلك الوقت والمجال خمسة عشر من الرجال ، وأقاموا في بلادهم في جهد وضيق لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق ، والمسلمون في تلك المدة قد بذل كل منهم في التخريب وقطع النخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل ثم كان للمسلمين إلى نعجان ميل فساروا إليها وأقاموا حوالها وقطعوا شيئاً من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين . وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم ، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبيء الوخيم وذلك أن كافة أهل القصيم إلا بريدة والرس والنومة لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والذلة ، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والذلة وأن يلبسوا ثياب الحزى والعار ويتدرعوا بمدارع أهل النار ويتجلوا بحلمية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) من شر من أراد بهم الفجور والإضرار ، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار فرجع آيباً بالحيلة والأوزار اجتمعوا على العذر بأهل الدين وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصاً المعلمين ، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم في ذلك الوقت والزمان يوم الجمعة في خفي مكان فتفاوضوا الأمر وأبرموه وشدوا عقده وأحكموه وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود وحققوا الوفاء بالعقود على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسلمين موجود ، في يوم معين عندهم معدود وزمن مؤجل معروف وقته مشهود ، فحين تم ذلك الأمر وانقضى انصرف كل إلى بلده ومضى ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبره ، إلا أنهم على ما يصدر عنهم في حالة يقين ورضى ، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك الحال والشأن حتى يقدم ومن معه من البدوان ، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المنى والرسول فبادره بإعطاء البشارة بعد ما علمه بالمأمول وأنه سريع الحصول ، فبادر إلى الأمر في الحال وآذن في جميع البوادي بالارتحال، فأقبل

بنو خالد كافة وعنزة وجدوا في السير والإقبال تعجيلا لذلك المرام الذي لم يحط به على بال ، وقد داخله من السرور والاستيناس ما لا يعرف حده ولا يقاس ، وقال الآن حان للزمان أن يفي فتنهز الفرصة ونشتفي وقد قرب أن يطلع لي بأفق نجد نجم العز والفخر والمجد وينتشر صوت صيتي في الأقطار فأكون حامل راية الشرف والافتخار فتخطط لهيبتي رقاب الملوكة فلا يروم أحد لمنهجي سلوك ، ولم يختلج في لبه أن شمس عزه قد آذنت للغروب بطلوك ، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك وأنه يرجع من حيث جاء معثورا مقروحا منهوك فسار بمن معه من الحماة والسكاة والأنصار يريد أهل تلك الديار حتى ينجز منهم مآدر وصار ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وحين قارب أن يلقي عصي السير والترحال ويحط عن الظهر الأثقال في أرض تلك البلدان أسرع أهل الشر والعدوان وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان ، فقتل أهل الخير إمامهم في الصلاة منصورا بالخيال يوم الجمعة وهو للصلاة مريد ، فقطعوا منه الوريد وقتل ثنيان أبا الخيل وقتل آل جناح رجلا من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رممق من الحياة ، وقتل آل شماس أميرهم على بن جوشان وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشان ومن لطف الله تعالى بأهل بريده وسلامتهم من الشيطان وكيديه ، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته أن سليمان الحجيلاني وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة وثبت ذلك عند حجيلان ؛ فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم فقتلوا ولم يدركوا مأملو ، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام وإظهار المبادرة في الامتثال والاعتزام من عندهم من معلمة الأحكام ومفهمة التوحيد الذي خلافت لأجله الأنام وهما عبد الله القاضي وناصر الشبلي وقالوا هؤلاء إليك قرية ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه ، وهم منا إليك هدية وليس في قتلهم علينا ولا عليك عار ولا رزر ولا خطية ولا مسبة عند الناس ولا رزية فجرد عليهم صارمه وبأسه وأسقى كلا من صرف الحمام كأسه ، فلبس من الخزي لباسه ، فقتلهم حين جاءوه صبرا فمال من مولاه حربا ووزرا وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرا ؛ فلما استقر في تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة مع تلك الجيوش وأسلاف الهائلة المنيعه لبس أهل الشر

والفساد وأهل الشقاق والنفاق والعناد من أهل تلك الأوطان والبلاد ملابس السرور والفرح ، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح ، وجاءت منهم جموع وأجناد وأنصار وأمداد . كيف لا وهم الذين قدحوا في ذلك الزناد وأوروا جمره الفتنة أعظم الإبراء والإيقاد . وأرووا شئى المواضى من تغور أولئك العباد (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ولما نزل بذلك الحبل عجل الله لأناس من جماعته الأجل ، فبادروا إلى بريدة في الإسراع وراموا ههنا حصول الأطماع ، فلم يؤب إليه منهم إلا الأقماع فدخله الرعب والارتياح حين أرسل إلى بريدة يريد الحياة . فأرسلوا إليه تلك الرؤوس وقالوا هذه ضيافته وحشيحة الإقامة والجلوس فتبسط غيظا وغضبا وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إربا إربا ويوقع فيهم من الفتك والهتك أمرا عجبا ، وشر إلى أهلها في المنازلة وكانت منه إليهم معاجلة ، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد . فضلا عن كونه يرجع عنها ولا يفيد . بل جزم أنها مفتوحة عن قريب وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب ، فآب أول يوم المنازلة بالحبيبة والحرمان والقتل والنل والهوان ، وقتل جماعة من قومه في ساعته تلك لا يومه ثم عاود الحملة يوما آخر على السور ، فرجع منقوصا وتور . وقتل من أولئك الحمر السود وكل من رام الهدم للسور والصعود ، وبقيت قتلاهم لانتقل ولا ترفع للدفن ولا تحمل بل بقي غالبهم ملقى مهمل . غير أنهم صاروا للماديات مأداة ، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة وصادرة وعائدة ؛ فبقى أياما حائرا متقدما ثم أجمع رأيهم وعزمه محققا مصمما أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحما ويلجها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحما ، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدما ، فهض إلى إنجاز ذلك العزم وإنفاذ تلك المهمة والحزم . وبادر على تودة من الصباح مقيمنا بالبكور في النجاح وحصول الأرباح كما يروى في الأحاديث غير الصحاح «بورك لأمتي في بكورها» وليس على راويه من جناح . فأقبل بكيد عظيم مهول ، يخق الألباب عند رؤيته الإزالة والذهول ، فصر أهل الدين وصاروا وحدا أهر الباطل وكابروا ، وراموا اقتحام البرج والسور . وهدم تلك الحصون والفصور . والهجوم على أهل تلك الدرر فثبت الله لأهل الحق القلوب ولم يكن أحد منهم مذعور ولا مرهوب ؛ فرجع الحمد مذعورا مرعوب مهزوما مغلوب وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئا وكانت له الذلة والمقتلة فيئا ؛ ثم بعد ما صدر منه ما صدر

وجرى منه ما تبين وظهر ، عض من الغيظ الأتمة ، حيث لم يرجع بما كان أمله ، وبقي على أفعاله السالفة وقضايه التي هي للشرع مخالفة ، متحسرا متأسفا متندما متحيرا متحسفا ؛ فتفاوض مع أولئك الرؤسا الذين هم لا يزالون عنده جلوسا . فيما يدفع عنه الهم والحزن والأسا واتفق الرأي السيد الجامع ، والأمر الذي هو المراد قطع ، وللعهد مذلة قانع ، وللمقاتلة مزعج رادع . أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع ويأني لها بحكم ومدافع . فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع ، وبصير لك معاند ومشاقق متابع ولحكك منقادا طائع ؛ فأجابهم أن هذا هو الرأي السيد وسينجز هذا قريبا غير بعيد ، فشرع في أسباب ما كان لهم به محجب وإنجاز ذلك الأمر الذي هو في زعمهم صائب مصيب ، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان من أنواع الصفر جملة ، وأنجزوا له في قريب مدة ومهلة فلم تمض من الأيام مدة حتى اتفق عنده من ذلك عدة وشرع في صباها الصانع فكان في إحكام هيئتها طامع وأقام يعالجها في إحكامها أياما فلم ينل من ذلك مراما ، بل حاز ذلة وخيبة وآثاما ، وأطال في ذلك الأمر مكثا ومقاما ، وكلما صباها أبت وكلما أفرغها في القالب خبت ، فلم يتم لها حال ولا استقامة ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه ، وعرف في باطنه إن لهذه شأننا وإن لم يفه بذلك لسان ، وكل يوم أو غالب الأيام يجري قتال وجلاد مع أولئك الأقوام وأهل الدين والهدى لم يبالوا بمقام أهل الردى بل هم كل يوم من الحزم في مزيد ومن البأس والنصرة في تجديد ومن الله تعالى في إعانة وتأييد ، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد ؛ وفي أثناء تلك الإقامة بني قصرا وأنجز إتمامه وجعل فيه عدة من الرجال وذوى البأس في المجال وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل فانتدب المسلمون إليه ليلا فنالوا من مرادهم نيلا ، وقد أعلمهم أهل الإسلام أنهم يريدونها جنح الظلام فعجلوا لهم بالإعلام وبأدروهم في ذلك القصر فهدم وأزيل وبقي كل من فيه مجندلا قتيل ولم ينج منهم سوى واحد وكان بالخبر عن قومه وارد ، وفي أثناء تلك المدة أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب فأخذوا غنم سعدون وكانوا نحو أربعمائة في الحساب تسمى تلك الغنم الدغيموات كثير من غنم تلك البريات ، وفي أثناءها أيضا عدا أهل بريدة على بيت من الشعر جعله عبد الله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق النهر مشهورا وفيه آلات

للحرب ورهبة ، فأضحى لديهم مجرورا وقتلوا فيه أربعة رجال ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال ، فلما مضت من الشهور مدة نحو خمسة في العدة وتحقق له من مراده الحرمان والخيبة وأراد لأهله الانصراف والأوبة عزم على اقتحام البلاد والدخول على أولئك العباد ، وقد صنع منتريسا من الخشب يسمى عجلا عند أولئك العرب يرد الرصاص عمن فيه فلا يضره ولا يؤذيه ، فلما ساقوه إلى مرقب البلد وكان في ذلك المرقب عشرة من العدد تكلموا مع أهل المرقب ، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقاة العجل وجد في الدعاء واجتهد ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال : اللهم انصر من هو منا على حق ، فأمن على دعائه أولئك الخلق ، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين فكانوا هم أهل الحق فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين وحاولوا فيهم نكاية فلم يحصلوا على غاية ، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولا فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ورد كل منهم خاسرا خائبا ذليلا وترك أكثرهم ذليلا ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة وعلى جميع أركانها جائلة ، وإلى تسور الأسوار مائلة ، يساقون بالسيف من أعقابهم في مسيرهم وذهابهم فازدحموا عند السور والبروج ، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج بل قطعت عندها الحناجر وأعان الله تعالى من بها من محاصر ، وكان له عوننا وناصر ، فطار عند ذلك الاقتحام وهول ذلك الازدحام كثير من الروءس والهام من تلك الأقوام ، وانقلبوا بخيبة المقصود والمرام من ذلك البأس والإقدام . فلم تسر إليهم بعد ذلك أقدام ، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسم والعائلة والقبول من الله الكريم كما قال سبحانه في التذكر الحكيم (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان عن ذلك الموضع والمكان بأمر عظيم من الخزي والهوان ، ولما سارت تلك العشائر خرج حجيلان ومن معه مسارعا مبادر ففاجأ بريدة آل شماس وقتل من وجد بها من أولئك الناس ، فأوقع بها النقمة والبأس وخرج غالب أهلها نائرين مع تلك الجيوش السائرين وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام ، فهربوا مع أولئك الأقوام وشسّدوا في الانهزام ثم بعد صدور تلك القضية وانصراف العساكر بالرزية ضاق وسيع الفجاج على من ساعد ذلك المنهج وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج فلم يجدوا عن الدخول في حوزة الإسلام بدا ولم يبصروا سواء

قصدوا ، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان وأعطاهم الأمان وأجابهم إلى ذلك الشان بعد ما شرط عليهم النشكال فكل بذلك دان ، وأقبلوا إليه مسرعين وحدانا ومجتمعين ووفدوا بلدا بلدا ولم يبق إلا أهل عنيزة بعدا . وفيها غزا ركب لأهل بريدة في أثر سعدون يطلبون الاختلاس من تلك البوادي ويريدون فواقفواظهرة مع النفى بأرض المستوى فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوى وقتلوا جميع الرجال وأخذوا ما معهم من الأموال ، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال كثير فأمر بأدائه عبد العزيز الجليل منه والحقير فأدى تاما من غير نقص ولا تغيير لأنها كانت أوقافا وأحباس ، فلم يرد أخذها لأولئك الناس وإن لم يكن فيه معرفة ولا بأس . وفيها ارتداد أهل الروضة لما كان من سعدون إليهم أوضة وأقبل إليهم بالمساكر والأجناد عجلوا بالردى والارتداد وخلعوا ذلك العهد خابوا وخسروا ولم يفوزوا بقصد فلما ظهر منهم ذلك الحال والشان بادر أهل التوحيد والإيمان إلى قلعة البلد فشمروا كل ساعده فيها واجتهدوا وتحصنوا فيها ، وأقبل سعدون وجموعه فطاف بها هو ربوعه وجد تلك الأجناد مع أهل البلاد في محاصرة أولئك العباد ، وأقاموا على ذلك أيام حتى حاول في قطع ما بينهم أولئك الأقوام ، فلما شعروا بذلك فزعوا وخافوا على أنفسهم وجزعوا فطلبوا لأنفسهم الأمان وخرجوا بعد الاستئمان ، واستولى سعدون وآل ماضى على البلاد ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة ، وكان فيها محمد بن غشيان وأناس من أهل النجدة الفرسان فحاولوا إليهم الوصول فلم يكن لهم إلى ذلك حصول ونالوا من أولئك الحماة ورصاص المجيدين الرماة مأداهل منهم الأبواب وردهم على الأعقاب فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة ، ولا على تلك العصابة مكابرة ، فانصرفوا بالخيبة والحرمان وقد قتل منهم أشخاص غالبيتهم من الأعيان وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام بعد ما كان من سعدون الفدوم والإقدام والأمور الهائلة العظام ، وكان إذ ذاك حسن بن مشاري رحمه الله في جلال مقيم فصانهم الرحمن الرحيم عن تعاطى أسباب الجحيم . ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله ما صدر من أهل الروضة وجرى وعلم به يقينا ودري أمر سعودا أن يتجهز والمسلمين حتى ينقذوا أولئك المحصورين فبادروا في الأهلة والجهاز وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز وحين وصل إلى نادق نزل حتى يتلاحق الجموع والدول ثم يسير بنهم أهبة على عجل ويدرك

عند ذلك الأمل ، فلما بلغ سعدون ظهور العصاة المنصورة وأن أولية العز عليهم خافقة منشورة ورايات الإمداد مرفوعة على رؤوسهم مشهورة ، حصل له الرعب والإرجاف فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف بل أخذته الذلة والارتعاش ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش بل ولى مدبراً وانجاش فلما ارتحل وشرع في السير انتدب أهل الإيمان من قرى سدير مع مامعهم من الإمداد مثل حسن بن مشارى وابن غشيان وقومهم من الأنجاد ، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد ، فخرج إليهم أهل الشر والفساد وطال بينهم القتال في ذلك المجال وقتل منهم عدة رجال منهم أميرهم عون بن ماضى ثم ولوا مدبرين وأقاموا بعد ذلك منحصرين ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين فنزل على أولئك القوم المحصورين فأخذ جميع الحلال التي كانت في النخل ومكث أهل البلد في البلد حلتهم متحصنين في محلتهم وفي قلعة البلد أناس من آل ماضى ورجاجيل لسعدون بن عريعر ، فطال عليهم الحصار وشرع سعود في قطع النخل والأشجار ، فلما تحققوا بهم نزول البقرة والباس من رب الناس وغلبهم القنوط والباس طلبوا من سعود الأمان واللاحق بأهل الإيمان ، فأجاب طلبتهم ولبى دعوتهم ونزلوا على حكمه وما اقتضاه منير فهمه ، فعاهدوه على الإسلام والتزموا بجميع الأحكام واعتذروا من سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام ، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم نقد ، وهاله في الحال وأمر بجلاء آل ماضى ومن ساعدتهم من الرجال فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد وأمر عبد الله بن عمر على تلك البلاد وانصرف سعود راجعاً .

تم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج ذوى الفساد والهرج ، فلما وصل إلى قرية الحائر أخبر في أثناء طريقه وهو سائر أن آل مرة هنالك فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك وسار بالجيش يريد فريقاً من مطير يدعون الصهبية فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه وحث الجياد في السير لئلا ينتذر فريق مطير وكانوا على المستجدة ، فبذل في التعجيل جهده فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل وكانوا في سرعة اللقاء كالسيل وشدوا للارتحال في الاطمان والعروب عن ذلك المكان وبقيت حماة الفرسان مشمرة لاذب عنهم في الطعان حتى أعياهم الأمر وعالمهم وغشيتهم من مرارة المران ما هالهم وكدر بالهم ، فمزق الله تعالى

رجالهم وشتت حالهم ، فأخذوا بذلك المسكان عن قريب ولم يكن لهم في السلامة نصيب ، وقتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة مثل خلف الفغم ودخيل اللين جاسر ، وغنم المسامون مامعهم من الأموال وانصرفوا في أحسن حال . وفيها غلالت الزاد جدا وبلغ في الغلاء حدا وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا وكان سببا للفناء والبلا وطال ذلك على أهل نجد ومساكنها ولم يروا مثله في أزمانها وعم ذلك جميع بلدانها فسقموا من الجوع ، وليس إلا إلى الله الرجوع واستمر ذلك سنين وبقوا تلك المدة مستئين وقد حالت عليهم السنين والأحوال وشاهدوا شد الأهوال ومات من ذلك كثير من النساء والرجال فضاير عن البهائم والأطفال فكان كثير إذا شرع في الصلاة خر وسقط حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبئ ووسوس في عقله واختلط ، فالتجئوا إلى مولاهم في كشف ما أتهم ودفع ما نزل بهم ودهم ، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا وهو الذي يحب المضطر إذا دعاه وينجح أمله ورجاه ، فأنزل الله تعالى في قلب عبدالعزیز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة ، فأمر جميع البلدان في تلك السنين والأزمان أن أهل كل بلد ومكان يحصون ما عندهم من المساكين والضعاف ويقيتونيهم من الطعام ما به قوام وكفاف ، فامتثلوا أمره وقوله وانتهجوا عمله وفعله وقام حرسه الله في الناس حين حلول البأس أعظم قيام فأفاض من الإنعام على أولئك الأنعام خصوصا أهل الحاجة والأرامل والآيتام وشر بالإحسان منتدبا وجد في المعروف والبر محتسبا وكان لأجره من الله مرتقبا، ولم يزل على تلك الحالة مستمرا حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرا، فقال بذلك ثوابا وأجرا وحاز مجدا ونفرا . وفيها مقتل زيد بن زامل . وذلك أنه أغار على أهل سبيع وهم إذ ذاك على الرياض فأخذ عليهم إبلا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض . ففرع على أثره سليمان بن عفيصان وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان فجد السير في طلبه وحث المطى في عقبه فأدرك ابن زامل مع قومه وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحنية من نجد فشن عليهم الغارة فقال بذلك أعظم قصد، وقتل زيد بن زامل واهزم جميع من معه من القبائل وأخذ بعضا من ركبهم وفك الإبل وولوا على أعقابهم ، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان . وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على سرور وإلى مكة المشرفة خيلا وركابا وكرمه بذلك وشرفه ووصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذي هو أجل

الحطام الرخصة لأهل الدين والاسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين ، فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة ، فشمروا المسلمون وانهزوا الفرصة فحجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام .

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عدا براك بن زامل وأهل اليمامة على منفوحة فسبق النذير أمامه . فلم يردوا أهل البلد حتى تأهب كل منهم واستعد فحين أغاروا عليهم بادروا في الخروج إليهم فاعتنقوهم سراعا وأرهقوهم بأسا ووقاعا وجالدوهم جلدوهم وفرقوا جمعهم وبددوهم وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين ، فأتى سعود بذلك الخبر فجرد عزمه لطلابهم وظهر وجد في أثرهم فلم يدركهم فرجع وصدر . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين يزيد الحسا فأعمل في ذلك العيس وجد في السير والسرى فلم ينسخ ما سوى المكتوبة والتغليس حتى هجم من ذلك الوطن وقرى تلك السكن على قرية يقال لها العيون فألفاهم وقد استولى الكرى على العيون ، فدبر أحواله وشئونه وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنون أنه فلما أن نسخ حاله الديجور شعاع الضياء والنور وفرغ في صبحته من دعائه وسبحته نهض إلى ماهيأه وأراد ووطىء ماخرج عن الحصن من مساكن تلك العباد وأخذ جميع ما في تلك الدور والبيوت من الحيوانات والأمتعة والفوت . وبقي ابن مهنا وجماعته في الحصن متحصنين وناولتهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين . فلم يدركوا منهم مراما ولم يطيخوا عندهم مقاما ، وانصرف المسلمون عنهم ورجعوا منهم ، وقد قتل ناصر بن عبدالله وعبد العزيز ديان . ولما أفل سعود بلغه الله تعالى المقصود من الاحسا راجعا ولامه طامعا اقتضى رأيه السديد وفكره المصيب الرشيد أن يعبر على اليمامة فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه وساقهم القضاء والتقدير ونفوذ حكم الإرادة والتدبير لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه وأن يخل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه ويسقى كلا من أهل الشرك كأسه وسهامه وحمامه . فاشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج ومطالعة أزهار الرياض في تلك الفجاج ، فلم يستقروا في تلك الرياض حتى وردوا من المنايا الحياض ، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان في ذلك الموضع والمكان فراموا عند ذلك الشجاعة ومد كل

إليها باعه وحسبوا أن لهم بها استطاعة ، فلم يكن لهم ذلك ولم يقدر ودنا لهم أجلهم الحتم المقدر ، فجالت عليهم الخيول وهب على المسلمين الصبا والقبول ، فشمروا عند ذلك للهزيمة الذبول وولوا على أعقابهم مدبرين وقصدوا بلادهم متمزقين وقد قتل المسلمون منهم نحو الثمانين على التحقيق لا التخمين . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين وقصد عنيزة من بلدان القصيم وحث السير في ذلك مشمرا لا ينيخ إلا في الضرورة ولا يقيم ، فلما وطىء في جنح الدجى من تلك البلد أرضها وقضى من صلاة الصبح سنتها وفرضها أغارت على طارفة البلد فرسانه وطافت بفنائها شجعانه ، فخرج إليها من أهلها كل ذى بأس شديد واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم في ذلك المجال بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره . وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارحل منهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود فأخذ بالإلا معاويذ لأهل الحريق كانت مودعة عند سبيع . فأخذها من ذلك الفريق ، وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب وكانت فرقان اليمن له المطلوب ، فألح السير إليهم حتى قدم عليهم فألفاهم في أرض الروضة يرعون وألفى رئيسهم في قصر الروضة فأخذه وقتله وقرب الله له أجله . ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب وغشيمهم من عظم العذاب أعظم سحاب . فلم يكن لهم على المناوبة قدرة ولم يكن لهم في الرجاء حيلة ولا فكرة ، فولوا مدبرين على الأعقاب وشمروا في الهزيمة والانقلاب ولكن الله تعالى قضى أمرا وقدر ، واختاره ودبر ، وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق وراموا أخذهم على التحقيق أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس من الخيول ، فرجع عنهم حينئذ المسلمون لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون وفك الله أولئك الأقوام بعد ذلك الانهزام ، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعد ما ألفوهم مدبرين وكانوا معهم داخلين ولحسبهم تابعين فكانوا على تلك القضية نادمين . وفيها قتل براك بن زيد آل زامل بنو عمه زوعل ومعهم عبد الله بن محمد بن راشد وظنوا أنهم يدركون حكم الدم والرياسة ، فسدت عليهم تلك المقاصد ولم ينل كل منهم ما هو قاصد وطردهم أهل البلاد وكانوا ذوى بغى وفساد فقصدوا الدرعية وطلبوا خطة

الدين السوبة ولم يكن يردّ عن دخولها أحد من البرية ، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحساء مرتدين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له المقصود فشمر مع المسلمين يريد الخرج فذكر له وهو في أثناء ذلك النهج أن هنا ظهرة كبيرة وأما من أهل الخرج والفرع كثيرة ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال ما لا يخطر على البال ، فأقام سعود ومن معه على التلّيا يرصد تلك الخلق المجتمعة حتى أقبلوا يريدون الماء وكانوا إذا ذاك على ظمأ ، فشن الغارة عليهم المسلمون فأخذوا السابقين الذين هم للماء مسرعون وقتلهم قتلة رجل واحد ثم أناخت الظهيرة ورام كل منهم أن يجالدا فاستمروا معهم ساعة في جلال ووقع المصابرة والاجتهاد حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة بمراد ، فعندها طالبوا من سعود السلامة على الرقاب فأعطاهم ذلك وأجاب ، ومنح الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتحكين ، وغنموا تلك الأموال وفازوا بالأجر والإقبال ، وقتل في ذلك المجال نحو سبعين من الرجال منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزاني وسنان بن شاهين وغيرهم مشاهير ، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال . وفيها قدم ربيع وبن ابن زيد وهما رئيسا المخاريم وجماعة من قومهما على الشيخ وعبد العزيز راغبين في الإسلام طالبين منهج الأمن والاستسلام ، فهاهنا على ذلك الطريق وكان لهم في القيام بذلك هداية وتوفيق ، فقد هدى الله تعالى بهم أناسا من أهل الشرك وفريق ، وصاروا ردما في العادي لاروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق . وفيها غزا سعود بالمسلمين متعمهم الله تعالى بنصره سنين ، فجد السير يريد الدلم من الخرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج ، فزاده منادى الإقبال بلسان الحال وهو ينص في نيك البيد الفساح : سرفليس عليك جناح ، وقد قدر لك الخير والصلاح ، وأعد لك الربح والأرباح وتقدمك النصر والفلاح وهى لك في فتح البلد مفتاح ، فاطو القفار في الدجى فعندك ، بن حسن الرجا ضياء ومصباح فسار لذلك وشمر وحث الجياد الضمر فلم يطل لركابه إراحة الجران ولم يلق لحيله رمن ولا عنان حتى استقر في تلك البلدان ورأت ناعمان ملتهف تلك الجبان ، فحننند ذاق طعم السكرى المقل والأجفان بعد تعبئته الكمات والشجوان وتدير جميع ما له من شان ، فلم يضمحل سواد الظلام وينتشر سرعان الأنام إلا وفرماته عادية مفيرة وسنابكها للعشير مثيرة فكانت لمن صافقته مردية مبيرة غير مؤمنة ولا مجيرة فعند ذلك علت في البلاد ضجة العباد وغشيمهم

أصوات الفزع والارتباء والحزن والالتياح ، فأقبل جميع من في البلد من المقاتلة والأفزع وراموا عن خلل النخل مجالدة ودفاع ، فلم يجدوا إليه من مبيت ولم يلفوا لهم به كفيل ، فرجع كل منهم خاسئا ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل ، واستولى سعود على جميع النخل وحللها فذلت نفوسهم سؤلها وأملها ، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة من المخافة وسجائب الدلة عليهم مظلة ونوائب الجلاء بهم مظلة وشجعانهم من الرعب مستدلة وأقدامهم إلى الهروب مستقلة لا يجدون ساعة من الراحة ، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه وقد أظهروا للتجملد علامه وظنوا أنه يخفف مقامه وحسبوا أنه يكون وسيلة للأسامة والتضجر ولا يزالون يعلمون النفوس بالحال منه والمأيوس تعلل المسجون بالآمال والمحبوس حتى انقطع منها الأمل والرجا وعراهم الخطب وجفا وشاهدوا منه مد لهم الدجى وناء عليهم بكل كلكه وسجا ، وذلك أن سعودا لما رأى ما هم به من الحصار وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار اقتضى رأيه وفكرته واستجمع نظره ومشورته أن يبني قصرا للمسلمين بين النخل وتلك الحلال ويجيد بناءه عن الحلال حتى ينقطع من أهل القرية الأمل وينزلوا إلينا على عجل ، فلما فرغ بناؤه وتم ونوى سعود المسير ويترك أناما فيه وعزم ، خرج جميع من في القلعة إليه وعزموا على البيعة بين يديه ، فحملوا حملة رجل واحد وتقدم كل من هو في الحرب يجالد ومن هو على الثبات والصبر يساعد ، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر وبأس مجد غير فاطر حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر وكان لأهل الدين معينا وناصر ، ولأولئك الفجار مذلا وكاسر فرجع كل منهم على عقبه خائبا خاسر ، وتعمى أنه لم يكن للقتال بارزا ظاهرا . وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركي بن زيد ورجال غير شهيرة يزيدون على العشرين وأقاموا في القلعة محتصرين وهموا بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل فقال اثبتوا مكانكم والزموا أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان ، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولاحكام العهد رابطة فأخذ لهم من الأمان عقدا وتم لهم عهدا واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بحصور واستقرت بينهم الأثمان فانتقدوها بذلك المكان ودخلوا في حصن الأمن والأمان وفي دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان وكانت كافة نخلها في بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك

بالسباب لهذا الدين معروفا وبالبعض له مشهورا موصوفا. وفيها تبين ذلك الحال واشتهر وشاع بين الناس وانتشر ، ورجفت قلوب أهل الجنوب وحل من البأس والكروب وغياهب الخطوب ما لم يدع لهم قلبا ولم يثبت لهم لبا ، فكل منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولبي فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسامية وكافة الخرج على سعود فأحكموا للإسلام العهود واشترط عليهم في النكال ما شاء من النقود ، فكان جميع ذلك لديه محضرا منقود ، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة مكثرا لخدمولاه وشكره سبحانه وقصد أهله ومكانه ، ثم بعد انقضاء هذه الأمور وصدور ما هو مزبور وفدوا راغبين في الإسلام أهل الإفلاج فأثروا الشيخ وعبد العزيز طلبا لسلوك ذلك المنهاج فعهادوا على الإسلام والتزام جميع الأحكام فحسن منهم ذلك القيام .

ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام ، ويتم بها العقد والانتظام . وفيها دبت بين بنى خالد الفتن واستحكمت في قلوبهم الشجناء والإحن وسعوا في أسباب الحوادث والحن ، وجدوا في أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة فضاءوا منجنة الأرحم وقم فيها ذوو الأحلام فأراقوا بينهم الدما وسلبوا البيض الدما ، وغدا بعضهم للبعض سائبا وللملاك مريدا وطالبا ، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج والخلق يحز إلى الله وتضع وتدعو الله عليهم بالإدلال وتعجيل الوبان ولسان حال القضاء ينادي على أولئك الضال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا سَاءَ فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) وفيها جرت وقعة جبعة بين بنى خالد ، وصميت بذلك لأن الهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمتفق ورئيسهم ثويني فأخذوا من يليهم من العربان فوقع بينهم الهبة وبدا كل منهم في الآخر الرغبة فثار سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين وترأس عبد المحسن ودوعس في بنى خالد والحسا ، فصار ذلك لعز الإسلام ولا علاء كلمة الحكيم العلام أعظم مقدمة وطليلة ولا ستيطان التوحيد فيها ذريعة فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة وبشارة بالفتح معجلة ونصرة للدين لوقتها مؤجلة ، فأقبل سعدون وقومه وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان فنهاه عن المجيء إلى البلد حتى يقف على ما عند ثويني من الخبر باستيقان ويتحقق حقيقة الأمر والشأن لأن بينه وبين ثويني قبل ذلك مهادنة ومصاحبة فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة

فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة والهون بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الاقبال منه فتلقيه بعد ذلك عبد العزيز فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه وسرعة دخوله البلد وهجومه وكان اصلاته الجمعة خارجا ولسنة التكبير لها ناهجا . فالتقى مع سعدون عند باب القصر فرجع معه إليه وأمر بتعجيل النزول عليه وهىء له ما أراد ثم رجع إلى طاعة رب العباد وقد حصل له من الكرب ماناء بالفؤاد وحصل له غاية المساءة والأنكاد حين رأى قدوم أولئك العباد ولكنه لما أتم الصلاة وحصل له إن شاء الله من ربه الصلات أسر بذلك الخبر وأعلن للشيخ الذى هو للتوحيد أسن وأتقن، وشرح له الحال وبين له أن ذلك كدر عليه البال فجلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام وتلا عليه ماجلا الرين عن الأوهام من الآيات المحكمات العظام كما يفهمه كل ذى قلب سليم (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) فلم يفرغ من قراءتها بالاكمال حتى سرى عن عبد العزيز ذلك الحال وانجلي عن قلبه السكر حين تبين له المعنى وظهر ، فلما بلغ ذلك ثوبى تعاضم وتجب وصر خذه وتكبر ، وأرسل إليه عبد العزيز بألفظ كلام يستعظنه فى قبول ذلك الأنام وبين له أنى لم أقض للهدنة عهدا ولم أقتل لحبلها عقدا ، ولكن لا أجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدا وأنا لك بما ترصد منهم كفيل فلا تخش منهم أحدا لا عزيزا ولا ذليل فلم يجمع إلى ذلك الكلام وأنف من الاستعجاب والاستعظام وجد في الحرب وشمر وأجمع رأيه عليه ودبر فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشأن وشرع فى إحكام الأسباب والآلات وتهيئته عددها المحكمات ، وبارز فى ذلك رب البريات ، ونال من ذلك أعظم الرزيات وأقبح الخزي والعقوبات . وفيها غزا سعود نال من مطلوبة كل مقصود فسار بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير مجتمعين ، فحث السير ليلا ونهارا لأجل تعجيل المطلوب وإنجاز المراد له والمرغوب وقصده أسلاف قحطان وكانوا مقيمين بأرض الجنوب فأعنى التسيار إليهم ونص اليعملات عليهم حتى طوى بأيديهم صحف الفياق والقفار ولم يجد دونها تلافيا ولا اضطبار وسهل له سهلها وحزنها ، وحاط بأولئك همها وحزنها وعجل إليهم الإنذار بما قد كان وصار فأخذوا فى تعداد وأهبة وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة ففرحوا بذلك وطربوا وودوا قدومهم وطلبوا وقالوا لظى الخطوب ونار الوغى والحروب لنا معشر أهل الجنوب ، والهيجاء هى المراد والمنى ونحن لها وهى لنا ، أظن

سعود أننا مثل من لقي من الجنود ومن مارس من البوادي القروء ؟ نحن الشم العراقيين الكفا وذوو البأس والنجدة في الوطيس والحماة وسيعلم ذلك ويعاين ويدري حينئذ على من هو كائن ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود وتقض كل منهم مذرويه وكان شؤم ذلك القول راجعا عليه فله أصبحتهم تلك الجنود والأجناد أظهروا من البأس ما يذهل الفؤاد وتدرسوا مدارع النجدة في الجلال فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأحساما صلابا صلابا، وقلوبا قوية شداد، خف الله تعالى المسلمين باللطف والامداد وأعاد عليهم عادته في أهل الفساد فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد وأنفذ في أعدائه الوعيد فشرذموا أعظم تشريد وبددوا أقبح التبديد وصاروا بين طعين وشريد ومقطوع منه الوريد ومزقوا كل ممزق وأجرى عليهم عادته وحقق رغنم المسلمون غنيمة عظيمة وانهمزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام على جميع الأمتة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام . وفيها غزا حجيلان باهل القصيم ومعه من عنزة فرقان فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان فأملهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بغما وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بمنازلهم من الأموال والأحمال إليه ، فتلقاهم بغارة مزعجة مزهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحينئذ انكشفوا بعد ذلك انكشافا رهينا وكان كل منهم للذلة موثقا رهينا فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عددا من الرجال .

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف ، وفيها غزا سعود بالمسلمين فنزل أرض ملهم وأقام ينتظر إجماع المسلمين فاتاه رؤساء التروسة من اليمامة وأخبروه أن آل بجادي يريدون الارتداد وقد دبروا إحكامه وأجدوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمروا من ذلك الحين لإتخاذ المسلمين وحقق دماء الموحدين فوصلها ليلا وأدرك من يتمكن منها ليلا فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه فجأوا نظرهم فيه فنظر كل منهم أن ذلك لا يشك ولا ينجيه فرموا جميعا أنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء لكي يوافق بالمقصود فأنالهم شطر البغية وأدركوا بعض المنية والزم عليهم الشيخ وعبد العزيز في البداية وأنجلا عنهم أهل الفساد والإذابة ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا

لسعود الامتثال وشرعوا في المسير إلى عبد العزيز والارتحال . فلما توسطوا في قلب
 القلعة كان في قلوبهم أعظم هناة ، ولووا إلى الحساء الأعناق وجدوا في الوخد إليها
 والإعناق وصمموا البعد عن اليمامة والفراق ، فأمر عبد العزيز بهدم محلاتهم التي تسمى
 البنة وقد كانت باللهو مرننة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم وأمر سعود عبد الله
الرئيس في البلاد وبني حصنا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد وأمر في
 الحصن محمد بن غشيان وأقام فيه مدة من الزمان . وفيها جر ثوبين تلك الجرأر وقاد على
 المسامين تلك الجموع والعساكر وتجاوز في ذلك المسير طوق البشر في التدبير ورام
 أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير فتطاول في خروجه وتمطى وبقي فيه وتخطى
 ودبر من الكيد والأسباب والشئون مالا يقدر على مثله ولا يكون بل يعجز عن
 تحصيله الآخرون وجزم أهل المعرفة بزعمهم ومن يدعى العلم بفهمهم أن جيوشه لأهل
 الدين يغلبون وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون (وعد الله لا يخاف الله وعده
 ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسار بتلك الجحافل الجمة الفزار والجيوش التي لا يحصى
 عدتها إلا عالم الأسرار ولا يحيط بها إلا الجبار حافة بتلك المدافع والنابل السكبار التي
 لا يقوم عندها حصن ولا جدار ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والسكبار ، فلم
 يزل يحد إلى نجد السير والمسير ويستدعى في ذلك أصحاب الرأي والتدبير من كل رئيس
 بالحرب خبير وجليس سىء البطانة شرير يحلل له دماء أهل التوحيد ويحشه على ذلك
 ويشير ويدعى مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير ولم يدرك أنه قاصر الباع
 قليل الاطلاع طافح الغور غير غزير وأنه لا يملك من ملك الله فتية ولا قطمير وأن
 الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على الباطلين وفتح البلاد لهم
 والتمكين (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) فلم ينثن لهم صارم عزم
 ولا هممة بل جسد في ذلك الشأن وهم حتى أنزل في أرض التئومة جميع تلك الأمة
 وأحاطت بهم تلك المهمة وغطتهم تلك الخطوب المدلهمة وحلت بهم الكربة والشدة
 والغمة ، والتجئوا إلى المفزع عند الشدائد وطلبوا حسن تلك العوائد والتحفوا القمص
 والأكفان وقال كل منهم الموت على الشهادة والإيمان وسنة من لنا من السلف
 والإخوان ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الدلة والإذعان ونبين عند الله والمؤمنين أننا
 غير صبر في الطعان ولا عند حلول الرزايا والامتحان ونعوذ بالله من عاقبة الشرك
 والافتتان وتسويل مكايد الشيطان والاستسقاء من حوض الردى والذل والهوان

فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان وما فيها من الحور والولدان . ولما نوى في ذلك المكان والمحل واستقر به ونوى الإقامة ونزل شرع في مجال القتال وأحدث بهم تلك الفرسان والأبطال وأضرمت عليهم المدافع شرر النار ولم يكن في قلوبهم منها اندعار لما أفرغ الله تعالى عليهم من النصر والاصطبار وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبيت أجل قرار وحث أهل المدافع والرماة وندب الشجعان والحكمة وحرص ذوى النجدة والحماة وجلب عليهم بخيله ورجله ورام هدم التوحيد بأمله ، فأبطل الله تعالى كيده ومكره وأظهر فيه وفي جنوده بأسه وقهره ، فحاق به سوء عمله فشرب حياض المر والهم بالأسف عللا بعد نهله ورأى عقوبة ذلك عاجلا قبل موافاة أجله واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسا ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسا وبقوا أياما في ذلك المقام كل يوم تحيط بهم خطوب الحمام ويتجرعون مرارة السام ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام عن معاطاة أسباب الآثام وآثروا دار السلام وما عند الملك العلام على هذه الدار الفانية واشتاقوا إلى دار قطوفها دانية ؛ فلما أيس ثويني من مصادمتهم وتعب من مزاحمتهم واكترب من مقامه هناك واضطرب لبه فصيل (ذلك بما قدمت يدك) مد أسباب العذر ونسج رداء الخيانة والمكر فأرسل إليهم بالأمان وزين لهم الاستئمان والنزول عن ذلك المكان والخروج إلى سائر الأوطان وحاولهم في ذلك واجتهد وكان الوسطة بينهم عنان حمد وكان هو من أولئك الجماعة فظنوا أنه لا يروم بهم مكرا ولا خداعة وإن كان نفسه إلى الشر نزاعة فرضوا بذلك وراضوا بعد ما تحدثوا فيه وفاضوا ؛ ولما استقر ذلك الأمان بينهم دخلوا عليهم القلعة سريعا فعجلوا للمسلمين حينهم وقتلوا غالب من وجد ولم ينج إلا من هرب وفقد ونهبت تلك القرية ونال ثويني من ذلك خزيه وعجل الله تعالى له في الدنيا العقوبة ولقي من قبيل صنعه وزره وحويه ، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت وظهرت منه وصدرت ظعن من ذلك الوطن ونزل على بريدة واستكن وناول أهلها الحرب من بعيد وهم أن ينزل بهم بأسه الشديد ويمكر بهم ويكيد ، فحذه الله (إن أخذه أليم شديد) فأرجف قلبه وفؤاده وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهزما بلاده وشتت شمله وجمعه وأجناده وأضاع هدرا عليه من المال طريقه وتلاده فولى خامسا مهزوما مشتتا مبعدا مرجوما ؛ ولما عزم على المسير خرج

من أهل بريدة لنفوذ التقدير نحو سبعة رجال وراموا أن يوقعوا في آخر الجيش نكال ، فمجلت إليهم من تلك الخيول فرسان فاقطعوه قبل وصول الجدران . وجد السير يريد البصرة وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة وأراه شؤم تلك الأفعال وجعل عاقبته تشتت الحال ، فحين وصل البصرة وقدم إليها رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها ، وساعده على ذلك المتسلم وكان لأمره مطبعا مسلم وفي خدمته متقدم ورسمت باسمه الخطب وأبدى من التجبر العجب فحذر عليه الباشة سليمان في ذلك الزمان والتقوا عند سفوان مع تلك البدوان فانهزم ثويني وثار وهدم الله عزه وبار وفلّ الله من له من أنصار وعمد إلى الكويت وسار وأقام فيها ذليلا يقاسى الهم زمانا طويلا ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام فماهد على الوفاء بالدمام ثم نكث ذلك الإبرام ؛ ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى وصول ثويني إلى نجد جد في التأهب والاستعداد وجمعه من الغزاة كل نجد فجهاز سعود عليهم أميرا حتى يكون لأهل البلد ظهرا وظهيرا ؛ فلما انهزم ثويني وانصرف وقصد بلاده وانحرف جدّ سعود في أثره بالمسلمين وكانت تلك الجيوش منهزمين فلم يبرح حرسه الله تعالى يجهد في السير الركاب ويجد في ذلك الطلاب حتى أدرك أسلافا من شمر ، فشن الغارة عليهم وشمر ورئيس ذلك الفرقة وكبير تلك العربان ابن جدى فكان إليه مهتدى فلما غطاهم من الغارة الغبار ركب الفرسان الجياد والمهار وأقبلوا لتلقى الأبطال كأنهم في قرن وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن وبذلوا في ذلك مجهودهم والكن الله لم ينلهم مقصودهم فغلبتهم كلمة الحق ، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق انهزموا وفروا وما ثبتوا ولا قروا ، فقتل المسلمون منهم رجالا كثيرة العدد وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ورجعوا بأحسن الآمال . وفي أثناء خروج سعود في ذلك الطلاب ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا يظنون أن ثويني لهم في انتظار وارتقاب وأن بلدان نجد قد عمها من ثويني الخراب وأنه مقيم هناك مع الأحزاب لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب ونقله إليهم عدول ليسوا بكذاب أن ثويني ألزم على أهل الزبير أن لا يخرج أحدا إلا بأمراته وعياله في ذلك السير فامثلوا أمره في الحال وأظهروا مامعهم من الأموال للتجارة والابتياح ولم يحل في خدمهم أنهم إليها يعجلون الارتجاع لما يداخلهم من الدهر والرعب والارتياح بل زعموا

(٩ - تاريخ نجد - ثاف)

أنهم يقيمون أزمانا عديدة في تلك البقاع ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفا قاع ،
فلذا ظهرت بعد ذلك بنو خالد وكل على ذلك معين مساعد ، فلم يرع بنو خالد وأهل الحسا
وهو إذ ذاك قد قطعوا الدهنا يؤمون نجدا ويؤملون بها إقامة وسكننا إلا الخبر اليقين
والعلم المحقق المستبين أن سعودا قد جد في السير والتسيار وأن تويني قضى عليه العزيز
التهار بالذل والانكسار وكتب عليه الهوان والذلة والعار والحزى والدمار ، فكان
ذاك عندهم من أشنع الأخبار وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار ، واضطربوا غاية
الاضطراب وشمروا منهزمين في الانقلاب ، وأرسل الله عليهم رجلا من العذاب ، فكان
لا يلوى منهم أحد على أحد والسكل والسكل قد طار عقله وارتعد وارتدى بردية الموت واستعد
وقطعوا الدهنا في ذلك الصيف والصمان والسكل منهم صاد ظمآن ، فمات كثير من
أهل الحسا ونالوا مؤلم الهم والأسى وتفرقوا في ذلك أيادي سبا وكانوا لمن بعدهم عبرة
ونبا . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل ،
فاستقر بذلك المكان وأقام فيه مدة أيام وليال ، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول
في الإسلام في إقبال تقدم عليه في ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن ، وعاهدوا
على الإسلام ورغبوا في الدخول والاستسلام ، ومن أعرض عن ذلك وصد ، تصدى
حجيلان لحربه وقصد ، وتأهب له واستعد وأقبل عليه بالحروب والحراية حتى يدين
الإسلام ويفتح بابه ، وأخذ أموال من امتنع في ذلك الوقت والحال حتى طاعوا
للتوحيد بالاجار . فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحل حتى تلقى جميعهم الإسلام
أحسن استقبال . وفيها وفد هادي بن غنم المعروف بأمة قرملة على عبد العزيز أناله
الله تعالى في الدارين مأمله ، وكان هادي إذ ذاك في الإسلام راغبا وللدخول في الإيمان
والوحد طالبا ، فد انشرح له صدره وتبين فيه حاله وأمره ، وبرق له من الدين بارق
ونع منه له ضوء شارح قبل أن يعرف الحقائق ويسلك في أبيض الطرائق ، فجاء مرغما
لكل عدو منافق ومشرك ضال زاهق وهجر من كان محبا له مرافق ومن كان على
الباطل مصادق . وكان ذلك الوقت والحين في رئاسة قحطان من العدودين ولأمن
كبارهم المشهورين ولأنهم رأس بالدين وصار له الإقبال من إمام المسلمين لما صدق
وتبين على المشركين ونصح في جهاد المبطين فصار له تمكن عند المسلمين ، فعاهد حين
قسم على الإسلام ولقد وفى العهد والذمام وقام بوظائفه أحسن القيام وبدا له فيه طالع

حسن وجاهد فيه من عبد الوثن ، وأخلص لله في السر والعلن ، ونصل عن الضلال الذي ترعرع فيه ونشا والشرك الذي ملأ جميع الحشا (إنك لا تهدي من أحببت واسكن الله يهدي من يشاء) .

ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف . وفيها تظاهر كثير من أهل الوادي بالاسلام ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام ، وسبب ذلك الاعلان والاشتهار وتبين تلك الدعوة والانتشار أن ربيعنا وأخاه بدن ابني زيد رئيسي الحارثيين في الشرف والأيد لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز وعاهدوا على الاسلام ودخلوا في حصنه الحريز والتزموا الوفاء بجميع الأحكام والقيام بذلك أتم القيام ، وكان وفودهم قبل ذلك العام ، فنفع الله تعالى بهم خالصا وعاما ، فلما أرشد الله تعالى وكان له مرشدا وهدى ، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادي أصبح كثير من أهل الضلال بل أغلبهم له مبغضا ومعادى . ولرد قوله ومعارضته بالباطل محار مبادئ ، وأطلقوا عليه أعنة الألسنة وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة المزمنة والطرائق الخبيثة الضالة المنتنة ، فعند ذلك الحال والأمر بنى ربيع له ولأهل الدين قصرا وشرع في تهيئة بنائه حتى آتاه وبناه ، فلما فرغ من القصر والبناء جهر بالدعوة مجددا معلنا ، وادر بإزالة ما في ذلك الوطن من صنم ووثن ، فأشعل في شجرة نارا وكانت معبدا لأولئك الأتراك يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار . فلم يرعهم إلا دخان تلك الشجرة وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرقوا وتجمعوا على الباطل بعدما تشتموا وتفرقوا وانتدبوا إلى عداوة من يتبين بالدين ونهضوا ثاني يوم على ربيع في قصره مجتمعين وساروا يريدونه ، وهموا بأنهم يذاونه ويردونه وينزلونه من قصره ويهدمونه ويحرقونه الحام ويسقونه ، فحصرهم في القصر ثلاثة أيام فصبر على ذلك أهل الاسلام وقطعوا ما لهم من نخل وبدا منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلا ولم يدرك أهل الضلال منهم أملا ، فلما أيس أهل الباطل إليهم من الوصول وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول ، وأن المسلمين أكثروا فهم الجراح ولم يكن على أهل الدين من جناح وتحققوا أن ليس في مقامهم لهم صلاح وعزموا على المسير عنهم والرواح ، أخذوا حمارا مذبوحا وجملوه في ماء أهل القصر مطروحا ، وكان مأوهم خارج القصر من قريب إلى حد ما يجيد الرامي به ويصيب ، فأثنى بعد ذلك عليهم لما ووجدوا لفقده

ألما وقاسوا منه شدة وظما ، فبادروا إلى الحفير فأظهر الله ماء عين غزير فشرّبوا منه وارتووا وتيقنوا النصر من ربهم وارتجوا وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فقالوا بذلك الأجر والفوز وحووا ، ولكنهم دفعوا بالتي هي أحسن فأعطوا فرسا من تظاهر بالشر وأعلن ، فقبلوها منهم وانصرفوا ورحلوا عنهم وانكفوا ، فأرسل ربيع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكيد ويعلمه بما صدر وجري إذ لم يكن به درى ، فأمدّه بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحا وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي بأن يساعده ربيع ويقوم معه على أهل الوادي ، فحين أتاه الرسول والمكتوب بادر إلى ذلك المطلوب وسار حتى نزل ذلك القصر وشد الله تعالى به لربيع الأزر ، فحاول جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على ربيع ، وكانت لذلك طالبة وفي إخراجها من قصره رغبة ، فنهاهم ربيع وحذرهم وخوّفهم وأنذرهم فلم ينتهوا عن المراد وشعروا في طرق الفساد ونصبوا راية الخرابة وشمر كل منهم في البناء ثيابه ، فحين شرعوا في البناء زادهم الله وهنا ، وقتل المسلمون ذلك البنا ، فحين قتل منهم بناؤهم ولم يدركوا من البناء منهم بعد ما غرهم الشيطان ومناهم ، ألب عليهم جميع أهل الوادي وتغلبوا وراموا هلاك الموحدين وتطلّوا وجمعوا لهم كثيرا من الآلات ، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات وكانت صناديق من خشب مطبقة ، يدرك من بها ولم يصب ، وفيها من ذوى البأس رجال وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال ، وتسير محمولة على دراريح يسمونها العجل أهل ذلك المحل ، يرومون إذا قربوا من السور من هدمه لا يهذور ، وكان من به الناس متحصنين بدرع البأس ، وفي كل صندوق ثلاثون من الأبطال ، فساروا يريدون السور من غير إمهال ، فلما قارب الجدار لم يكن لهم إليه تسيار ولا وصول ولا اقتدار ، بل وقفت الزحافتان دونه بعد انكسار إحداها وانكشاف الأخرى فتبين من فيها ؛ فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة ولم يكن فيهم والله الحمد منعة . وزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع فرجعوا بالحرمان والخذلان ولم يفدّهم ذلك الكيد والشان ، وأخذ أهل الاسلام منهم سلاحا ودروع . ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع ولا جبانا ولا جزوع ، ثم بعد مضي ليال وأيام أراد الملك العلام على بعض البروج الانقضاض فصار لأهل الباطل على أهل الاسلام ركضة واتهاض ، فبادروا في الحال بلا أناة ولا إمهال

وساروا على أهل القصر وراموا بهم وقوع أمر ، فحمى الله سبحانه وتعالى المسلمين وقتلوا ثلاثة من المشركين ورجعوا والله الحمد مجروحين مقروحين ، ثم بعد ما انقضى زمان وأمد تجمع كل من أهل الباطل ونهد وحزب كل منهم وقصد على أولئك الأقوام وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام ، فوقع عند السور القتال والازدحام وحمى الحرب وحان الحمام وحقن الله دماء ذوى الإسلام ، وقتل من ذوى الشرك والضلال فى ذلك الوقت والحال أربعة من شجعان الرجال ، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج ، فأخذوا منهم الأمان بشرط ما أخذوا منهم من السلاح فى ذلك الزمن والخروج عن ذلك المكان ، فنزل المسلمون منه وخرجوا بعد ذلك عنه ، وقصدوا مبارك بن هادى فكان بإكرامهم مبادى ، ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبد العزيز الإمام فأكرمهم - جزاه الله سبحانه وتعالى خيرا - غاية الإكرام ، وأمدهم جميعا بكثير من الطعام ووفدهم منه بجزيل من الحطام فرجعوا من عنده بأعظم المقام وكان لهم فى الدين أوفر قيام فبنوا لهم قصرا وشاع لهم بذلك ذكر ، وكان مقابلا قرية تسمى فندق الله سبحانه وتعالى بسببه فى الوادى أمره ، فأقاموا فى ذلك القصر مدة شهرين ولدى منهم انتشار وظهور وغارات أبدا لا تفارق ولا تبارح بل تفاجئ وتغادى وتراوح جميع تلك القرى والقصور ، فلم يكن لأهل ذاك القصر عن جهاد من حولهم تقصير ولا قصور ، ثم بعد ذلك تقضت أيام وطال لهم فيه ، قام ورغب جماعة كثيرة وفئام فى منهج الدين وتجريده والقيام بنصره وتأنيده وهم الحنابلة والعمور والولامين ، فأرسلوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدخول فى الدين ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم ويقدمون عليهم ، فأجابوهم إلى ما أرادوا وطلبوا فأقبلوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورغبوا وحاولوا كغيرهم فى إطفائه سابقا وتعبوا ، فلم يحصلوا ما أملوه بعد أن سئموا ونصبوا فعاهدهم على الحق والهدى والتبين فى طمس منار الضلال والردى ، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى وراح فى طرق الشرك واعتدى ، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع وإلى الإجابة لما أرادوا حث وإسراع ، فخرج ربيع من القصر وسار وكان له فى الدراسة عند الحنابلة مقام وقرار ، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد ، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد ولأهل الضلال فيهم تنغيص وتسيكيد ورعب ليس وراءه مزيد ، لا يطيب لهم فى الوادى سكن ولا تطعم

عيونهم لذّة الوسن ويدعون على من جر ذلك عليهم وسن ، وأرهف المواضى على إظهاره وسن ، وأحمى عليهم الغارة وسن ، فلما طال عليهم الأمد والزمن وقاسوا منه مصائب وانتحان ، ولم يسجدوا لهم نفعا مما كانوا يعبدون ويستغيثون بهم في الشدة ويدعون ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون ويؤثرونهم في المحبة على الحق ويرغبون من يكشف عنهم هذا الخطب ويفرج لهم هذا الكرب ، كلا لقد خابوا وخسروا وضل سعيهم وعثروا وأشرکوا بالله تعالى وكفروا ، فلم يعانون ولم ينصروا ، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشأن ومن تظاهر بالمسق والعصيان وتفكروا في الحال والمصير وشرعوا في إبرام حيل التدبير ، وهيات قد نفذ القضاء فيهم والتقدير ولكنّه في إبانة وحينه يصير ، فلم يافوا لهم إلى المراد سببا ولا ملاذا ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذ إلا إلى الوصول إلى شرانكى يستجيشوا من هناك من العربان ، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال وظنوا أنهم يدركون من المسلمين به منال ، ويطفئوا نور الله الذى ربا في الضياء والاشتعال وأزال دياجر الإشرار والإضلال . فخرج رؤساء هذه الفجار وقوادهم الأشرار وهما جماهير كبير الرحبان وحويل كبير الدواعين ذوى العصيان ، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبشوا له ما جرى عليهم من أهل الإيمان ، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان وندبوه على إغائهم سريعا من غير توان وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هذه المادة ويقطع السير والسلوك في هذه الجادة ، وتصير أسنة عزمه مشحوزة حادة وأهل الدين من فرط حده وحدته نادة ، فليس والله دون بلدانك والمهجوم عليك في أوطانك لنا فئة مانعة رادة ولا جنود لهم مصادرة صادرة ، فاحتر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع والمقدر في سابق الأزل فليس له من الله دافع ، فتعالى وتقدس من لا يحيط بغيه النهى ويقف إذعانا خبيته المخلصون فيما أمر ونهى ؛ فلما سمع الرئيس مقالهم الفظيع وتخويفهم الشنيع سرى إليه الرعب والوجل ومزج شغاف قلبه ودخل وغره الشيطان والنفس والأمل وما رأى من الخول ومن يسير معه حيث سار من الدول فعز ربنا وجل حيث لم يأخذ الظالم على عجل ولا يدعه أيضا همل بل ينتقم منه على مهل فيما قدر له من الأجل ، فهد إلى تلك الإجابة واستدعى للسير أصحابه وأزمع على ذلك طلابه فكان لله الحمد الذل غايته ومآبه ، فسار مجدا يريد سرعة الوصول

حتى يفوزوا بالمأمول فتزل على الرجبان والوداعين الذين كانوا الحبيبة من الساعين ، فاجتمع عنده خلق لاتعد ولا تحصى ولا تحسب ولا تستقصى ، حين رأى تلك الأمم سلك معهم تلك الأمم وارتحل بمن معه ممن نهج مناهجه ، فسار حتى نزل على الحناجحة فتراموا معه من بعيد واقتتلوا قتالا شديدا ، فلم ينل منهم ما يريد وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله ويمد من أسباب المكر ما ينتجه الرأي والفكر وكل يوم تطلع شمس وتغيب بحرى ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب ، ولكن القريب الحبيب ثبت أقدام أهل التوحيد وكان لهم معينا ورفيق وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب بل كان صدر كل واحد منهم منشرا رحيب ، فلما بان له منهم الإفلاس وكان من المراد على ياس رأى أن ليس عليه في الارتحال باس ، فارتحل والله الحمد رغما على ذوى الإبلات وأهل الضلال من الناس ، فلما ذهب رئيس نجران منصرفا وولى ذليلا منحرفا ورجع إلى بلاده متأسفا وجف قلوب قرى الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مبادر فطاب الرجبان من ربيع الدخول في الإسلام والإيمان ، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا ، وأقبل جميع الوداعين وكانوا في الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب ، ولكنهم يقولون ما برحنا حربا يصب منا ولا نصيب ، فانتادوا مستسلمين وأذعنوا للدين مكرهين ؛ فلما صدر ذلك عنهم وفد ربيع وجماعة منهم على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر ، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه معلما للتوحيد والأحكام . فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور ، وللشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور ، واجتمع على ذلك الرجبان والوداعين وخلصوا عرى التوحيد والدين ، ودخلوا فيما كان لهم معتاد وسنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس النوى والفساد وأقاموا على الضلال في استبداد ، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك ، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يجاهدكم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك ، فسار بمن معه ممثلا وقدم عليهم عجلا فصب عليهم من العذاب عارض مكروب وشب فيهم لظى الخطوب . ودام فيه القتل

والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعانوا عقوبة الأفعال عاجلا من غير إمهال ، فبعد ذلك رفضوا وهانوا ورغبوا في الاسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان ، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبد العزيز معه في الحال والرضى بما يريد من النكاح ، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضية ، فعاهدوا عبد العزيز على الاسلام وشرط عليهم في عقد الأحكام ألفي ريال وألف اتفق أن نسلم في الحال ، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وساموه . وفيها غزا سعود بالمسلمين أدام الله تعالى له النصر والتمكين ، فحث سيرة ومسراه وكان وصوله عنيزة هو الذي اقتضاه وراه ، وذلك أنه نعى إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر وتحقق ذلك عنه واشتهر ، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر ، فنزل عليهم بعد أيام وليال ومكث عندهم يستبرئ الحال ، يتحقق ذلك على يقين لثلا يقدم على ما يريده بتخمين فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فبالا لاحت له شمس التيقن والإيقان من عدول أهل الاسلام والايمان من سكان ذلك المكان وتحقق ذلك الأمر واستبان . وكان آل رشيد من ذلك النفر واللا أمر عليهم بالجلاء وكل من لهم تابع وفي أسباب الشرطامع وأزال منها كل من يحذره ويخشاه وأمر عليهم علي بن يحيى لاختياره ورضاه ثم انصرف راجعا . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بني خالد ، فأقام في الدهنا يريد أن يتحسس ويتفحص الأخبار عنهم . ويتحسس ، فاستقر الخبر أنهم قد أشعلوا وثبت عنده فبدا له عنهم ورفض قصده وانصرف . وفيها غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين وكانوا لأهل قطر في تلك العزوة مريدين ، فأسرع في سيره لأجل قضاء الوطر فلم يلبث أن صبح الغارة آل أبي رميح من أهل قطر ، فداهمهم في تلك الأرض على اغترار فلم يتقدم قبله إنذار وحصل منهم للحرب بدار وجولان دون المال والأعمار ، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار فانهزموا وولوا الأدبار وقتل منهم نحو الحسين وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب ورجع بنيل المطلوب وآب ، وفي تلك العزوة صبح سليمان بن عفيصان بلد الجشة من الحسا فلم يشعروا إلا بعد الحرب والحلم والأسى وقدملك عليهم السور وأحاط بهم المكروه والمحذور فاندبوا للقتال وتداعوا للمجال

ولقاء الأبطال وبذلوا الجهد في الجهاد مخافة الاستيلاء على البلاد واستئصال العباد وطال الحرب بينهم ذلك اليوم وقتلت بعض رجال من أولئك القوم . وفيها أمر شيخ الزمان وعلامة الوقت والزمان وحائز قصب السبق في الميدان ذو الحجج التي بهرت حين ظهرت والقواطع التي صدعت حين صدحت والبراهين التي قمعت إذ لمعت وسطت على الأعداء لما سطعت ، المزيل عن التوحيد برقه المبين لذوى الألباب حسنه وموقعه الجالى دجى الضلال والغالى للغواة الضلال ، كاشف غيب البدع والإشراك القائم في ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمداهن فيه ولا تراك ناهج منهج البيان والصواب محمد بن عبد الوهاب - المسلمين أن يبايعوا سعودا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى عمره وصرف عنه السوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره ومسد في أجله طول الأمد وأجبح له ما أراد وقصد ، فنهض إليه كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعا وأجناس وأعطوه الصفقة المحققة من غير التباس ، فانضح له نهجها واستبان حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان وتعاهدوا على التزام الطاعة بالإيمان فثبتت له عند ذلك الإمارة واستمرت وحققت له بعد والده واستقرت وكانت بيعة معلومة مشهورة متقنة بأحكام الفرع معدودة ، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعى والمنهج المرغوب المرعى لا ينارعه أعاذه الله من ذلك إلا شرير ظالم ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم إلا وهو متعدد غاشم وصل الله تعالى بالائتلاف حبلمهم وجمع على المحبة والاتفاق شملهم وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف وانتهاج منهج القطيعة والاجتاف وحماهم عن الوقوع فيما دمر أولئك الجموع وأخلى منهم المنازل والربوع وطهر عن الشحناء قلوبهم وأنالهم سؤلهم ومطلوبهم وذب عنهم مآذب في الأمم قبلهم من الحسد الذى أهلك الديار وأهلها ، فلم يبق منهم على أحد وذلك بعد ما عرف أبوه حاله ومسيره وتحقق سيرته واختبره فترجح عنده بيقين العلم والفهم على النجدة والجزم ما شرف به من الدهاء والجزم وما خول من السياسة والعزم وما تلاأ في غرته من طالع السعادة وما لاح في جبينه من بارق السيادة وما عاناه في رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى حتى رفع الله تعالى به الدلة الوسطى عمودا وعاد معينها بعد ما كان آجنا مورودا وأورق به غصن الحق بعد ذبوله وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله فرآه أهلا للسياسة وكفؤا لمنصب الرياسة فحمل أعباءها كاهله فكانت إليه آيلة أهلة . وفيها غزا سعود بالمسلمين

فوافق البيعة أسلاف من عزة مجتمعين وكانوا إذ ذاك بأرض قنى من نجد مقيمين ولم يكونوا أوائلك نتيجة سبره وقصده ولكن عرضوا له في طريقه وجده وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده ، فلما رأوهم من المسلمين أولو التقدم والسبق قالوا هؤلاء أتوك يرفق وعرفوهم على اليقين والتحقيق وكان هذا الطريق أيمن طريق فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب ولا تعب ولا تعويق ، فشن عليهم الغارة المسلمون وأتوا من حيث لا يظنون فتبادر من عندهم من فارس وشجاع وانتدب إلى الإفزاع وتسربل للطعان والدفاع واللاحق من عندهم من العدد ولم يبق منهم أحد ومنتهم أنفسهم الغرارة أنهم يجمعون أهل الغارة فطاعنوا زمنا يسيرا ورأوا أن ذلك لا يجدى ولا يضير وليس دون الفرار من مصير ولقد صدقوا في العزم والأفعال ولكن عادة الله تعالى في أهل الضلال سرعه الخذلان والإذلال فانهزموا على الأعقاب وليس لهم دون الذلة والخزي من مآب وقتل منهم في ذلك المجال عدة من الرجال وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من أنواع المال . وفيها غزا سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه أهل الإيمان وقد أمره عبد العزيز أن يعزو من الحساء العقير فحث لذلك القصد والمرام والسير ، فأسرع في ذلك المنهاج وطوى تلك المساجح حتى وصل إلى ماء حرض فإذا عويس بن غفیان مع غزو أهل الجامة خارجا من الحساء قد عرض وكانوا نحو الحسين وقد خرجوا من الحساء مغترين وبلدان المسلمين مردين . فالتقى معهم أهل التوحيد ونازلوهم منزلة الأبطال الصناديد فبدلوا دون أعمارهم الجهد الجهد وأبدوا من الاقدام ما ليس وراءه مزيد فأحاطهم النوى اثنين فقتلهم المسلمون جميعين كذلك بنحزى القوم الظالمين فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح ثم سار لقصده فرحا مرتاح ، فجد السير حتى صبح العقير فأخذ ما في الخان من الأموال وصعد القاعة من فيه من الرجال فأقاموا فيها متحصنين وأصبح بيوت الجريد به محرقين ، أضرم في جميعها النيران سليمان بن عفيصان . ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود بلغه الله تعالى المقصود ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لا يحصى لها عدد ولا يحصرها أحد . وتوجه يريد بنى خالد وكان على لقائهم حاهد جند إلى مراده السير والسرى وطرد عن عيونه في ذلك الكرى حتى أراد الله تعالى أن يلتقى الجمعان في أرض بنى خالد بمكان وكانت جموع بنى خالد قليلة العدد وأكثرهم متفرقون في أرض تلك البلاد ووافى منهم من

العربان والأسلاف قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف ، فلما طلع عليهم سعود وجنوده كان كل منهم المهروب مقصوده ولم يعزموا على إقامة وبقا فضلا عن مقاتلة ولقا ولكنهم برحوا تلك الساعة يدبرون من الرأى فسيحه واتساعه فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان وناوشوهم بعض الطعان ولم يطل بينهم ميدان ولم تنفق محاولة طويلة بين الفرسان وكان ذلك لموجب وشان ، وذلك أن سعود أحرسه الله تعالى أسرا له في ذلك اليوم أن بعض من عنده من الفوم يريد الخيانة لبني خالد وأنه على ذلك مواعد وتحقق ذلك الإخبار فلم يكن له إلى اللقاء اختيار فسأل الله تعالى ودعاه واستخار فأرشده لخبرته وإرشاده وهياه إلى إرادته وإسعاده ، فانصرف راجعا إلى بلاده ومر ببلدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبني خالد من الزاد وقتل عيوننا قبل الملاقاة لعبد المحسن ، ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود ولم يلتق مع تلك الخدمة النيلية كان ذلك إلى طغيانهم وعنوتهم وسيلة وعلى فناءهم وإذلالهم حيلة وأى حيلة ، ولكنهم لم يحكم الرأى لها عقدا ولم ينظم الفكر لها عقدا ولا أحسن إبرامها التدبير بل القضاء والتقدير . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية بعد ما بعث إليهم بالجهاز مناديه فأسرع كل منهم إليه مباديه ، وسار حتى نزل خفيصة الدحاني ينتظر من قومه القاصي والداني ، فلما اجتمعت الجيوش عنده أرسل إلى والده يبين له قصده ويشير عليه بما يشاء ويريد لأن أباه مبارك الرأى رشيد ، فأشار عليه إلى ثوبى بالوصول فعسى أن يحصل منه المأمول ، فسار إلى ذلك المراد يريد أولئك الشداد وجاءته في أثناء طريقه عيونته حتى تخبره بتوقيقه ، فأعلموه أن جميع الأعداء وأهل الزبيغ والردى كلهم على حمض مجتمعون . فعجل إليهم اثلا يكونوا بجيئته يعلمون فلم يجتهر أحد قبل الغارة فكانت لهم هى الندارة ، ولما أقبلت عليهم فرسان الإسلام كان لبني منتفق إليها بأس وإقدام وسرعة اختلاط والتحام ، فانكسرت فرسان المسلمين فأمر عليهم سعود أن ينيخوا أجمعين وأخبر أهل الدين والإسلام أن ليس لنا إلا الصبر على ما قدر العلام وتجريد مواضى العزم والمهمم ، فعاقبة الفشل والفرار تدم ويحصل بها لفاعله الددم ، فوطنوا أنفسهم على الزحام وعرفوا أنهم على إحدى الحسينيين العنيفة أو دار السلام ، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة وأقبلت تلك الجوع تصادم كلا منهم فلم يلموا على المسلمين مقدرة وقد بذلوا دون الهزيمة العذرة فلما لم يجدوا بدا إلى العز والسلامة

وهرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حمامه فامتطوا الأقدام في الفرار والانهمزام ولم يصبروا على الزحام ، وكل من أولئك الشجعان رضى بالذل والهوان وأرخصى له الأرمسان وطاع بها قهرا من غير إذعان. فغنم أهل الدين والإسلام ما معهم من جميع الحطام على كثرة أجناسه وأصنافه وفرط تباينه واختلافه من بعض الخيل والأثاث والأمتعة والخيام والضيوان المشهور الأعلام ، ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد وأناله من أعدائه المراد وأراد الانصراف إلى البلاد ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصيرون لقرية واردين بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين لكن أراد أمرا فأراد الله ضده ليخذل الباطل وجنده ويظهر شرف من أراد عزه ومجده، فلما أناخ سعود للراحة في القافلة كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة وبدا له عن ذلك الطريق لما أراد مولاه له التوفيق وأعرض عن ذلك المراد ، فلم يكن له إليه إلمام لما أراد الله له العز والإكرام فلما استقلت به راحلته وثارت وصرفت وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت ووجلت قلوبهم من ذلك وطارت ، فبادر إليه صالح أبو العلاء وأخبره بتململ أولئك الملا ، وكان أبو العلاء هو الدليل فأخذ يلاطف سعودا ويستعطفه ويستميل حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا ليقضى الله تعالى له أمرا ، فلما علم الدليل ذلك الحال واستولى منه صحيح المقال أخذ يشدد ذلك عليه ويهيم المسير إليه وقال له وهو في ذلك صادق تصل إلى بلادك في أحسن الطرائق قبل أن تصل إلى ماء الوفرا فاختار لنا ولنفسك الطريق الأخرى ، فلم يجد فيه ذلك الكلام فسار حتى ورد الماء تلك الأيام فشرب من الوفرا ونوى بعدها الحفر وجند في سيره يريد الورد والصدر حتى إذا توسط وغارب اليبس عن لهم أن على ماء الحفر طلبا رصيدا وحزبا يريدهم قعيد ، فعلم الله حالهم فلطم بهم وأنالهم وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب فاستقوا من ذلك العذب الزلال فطاب لهم الحال ولكن لم يعد خطتهم ذلك الوابل بل كان بإغاثتهم نازل ولريهم هامل ، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة فساق الله تعالى من أيديه الكريمة وأهدى له من مواهبه الجسيمة ركبا من آل سحبان كبيرهم ابن مغفل فقتلوا أجمعين وكانوا قريبا من التسعين، ثم انصرف إلى بلاده مؤيدا منصورا مأنوس القلب مسرورا ورايات الإقبال عليه خافقة والأسنة بتوفيق الله له ناطقة . وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمسلمين

يريد الاحساء فحث السير لذلك المرام والهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلاد وظهر له منها السواد والقمام ، فأناخ على المبرز حين غطى الضياء الظلام واستحكم الكرى والمنام في مقتل أولئك الأنام ، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه ويبد من إظلام تقشعه وانتهاضه حتى بدت خيله وحمامته وشهت أصوات البنادق رماته وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان خينانهضوا يريدون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة ، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح في عروج فدافعوا عن الدخول والهجوم ، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء وجالوا مع المسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم وسر بالهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط النهار وشمّر للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم المبطلين وأحدثت الفرسان والرماة والأبطال بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحب الهلاك وحان لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الحبيشة قارض وراموا المسلمين دفعا وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعا ومنعا ، فجذوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفموا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا التضرع والابتهال إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى السكروب فضلا عن كونه يدفع النوائب والخطوب ؛ فلما فرغ سعود من صلاة المساهب له نسيم الصبا فزال عنه الأسا ودعا ربه بحضور قلب وبأل أن يحسن له العاقبة والحال ويمكنه من هؤلاء الضلال ، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له سؤله وحقق له مأموله فنهد إليهم مسرعا ونهض ، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض ، فشدوا على القرية الحلة فانتدبوا إلى الفرار جملة ، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق لكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فج وطريق . فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المحتم المقدور وحل بهم الأمر المشهور فدخل عليهم في تلك المنازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسا وأنزل الله تعالى عليهم بأسا ، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب البهم وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون وهم في بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا من غير لبس وقتل غيرهم

ذلك اليوم ممن اختفى من أولئك القوم ، وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له بال وانصرف سعود إلى بلاده راجعا وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مقيم ، فلما برزوا أراد منهم السير إلى الفضول مع جميع أهل البرز فأبى كل منهم وما أحرز بل أبدى الذل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالحين والذلة ورضى لها بالمذلة. وفيها توفي الشيخ عيسى ابن قاسم وكان بنشر الدين مجدا قائم وتعليم الناس ملازم رحمه الله تعالى .

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف. وفيها وقعة غريميل ؛ وذلك أن سعودا حرمه الله تعالى وأسبغ عليه نواله ووالى جميع المسلمين ومن لهم من البوادي والعربان وسار معه بعض بنى خالد الجلوية مثل زيد بن عريعر وقصد بنى خالد وجد في ذلك الشأن وجاءت إلى بنى خالد بذلك الأخبار وأسرعت قبله إليهم الإنذار فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحسا يريد منهم الدول ويحثهم على ذلك فلم يطع قوله ولم يمثل وحاولهم أخوه ثواب وخوفهم فلم يجد فيهم ، فانصرف منهم على عجل بخيبة القصد والأمل فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف يزيدون على آحاد الألوف ، وأقبل سعود بأهل التوحيد فنزل تجاههم بتؤدة وتأييد فتقابلت تلك الصفوف وتقاتلت تلك الألوف وبرحوا أول النهار في تجلده واصطبار وجولان بينهم وطراد ومناوشة بعض وجلاد حتى بان وقت العصر وحان وأدبت فريضتها على سكية واطمئنان ونشق أهل الدين نسيم الصبا وسبق كل منهم إلى الجلال وصبا وباعوا على الله ثمين الأعمار آخر ذلك النهار ، فصبر عند ذلك بنو خالد ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد ، فلم يكن المولى لهم مساعد فحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية وأمست رمتهم عن مواقفهم جليلة وأمسى المسلمون لأعقابهم نالية وانهمزم جميع تلك الأمم ولكن أفتيح فرار ومنهمزم ، فأنحدرت الرماة من رفيع تلك الآكام مشمرة في الفرار والانهمزام ، وملك المسلمون محلهم وشتت الله شملهم ومذ يرحوا بعد ذلك النزول والانحدار في تشمير الساعد والإزار للانهمزام والفرار وكابوا آخر نهارهم وبقية ليلهم إلى أسجارهم في هزيمة وانكسار وضياع أموال ودمار. لا يلوى أحد على ماله وأهله ولا يروم سوى نجاة عمره لقبج فعله وحق للمسلمين والله الحمد عادة الله ووعدده وعمهم فضله وإحسانه ورفسده وتفضل عليهم بتلك الغنيمة

العظيمة فحوا تلك الأموال الجسيمة ولكن سعادتهم بهم نهج معهم نهج الكرم المودود وأحسن فيهم السيرة ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة وسابق تلك الجريمة وما راموا من الأمور الضريفة ، فما جار فيهم ولا قطع بل أعطى ومنع ووصل ورفد ولم يعاقب منهم أحد ، وأسدى إليهم المعروف وتطول وأبدى إحسانه عليهم وتفضل واختلف حال أولئك العربان بعد ما حق عليهم النذل والمذون فبعض صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحساء فازداد حوانا وتعسا ، ولم تزل فرسان الموحدين في أثرهم طالبين ولأكثرهم مدركين فلم ينجح بما عند إلا القليل مثل ابن جرذى وغيره فما كان عليهم من سبيل وبعض صار وجهه إلى سيف قطار وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه وبعض من جماعتهم فكل قصد الزيارة ، وصدر واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر ، وأكثر أهل البوادي والعربان اختاروا الاستقرار في الحساء والاستيطان فشمروا في طلب الأمان من سعود والدخول في حوزة أهل الإيمان فأعطاهم ذلك وأنالهم فأدركوا منالهم ، ولما انقضى شأن غريميل كما سطر . وقيل أراد سعود حرسه الله تعالى من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحساء حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين ويزيل ما فيها من بدع المبطلين ، ويحقق نيل أهلها العهد في الدخول في الطريق الحمود حتى يستمروا على سنة خير المرسلين ويقلعوا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين وبآثارهم وآصارهم مقتدين فأبى عن ذلك وتعلل وتضجر وتلمل . فأراد سعود إليهم الوصول حتى يتم المقصود والسؤل فارحل من ذلك المكان يريد ذلك الشأن ، وفي أثناء ذلك الطريق عن في قلبه أمر وخطر صرفه عما إليه بدر فشمروا للظهور والنجدة فظهر . وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه فشمروا لعزمه الساعد وسار بمن معه وساعده وتبعه يريد بعض البدوان ممن صد وأعرض عن الإيمان ، فلما أشرف على بني هاجر وكاد أن يكون عليهم غائر وجمعهم مشتتا كاسر سول الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان أن يجمعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين ، فلما أغار على عرب بني هاجر اتخذل عنه أكثر من كان معه سائر وصار غالب أهل البادية على من بقى معه عادية ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان فكان لهما ثبات على الإيمان ، فعند ذلك اشتد الكرب والبلاء على المسلمين من ذلك الملا ووقع بينهم القتال وحمل بينهم

المجال واستمر الطمان والضرب واشتد الخطب والكرب من آخر النهار إلى هزيع من الليل والأبطال تقحم في ذلك المعرك الخيل ، فقتل من المسلمين نحو العشرين وأخذوا منهم مثلهم مأسورين وكانت تلك الواقعة تسمى الليلة عند أولئك البرية فبعد صدور تلك القضية طمعت في الردة النفوس الشريرة وأهل الأفعال الردية ، فارتد جماهر وحويل ومن معهم من الأقوام وعدلوا عن مناهج الإسلام . وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز حرسه الله تعالى كتابا وذكر في أثنائه أنه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين ويكون فيه على بصيرة ويقين ، فأرسل إليه عبد العزيز الحصين كي يشرح له بلسان الخطاب وجه الحق والصواب ويزيل عن محياه النقاب فيبدو عند ذلك لألاء السنة فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنه وكتب معه الشيخ إليه رسالة بين فيها دعوته ومقاله : ونصها بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعي الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد جرى علينا من المتننة ما بلغكم وبلغ غيركم . وسببه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم أعظمها اتباع الهوى مع أسباب آخر فأشاعوا عنا أنانسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام فنحن والله الحمد متبعون لامتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأشرفتم على ما عندنا بعد ما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية ، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثالا وهو إليكم واصل ، فلما كانت المسألة إجماعا فلا كلام ، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد

فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله وأنى متبع لأهل العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة فأكرمه غالب وشرفه واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة أتى وكفر وتمسك بقديم سنته وأصرّ وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه وينظرهم في أصول التوحيد فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجواز بلادك ، فطار لبه وارتعش قلبه . ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سمود أدام الله له السمود فسار بالمسلمين وجدوا السير مشمرين وأنصوا الجياد والركاب في ذلك التسيار والذهاب ، ولم يزل يعنق وينص في ذلك السير حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميداني وأسلاف آخرون في أرض الجريسية مجتمعون وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لا يرد الحذر الأقدار فمجلت لهم قبلة وكانوا مع ذلك على مهلة ، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وعجوا ونادوا بالويل وضجوا ، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فخانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الفرار فصباحهم الجند الكرار والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فرار والعصابة التي هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار ، فحاولت تلك البوادي أن يردوا الفرسان العوادي وجلالوا معهم في الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والمهلك الأكيد من حماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفا وخمسين وغنم المسلمون ما معهم من الأموال من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المسلمون بنيل الآمال . وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله تعالى له المآب . وفيها أظهر الشريف غالب كيداً لم يظهره قبله محارب ورام أنه لأمر الله غالب فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يكاد يحصر رقمه القلم في كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل واد ونهيج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد وسارت له الرسل والركبان إلى

جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والكل ساعده وأنجح أمره ؛ فلم يدع بلدا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإغاة إلا أرسل إليها فورا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوى تجره وتكبره وشيطانه وتمالاً معه الخلق كافة وما كان لهم من الله تعالى مخافة بل جدوا معه وقاموا وسهروا في منامهم الليالى وما ناموا فياخيبتهم وما طلبوا وما راموا أنحارب رب العزة والجبروت ومن بيده الملك والملكوت ؟ أينادى بالحراية أصل الإسلام ؟ أينادى على هدم أسامه جميع الأنام ؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد ويتداعى على إزالته بعد التشييد ؟ أينسلون إليه من كل حذب وينسل له ذوو الحاجة والأرب ولا يهاب جناب الرب ويرتقب . كلا لقد عميت الأبصار والبصائر وانسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر وعدل عن منهج البيان فأضحى محياه غابر وترك عين الشريعة فكاد تميرها أن يكون غائر حاموا على سلف الجسود والأبوة وبذلوا فيها النجدة والفتوة وتمسكوا فى الحقيقة بتلك السنة والطريقة والتزموها أشد التزام . فلم ينكفوا عنها على الدوام رخص عندهم فى استقامتها نفيس الخطام وهان لديهم فيها البذل والتسليم والامتثال بل رخص عندهم ما هو أعظم وأجمل وأخف وأكل وأجل وأعلى وأرفع قدرا وأعلى الأعمار وجواهرها وأرادوا المناصب وظواهرها فهانت عندهم الرقاب والأعمار وركبوا لها ركاب الأخطار وطرحوها فى ميدان القمار وألقوها فى ذلك المضمار فكانت عقباهم الخسران والدمار ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله وكل يجازى بفعله ، فلما رأى ما اجتمع فى فئائه ورحابه وما نزل فى أوديته وشعابه وما ضمه إليه تطلاب ركابه من أولئك الخلق والجموع والأسباب والملا الذى طبق وأوسع الفجاج والفلا ركض برجله وتجر وعلا وشمخ بأنفه واعتلا وزين له الشيطان أملا وسعى إليه عجلا وتحكم فى قلبه أبو مرة ونفذ فيه غيه وأمره وزخرف له مكره وغديره وحقق له فى مرامه سولا وحشه على التسيار وصولا وكان ذلك إلى تسوية حيله ، فأسرع إليه وحرض عليه قبيله فبادروا إلى الخروج وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج وأظهر سريعا امتثال الطاعة لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة فكانت ولله الحمد بضاعته أخسر بضاعة فلما آن أن يبدو لظهوره شمس وحان أن يتبين فى جبينه نحوس وحسب فى أفقه نجم سعده ويكشف بدر توفيقه ورشده ويقف الخلق على ما أمروا به من مجاء وزجج ألسنتهم خاشعة بعد مطالعتهم لبركته وعينه وجده

ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وجدده وأقول كوكب عزمه ونصره وفقده فقد جزموا وحكموا وفهموا وعلموا أنه يفتح نجد بنجده ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجوده والأسرار التي وصلت إليه من جده (سبحانك هذا بهتان عظيم) يشهد به كل ذي علم عايم وقلب على الحق مستقيم ، جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجله في المسير إلى نجد فسار إليها وأمّ ، وإشالت أيضا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل سوادهم إليه نائل وأقبلوا بأجمعهم إليه عاجل وارتد كثير من أسلم لأجل ذلك التسيار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلدة خلق كثير لا يمحسون ولا يعدون ولا يستقصون ، وبدأ للشرك دخان وضرام وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس فتام وتبين العناد جهرا والشقاق ونفق والله سوف النفاق بل نجم وقام على ساق ، ولكن والله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق ، ولم يبد لشخص مظلومهم إشراق ، بل شاهدوا من الهم والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق وأسقامهم من صرف الأسف والحسرة كأما مريرة المذاق ، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق ، وأسر دائم وإفلاق حتى يكون من الثرى تحت أطباق ، فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان فنزل سريعا على قصر في السر يقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام ، فأناخت تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاء وعولة وأصوات وزعقات وجلبة هائلة وضجات ، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشرفات وراموا الأسباب والسلام والكل على التسور عازم ، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيا وتقمات وأعقبتهم هوانا ومذلات ، فلم يدرك منهم فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة ، فانصرف خاسئا ذليلا وأقام في أرض السر زمانا طويلا نحو من أربعة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور وفي أثناء تلك المدة المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم يزل مأمل من الربح والعود ، فلما نزل عليه وأناخ حواله عزم ، وآلى وأقسم بالله تعالى أن لا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين ويتولون منهم المتولى والممكن ، فدهموا

بالسلام الجدار محتدين ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التحصين وأتوا ذلك اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين ولكن أراد الله لهم النصره والتحكين وإعلاء كلمة المسلمين ونجاة عباده المؤمنين فظهرت حكمة رب العالمين وبان خزي المبطلين وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام أن جميع الأنام لا يقدرّون على إيجاد ذرة فضلا عن إيصال مضرة فزادهم إيماناً مع إيمانهم وأقرهم في أوطانهم ، وقد قتل من جماعة الشريف وقومه في المرة الأولى والثانية في يومه رجال كثيرة وصارت حاله في ذلك شهيرة ، وفي أثناء تلك الليالي والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل الإيمان والإسلام أن يجردوا مواضى العزيمة ويصدقوا النية في الجهاد لدى العطايا الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين في جميع الديار وحثهم على سرعة المجيء والتسيار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقام سعود في أرض رحمين عند البلدان حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المعادية التي هي بالشر مبادية فنهضوا سراعاً ، فلم يفجأ بعض العربان التي مع الشريف إلا بالخيال العادية ، فأخذوا بعض الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل ، وفي تلك الأيام أرسل سعود حرس الله مجده وخالد سعوده نعيمشام مع جميع من المسلمين إلى أهل الوادي ليكون أكثرهم عن الإسلام مرتدين وهم قوم حويل وجاهر ، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر وأمر فيهم شريفاً يسمى شاكر وكان أكبر تلك الأقوام بنى هاجر ، فسار نعيمشام لذلك السبيل ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل ولا مرام ولا تحصيل ، فأسرع بهم للحاق وحصل بهما له الاتفاق واستضاءت بقدميه لأهل التوحيد تلك الآفاق فلما قدم تلك البلاد شعر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهاد فخرجوا إلى اللدام سائرين ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين ، وكان أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله وعنده فقصدهم أهل الإسلام في بعض الأيام وجرى بينهم قتال والتحام والتهبت نار الطعان وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان فشدوا على أهل العصيان فانهزموا ولم يبق منهم للجلاء اثنان وبادروا البلاد وقتل منهم ذلك اليوم عشرون في النعداد منهم من آل شمرى أربعة رجال وقتل من المسلمين ثلاثة ورجعوا بأحسن حال . ثم بعد ذلك وصدوره

بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد مهف البأس على أولئك القوم وجرد فأوخذ
وأعنى بذلك السير حتى أصبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب
بحد السنان وتريش ، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سنايك العرب والأسنة تلعب في
ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبوار التي تبيض مثل البروق في خلل السحاب
أو لمعات النار في الانهاب فتلقته أولئك المطران وأقبلوا عليهم مجتمعين في قران
كأنهم أجنحة النسور والعربان ، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من
نحور أهل الإيمان ، فأبى الله أن يدنس واضح غرهم هوان أو ينال من ضررهم
إنسان أو يصل إلى تلك النحور التي هي ممر لألفاظ القرآن من أيدي الأعداء سنان ،
فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره ، فقتل المسامون منهم
فوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين ولما جرى على عبد العزيز الشريف
وقومه ما جرى من الذل والحزى بقي حائرا متندما متفكرا فلم يجد له الرأي ما يفتح
له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد فأرسل إليه
الرسول أننا قد أدركنا الأمل وأنا أخذنا بلدانا فأتنا أنت والأمداد على عجل فقد رعب
أهل الوطن والمحل والكل قد جبن وذل فلما جاء ذلك الخبر بادر إلى ذلك وظهر
فرجع والله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المسلمين ونواهم بالقطيعة فما قدر وبدل وسار
بمدانعه وقنابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر
ولا تعبر تياره الفكر وكانت حاله لكل معبر عبرة من العبر وآية دالة على الوحدانية
وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلا عما شهدها وحضر وبرهانها لأهل
التوحيد من يأتى بعد ومن غير ودليلا قاضحا لأهل الضلال والزيغ والغير فسبحان
من حجب عقول من شاء عما أبدى من الآيات وأنشأ وطبع على قلوب الضالة عن
إدراك المعرفة له وقذفها في مهواة الدرك الأسفل من الدرك وألقاها تعانى فيه ما أعده
لها وأودعها فيه وترك وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختر كل منهم ذلك الطريق
وسلك . اللهم لاتهاكنا فيمن هلك واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك واجعل لنا
من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وفلك . وكان خروج غالب في شهر رمضان
الذى فيه تغلق أبواب النيران ؛ فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض
السر وارتحل حتى وافى أخاه غالبا على الشعري فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القرار

في تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويحرق منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسفط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام وثلم الدين والإسلام ولم يخشوا قبائح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادي به لا يصدقون (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأقام غالب وجموعه وجنوده وكل يوم تزجي سحب العذاب على تلك القرية رعوده ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده وأسبابه وآلاته وكيدته على مصداق قوله شهوده ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده لا تفارق نجدا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده ويتألم لما ناله محبه وودوده. فرجع الله الحمد ذليلا متندما هو وقروده وعادت سننير أشباله وأسوده وأرضت أرائب قفر وبغات نسوره وفهوده فتبارك الذي بيده الآيات البينات ويرفع الأعلام على انفراده بالألوهية والعبادات ويأبى أهل الزيف والضلالات إلا إصرارا ونفورا، صرف سبحانه الأحكام للناس وبين، وصرف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين، وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولما انصرف الشريف غالب مرعوبا غير مدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجال مشئت الفكر مكدر البال وجاء الخبر سعودا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معقل مع بعض من المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجسد في ذلك الأثر فأغار على فريق من قحطان فأخذ عليهم إبلا كثيرة ففرع عليهم منهم درسان وجالدوا لردّها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسا بخيبة كريمة ورجع بأوفر غنيمة. وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود فسار بالمسلمين وأدج في ذلك السير يريد شمر وعربان مطير ولم يبرح يحد في مسيره وينتضي فيه عزما ويجرد له همة وحزم حتى أدركهم عند جبل سلمى ولم يفهموا عن مجيئه خبرا ولا علما، فأناخ في ذلك المكان عند ماء يقال له العدو وكان عنده عربان يدعون البراعة والعبات قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه ودعا الله أن ينزل عليه نصره ومكينته ويثبت جنانه وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه وصبيح أوائك الأسلاف والعربان وشدت خيله ارة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس وكلهم ما بين معلم ومقاص

وشاكي السلاح ملايس ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس ، فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده النذل وركنوا وجدوا في الدفع عن الأعماز والأموال والظعن ، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبدله أحد من الناس في سابق الزمن حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوى الضلال والفتن وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السنن فشمروا في الانهزام والفرار وجسدوا في الادبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار ففتح الله تعالى المسلمين جميع أموال الكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده ولكنه ركب غيره فهاذل ولا انخذل بل أخذ يركب العقول ويملو قلوب الفحول فضلا عن صهوات الخيول وقتل أيضا منهم أبو هلبية وغيرهم رجال وانهزموا بأقبح حال ، ولما قطع الله تعالى وصلهم وجد حبلهم وشنت شملهم تفرقت تلك البوادي والفرسان تنذب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدر وكان ، وكانت تلك البوادي ترى الغنم وقسيم البهم في فياض أراضى ساءا ، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وسلماء ، وترد على رغم العداة زلال ذلك الماء ، وقد أغراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحد يرومها ويقواها فضلا عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أورها من الهلاك وهواها وحينئذ وقف عليهم وناداهم بدعواها هذا جزاء اغواة ومثواها إنها تهلك النفوس بطغواها ، فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كؤوس السم الناقعة وكانت ألباهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصره أفواجا ومائوا لها مهامه وفجأ وهيثوا لها سببا ومنهاجا وانضم إليه ممن حولهم كل ذى عمود وكان إلى تلبية الداعى إجابة وعمود ومبادرة للإغاثة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود ، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود ، فأقبل كل منهم يولى على عدم التولى وبذل الجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدور ، فأوردتهم ذلك البغى الطريق المسدود والنذل الذى كان لهم إلى حياضه ورود ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود ، فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطعانهم الشجعان والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالنذل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان ، وكان

ورودهم على المسلمين مساء قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا المني والمطلوب وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسرى والليل أمامه وقد نشر على السارى أعلامه ويعمى أثره وأعلامه فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص منتريس، فساقوها أمامهم وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من المشركين كثير في تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناه دراك ولم يذكر له نظير في العرب والآثراك ولكن تلقتهم الحماة بالصدور وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور وصدقوا في الاشتراء والابتياح وقالوا والله لا نضيع ولا نضاع فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حفرهم مولاهم بوعده ونال منهم غاية قصده وأنزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى في أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته ، فانهزم أهل الضلال بعد ما أفرغوا الجهد والحال (وما كان لهم من الله من وال) وكان ظلام الليل في بدو وإقبال وولوا على أعقابهم في الأدبار وكان ضوء النهار في إدبار، وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضل العقيم أنال المسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال. فشعر المسلمون في أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب في أثرهم أياما وليال والمسلمون في أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ما حووا منهم من الخيل والأمتعة والغنم ما لا يكاد يحصل مثله ويغتنم فالذى اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا منازعة ولا خلاف ولا غلو في القول، ولا إسراف سوى مامت في الفلاة ، فلم يكن إليه التفات ورجع المسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالاذلال وقتل منهم بعض رجال منهم مساط بن مطاق الجربى الذى زاد في الشر وأربى .

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف. وفيها غزا معود لازال إلى المعالى

فى صعود فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها وأن يدمر أهلها وسكانها ويمزق منها أصنامها وأوثانها ويخزى أربابها وأعوانها. فسار فى ذلك مجداً ولبغتهم مستعداً ، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة حتى كان الحظ مراعاة ومناخه ، فأمست رواحله به مناخه وحطت خيله وفرسانه فيه يمينا ويسارا وخطر خطيه فى فئائه تبخترا وافتخارا وسابق النصر الاقبال إليه وجارى ، وألفى جميع تلك القرى بلا شك ولا امتراء قوما فجارا قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية وحملوها آصارا وخرقوا الملة السنية فنالوا به أوزارا وأطفئوا مصابيحها السنية ورفعوا للرفض منارا وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلا ونهارا وزادوا فى ذلك غلوا وعلوا واستكبارا ، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارا (وقالوا لا تذرنا آلهتكم) وأصرروا عليها إصرارا وبارزوا فى ذلك إعلانا وإسرارا من أحاط بالأشياء علما خفية وجهارا واستمرت جياذه تجول وتبارى حتى عرف قصده وحققه معرفة واختيارا فأحاطوا بسيئات بعد ما تلالأ الضوء وزاد إسفاراً وكبروا فى نواحيا إعظاما لله وإكبارا فملئت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال ورأوا ذلك القتال مهابة وانذعارا وصبروا ساعة تجلدا واصطبارا وهموا أن يحفظوا جوانب البلد فلا يهتك المسلمون منها دارا ، فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكا ودمارا فتسورها المسلمون وهجموا فيها زمرا وأقطارا وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم من آلهتهم أنصارا وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هوانا وخسارا وشربوا منها عبيطا يزيد احمرارا فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلا لا وإكثارا واستولوا على جميع ما فيها من الأموال التى لاتعد ولا توصف ولا تحصى استعظاما واستكثارا ، ثم قصد المسلمون القديح فقدحت فيه زنادهم فأورت نارا ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارا واستولوا على ما فيها من الأموال التى لاتعادل ولا تبارى ، فعند ذلك أيدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكسارا ، فاستولى المسلمون على العوامية وعنك وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى الفرضه وراموا بها حصارا ، فأحاط بها المسلمون ودعوههم إلى الاسلام فأبوا إلا كفورا ونفارا وأقاموا أياما يقاسون ذلة وجهدا واحتصارا حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة آلاف زر فقبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارا ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان ، ومعبودات الشيطان وكنائس الرفض والطغيان فأصبح أهلها عليها حصارا وأحرقوا

تلك الكتب القبيحة بعدما جمعوا منها أحمالا وأوقارا ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرا ونفارا . وفيها توفي شيخ الإسلام وعلم الأئمة الأعلام المتبحر في العلوم النافعة المفيدة والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته المحيطة ذو الفكر الوقاد والدهن المنقاد الغائص على درر التوحيد في قعر البحور الفائق عن جواهره الأصداف حتى زين بها النحور المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصر عن بعضه الفهم ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم المتفنن في فهم القرآن والاستنباط فلا يقاس قعر تنبؤة ولا يغاص ولا يحاط ، المنفرد في نشر أعلام التوحيد القائم فيها لله تعالى بالتجريد المؤيد فيها بالإعانة من الحميد المجيد المسدد فيما يبدى فيه من الدقائق ويعيد المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضال مضل مريد الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صيته وانتشر قامع أهل الشرك والضلال وراذع ذوى الزيغ والضلال معز أهل الدين والإخلاص والجمع ومذل ذوى الإلحاد والأهواء والبدع من أصبح محيا الدين به وأضحى منيرا وظلام الضلال متقشعا مستطيرا وثغر الحق متبسما تبججا وتبشيرا وأصبحت به السمحاء مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمة على نهجها في البادية والبلاد يؤمها الحاضر منه والباد ، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرا من العباد وهلك من أراد الله عليه ذلك فأعرض وناد ، فلم يحضر للدعوة ناد . المقيم من السنة لاجبها ونهجها المقوم منها مائلها ومعوجها ، ناهج منهج الصواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه وجعل الجنة مشواه ، فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عليه ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه ويدنيه من حضرته ويقربه لديه اختار له منزلة الدنوة من الحضرة حتى يوفيه بفضله أجره ويمحو عنه أزره ، وكان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال ، فنقله الله إلى جواره وحضرته وقربه إلى حظيرة قدسه وجنته وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته ومحل تفضله وإحسانه ومبرته وكانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام لا يزال سميحه القرآن في دحا الظلام ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام والتأني والتثبت في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك فيحكمه أتم الأحكام ، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصدده ولا تحمله على ضده مداوة ولا ترده بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه وتبين له فصل خطابه

من كتب الأئمة الأربعة المقلدة في ذلك المتبعة لا يعدل إن لم يجد نصا من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا إليها ، ولا يعول إن لم يلف قاطعا إلا عليها بعد المراجعة والتحقيق للنص وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص . وكان رحمه الله تعالى وأفاض عليه سبحانه غفرانه هو والى هو الذى إليه بيت المال يحب ويدفع إليه ذلك ويحب من جميع بلدان المسلمين ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا وعن كثرة الأكل منه متعففا بل يعجلاه خروجا ومصرفا ولا يأكل منه إلا بالمعروف وليس أحد عنه من ذوى الفقر مصروف وكان سمحا جوادا كريما لا يلفى عنده المال مقيا ، كان لا يرد السؤال إما أثاب عاجلا أو بعد حال فيرجع سائله بنجح الآمال . وتوفى رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهم فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل والحقير . وقال المصنف يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نفع	وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كسفت شمس المعارف والهدى	فسالت دماء في الحدود وأدمع
إمام أصيب الناس طرا بفقده	وطاف بهم خطب من البين موجه
وأظلم أرجاء البلاد لموته	وجل بهم كرب من الحزن مقطع
شهاب هوى من أفقه وسمائه	ونجم ثوى في الترب واره بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه	وبدر له في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه	فداجى الدياجى بعده متقشع
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى	وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا	فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقه	حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى	بوقت به على الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحة	أزيل بها عنه حجاب وبرقع
سقاه نعيم الفهم مولاه فارتوى	وعاما بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه	وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها	ومصباحه عال ورياه ضيع

سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها
 وشمر في منهاج سنة أحمد
 وينفي الأعادي عن حماه وسوحه
 يناظر بالآيات والسنة التي
 فأضحت به السمحاء يسم ثغرها
 وعاد به نهج الغواية طامسا
 وجرت به نجد ذبول افتخارها
 فآثاره فيها سوام سوافر
 لقد وجد الإسلام يوم فراقه
 وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى
 وطارت قلوب المسلمين بيومه
 فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا
 وفاضت عيون واستهلت مدامع
 بكته ذوو الحاجات يوم فراقه
 فالى أرى الأبصار قلص دمعها
 ومالى أرى الأبواب تبدى قساوة
 لقد غدرت عين تضن بئائها
 بحق لأرواح المحبين أن ترى
 وتتلو سريرا فوقه قر الهدى
 فما بالها قرت بأشباح أهها
 فيالك من قبر حوى الزهد والتقى
 لأن كان في الدنيا له القبر موضع
 سقا قبره من هاطل العفو ديمة
 وأسكنه بمجوحة الفوز والرضى

سواه ولا حاذى فناها معيدع
 يشيد ويعي ما تعنى ويرفع
 ويدمع أرباب الضلال ويدفع
 أمرنا إليها في التنازع نرجع
 وأمسى حياها يضى ويلع
 وقد كان مسلوكا به الناس تربع
 وحق لها بالأمسى ترفع
 وأنواره فيها تضيء وتسطف
 مصابا خشينا بعده يتصدع
 وكادت له الأرواح تترى وتتبع
 وظنوا به أن القيامة تفرع
 وكادت قلوب بعده تتفجع
 يخالطها مزج من الدم يجمع
 وأهل الهدى والحق والدين أجمع
 وايسر على فقدها تهى وتدمع
 وايسر على ذكره يوما توجع
 عليه وكبد قد أبت لا تقطع
 مقبوضة لما خلت منه أربع
 وشمس المعالي والعلوم تشيع
 ولم تك في يوم الوداع تودع
 وحل به طود من العلم محرر
 فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
 وباكره سحب من البر همع
 ولا زال بالرضوان فيها يمتع

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له السمو والصعود فسار بالمسلمين يطوى المهامه ويتحمل في ذاك المشاق والمكاره وينضى الاجسام والقلوب في قطع تلك المفاوز والدروب حتى وطأ يمين اليمن أرض الحروب فشرب هو وجنوده من الحناكية فروى وارتوى فعزم أن يصبح حربا ومطيرا على الشقرة ونوى فما أقام بعد ذلك ولا ثوى بل سار حين ألفتهم منه العيون وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون وأنهم عنه منهزمون وقد ظنوا أن المسلمين لهم لا يطلبون فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود إلا والمسلمون من عليهم نهود فكل فر بنفسه يجود ولم يستطع الوقوف فضلا عن التعود فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب فشمروا للهروب بين تلك الشعاب وكان المسلمين خلفهم طلاب فشدوا في أثرهم بالسير والذهاب فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم حتى صاروا شذر مذر وتوعروا الريعان والحجر وتجللوا صل ذلك المدر فرجع عنهم المسلمون وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون وغنموا غنيمة عظيمة وكانت على المشركين أخزى هزيمة وأخذوا ثلاثين من الخيل وحازوا مجدا وغرا ونالوا مع ذلك أجرا واجتمع من الإبل في تلك الغنيمة ثلاث آلاف فقسمت على التسوية والإنصاف وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال ورجع المسلمون بنيل الآمال في أحسن حال وأنعم قلب وبال رغما على أنوف أناس من ذوى الشر والإبلاس الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم فظنوا أن الطريق الذى عليه الموحدون ضلالة وحمق وبدعة وجهالة وسفاهة محققة مفهومة وموسومة عند العقلاء معلومة وبالخروج موسومة وستموت بعد موت صاحبها وينطفئ منير مناهجها ولاحها ويندم حينئذ قلب طالبها فلا تلقى لها من الناس داعيا ولا تجد بعده سامعا ولا واعيا فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى وأخزى ذوى النفاق والأهوا وألقاهم بقدرته فى القعر الأهوى وطبع على قلوبهم بطابع البلوى وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى. وفيها غزا هادى بن قرملة مع جمع كثير العدد وليس معه غير البدو أحد جدد في سيره ذلك واجتهد مع أولئك الأعراب حتى وافق مطير على ماء الخناجى فى ذلك الطلاب فصباحهم على ذلك الماء المورد فالتقته فرسانهم فبدلوا فى الذب المجهود فاجتلدوا ساعة حتى من الله الودود بالنصر على المسلمين فأصبح كل من ذوى الشر مشرود وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير وفاءوا بأحسن بشير .

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل

الخروج والفرع وأناس من البدوان فشمروا لقصدته وابتدروا حتى بدت له أعلام قطر فأغار على من بدا منهم وظهر فأخذ ما معهم من غنم وركاب بعد مجالدة وضراب وصدر إلى وغلته وبلاده بعد نيل مراده . وفيها غزا سعود سلك الله به مناهج السعود فسار بالمسلمين يريد بني خالد وكانوا مجتمعين فشمروا في ذلك وجد السير والسرى ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى من ظهور برّك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورياسته في بني خالد والحسا وولايته وأخذته لفرقان من سبيع وغيرهم واعتدائه عليهم وغارته ؛ فلما توسط المسلمون تلك الفجاج وتسلموا ذروة ذلك المنهاج ورأوا ما بذلت العربان من الاندثار والانزعاج علموا عند ذلك خبره وفهموا غارته وضرره ، فأحضر سعود غزاة الإسلام ونشر لهم تلك الأعلام وطلب منهم المشورة والإفهام وما يترجح عندهم من المرام هل يقتفى أثر هؤلاء الأقوام أو يقصد أهلهم ومحلمهم فليس عندهم من يحول دونه من الأنام فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام أن يعمدوا إلى أهلهم عاجلا فيصبحهم ويرجع آملا فذلك لدينا أولى وأرحح وأسرع للمراد وأصلح فأبى ما دعوا إليه وقال : إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار فهو إنكاء لهم وأسدّ في الرأي والأفكار وصمم على ذلك الشأن بعزم مرهف وحزم باتر وسمان ، فلم يثنه عن ذلك رأى إنسان وكان ذلك توفيقا من الله وإحسان ؛ فنهض بعد فكيره في حينه وساعته بعد سؤاله مولاه واستخارته وجدّ في السير عازما والملاقاة رأما وقال بعد رفعه أ كلف السؤال بخضوع وإذلال : يا من لا تخفى عليه خافية في السر والعلانية مكنا من هؤلاء واجعل منايهم دانية واجعلهم خيرا بعدعين وأدر عليهم دائرة البلاء والحين ، فعجل مولاه له الإجابة وأدرك منه ثأره وطلابه ، فلما وصل إلى ماء اللصافة وقد انجلى عن من معه الوجل والإخافة نزل بها يرصد من أولئك القدوم ويتحرى لهم كل ساعة المهجوم حتى أنجح الله تعالى مراده ، وجاءه بشير السعادة : قم إلى السعد والإسعاد ، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد وأشرق بمنك في الآفاق والبلاد حظك في الإشراق ولن ترى لأعدائك من باق ، فنهض مسرعا لذلك النداء فإذا المراد قد طلع وبدا فأمرعت من قومه خيل العرب البادية فناوشهم الطعان الفرسان العادية وظنوا أن هذا غزو لبعض البدوان فطامعوا عند ذلك في الطعان وراءوا أن يدركوا منه أسباب التهان ، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشيتهم في البلدان ؛ فماتنا شيت التواضع والارباب واحتجتم فرسان الأشراب طلع عليهم علم الإسلام وأخاهم من الحمام

غمام وأمطرت عليهم من العذاب سحائب وجرعتهم من كؤوس الردى معائب وحلت بهم خطوب ونوائب واستقلت عليهم كروب غرائب وسدت عليهم مناهج المطالب وأبدى الله تعالى فيهم أمورا عجائب وصار كل منهم للنجاة طالب وفي سلامة عمره راغب وعن حومة الرغى هارب، فأخذ المسلمون يقتلون فيهم قتلا ذريعا حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستائة سريعا وأخذوا ما معهم من خيل وركاب وجدوا في أثرهم الطلاب وهم يأخذون فيهم ويقتلون والمسلمون لهم مقتفون ، والذى غنمه المسلمون من الخيل مائتان مختلفة النوع والألوان، وفي تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز لم يدركوا سعوذا فصار لهم إلى بنى خالد انتهاز فصبحوا أهلهم وأخذوا كثيرا من الإبل وحووا غالب المحل وجرى بينهم قتال فرجع أهل الغارة على عجل وقد فازوا بالأمل ، ولما فرغ شأن أهل الشيط وانقضى سار سعوذ يريد الحسا ومضى وأرسل غنما أبا العلا ومهوس بن شقير إلى من في الحسا من الملا وكتب معهما كتبيا يدعوهم إلى الدخول في دائرة الأمان ويطلب منهم الاسلام والإيمان ويرغبهم في الانقياد والاستسلام لدعوة الملك العلام ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام ويحذرهم الصد والإعراض فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض وكانوا إلى الاجابة في مبادرة وانتهاض بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض فأجابوا جميعا أولئك الدعاة وكل أطاع بذلك وأحاط به علما ورعاه ، وأسرعوا إلى خط الكتاب وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياح ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياح ولا اضطراب وحشوا سعوذا على القدوم إلى البلاد حتى يبايعه أولئك العباد ويمهدهم أحسن المهاد ، ولما أرسل سعوذ غنما ومهوسا إلى الحسا أرسل بعدهم سعوذ بن غيث مع ركب من المسلمين وأمرهم أن يكونوا في طريق الحساء مكنين حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين ، فلما قدموا ذلك المحل وافقوا غزوا لأهل عمان قد جدوا في الهروب على عجل فقتلوهم وكانوا يزيدون على مائة رجل وأخذوا ما معهم من الخيل والابل ، فلما قدم إلى سعوذ الكتاب والرسل تم له السرور وحصل وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام ركب قدوم الرسل في وسط شعبان وقدوم سعوذ أول رمضان ، فلما قارب القدوم والوصول كان لكثير من أهل الحساء إلى ملاقاته حصول وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول ، فزل قرب عين نجم وطلع لسوذه في أققها نجم وخرج إليه جميع أهل البلاد وعاهدوا على الاسلام

بالانقياد والاعتصام بحبل الله والقيام على أعداء الله وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام والاهتمام بها أوفر اهتمام وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام ترغيبا لهم في البقاء على الإسلام وتأليفا لأولئك الأقوام فأبوا إلا الدل والصغار حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار؛ ولما أخذ منهم أوثق العهود وأحكم عليهم في البيعة العقود وقلد بالبيعة رقابهم وعرف حالهم ومآبهم وأنهم قد طوقوا بها الأجياد ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد شرع فيما يطلب به شرعا وألقى في إنجازهم بصرا وممعا، فأمر بجميع ما فيها من العبدات والقبب والقبور التي يستغاث بها وتدعى وتندب أن يزال ما فيها من المحظور وأن يسلك بها سنة القبور وأن تستوى على المنهج المشهور وأن لا يصرف إليها نذور وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع فلتزم أهلها الصلوات الخمس والجمع، وبعثت أماكن الزينج والأهواء والضلال ومعتقدات ذوى السفاهة والاعتزال وذوى الضلالة والإضلال وأمر بإقامة شرائع التوحيد والاسلام وإبطال ما خالف الشرع من الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات في المساجد ومعاينة كل متخلف عنها معاند وقتل كل منكر جاحد، ونادى على أنواع الربا بالإبطال فلا يسعى في أسبابها ولا ينال وإفساد كل حيلة داعية إليه أو طريقة هادية عليه، فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل وذوو العقول القاصرة التي لم تدرك المعرفة ولم تنل يتحسرون على مذاهبهم الأول وذهاب أهل تلك الدول، وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب وتأييد كل سالك إليها وذهاب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالذاكرة فيه وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعد ما قعدوا وشمروا في العلوم واجتهدوا وأقر الأئمة في مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها، وقرر العلماء في المدارس فأصبح كل في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مظموسا ولا دارس وأقر الأحباس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل، وأبطل جميع أوقات الرفضة وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه، وأبطل جميع أنواع المظالم، وعفى أثر المغارم فكسد سوق الأخماس وعطلت العشور والأمكاس فاستقامت الحنيفية السمحاء على المنهاج وزال ما بها من الاعوجاج. فأسفر وجه الحق بعد ظلامه وتقشع منه كثيف قمامه وانجلى عن بدر السنة متراكم غمامه فأضاء نوره وأسفر واستكمل التمام بعد ما أقر فتدححت حمائم النصر بلحانها وصدعت بنغمات العز على أفنانها

وتغنت في روح الأنس على أشجارها بأفنانها مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا وسكانها بإزالة المحذور وحلول التوحيد في أوطانها . ولما أفرغ جهده في مهد سنن الحق والهدى ومحقق مناهج الضلال والردى وفرغ من إلهاله وأسباب أعماله وتم له في ذلك المراد وعزم أن يرحل عن تلك البلاد ، فأشار عليه كثير من أهل البلدان أن يبني له حصنا وجد كل منهم في ذلك واجتهد ، وأتوا إليه مرارا عديدة فكانت أقوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة ومشورتهم غير مفيدة واستعانوا عليه بجماعة من قومه من ذوى الشأن على إنجاز ذلك البنيان وتعجيله لهم في ذلك الزمان ؛ فلما لم يجد بدا من ذلك سمح لهم باللسان وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المسكن ، فاجتمع الرأى والنظر والمشورة والفكر على أن ليس له مكان يصلح ويليق بسوى بيوت آل حميد وما حولها من الفريق قطاع بذلك ودان وهدمت تلك البيوت في ذلك الأوان وكل بيت ليس بيت مال واحتيج إليه أمر أن تدفع إلى ربه قيمته كاملة وتحضر لديه فلا يضيع ملكه عليه وحث على ذلك قيمه وأوصاه وحذره شؤم العاقبة إن خالف أمره وتعداه ، وشرع أهل ذلك الوطن والحل في إحكام ذلك البناء والعمل ، فلم يرد إتمامه عز وجل . ثم ظعن سعود حرمه الله تعالى عن مكانه وارتحل وقصد قرية أنطاع من القرى ونزل ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك المسكن وحكم عز وجل بدمار ذلك الحل وأن تكون العزة لله ورسوله والمؤمنين والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين فتح لجميع الضلال والغواة أن يدعوا مسلك الفوز والنجاة ويلوذوا إلى مناهج البغاة ويحنحوا إلى ظلم تلك الظلالات ويقتلوا أولئك القوم الهداة والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة ويسقوهم صرف الحمام والردى ويطمسوا بعد ذلك منار الحق والهدى ويعلنوا بأمور الفسق والردى ، ويحسبون أن الله تعالى يتركهم سدى ، كلا وعزته لا يفوته من بغى واعتدى فسعى في نسج برود الإثم والأوزار وهيشوا لها أردية وإزار ، وقام في ذلك الأثر وأناس كثيرة وأقوام ينسبون إلى الكرم والإكرام وأكثرهم فساق وطغام ورفضة وفجار وعوام ، منهم محمد بن سعدون ومحمد بن عبدالعزيز ومن العتبان مهين بن عمران ، ومن أهل الهفوف سعد آل ملحم وابن عفاف والحبابي وعلي بن أحمد وابن حبيب وصويلح النجار فاجتمعوا في بعض ليالى تلك الأيام خارجين عن البلد والأنام حين استحکم دجى الظلام (١١ - تاريخ نجد - ثان)

وأناخ بحرانه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارَت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنفاذ والإبرام ولكن لا يدرك ولا يرام إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والأقسام والتفليظ في ذلك والإعظام، فحكموا أمرهم بينهم وأبرموا غدرهم وشينهم ولفظوا بنقض العهد في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنفاذ، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد وقتلوا كثيرا من أهل التوحيد والرشاد الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد، وتعاطى ذلك الأمر وبأشره أهل الشر والفسق والفساد وغيرهم من ذوى الشقاق والعناد فأصبحوا وقد أشفوا من دماء المساكين الفؤاد فأطفئوا بتلك الدماء المراقبة لواعيج الحزن الذى أربى في الانتقاد وأوقده الأسف غاية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العباد ودخلوا في دائرة أهل الإيعاد ومهدوا لأنفسهم من الممالك مهاد (إن ربك لبالمرصاد) فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد وطموح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأنكاد، وقتل غالبهم بعد أمد من الآماد وجلا بقيتهم في كل البلاد فهم كل يوم في عناء وضنا وسقم ومقاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد، وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة حين وقعت تلك الفتنة القبيحة في البلد ضجة هائلة عظيمة، وأظاتها حينئذ خطوب جسيمة وقتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عيدان وهؤلاء يعلمون الناس التوحيد في تلك الأوطان، وقتل أمير المرابطة محمد بن سليمان وقتل محمد الحملى الأمير وحسين أبو سبيت الوزير وسطا في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم ونهبوا بيت أبى سبيت والحملى، وأخذوا ما فيها من المال وباءوا بأقبح الأحوال. ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخاه وصالح بن عياش وأخاه وأحمد بن هديب بأن يحسبهم في الطرف فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة من قتل نحو الثلاثين، وقتل في المحفوف عبد العزيز النجنى. ولما سمع محمد بن غشيان وكان أميرا على مرابطة من زالكوت من أهل الإيمان أصوات الناس والضجة وذلك اللفظ والعجة ركب خيلا مع قومه وابتدرا الأصوات وكان مقما في بيت الباشات؛ فلما عرف الحال وتحققه وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهمته قصد كويت الحصار وكان إذ ذاك لم يكن له الأسوار الحصينة وورد عليه عثمان بن يحيى ويؤذيه، وكان قد أخذ على

ركابه بعض الزاد لأجل التهيؤ في الحصار والاستعداد ، فأطبق خلفه تلك الأمم حين قصد ذلك القصر وأمّ ، وراموا له وقومه إدراكا ونظموا له عقودا وأسلاكا ، وأسرعوا إليهم ونهّدوا وحاولوا في ذلك وجهدوا وحرصوا على ذلك وجردوا وأخزاهم الله تعالى فما رجحوا ولا سعدوا . ثم بعد ذلك بأيام اجتمع أهل الحسا في انتظام واتعدوا على السور أولئك الأقوام فخرجوا كأنهم جراد منتشر وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من البشر وحاولوا فيه بأنواع من الضرر وجاءوا بأمور بعضها أدهش وحير الفكر وبهت العقول وبهر ، وأضحى كل من في ذلك القصر محاطا به محتصر يجزم كل من شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر حتى إن محمد بن غشيان عدا عليهم في غفلة وقتل أربعة منهم وصدر ، وقتل منهم رجال كثيرة في تلك الأيام ممن قاتل وحصر ، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر (ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر) ولم يفيثوا إليه ولم يقبلوا عليه ولم يكن منهم مذكر (حكمة بالغة فما تغني النذر) وبقي ابن غشيان في ذلك القصر أياما ولم يدرك منه تلك الأحزاب مراما وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقداما ، فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقداما ونالوا ذلا وخزيا وهوانا وإحجاما ، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلاما يزيد الموحد لله في الله إعظاما ، ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد ولم يبق عند محمد وقومه شيء من الطعام ولا رهبة يقاتل بها تلك الأقوام خرج ليلا ونارا وسلك سبيل الفرار وخرج من الحصار وجد في السير والذهاب ، ولم يكن لهم إليه طلاب فشمروا إلى إخوانه وبلده وأوطانه .

ولما خرج ابن غشيان وافاه غزو المسلمين من العتبان فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة وهجموا عليهم بين الدور ووقع القتال في تلك القصور وقتلوا منهم رجالا وأخذوا منها حيوانات وأموالا ورجعوا سالمين ، وجاء سعاد حرسه الله تعالى الخبر وشاع الحال واشتهر وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع وقد امتلأت بذلك الأسماع ، فاستشار أهل الدين والإسلام في الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحساء والإقدام ، فاختلف لسان المقال وتدير الفكر والبال في ذلك الشأن والحال فبعض رأى الإقدام عليه وصوبه وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيئ مطلبه وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكرهه وبأسه وخطبه ونوبه ، فسار يريد نجدا ويحصد

السير ذميلا ووخدا ، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدا ، ويمكنه من تلك الأعداء ويهيئ له من أمره رشدا ورشدا ويوليه إسعادا وسعدا . فوصل إلى بلاده في ذلك الزمان وصار مجيئه الحسا بعد آن . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية فسار يريد بني عمرو وكانت للمسلمين معادية فصباحهم بالغارة ، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره بل جد وصدق في النياراة ، وقتل المسلمون منهم رجلا وأدركوا من الأبل منالا . ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف . وفيها سار سعود سلك الله تعالى به السنن المحمود يريد الإحساء وإحصارها وتدميرها وجارها وفساقها وكفارها وأرفاضها وأسوارها وذوى الردة والذين أطاروا شرارها وقتلوا معلة التوحيد وأضيافها وخطارها ، فأغضبت ملك الملوك وقهارها وأسخطت خالقها وجبارها وغافر الذنوب وستارها ، فأسرع في المسير بالمسلمين وقد اتفق رأى الموحدين على الحصار والمضايقة والمنازلة وبذل الجد في الاجتهاد والمقاتلة . وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك المنازلة في بلد السكويت نازلة فأقبلوا بعد مدة على الحسا فزادهم الله تعالى حزنا وأسى وبقوا مع أهلها تلك الأيام وهم مستعدون لقتال أهل الاسلام ؛ فلما كان آخر عاشوراء المحرم عزم سعود على النزول وتقدم فنزل على قرى الشمال وكان في الشقيق ستمائة من الرجال فأضرمت نار الحروب وأحاطت بهم سوء الخطوب فأوقدت أعظم الوقود وأحدثت بهم أولئك الضراغمة الأسود ؛ فلما نزل سعود في ذلك المكان خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان ووقع بينهم وبين المسلمين قتال وقتل ذلك اليوم بينهم رجال ، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور فسار إليهم أهل الإيمان وأرادوا البروز . فما كان وبقوا محتصرين في ذلك المكان وجرى بينهم قتال بالبنادق قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق ، وشرع المسلمون في قطع النخل حتى من الله تعالى عليهم بالفتح والفضل . فلما كان أول الليلة الثالثة حين استحكم الظلام هرب من في الشقيق من أولئك الأنام وتفرقوا في القرين والمطير في والبرز والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز . فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهزام فأرسل أناسا يحفظونها من أهل الاسلام فألفوها من أهلها خالية وأخذوا الأموال التي فيها حالية لما كانت حمايتها عنها جالية ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين وهموا بالاشتداد

وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة وناوؤهم بطول الإقامة والمصابرة، فكتب الله عليهم الهوان والذلة، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والمحلة، فصالحهم عنها على نصف ذلك فتناصفوا جميع ما هنالك من أمتعة وسلاح وحيوان وجميع أنواع المال وطعام وغيره فاقسموا على تلك الحال ونحى أهل المطير في ذلك المنهج، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عرج، فلما انقضى شأن الشمال في قليل من الأيام والليال وأطاعت تلك القرى مما حل بهم واعتري وذات أنصارها وهانت وألقت المقاليد بعضها للاسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجللاء عن الوطن فكل ارتحل عنه وضمن سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز فخرجوا جميعاً ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز فالتقوا مع المسلمين وجالت معهم فرسان الموحدين وجرى في ذلك المجال طعان وقتال فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا في الهزيمة وقتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدير بن عمر وحمود بن غرمول، فرجع المسلمون إلى رحلهم ومحلهم بعد ماجد الأعداء في هزيمتهم، ثم بعد أيام نهى المسلمون إلى أهل المبرز مرة أخرى وتقابلوا معهم عصراً وخرج أهل المبرز للقتال وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال فتداعى الجميع في ذلك المجال ولم يقدر فيه انقضاء آجال فرجع كل إلى ماله من موضع ومآل؛ فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال واختبروا سيرتهم في القتال سعوا لهم في تهينة أسباب الحيلة والحداع باظهار بواعث الطمع والأطماع حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليستمروا المسلمين في اقتفاء واتباع حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع ويحيطوهم عن ذرى تلك التلاع فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع ويعطفون عليهم كضواري السباع والنسور الجياع فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع ورعب واندفاع وارتباع، فيشد المسلمون عليهم في الاتباع بقلوب متوجدة عليهم ذات التباع وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع ومواض مصقولة الشباخدها بارتقطاع، وأسنة كالبرق اللامع سريعة الانتهاب الأرواح والانتزاع؛ فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال في الاسراع واجتمع من أهل الحسا ما لا يقدر عليه ولا يستطاع ولم يطرق السمع في قتال العرب مثله سماع حتى كادت أبواب المسلمين أن تزيل القناع، فنادها هاتف الاقبال بصوت ملاء

الأصماع قد جاء كم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تراغ ، فسكنت وراضت وكان منها لذلك قبول واستماع ، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدت النفع والانتفاع ، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياح ، وكل ينشد بعد الحوقلة والاسترجاع قول شاعر مقدم شجاع :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لاتراعى

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

فان الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع

فصد قولهم الحملة فامتفعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتقاع ، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع ، ولم يحصل منهم والله الحمد مطاعنة ولا نزاع ، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة في المجال فضلا عن الجلال والقراع ، فحفلوا كأغنام صاحت بها أسود بقاع ، فصار لهم إلى البيوت معاملة وانقطاع ، وقتل منهم نحو الستين ذلك اليوم ومثلها في سائر الأيام فكان بها اقتناع ، وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق ، فلم يكن له إلى البرز رجوع ولا ارتجاع إلا بعد طلوع الشمس ثانی يوم حين علم حال البلد بتحقيق الاطلاع . ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال ، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضلال وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة المجال ، وأخذ المسلمون ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال ؛ ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان المشرق يريدون عليها الإقدام ، فهاجموا على مضيق تلك الدروب ، وطاف على الجبل طائف الخطوب ، فاقتحم المسلمون عليهم وأرادوا الوصول إليهم ، فوقع عند البلاد قتل وجلاد ، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم وارتجف أهل المشرق في أوطانهم وبقي كل من أهل الإسلام تلك الليالي والأيام يجد في القتال ويجد في الضرام ، فأسرع المسلمون خصوصا العربان وسائر أولئك الأعراب والبدوان يباكرون صرم النخل والأثمار ، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار وأهل الحسا في مضايقة وبأس ودمار وضيق معيشة وحصار ؛ فلما أراد الله تعالى أن يبرز في مقام الإظهار ما قضاه سبحانه لأوليائه واختار ، ويسلك بهم الطريق السهل الحيار ، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار ، ويستقر قواعد التوحيد في تلك القرى والأمصار ، فيشتهر ذلك في سائر الأقطار أتى براك بن عبد المحسن سعوذا حرسه الله تعالى ، فأخبره أن أهل الحسا لهم

رغبة في الدخول في الدين وإقبال وأنهم متندمون على صدور تلك الأفعال ، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام والالتزام بسائر الأحكام ، فقال ذلك لهم ولا يردون فمساهم لسبيل الحق يهتدون ، وعن مهيع النبي ينتهون ولكن يخرجون للعهد إلينا ويقدمون للبايعة علينا ، فعادله بالقول مرارا ، وقال إنهم لا يقدرّون على مواجعتك خوفا منك وفرارا ولا يستطيعون لرؤيتك اضطبارا ، فلم يرعو إليه وأولاه إعراضا وازورارا وقال لابد أن يسرعوا إلى ذلك المكان إحضارا ، فاستعان براك بكبار أهل التوحيد على إنجاح ذلك الرأي السديد ؛ فساعدته أهل الدين والإسلام ، وقاموا معه أتم القيام حتى نجح ذلك المنى والمرام ، واتفق الرأي والانتظام بين براك وكبار أهل الحسا أن سعادا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام ، وفرغنا من الأثمار والصرام أنك تأتينا ونبايعك على الاسلام ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه وننفيه هو وأعوانه ولعل هذه حيلة وخديعة إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة ، فارتحل سعاد بلغه الله تعالى المقصود حين ألح عليه إخوانه في ذلك الشأن ، وقالوا عسى أن يكون هذا سببا لهم في الإيمان ، وجد في سيره يريد الأهل والأوطان ، وقد نال أبهى الأنس والسرور والتهان ، وأزهى صلات البر والجود والإحسان ؛ فلما وصل سعاد إلى تلك الديار زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار ، وبرحوا على ذلك مدة أيام ، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام ، وزال ما بهم من الهم والأسقام ، حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام ، يريد ذلك العهد منهم والإبرام ، والوفا بعهده عليه أولئك الأنام ، وقال لهم هذا وقت الوعد فقد وصل سعاد إلى نجد ، وقد حان حين الوفا فاياكم وسلوك طريق الخلف والجفا ، فتصيرون من الهلاك على شفا ، فأبوا إلا الخلف والإخلاف وركوب متن الإجناف ، فلم يحصل بمرامه إسعاف ، وثار بينهم القتال ، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال ، واقتربت قلوب تلك القبائل فكان الله تعالى لهم مذلا وخاذل ، فلم يقبلوا نصحا لقابل ولم يروضوا إلى عدل عاذل ، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل والقضاء النافذ الفاصل ، فانصرف عنهم براك بعد أن لم يحصل على إدراك ، وخرج إلى البادية ثم بعد ذلك كانت خيله عليهم عادية ، وقدم عليهم في رمضان وجرى القتال والطعان وخرج جملة من أهل الدين من السياسب مجتمعين وكبيرهم سيف بن سعدون فكانوا للقتال كل يوم يهتدون ، واجتمعوا في قرية الجشة بعد أن لم يدركوا في المبرز حيلة

فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة ، فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه وجميع جيشه وأعوانه وأهل المبرز وأهل الهفوف في بلد الجفر وكانوا مما لا يضبطهم الحصر فمكثوا فيه أياما وأطالوا فيه مكثا ومقاما ، وكل يوم وحين ينهد إليهم براك والبدو والسياسب مجتمعين ، ويقع بينهم طعن وطعان ومجاوله خيل وفرسان وتلاحم ومصادمة واقتران ، وقتل بينهم رجال في تلك الأيام والليال ، والكل يبدي الصبر في حومة المجال ، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال وحسن العاقبة للمسلمين والمآل ، فأدخل براك الهفوف باحتيال فطاب له حينئذ القلب والبال وتم له السرور والإقبال ، وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد وكل من الخاصة مساعد ، وأقبل براك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم ، فتلقيه بالقبول أولئك القوم وآتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام وإنجاح السؤل والمرام ، فطلب منهم المعاهدة على الدين والاسلام والالتزام بجميع الأحكام ، فعاهدوه على ذلك وحدانا ومجتمعين والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين . فوفى العهد طوائف وحائل وآحاد في الفرقان غير منحصرين والرافضة وكثير من غيرهم دخلوا في ذلك العهد مكرهين وودوا لو أصبحوا له ناكثين . ولكن الله ضرب عليهم الذلة بحوله إلى يوم الدين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ؛ ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه وتحقيقه وإحكامه وجريان شرائع الدين في الحسا وأحكامه كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه ، فسر بذلك الاخبار والإعلام وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام على ما حبا أهل الاسلام من هذه المواهب الجسام ، فأمر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يبذل في الدين جهده ويوفى عهده ووعدده ، ويحلي ابن فيروز وأحمد بن حبيب ومحمد بن سعدون فجلا بعد ما ألزم عليهم براك يخرجون . وفيها غزا محمد بن مهيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل . فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أنار بدومة الجندل ، فخط فيها رحله ونزل ، ثم أخذ يحاصر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزبيغ والافترا . ويفاجئهم كل يوم بالقتال ويغادبهم بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال ، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بني سراح ، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح . واجتمع عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراح ، ولحم تقدم وإقبال وكانوا في حصار

شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا ، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمروا ساعده للجد في السير حتى وصل إلى بلد الكويت بعد الهجوع ، فأناب يهيم مامعه من الجموع ، فلم تنجل الغياهب حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين . ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين خرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال ، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين فولوا مدبرين وعمدوا إلى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين وأخذوا عنهم غنا كثيرة وأسلحة ثمينة مشهيرة ، ورجعوا إلى بلادهم فأزبن والمال والأجر حازين . وفيها غزا هادي بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد بن معقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان ، فلم يزل في ذلك النهج سائر ، حتى أصبح عربانا كثيرة من البقوم وبني هاجر ، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر والظلام مجتمع العساكر ، فلم يرعهم إلا ركام العيثر والجياد التي كأنها الرياح السوائر ، ولهمان المرهفات البواتر ، والأسنة التي تفتت الصدور والمرائر ، فراموا الجلال ووطنوا عليه نفوسهم ، فأصبح كل على ما أصابه صابر حتى أراد الله أن يدير من البلاد أثر على أولئك الخالفين لأمر عالم السرائر ، فشد عليهم المسلمون فأضحى جواد عزهم منكسرا عائر ، فقتل ابن شري المسمى ناصر ، وأرادوا بعده الثبات والتجلد ، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الضراغم في الآجام والحواضر ، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه نأرا ، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر ، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر وآب جند الضلال خائبا خاسر .

ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أيده الله تعالى بالنصر والسعود ، وكان عربان الشمال له مرادا ومقصود ، فسار بالمسلمين يطوى منشور البيد بأيدي العملات على العنق والتوخيد ، ويؤم مطلع السبا والفرقدين ، وذا يبال بما حصل لعيسه من الكلال والأين ، ويشكو إليه طول السرى وحاول البرى قلوب الكمت والرواحل ، وتحن إلى الورود من فرط البعد ومداومة الوخذ فيعلماها بزال المناهل ، وكان لمطاعة القطب لايفك ولا يزال ولا رتعاب النصر والظفر في ذلك الوجه في رجاء وآمال حتى لمع ضياء البشرى والسرور في ساجى ذلك السيجور

وطلع له كوكب الاقبال والحبور وهبت على أعدائه ريح الدبور ، فجاءته طلائعه وعيونه بالتهان بأن القواسم هاهنا وكبيرهم ابن عفيصان وهم عرب من آل ظفير ، فكانوا قبائله ووافقه في ذلك المسير فصباحتهم في أرض الحجر غارته ولم تسبقه عليهم نذارته بل فجأته بمحصول مراده بشارته ، وبغت أولئك السلف دماره وخسارته فلم يستطيعوا مع المسلمين الجولان ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان ، بل نأوش منهم بعض الفرسان وراموا قليل طعان ، ثم شمروا في الهزيمة من غير توان ، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة وجميع المحلة والغنم وكان الإبل نحو ألف وخمسمائة بهير على سبيل التقليل لا التكثر ، ورجع المسلمون إلى البلاد وقد حفرهم الإسعاد . وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان ، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان وأسلم قبل ذلك الزمان فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعباد الأوثان خصوصا البدوان ، فبنى قصرا محكما ثم بعد ذلك تبين في الدين معلما وجاهدا من أهل دينه من لم يكن مسلما فنالوا منه ذلا وهوانا وندما وأسقامهم كؤوسا مترعة دما حتى حاولوا فيه مأثما وهيئوا له أمرا محرما ، فشرطوا لاثني عشر رجلا كل واحد منهم في البأس مقدما على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنا وينتقدها بعد الفعل متسلما ؛ فعند ذلك جد كل واحد فيما كان ملتزما ، فأبدوا للغدر والمكر حيلة وسلما فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علما ، وأقاموا أياما يدبرون لما راموا أنما ، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدما . فلما كان بعض الأيام وشرع في الصلاة من كان لها مقدما جاء جمع كثير فدى كل واحد من ذوى المسكر له جبلا ورمى ، فصعدوا جميعا السور ونزلوا وحمى الحرب واحتفى ، ولعب الباطل بينهم وارتمى وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتفى ، فقتلوا غالب أهل القصر ، فصاروا شهداء رحما ، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه في حبس الدما ، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالا كثيرة وإبلا شهيرة وانصرف كل منهم محبورا مكروما . وفيها غزا سعود خلد الله تعالى له الاقبال والسعود ، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله ، فجذ في طريقه وقد باراه النصر والاقبال وجاراه التأييد والظفر ، فلم يكن لهما معه انفصال ولا مفارقة ولا زوال ؛ فلم يزل يدأب السير والترحال ويديم إنشاء الأعوجيات على اتصال حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوه وقربه ومنحه

طلبة أى طلبه ، وذلك أنه نزل على قرى تربة بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك السكان ، فخرى بينهم مناوشة وطعان ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الحرار فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار ، ثم بعد ذلك أقام سعود في تلك الأراض ، ولم يكن له عن حصار القرى إعراض ، فاستمر محاصرا لأهل تلك البلاد وكل يوم يصدر منهم قتال وجهاد ومصاربة عند التسور وجلاد ، وكل يوم يحمل أهل الاسلام على الأسوار ويرومون التسور على البلد والانحدار ، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت مايزيغ الأبصار، وقتل من أهل الدين والاسلام في جميع تلك الأيام نحو عشرة رجال كان لهم على الشهادة آجال ، منهم محمد بن غشيان وكان يعد من الأبطال الشجعان ، وقتل من أولئك قريب من ذلك ، ثم شرع المسلمون في قطع مالأولئك الأقوام من تلك النخيل العوام ويخربون فيها كل يوم حتى كادت تنفت مراثر تلك القوم حين رأوا قطع تلك النخيل الجليلة وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة ، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها ولا وسيلة غير المصالحة عنها وكان ذلك لهم حيلة ، فصالح أهل قريتين سعودا على نخلهم وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال ، عزم المسلمون على الارتحال فساروا على تؤدة وتمهال من غير غلو في السير ولا إيغال . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بجمع من أهل الحرج والفرع والبدو ممن يدعى الإيمان ، فسار يجد السير لنيل المراد حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد فأغار عليهم فثاروا فورا وتركوا الجلاد ، فأخذ ما عندهم من مال من أمتعة وغنم وآبال ، وقدم بذلك بلد الاحسا وأقام يبيع ذلك فيها وأرسل ، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى . ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عساكر كثيرة وجنودا غزيرة ورأس عليهم فهيد الشريف ، فنزلت عليه البوادي كل سلف وفريق وسلکوا للشر كل طريق ، وأقبلوا يريدون ابن قرملة وكانوا على ماء يقال له ماسل ، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل وأتوه بعد قتل عيونه على غرة لينفذ الله أمره فدهموه وأهله في شعب من الشعاب ، وقد ملكوا عليه فم ذلك الشعب فلا يمكنه خروج ولا ذهاب فطاعنهم زمانا طويلا وقتل منهم ثلاثين رجلا وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين ، ثم انهزم ابن قرملة وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له كل مراد

ومقصود ، فسار بالمسلمين يعتسف من الفياق السهل والصعب ، ويطوى من أديم
الموامى كل موحشة بيباب ، لا يسمع بها غير أصوات العرج والذئاب ، يضل فيها القطا
فراخه فلا يهتدى ويحير الخريت في مهامها فيتنقع قناع الموت ويرتدى وتروح على
رياضها اليعافير وتنتدى ، لا يرى بقفورها أنيس ولا يبصر في لاحبها آ نار العيس مظامة
لا يدرك فيها ماييل صدى الظما ، يهاكى لون أديمها زرقة السما مغبرة الأفق والأرجا .
يخس السارى بها بما للجن فيها من الغمعة والزمزمة والأزجا ، فلم يزل يدأب المطى
في ذلك السير الإعناق ، والأباطح تسيل منها بلك الأعناق حتى قطع بصارم العروتين
تلك المفازة وأراد مولاه لمراده إنجازاه حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر وبدر
له منها ذلك المدر ، وألقى لها الجران عند أولئك العربان وذوى الضلال والعصيان وكانوا
أسلافا كبيرهم ابن محيور من العقبان ، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتام
وسجى دياجير الإظلام إلى أن شدت عساكر الظلام في الهروب والانهمام ، ونادى
المنادى بدعوة الإسلام وأذن للصلاة بالقيام ، وقضيت على الظمأنينة والهمام ، وكان الدعاء
بعد ذلك ختام ، بنيل التوفيق والمرام ، فأسرعت الرجال إلى الرحال وأطلق الركاب
من الاعتقال وأسرعت الأبطال إلى الجياد وتسمنوا صهواتها للجلاد ، وشرع كل
منهم سنانا وسأل مولاه الاعانة وجردت القواضب المرفهة ، وشنوا على أولئك العربان
غارتهم المرفقة ؛ وشعراءهم المنلفة ، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة وأقبلوا فرسانا
ورجالة وجالوا في الحرب مجالة ، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والبأس ، فانهمزم ذوو
الضلال والإبلاس ، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس وولوا على أعقابهم وتوعروا
في الحرة في ذهابهم وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم ؛ فشد المسلمون خلفهم في ذلك
الامر حتى أعياهم مقاساة ذلك الحجر وخشوا على أنفسهم وخيالهم من الضرر ، فرجع
كل واحد منهم وصدر وأخذ أهل الإسلام المحلة ، وشدت الله حزب الشرك وفله . وأخذ
من الإبل نحو الألفين أو يزيد ، ورجع المسلمون بالأجر والمزيد ، وأخذ أيضا عشرة
آلاف من العنم وغنموا أعظم مغتتم ، وقتل ذلك اليوم من المسلمين سبيلا وكان مقداما
نبيل . وفيها غزا قاعد بن ربيع أمير الوادى فسار يجمع من قومه يريد من هو للمسلمين
معادى . وأدلى في ذلك الزمن وهجر لذة الوسن حتى رأى من بنى هاجر فريق آل ضمن ،
فاستقر بالله راطما أن وثبت قلبه وركن فصبحهم بالعمارة المحيدة فكانت أسنته لهم عاملة

مفيدة ومرهفاته لهم مبيدة مبيدة فقتل منهم فوق الأربعين ، وأخذ ما عندهم من خيل وإبل وغنم ، وولى قليل من الرجال منهزمين ، وفيها أظهر الشريف غالب جموعا وأجنادا وعساكر من كل قرية وبلاد وانضم إليه أهل بلدانه وجميع أعرابه وبدوانه ، فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف وأمرهم بمصادمة بوادى الدين ومن هو منتسب للمسلمين ، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر ولا يصدهم عن مرادهم الضجر ؛ فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر وشاع بين الناس واشتهر ، أرسل إلى عربان المسلمين من قبيلة نجد وأعلمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد ، وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأطعان على هادى بن قرملة كبير قحطان ، وأمر ربيعا أمير الدواسر والوادي أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادى ، فالتكلم من أولئك الأقوام أسرع في الامتثال والقيام لأمر عبد العزيز الإمام ، وبادروا لذلك المهم والاعانة في دفع ذلك المد لهم ، فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام على ماء بنجد يسمى الجمانية ، فالتأمت به تلك الأمم البدوانية حتى كان آخر الأيام الشعبانية ، زالت تلك الجوع الشيطانية وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس واختلاف الأجناس ما يدهش العقول الإنسانية ، ويرعش القلوب الجنانية ، فلما بدت الغرة الرمضانية تلاحت الفرسان العربانية ، وشرعت الحراب السنامية ، وجردت السيوف الهندوانية ، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال الفرسانية ، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية ، لما غابت الأنوار الشمسانية ، فلما طلعت شمس ثانى رمضان تداعى عند ذلك الحكمة الشجعانية وحملوا حملة هائلة ظلمانية وتصلبت تلك القوى الجسمانية ، والقلوب الصلدانية ، وثار تلك العجاجة الدخانية ، واصطلمت تلك المدافع النيرانية ، فأعلن عند تلك الأمور الهائلة العيانة أهل الدين والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية والاعلان بكلمة التوحيد والوحدانية ، فهزم الله جميع تلك العدوانية ، وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية ، وتفرق أهل الضلال في خلال العقبات الشعبانية ، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل ، وأخذوا من الإبل والغنم ما لم ينل مثله ولم يرم ، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الحيام ، وكانت الغنم التي حصلها المسلمون مائتي ألف غير ما قضى الله تعالى عليه بالحنف ، وعدد ما استولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفا من غير خطأ ولا زال ، وقتل من المسلمين رجال وانهزم الأعداء بأقبح حال ، وكان محمد بن معقل قد

أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددا ، فلم يأتهم إلا بعد ما فرق الله تعالى المبطلين عددا وجعلهم فرقا وبددا ، وكان قدومه عليهم بعد يومين فاطلب بنى هاجر ولم يبال ، بما معه من الأين ، فأدركهم على ماء يقال له القنصية ، فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية فشدوا في الانهزام ، بعد تلك القضية وكان هؤلاء الأعراب شمروا في الانهزام بنالهم والذهب حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين فعاجلوا بالانهزام مدبرين ، فاجتمعوا على ماء القنصية وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم ، غابت آمالهم الظنية وحواسها كلها ابن معقل وعزز بها تلك القضية السوية ، وانصرف بنيل أمنية ، وفيها غزا مبارك بن عبد الهادي ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر وبادي ، فسار في عزمه ذلك ومرامه يجد السير والسرى في جميع لياليه وجميع أيامه لم يثنه النصب ولم يساومه التعب فينحل عندهمته وإحكامه حتى قرب من أرض نجران ، فلقى هناك بعض البداهة ان يسمون آل الهندي ، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدى ، فلم يشعروا إلا بامتزاز الرماح وبريق الصفاح ، فانتفضوا جميعا للقتال والكفاح ، ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح فتطاءءوا ساعة وزمانا ومكثوا للجلاد حينا وأوانا ، ثم انهزموا بأفطاح حال ، وقتل المسلمون منهم ثلثين من الرجال وأخذوا جميع ما عندهم من المحلة والغنم والآبال وانصرفوا في أحسن حال .

وفي شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف وبراك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين لمعت للفتنة بوارق ووحث للفتنة بوائق ، وفاح للشر عرف وشذا ولاح طالع النحس والأذى واستبطن البغى والغدر واستعلن الفحش والنكر وعصفت للخيانة رياح ، وظهر على الفساق البشر والارتياح ، وعلتهم من الفرع نشوة وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة . واستنشق المسلمون السكر عرفا فلا يستطيع أن يرجع في النكر حرفا بل كل يوم ينتظر أن يلاقى حتفا ، فاستمرت الحال أياما وليال وطائفة الشر تعلو أو تزيد وتضمحل البطش بأهل التوحيد ، ولكن ليس عن ساحة الصبر من محيد ، فيما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وتهيئة أسباب التمكين لأولياءه والتأييد وهلاك من أراد هلاكه وخذلانه ، وذل من أراد ذله وهوانه ، قدح زنادها وحقق مبدعها فأثرت بالشر نارها واستطرد لها وشرارها ، وسما جهارا منارها وأعلن أصحابها وأنداسها ، وتأزر بإزار الغدر شرارها ، وارتدى برداء الفتك فساقها

وجارها، وبقيت تمر بين أهل الفجور تلك الشهور. هذا والمسلمون من أهل الحسا بين لعل وعسى، وكل تجرع مرارة الخوف واحتسى، وتدرع بدروع الهم واكتسا وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب ووجيف واكتئاب إلى يوم للمنية في ارتقاب، وفي حطم البلية في احتساب. هذا وإمام المسلمين عبد العزيز أدخله الله كنفه الحريز، يرسل المكاتيب ويكثر فيها المعاتيب ويعمل الرسل والأرقام في كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن ويحضه على نفي المسىء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام وأن يشيد قواعد الدين ويبيد جملة المبطلين ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفي دعائه وأناسه، ويقيم على الحق والهدى ويشرد أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة ويتبع منهج الرسول الذي منه، ويأمره بإعلان شعائر الإسلام وإخلاص الدعوة للملك العلام وإيقاع الخمس الصلوات في المساجد والجماعات، ويبدل له النصيح سرا وجهرا ويمين له أنك إن فعلت هذا نلت عزاء فخرا وحويت من مولاك عزاء نصرا وأعظم لك ثوبا وأجرا وقد ألزم عليه في ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفي بما عاهد عليه الله حين دخوله في الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه في الحجة من الأحكام من نفي أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور، كما هو في صحيفة المهد المذكور، وفي حجة العقدمقرر مسطور؛ فلم تغن النشأخ والإذار، ولم يبادر بما دعى إليه من إزالة الأشرار، وتعذر من الإمام في عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه أن هذا لا سبيل إليه وقد أعيا الرأي والفكرة، وليس إلى جلاء رؤساء الفتنة من قدرة، لما يؤدي إليه الحال ويترقب في المال من الاختلاف والشقاق، وقيام أهل الرفض والنفاق، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد والأفاضل والأمر يؤخذ على مهل، ولم يدر أن الأمر جاءه على عجل، وأن الفتنة قد حزبت أحزابها والبدعة قد نحت كبارها وأربابها، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها وكبت على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الحياة ومآبها. وما أشقى به أهلها وأصحابها، هذا وأردية البلاء تنسج وتحاك ويسعى فيها كل فاجر أفك، إذا عسق الليل ودجت الأفلاك، وتراعى شرر الباطل في الأفلاك. وكان الذي يسعى في نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية الضالة عن المنهج المسود

من هو في كل فتنة معدود . وفي كل مقام على المسلمين مشهود ، رأس الفتنة ورئيسها الذي يثبت على أصلها وتأسيسها ، ويرسى عليه عمودها ، وتورق به أغصانها وعودها ، وتثبت أوتادها وأطنابها ويفتح بشؤم فكره بابها ؛ وذلك لكونه لا يزال سميرا لفساق والفجار وظهيرا للعصاة والأشرار وهو صالح النجار ؛ فكان إذا هدا الناس واشتد ظلام الأغلاس أخذ بالشر والإبلاس فركب دابته وجدّد وقصد قصر على بن أحمد فأحكم الرأي والمشورة وعرض عليه تلك الأمور المحظورة ، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده ونحى على الجبابي وقصد وأحضر ابن عفات واجتهد وظن أنه لم يشعر به أحد لكون هذا السعى والاجتهاد وإعمال المسير والترداد إنما هو في الليل وفي النهار يظهر للمسلمين المناجحة والميل ، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله وقبيح ما ينظمه من فعالة وقد أرسلوا الرسائل والكتب وجدوا في الطالب . وأعملوا المطى بالأرقام إلى عبد العزيز الإمام يطلبون منه النجدة والمدد والعدة ويحثونه على النصر والانتصار وقد بينوا له جميع الذي صار وما بدا لهم من الشين الذي صار ، والشر الذي ارتفع له غبار وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن يسعفهم بالمراد والمقصود وكان حينئذ حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته منيخا قرب شقرا ، فلما جاءت الرسل من المسلمين ومن والده متع الله به المسلمين وقمع به أعداء الدين . أحضر وجوه الغزاة المشورة فيما يراه وما عزم عليه وأبداه وبين لهم ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا وما خالطهم من الخوف والأسى وقال أريد أن أعجل لهم المدد قبل أن يقع بهم الفتك ممن تعاهد عليه ولا تعد حتى يكون لهم عوناً ويلقى العدو به ذلا وهونا بل ربما يكون مجيئه البلاد سببا لبطلان ذلك العهد والاتعاد ، وتحمد بمجيئه نار الفتنة التي توقد كل ليلة غاية الإيقاد ؛ فأرسل وهو في ذلك المكان إبراهيم بن عفيصان ومعه مائتا مطية تعجلا للارعية واستدفاعا لما أعد من البلية وما عزم عليه من الردة الردية ، وكان ذلك رأيا مباركا ميمونا خاليا من شوائب النجس مصونا وحزما شيا مرهفا مسنونا ، وعزما حاز المسلمون به ركودا وركونا ؛ فلما أقبلت الرسل إليهم وقدموا عليهم وسمعوا كلام البشير وتحققوا الحىء والمسير ، وفهموا قرب مكان الطليعة عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة وأنها ليست لهم بمنعة ولا منيعة إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا ويعجلوا ما عقدوه وأبرموا ، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا ، ويبدروا المسلمين قبل قدوم المدد المقبلين بما أجمعوا

عليه من الفتك وندبوا إليه من الخيانة والمهتك ونصب أعلام الارتداد ورفعها بين العباد وشهرتها عند الحاضر والباد ، قبل تلاحق الإمداد ، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد في منن تلك الأقدار ويضمخوهم بهاتيك الأوضار ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار فأبى الله العزيز القهار أن لا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار ؛ فلما أن أن يبدو للقضاء الأزلى آثار ويظهر بعض ما انطوى في الغيب من الأسرار وحن الحين وحق المكر بالأشرار ولمع بارق قوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) وأقبل ظلام ليلة الفتنة وسجى واسود فيها محلولك الدجى وأرعى الظلام فيها سدوله فقد الأفق من البدر أفوله حتى أتى أهل الضلال والردى والذين يريدون الفتك والاعتدا من الرفعة والنعاثل وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل رئيسهم النجار وأنيسهم إذا انسلخ النهار ، فاجتمعوا غفده وعرف كل منهم قصده ، وعادوا الرأي تلك الليلة وأبرموا التدبير والحيلة بأن تقتل من فيها من أهل التوحيد كل قبيلة بل سمى كل من المتعاهدين قرينه وقتيله ويبنوا التدبير والاحتتيال وصمموا على الفتك والمهتك والاعتتيال وبارزوا بالحرب شديد المحال (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) . هذا والأندار على المسلمين تتوالى والأخبار تتلى عليهم وتتألى ؛ فلما أراد حقن دمائهم سبحانه وتعالى وخذلان من ساعدت الفجور ووالى وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالا وإلباسه في الدنيا هو انا ، إذلالا ومقاساته تنكيلا ونكالا ، نما ذلك الخبر وفشا ذلك وظهر بعد أن خفي واستتر وتحقق أمير السياس سبب سيف آل سعدون ما هم له مستعدون وما هم عليه مجتمعون ، فأحضر المهاجرين من إخوانه وأخبرهم بقصته وشأنه ، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين وللخيانة مستيقظين وللعذر كل يوم متوقعين ، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين والموت نفوسهم موطنين ، فاتفق رأيهم وانتظم أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم ويقيمهم ، ومن دخل منهم في الحلف وعزم ؛ فلما أحضروهم كافة ووضعوا لهم سبيل الخفاة وما يترتب على ذلك من الآفة وأن أهل الشر والفساد يريدون غدا الارتداد وليس لهم غيرنا مراد وجيوش المسلمين والأمداد تطلع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد فتناولوا بذلك غاية السعد والإسعاد وتدخلوا في طريق الرشيد والإرشاد وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد ، ونحى قاصمة الظهر وأراد فكأن الله الحمد والمنة ذلك (١٢) — تاريخ نجد — ثان)

النصح أزال عن قلوبهم الأكنة ، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد مما أجدى فيهم وأفاد ، فكأنهم بعد ما انتصوا السيوف لملاقاة الحتوف أعادوها في الأغمد وكأنهم انتهبوا من سنة الرقاد ووعت منهم تلك النصائح أذن واعية ، فأصبحت أركان الردة ولله الحمد ذلك اليوم واهية حيث لم يقم من السياس لهم داعية ، وانخلت عرى ذلك الإبرام ورد الله بكيده من رام . هذا والنجار بعد ما أخذ الكرى والمنام في ظلام الدياجى أجفان الأنام دأبه الإقبال والادبار وتدير ما يريده في النهار ، يحيك ذلك وينسج ويدخل البلاد ويخرج ، إلا أنه على شأن السياس لم يعرج ، وقد أعد خارج البلد في بستان هناك رجاله وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافيه وزلاله ، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنهما الغزالة ؛ فلم يلبث الناس بعد ذهاب الأغلاس إلا قدر ما بدا من كوة الأفق ضوء السراج ، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج ، وانتشر في بطون الأزقة والفجاج أهل الفلاحة ذوو الحاج حتى سمعت الجلبة والأصوات ووقع الدعر والانتعاج ، فرجع الناس على أعقابهم ينكصون . وقد خالط الرعب قلوبهم فهم مندعرون ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) فتعاضم الأمر وعلا وشاع شأنه بين الملا وأسفر وجه الردة وجلا وزادت القلوب وجلا (وما ربك بغافل عما يعملون - وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وزاغت الأبصار والأبواب وغلقت البيوت والأبواب ونادى منادى القضاء بالعذاب والذهاب على الذين فعلوا ولكنهم لا يسمعون (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) وتوقفت أشرار تلك القبائل ولم يكن غالبيهم بما عنده فاعل وهم بين لائم وعاذل ، إلا أنهم للسياس منتظرون ، وهم من كل حذب ينسلون وبادر قوم النجار لأنهم رؤوس الأشرار فقتلوا شخصا واحدا وهو عبد الله بن حسن ، وكان النجار عنده قاعدا وبتثبيطه مواعدا ، فأسرعوا إليهم يهرعون وأقبلوا عليهم يركضون (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) وجرحوا ابن كثير جرحا ولم يجعل الله لمرامهم نجحا ، وما أصابوا في المسلمين قرحا ، وقد عرفوا لو يطلبون صلاحا من المسلمين لا يقبلون (أم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فعند ذلك شمرت تلك العصاة وندب النجار أعوانه وأصحابه ، وشيدوا الحراية ونهضوا إلى السياس يسرعوا (كأنهم إلى نصب يوفنون) فدهمهم في الطريق والسكك ووقع بين البيوت

المعترك وصدق الطعن من سلك ولكنهم على الحق معتدون (لا تجأروا اليوم إسم منا لا تنصرون) فحين أبصروا حرارة الطعان وذاقوا مرارة السنان وحامت عليهم الموت عقبان في منازلة تلك الإخوان ، وتيقنوا أنهم لما يريدون لا يدركون وأنهم أخطئوا ما يأمرون (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فانهزموا بأقبح الذل والنكابة وقتل منهم واحد هو الغاية ، وحف المسلمون باللطف والعناية لعلمهم بأمرهم يعتبرون وعلى ربهم يتوكلون (وإن جندنا لهم الغالبون) وأدبروا يعضون أنامل الندم وولى كل شيطان وانهزم ، ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يرسلون ؛ فأرسلوا يحثونهم على الحجى والتعجيل حتى يفوزوا بالمنى والتأميل ، فلما قدمت عليهم الرسل وأخبروهم بما حصل نهد مقاتلة كل قرية واجتمعوا للحرب بلا مرية ، فلم يرتفع سلطان النهار إلا والجمود تطلب البدار وتروم لأهل المبرز الدمار ، وقد أقبل أولهم وهم النعائل والرفعة والذين حضروا بيعة النجار ، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد وتتابع لهم جيوش وأمداد وكل منهم لصدق الحرب في أهبة واستعداد وتأهب لوطأة البلاد إن لم يف لهم من حضر الحلف من الفرقان بذلك الوعد الذى كان ويرجعوا عن طريق الخذلان ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد ، وينجزوا ذلك الإيعاد. هذا وقد استعد من أهل المبرز كل فريق وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق فيما يؤتى إليه من طريق ، وشمروا للحرب سواعدهم وأخلفوا مواعدهم بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع وأشد الذب عن المسلمين والدفاع وتبين منهم الصدق على ذلك والاجتماع ، فبقى من عندهم من أهل الفتنة والفجور ينادى على نفسه بالويل والثبور وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور ، وليس لهم من أهل المبرز مساعد بل كل عن الفتنة قاعد ، وهواتف البلاء عليهم يدرسون (آتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) فحين وضع واستبان ذلك الحلف والخذلان لصالح الرئيس الداعى إلى طريق إبليس ولم يجد ناصرا ولا قبيلة ولا معينا ولا كفيلا وأضحى حائرا ذليلا لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلا ولا منهجا للسلامة ولا دليلا إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان ، وطلب منهم الدخول معه والأمان ، فراح فى ساعته بعد تدبير كرتة إلى فريق العتبان وكانوا ذلك اليوم مع الإخوان ، جزاهم الله تعالى كل خير ورئيسهم مهوس بن شقير ، أخذ منهم الأمان على نفسه ومن له من الإخوان ، وكان

هذا من الله تعالى حكمة باهرة وقدرة قاهرة وأمرآ قدره تقديرا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه وتسليية لهم على بلأله لعلمهم على الفتنة يصبرون (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) هذا ولم يناد المنادى لصلاة الظهر بالأذان إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدوم إبراهيم بن عفيصان بل هم مع الوقت كفرسى رهان ، فحصل الأنس وطابت النفس وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان ، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان وتم السرور وحصل الفرح والحبور وهبت رياح القبول والتهان وبدأت شمس الأمان والأمان ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل وسائر سفلة تلك القبائل خلف السور مقيمين ولقصودهم راعمين وعلى مأمولهم عازمين إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار وما جرى من الأخبار فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع والأسنة تبرق وتلمع والبيض تشرق وتسطع فكل ولى وانهمز وتندم على ما كان عليه عزم وانتضوا بطون الأقدام ولم يكن لهم غير البيوت إقدام فوطئتهم من المسلمين خيول وخرج معهم من أهل البلد فحول خالت على قطعة من الأحزاب الفرسان وجالت عليهم أولئك الرجال الشجعان فقتلوا جميعا في ذلك المكان وجرّعوا كأس المذلة والمهوان وباءوا بالخزي والحسرة والخذلان ، وكان جملة المقتولين نحو الستين وغالبيتهم من أهل الجبيل والباقي من بلدان المشرق متفرقين وفات الحملى ومن معه حين أقبلت الخيل عليهم مسرعة وشردها ربا وثار ولم يجد دون بيته من قرار وازدحموا عند دخولهم الدروازه والكل يريد من الخوف السبق واحرازه ، فلما رأى وجوه قومه وجماعته قبيح فعله وصناعته ساروا إليه سريعا وألزموه أن يخرج مع الحباني وقدومهما جميعا ، وألحوا في ذلك الأمر عليه وعرف أن القرار لاسبيل له إليه وأن وجوه الفريق والأعيان إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان وأنهم يسلمونهم إليهم ولا يدفع عنهم انسان خرج هو والحباني وأناس من الأشرار حين أدبر ضوء النهار واشتد سواد الدجا وانقطع منهم الرجال ، ففاجئوا على بن حمد في قصره واستعدوا من رأيه وفكره وبقوا عنده ثلاثة أيام في أكسف حال وأشر مقام . هذا وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضا ، وتسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضا وتسابق

الشمس في الطلوع إلى ذلك الحال نهضا ، إبداء للندامة وطلباً للسلامة ومقدمة بين يدي سعود بهذا الأمر المعداد لعله يكون للرضا وسيله وإلى بقائهم في أوطانهم حيله ولم يروا مسلكا سواه يسلكون ، وفي تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة وابراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران ومعه جمع كثير وجم غفير من السياسب والعتبان وغيرهم من سائر القبائل والفرقان ، ثم في أثناء المدة المذكورة طلب الحبابي وابن عفات والحلى ومن معه من الرجال المحصوره من ابراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس فخرجوا من الإحصار والأحباس وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديعاس وكان إذ ذاك لم يتسنى ذروة الضلال والإبلاس فقطعوا في ليلتهم تلك المفاوز والقفار ، وركبوا صبيحتها متن زاهر البحار وامتطوا كواهل فلك السيارة و**تميموا أهل الزبارة** ، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال خبرة ولا اشاره حتى فاجأهم بغتة ذوو النياره وشرحوا لهم عن الحسا أخباره وصرت حوا لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهب وآثاره ولم يعلموا أن الله تعالى على عباده غاره وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصاره وينصر أهيله وأحزابه وأصهاره ويريد تبينه في أمان الرجس وإظهاره وإثباته في الإحساء وقراره ، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون (أم يريدون كيذا فالذين كفروا هم المكيدون) ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته ونبين آثار قدرته واستنارة البرهان والحجة وتقويم واضح المحجة ، قدم سعود مستهل ذي الحجة فنادى لسان الحال مبشرا بالسعود والإقبال ومنذرا للذوى البدع والضلال فأعلن وقال : الحمد لله الذي أطلع شمس الكمال في مطالع السعود والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود برؤية هذه الطلعة السعيدة والغرة المنيرة الرشيدة فأناخت بقرب النعائل ، أولئك الجنود وخفقت رايات الإسلام والبنود وأصبح حبل الحق ممدود وفاز أهل التوحيد بالمقصود ، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود على سبيل الهنا ونيل المنا وإبداء لشكر مولاهم الكريم وإظهارا للثناء والتبجيل والتعظيم (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) ودارت كؤوس الأس والأفراح وامتلاء القلب بالفرح وارتاح وهيئمت في الأجساد والأشباح حداة النفوس والأرواح على سطح البسيطة بالطول والعرض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) ونصبت بذلك المحل والمكان خيام التوحيد والإيمان

فغنت بلابل السرور على الأغصان ورجعت الأغاني في الألحان وكررت قول من قال
في غابر الزمان :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر

وطارت قلوب أهل الزيف والضلال حين مد فسطاطه وظلاله وأبصروا فرسانه
وأبطاله وشاهدوا خيله ورجاله ، وقد كانوا بها يكذبون وحق بهم ما كانوا به يستهزئون
وندموا على السلم حين فات وقالوا ياليتنا نرد وهيبات وتمنوا الموت على الحياة (أفرايت
إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فلم يك إلا قدر
حط الرحال وتسوية الأحمال والأثقال فتلقاه أهل المنهوف باستقبال ونهضوا عليه
يسهون ونهدوا إليه مستسلمون (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون) فقابلهم بالقبول والتوقير وعاملهم بطلائع التيسير ونفى عنهم صنائع
التعسير وتلا لسان حاله على منهج التبشير لعلهم بما أشار به لهم يفرحون (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون) فأعطاهم إلا من دخل في الردة الأمان وأدخلهم في دائرة أهل الإيمان
وأخذوا يمايعونه على الإسلام بالإيمان وداعى الحق يذكرهم بأى القرآن عساهم
به يتعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون) ثم أقبل أهل المشرق إليه أرسالا وقدموا عليه
عجلاً وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا وتغيرت وجوههم ألواناً وأحوالا لقبح ما كانوا
له يصنعون (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون)
وقدموا بشعائر الذل والهوان على الإساءة منه والإحسان إذ ليس عندهم منعة
ولا مكان عن القدوم به يتحصنون (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه
وهم يمححون) فشرع معهم في المبايعة والمعاهدة على المتابعة والمعاقدة والتزام حبل
الطاعة والمساعدة وهم على الوفاء له يقسمون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم
ولكنهم قوم يفرقون) وأتاه أهل المبرز أهل الإيمان والاسلام لأداء واجب السلام
وتحديدا لعهد الاسلام فقابلهم بحسن البشر والاکرام جزاء بما كانوا يعملون (ومن يعمل
من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) فلما انقضت أيام العهود
وخفّ إتيان الوفود بادر إلى ما هو الأهم والمقصود وأخذ في تقويم السنن الحمود

الذى به المسلمون يأمنون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) وجرد مرهفه الحدود لإقامة القصاص والحدود وأورد الحمام المورد غالب من بأشر الردة الثانية في يومها المشهود فعدوا لكأس الردى يتجرعون (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأردف جماعة من المعتدين وثلة من الفساق المفسدين وزمرة من الرفضة المبتدعين الذين هم عن الصراط ناكبون (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) فأفنى رءوس ذوى الشر والفساد وأراح من شرهم جميع العباد وأزاح باقيهم عن البلاد لاسيما ذوى الشقاق والعناد الذين هم في الأرض مفسدون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) ودام القتل أياما واستمر ومكث مدة واستقر وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر ويقتل من اطلع عليه وعثر حتى استبرى الحال والخبر وعرف أنهم ليسوا بها يمحئون (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) فساد في البلاد أركان الإسلام وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان ورفع للسنة الأعلام التي كان الولاة لها يمحرون (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فبدأ بتسوية تلك القبور وإزالة ما عليها من المحظور وقطع تلك الأوقاف والنذور التي أهل الباطل لها يصرفون (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وأرسى بها قواعد الدين فأمسى أهل الباطل مشردين ، ومحا آثار المبطلين (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وضربت سرادق الأمن والأمان وأسس قصر التوحيد بأعلام كان وأحكم غاية الإحكام في البنيان ونودى عليه بأفصح لسان وأهل الإسلام له منصتون (إن الله لنودى فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) حينئذ نبذ الضلال ملته ونعى الشرك حزبه وأمته ، وبكى الرفض أصهاره وفئته لأنهم كانوا له يشيدون (أنفكا آلهة دون الله تريدون) وفقد أهل العزى عزّاها وجعل الخراب جزاها وأهل اللات لها يتبعون (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ومحقت رسوم البدع والأهواء والإلحاد ، وهدت دعائم الجور والعماد وأورق غصن الحق وماد وبطل ما كانوا عليه يعكفون (ءآله مع الله بل هم قوم يعدلون) وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه

ودحض أهل الضلال والرفضه وكل هجر ما كان يدين به ورفضه وضل عنهم ما كانوا يزعمون (إله مع الله تعالى الله عما يشركون) فاندurst ولله الحمد تلك الحقائق وعطلت تلك الطرائق ، ولم يكن لها موافق ولا مرافق (بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وخرّ عرش الشرك ووهى لما علاه التوحيد ودهى وعرف بطلانه ذهواً والنهى وشمروا فيما أمر الله به ونهى (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) وجدّ في تعلم التوحيد الضعة والشرفا فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفاء (ولم يجدوا عنها مصرفاً) و(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون) وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس وحث ثرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس ، فوجدوا عظيم السرور والإيناس واستمر علماء المذاهب يدرسون (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وأقر في أيدي أهل السنة جميع تلك القربات والأسباب بل زاد غالبهم من بيت المال واجتهدوا في القيام بوظائفهم بسرور بال ، فهم لهذه النعمة شاكرون (لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . ولما فرغ حرسه الله تعالى من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد ومهدّها أحسن تمهيد لعل الناس لها يسلكون (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) شرع ينظر في الرعية بالتغيير والتبديل ، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل على سبيل التسوية والتعديل بين أهل المفهوف وكافة القرى وهم لها يوزعون (فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم من يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون) وفاز أهل المبرز بحسن الحال والسلامة من الأغلال والنكال وطابت لهم العاقبة والمآل لأجل ما كانوا له يدعون (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون) وشد عليهم في ذلك النكال مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال لأنهم دخلوا في العهد على ذلك الحال لعلهم عن مثلها ينتهون (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ومكثوا تلك الليالي والأيام يقاسون حرارة الضنك والالزام ، ويبيعون ما عندهم من الأمتعة والحطام لأداء ذلك الالتزام (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وطلب منهم جميع ألوان السلاح ومن أخفى

عليه شيئا فليس له في بلده مراح ، بل دمه هدر مستباح ، فلم يكونوا لشيء منه يخفون (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ثم أمر بهدم الأسوار والبروج ولا يكون للردة منهج ولا عروج ، فأصبحوا بها يهدمون (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) فهدمت أسوار قراها والبلدان مخافة أن ينزغ بينهم الشيطان أو يطمع بها أحد من العدوان ويحسبون أنهم يمكنون (ولقد أهلكتنا ما حاولكم من القرى وصرنا الآيات لعلمهم يرجعون) ولما تم بناء ذلك القصر المحكم المشيد على كل وجه من الأحكام والتسديد والفاظ وارتفاع السمك والتجويد ، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام وما يحتاج له الم رابطون (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعد قطعة من خيله وركابه ، وجيشا من جنده وأصحابه خارج عن القصر قريب من بابه ، لإخافة العدوان وأربابه ولتذب عن البلد من أتوا يخربون (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون) .

ثم دخلت السنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف . سار معود من الإحسا بالله الله الرتبة القعسا ، لما اشتاق حرسه الله إلى نجد وصبأ ، وهيج شوقه نسيم الصبا وتواجد لها شوقا وطربا ، كيف وهى الوطن الذى به يستوطنون (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أمر بإشخاص قوم كثيرة وحمائل ، من ضمة الناس ، وغالبهم أمائل متفرقة من تلك القبائل ، أنهم يحلون فى الدرعية ويسكنون (يا عبادى الذين آمنوا إن أَرْضِي واسعة فايأى فاعبدون) ثم أمر بالرحيل والترحال وأن تقدم تلك الأحمال ، وتعجل عن وجه الأثقال ، ثم شدت له الرحال فاستوى عليها وقال ما كان الساف يقولون (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وجد فى السير إلى نجد بعد ما حاز ذلك المجد وأكثر الشكر والحمد للمولى الذى له الخلق يشنون (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) وحين قارب أن يلتقى عصى السير والتسيار، ويحط الرحال فى رفيع تلك الديار، وشرع إليها فى النزول والانحدار من الحل الذى لها ينحدرون، قل (رب إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية ، ثم قصد والده والأهل والذرية، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية ، وطفق عبد العزيز يشوقهم

لما عند الله لعلهم في الدنيا يزهدون (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) وفيها وقعة أحزاب ثويني ؛ ولما استقر بهجر
عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم أنوف العدى للهدى أعلام ، وثبت أصل
التوحيد ورسا في جميع بلدان الحسا غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى وتمثلوا ببيت
عسى وعسى . فهم على تكرار الصباح والمساءلة الباطل مرتجون (فأعرض عنهم
وانتظر إنهم منتظرون) وشوت قلوبهم حرارة الحزن ومرارة الهم والحن حين ملك
أهل الإسلام ذلك الوطن ، وثوى فيه التوحيد وقطن ، وضاق بهم فسيح الأرض فضلا
عن العطن ، وعرفوا أنهم متبعون (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا
ستقدمون) فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفا وفرقا ، وسفحوا ذلك دموعا وعرقا ، وازدادوا
ذعرا وغيظا وحنقا وساروا للتخريب عليها وخدا وعنقا وقصدتهم لنور الحق يطفئون
(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
وتعاطف ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا في تغييره شرقا وغربا ، وتداعوا عليه عجماء وعربا
ولم يعرفوا أن للدين ربا (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - بل جئناكم بالحق ولكن
أكثرتم للحق كارهون) وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة ، والكل أخذ من عظيم
الحزن حصنة ، حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة ، وودوا لو يدركون فرصة ، على
المسلمين بها ينهزون (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر
أمر الله وهم كارهون) وشمروا ذيل الهمة بالتبديل والانقلاب ، وجدوا إلى تحصيلها
في الأسباب والسعى في بواعث الاجتلاب ، فآبوا بذلك بشرّ مآب ، وما ظفروا بما
يرتجون (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فملئوا بطون
الصحف والأرقام من نفث اليراع والإقدام ، وبث ما في الصدور والأوهام ، فزخرف
القول والكلام وأرسلوا بها إلى البشاوة والحكام لعلهم في إزالة الدين يسعون (ولو
شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وأقام في ذلك الصغار والكبار واجتمع عليه
السفلة والخيار ، وشمز فيه ساعد الجد والازار فباءوا بالخيبة والأوزار مما كانوا فيه
يمترون (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم
لا تنصرون) وانتدب إلى هدم ما قد أسس من الدين وبان ، وإزالة ماله من أساس
وأركان كل رئيس وعالم شيطان من جميع النواحي والبلدان ، ونمقوا في الطروس

قبيح الفعل والبهتان ، وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنه لا يصلح لهذا الشأن ولا يقوم بأعباء الرياسة ومصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد من سائر العربان ، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرهم والبدوان ، وإزالة أثرهم من الحسا ، ومحاصرتهم في البلدان سوى ثويني من الأنام إنسان ، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشان ، فأطلقه ورئسه حتى ترى ما يسر الأعيان ويقر الناظر له في العيان ، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان ، وترى أهل الدين من سطوته يهربون ومرادهم على الدين يهربون (واصر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تلك في ضيق مما يذكرون) فلما دعا الباشا ما حرروه ووعا ما أثبتوه وقرروه وتأمل مفهوم ما قد خبروه وعرف منطوق ما سطره وخفى ما كذبوا فيه وزوروه ، أمر بإحضار ثويني عنده فأحضره وخلع عليه ورأسه وكبره وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمره ؛ ولم يقف الباشا على حقيقة ما خبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيره وحذروه من هذا الذي نفروه ، وما هو والله إلا كذب افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) حين حظى ثويني بالرياسة ونالها وحاز من آماله منالها نادى برفيع صوته ، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها ، وأعطى جماعته الأيمان على ذلك وأنا لها وهم لأيمانه مصدقون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير وحشوه على آلات التسيير وتعجيل الظهور والمسير وحرصوه على أن لا يبقى منهم صغير ولا كبير ولا ينذر شريفا ولا حقير ، وكان بمسمع من اللطيف الخبير ، جميع ما به يخرضون (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فأقبل متنعما بإزالة الدين من أساسه ، وإطفاء نوره من نبراسه وتغيير منهاجه وانتمكاسه ، وقتل كافة أنصاره وأحزابه وأناسه ، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه ، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه ، ورام هذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه ، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون (فلما نسوا ماذكروا به فتجنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد ومعاناته هم الأسر والقياد ، والغم الذي غشى النفود ، فأسرع في الامتثال

والانقياد وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد ، وحشد الجيوش والأجناد والاستعانة بالأسباب والامداد من كل ناحية واطر بلاد ، وكلهم بما قدروا عليه يعدون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وصحب ثوب الخيلاء والتهيه وجره ، وأوطأ سنايك خيل جيشه الحجره ، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرة ، التي كان في ضمنها له الهلاك والمضرة ، والذل والهوان والمعرة .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر مايجي عليه اجتهاده
فكان والعياذ بالله كالجادع أنفه بكفه ، والباحث عن حتفه بظلفه ، وهذا شأن الذين يستدرجون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وحث السير يريد الفيحاً وصولاً ، وطوى بأيدي الجياد من المهامه صعباً وسهولاً ، وعزم أن يفي بعهده (إن العهد كان مسئولاً) حتى يصادف من الباشا رفعة وقبولاً ، ولقد تكلف بما ليس والله في طوقه (إنه كان ظلوماً جهولاً) وشيخ بأنفه وجر للكبر ذيولاً (إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) ولكن أكثر الناس لا يتدبرون (وأخذناهم بالعذاب لعلمهم يرجعون) ولما قارب دخول البصرة في الاقبال وتبين له منها رسوم وأطلال ، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال وتلقوه بالقبول من أميال وبادروه بالحشمة والإكرام والإجلال وأظهروا من التوقير والخدمة والامثال ما لا يخطر على البال ولا يحصره في البيان المقال ، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقاً وحسناً ، وتخجل المتأملين فيها ألباباً وذهناً ، ويهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى فتتنقص عند مطالعته مهابة وجبناً ، وتقول ياليت لنا مثله ، وكذا أهل الدنيا يقولون (ويلكم ثواب الله خير من آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) ولم يستقر قراره في البصرة بل ساعه دخلها أخذ يجهز أمره ويظهر تجبره وبأسه وقهره ويجدد في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة ويحذر الناس سطوته ومكره ويخوفهم لكي يساعده ويشدوا أزره .

ولقد بذلوا الجهد في مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال في خلدكم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهي لمصرعه بيديه قبره ، ولقد كانت حاله لدوى العقول عبرة ولكن أكثر الناس لا يعتبرون (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

وفي حدود إثنيان البصرة ووصولها وهبوطه إليها ودخولها ومكثه فيها وحلولها أتمته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء الذين هم لهذا الدين عدوان وعلى محقه من الأرض أعوان محررات الوسائل للنفوس ومحبرات الرسائل في الطروس، والصحف التي أجيد في السجع منشورها والقصائد التي جلى بالبهتان صدورها وأفصح بالعدارة والبغي منشورها وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها فكانت ولله الحمد شؤما عليه قدومها وظهورها لما بالغ فيه من الفحش بهتانها وزورها وتعدى فيه عصيانها وجورها ومضمون تلك الرسائل والقصائد ومطلوبها من الأمانى والفوائد حثه على سرعة التعجيل لما هو قاصد لكي يفوز بما أملوا من المقاصد ولم يجر على بالهم أن الله تعالى له بالمرصاد (وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون - قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) واستغاثوا به في منشورهم ومنظومهم وندبوه وسألوه تعجيل النصره لهم وطلبوه ولم يخشوا الله تعالى في ذلك ولم يرهبوه ووعدوه الأجر على ذلك ورغبوه، وتألوا في نصره على الله فيما كتبوه وليتهم لسوء هذه الجرأة يفهمون (أم يحسبون أننا لنسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وأعنفوا في سيرهم ذلك ، ونصوا وعموا في حكمهم له وخصوا وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا وما اكثرثوا بمن عليه يجترئون (ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاننا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار متضمنة لأقبح العار تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار ، كيف وقد صرح فيها ناظمها ومنشئها بالاستغاثة بملك جبار وظالم تعدى وجار، والدعوة والاستغاثة حق للواحد القهار كما هم في محكم التزويل يقرءون (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون) ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه وقدمت البصرة عليه فقابلها بالقبول التام وأبدى من حسن القبول والإعظام ما زاد على السؤل والمرام وأمدته بكثير من الحطام ، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والثناء ومعاشرة ومواصلة وانتظام ، فهم على الحالة مجتمعون (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون) ، وهذا نصها :

أنا مل كف السعد قد أثبتت خطا بأقلام أحكام لنا حررت ضبطا

وقد أجاب عنها المصنف وأرسل بها إليه :

وهذا نص الجواب

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا
تخطت فأخطت في المساعي مرامها
وثارت أنوار الشرك تذكى ضرامها
لقد شوّعت ما زخرفته بزورها
وقد جاء منشئها بزور ومنكر
وحان به داعى العناد لمهيع
فضل عن الإرشاد للحق واعتدى
وجاوز منهاج الهداية راضيا
يحاول تشييدا ورفعاً لما وهت
ويسعى بتحريض وتهيج فتنة
وربك بالمرصاد ممن يريد أن
فلا عجب من يعيش عن ذكر ربه
لقد خاب من مسعى غدا طول عمره
ولا كابن فيروز يروم سفاهة
وصار يذود الناس عما أتى به
ويدعو إلى نهج الضلالة معلنا
يغالb أمر الله والله غالب
ويرجو من المخلوق غوثاً ونصرة
وذاك من الأقدار ما فك نفسه
لئن كان يدعو لتفريج كربته
فبشره بالخسران والدل إن سعى
ومن جرّب الأشياء يكفيه ماجرى
وينظر في عقي الخيانة والردى
ولاشك في تلك القضايا

عروس هوى ممقوته زارت الشطا
ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وسارت فبارت والإله لها قطا
كما أنه بالمين قد أحكت ربطا
وخش وبهتان يعط به عطا
تنكب عن سبل الهداية واشتطا
وغط أناسا في طريقته غطا
عن الدين بالدنيا فما نالها بسطا
قواعده فوق البسيطة وانحطا
تصير إذا ثبت لحاء العدا شطا
يؤسس ركن الشرك من بعد أن حطا
يقيض له الشيطان ينشطه نشطا
يصد عن التوحيد من دان أو شطا
دفاعا لحق في البرية قد وطا
أجل شفيع في الجزأ للوى يعطى
ومنهاج أهل الزيغ جهرا به أطا
ويندب من لا يملك الرفع والخطا
يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا
ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا
فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا
بهضم لهذا الدين أو وافق الضغطا
ويانغى أباطيلا عن الاهتدا شحطا
فكل امرئ خان العهود غدا سقطا
يرد بها عنه الغواية والهمطا

وكم دولة كادت وقادت جموعها
يريدون إخفاء لما الله مظهر
رويدا فوعد الله لا بد واقع
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا
وما ذاك إلا معتد ذو حماقة
فويل له يوم القصاص وحيث لا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى
وأعلن بالإسلام والدعوة التي
وقام بأمر الحق في جاهلية
وأطاع مولاه نجوم سعوته
فسبحان من عم العباد بحلمه
يكفر قوم بالكتاب تمسكوا
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا
أهل الهدى ، الزيغ والفرق التي
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد
ومن قد نحا في الدين سنة صحيحة
فتبا وسحقا يالها من مقالة
لينظر ذو الأحلام والعلم والتقى
وفي غربة الإسلام أعظم شاهد
وبرهانه العقلي نصرته رهطه
لقد رفعت أعلامهم بأمرهم
بهم أصفرت شمس الدجى بعد دجئها
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى
يدودون عن ورد الدنيا نفوسهم

فبادت وما فادت وما أدركت مسطها
وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
وقد وعد التمكين من عمل القسطا
فربك قهار له المنع والإعطا
توغر في الإبلال واس واغتر وانغطا
مناص وأهل النار تسرطهم سرطا
وعن وصفهم بالكفر لكنه الإخطا
وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
لها كشط المختار رأس العدا كسطا
وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
بآل سعود حين صاروا له سبطا
وفي هذه الدنيا بأمهاله غطا
وبالهدى والإجماع ما خالفوا شرطا
أناسا من الإشراك أعمالهم حبطا
إلى الله والتقوى وإسلام من شطا
تحرّف وحى الله حازوا الهدى خرطا
بتحقيق إسلام الروافض قد خطا
ينادى عليهم أنهم خبطوا خبطا
من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا
إلى أى قوم فى الهدى تبعوا الخطا
بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا
وتمكينهم فى الأرض أكرم بهم رهطا
وأبناء أسد الحرب بل بأسهم أسطا
وزال ظلام الشرك من بعد مالطا
وأهل العالى والفخار بهم ينطا
ويسخون فى نيل المزايا بها سفظا

فقد بذلوا في ذا النفوس فأحرزوا
وقد ولي الحسا سعود فأسعدت
وأبعد أهل الشرك عنها وأبعدت
وقرر أرباب الوظائف كلهم
مدارسهم معمورة بعلمهم
وما أبطلت أحكامهم حينما أتى
نعم هدمت للرفض فيها كنائس
وما كان من جور ونكث وبدعة
ولم ينف الأكل من عمل الردى
فليس ترى إلا مفيدا وهاديا
وأمر بمعروف وتنكير منكر
وحثا على فعل الصلاة جماعة
فاله رب الحمد والشكر دائما
لقد من مولانا علينا بمنة
وصب علينا من شآبيب بره
بانقاذنا من غمرة الشرك والهمى
عسى الله يعلى في الجنان مجدا
ويحرسه عن كل سوء ونسله
أبا عمر هنيئ بل هنى الورى
إليك القرى والمدن ترنو عيونها
وترتاح من عليا سعود ونصره
فجهز لها المنصور بالبشر تلقه
فقد طرز الإقبال آيات فوزه
ودم شاربا كأس المسرة والهنا
وأزكى صلاة يفضح المسك عرفها
كذا الآل والأصحاب ماخط كاتب

به العز ياطوبى لمن أدرك القطا
مساعيه أهل الخير فانتظموا ميمطا
مذاهم فيها وما أبصروا غمطا
وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطا
وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا
بابطاله الشرع الشريف وما أخطا
وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا
ولهو وتابوت وكل الدعا معطا
ومن كان سببا لمنطقه مسطا
وعلمنا وتحديثا بذا تسمع الالغطا
وتتكير من قد قارف الذنب والسخطا
وتوييخ من عنها تخلف أو أبطا
على نعم لم يخص نظمى لها ضبطا
وخولنا من فضله خير ما أعطى
سحائب رحى قد حوينا بها غبطا
ولولاه كنا في غياهبها وورطا
ويولى الرضى عبد العزيز الذى وطا
ويبقى سعودا فى سعود وفى ابطا
بمانات والتوحيد حاز بك البسطا
تمناك ترعاها فتملؤها قسطا
وتغبط نجدا والحسا الآن والخطا
وتفرش إكراما لإقدامه بسطا
براياته والنصر والفتح قد خطا
بأطيب عيش والعدا تأكل الخطا
تعم رسولا فى الورود لنا فرطا
ونق فى مرسومه الشكل والنقطة

ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وحاله وشرح مسيره وتدبيره وتدميره ومآله وذلك أنه لما أقام في ذلك المكان في ترتيب الحال وتدبير ذلك الشأن ، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان ومن عدة الحرب والمدافع وآلاتها وقاداتها وحماها ورماتها ما يذهل الأذهان ، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان ، ولا أحكمت سياسته من هو في شكله من رؤساء الزمان وانتظم ذلك في قليل من الشهور وانتقادت له طوعا استدراجا صعب الأمور ، أذن مؤذن التعدي والفجور في تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور بالارتحال والمسير إلى الاحساء فالنفور والمبادرة بالخروج والظهور وتردى برداء الإعجاب والغرور ، ونسى يوم البعث والنشور يوم يساقون للحساب ويحشرون (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وانضم إليه كثير من سواد البوادي والأعراب ونسلوا إليه من كل فج وباب وتنادوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا ببعضه يبخلون (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) وأقبل جميع آل ظفير إليه ، وزلوا بأجمعهم عليه وكانوا معه ولديه وخلعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس وجنحوا إلى سنن الإبلas ، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس حتى أنزل الله تعالى بهم اللباس وكانوا عن سبيل الحق يصدون (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) فزحفت تريد الحسا تلك الجنود والجموع التي ضاقت منها الأودية والفجاج والوهود ، وقاد معها القنايل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالرعود ، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود ففضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحمام المورود ويعجلون لأجلهم المعداد في ذلك اليوم المقدر المشهود ، وأخذوا من حيث لا يظنون (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يرون ما يوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) فلما تحقق عبد العزيز الامام الخبر عن ثويني بصحيح الكلام واشتهر عند الخاص والعام أنه نشر للظهور الرايات والأعلام رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه وألح في دعائه وناداه وقال وهو من الاجابة على يقين : يا من يحيب دعاء المضطرين ولا يحيب رجاء المرتجين ويكشف السوء عن المكروبين ، أكفنا بحولك وقوتك المعتدين واصرف عنا شر الضلال والمشركين وانزل بأسك بالمجرمين واقطع دابر

(١٣ - تاريخ نجد - ثان)

الظالمين وشتت شملهم أجمعين واجعلهم في كل فيج ممزقين ، فلم يتم حينئذ دعاءه حتى قوى في يقينه رجاؤه وغلب على ظنه أن البلا كتب على جميع ذلك الملا وأن الهلاك عليهم قد سطر والإذلال عليهم رقم وزبر وقد فرغ من ذلك وقدر قتلا (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فحقق له ذلك الرجا وأنجح له ماأمله وارتجى ، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجا والله يحب الذين إليه في كل حالة يتضرعون (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلا ما تذكرون) ثم بعد التضرع والاقبال والدعاء والسؤال والتذلل بين يدي الله والابتهاال أمر سعودا والمسامين بالتجهز والخروج أجمعين لمنازلة المبطلين ومصادفة المسرفين ، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان من هو داخل في دائرة الإسلام والإيمان البعيد والقريب والقاصي منهم والدان ، فكل أجاب طلبته ومراده ولبى دعوته وإنجاده ، وخرجوا للطاعة بدارا وللجهاد شوقا واختيارا ، وقد بلاهم الله بذلك اختبارا ، وامتحنهم ليميز الخبيث من الطيب جهارا ، فلقد أبدى الله سبحانه وتعالى في هذه الحادثة برهانا ساطعا وحكما قاطعا من الآيات والأسرار المطوية الخفيات والأمور المكتومة الخبيثات ، والعقائد التي في الصدور منظويات والأهوية التي هي قبل مائلة إلى الردّات والقلوب التي هي مملوءة ببنغض هذا الدين من البريات وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات والأفئدة التي هي بالإحن على أهل الدين مشحونات من البدو والحضر من غير تعداد ولا حصر ففضح الله تعالى خلقا كثيرة فافتضحوا وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا ربحوا حيث رغبوا في الردة حينئذ وجنحوا فأوبقهم الأعمال ، فأخرجوا إلى دائرة العدل والاهمال وزال عنهم الاستدراج والإمهال فانقطعت بهم الآمال في مفاوز الهلاك والوبال ، ضنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأسباب أن هذا إبان حلول العذاب وأوان الدمار والذهاب ، على أهل نجد بل جزموا به من غير ارتياب ولم يعلموا أن هذا هو ورب الأرباب كله على القطع سراب فكلم غر قبلهم من قبائل وآل في البيداء المضلة لمعان الآل ؛ ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال ، وأبرز القواطع على تفردة بالألوهية والعبادة والكمال في تلك الحال وغيرها من الأحوال ، فأبى الا الصد والإعراض أهل الاحاد والضلال وقالوا ليس لنا عن سنن أسلافنا انتقال ولا نبرح على ماكانوا

عليه من سالف الأعمال ، وسابق ذلك المنهاج والأفعال حتى نزول الأرض أو تزال ، فأُنزل عليهم العذاب سريع العقاب والآنزال فقطع دابرهم باستئصال ، وعاجلهم ذلك قبل حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم ، ونودي عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان وجيوش أهل نجد اجتمع أكثرها في شهر رمضان ، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود في النصف الأول من شوال في أحسن حال وأكمل بال ، وقد أمر جيوش المسلمين وامداد الموحدين أن يكونوا عند العربان مجتمعين وينزلوا طرف الصمان مباراة لأولئك العربان وكبيرهم محمد بن معيقل ، فكان أهل الاسلام كلما أقبل أولئك الطعام ونزلوا مكانا آخر . ارتحل ابن معيقل ومن معه وجد في ذلك وبادر حتى نزل المسلمون قرية ونزل أولئك بناحيها بلا مرية ، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف وما يليه من غير ارتياب ، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم فسبقوهم على ذلك وكان عقباهم الخسر ومشواهم . ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع عليه الأمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المسلمين وأجناد أهل التوحيد المجتمعين وقد أعمل المطى والرسائل إلى جميع العربان والقبائل وإلى جميع قرى الإسلام وبلدانه ومن حل التوحيد بأوطانه من أهل الجنوب والشمال ، فانتظم من الخلق والأمم ما لا يحصره القلم ولا يعبر عنه ناطق بقم .

ولما تحقق عنده نزول ثويني وادى القرايا . أرسل حسن بن مشاري رحمه الله تعالى مع جنديّة من تلك البرايا حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال ، فقد كانوا في كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال ونزوله عليهم تلك الأيام والليالي ، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والإحتيال ولم تتجار خيول أفكارهم للرأى في مجال ، ولم يفهموا ما ابتداء من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا ماورد في صحيح المقال « الحرب خدعة » والله در المتنبي حيث قال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان	هى أول وهو الحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة	بلغت من العليا أعزّ مكان
ولربما طعن الفقى أقرانه	بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم	أدنى إلى شرف من الإنسان

فقصر باع الأفهام ، أن تدرك سر التآني في ذلك المقام ، وعدم المبادرة بالإقدام وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة ، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخبطوا خبط عشواء بلا يقين ولا جزم وحكموا بما لم يحيطوا به من علم ، ولم يكونوا من غامضه على فهم ، فاستحسنوا ما ليس بالحسن لكون المقدمة لم تنتج لهم المطلوب في العلن وإلا فالأناة محمودة والعجلة مذمومة مبعودة كما ورد في بعض الآثار ، ومستحسن الأخبار ، ولقد قال من سبق في هذا المضمار :

قد يدرك المتآني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولقد دبر فكره فيهم مكائد وأقام لخداعهم رصائد ، ونصب لهم شركا وحباله تقتنصهم فرسانا ورجالا ، وأحكم لهم من الآراء درعا سابعة وزرداً يوم الهياج نابغة ، وهمت عند المنازلة لكتائب الأعداء رابعة ، وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة لم يرقط عن الإقدام لها تأخرو ولا إحجام ، بل لا تزال للوغى طالبة وفي الجهاد راغبة وللأرواح ناهبة والمهج سالبة وأراد بهم أمراً أمراً ومن القاصمة كاهلاً وظهراً ، فأرسل إلى حسن بن مشاري يأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلاً للقتال والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال ، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال يظنها رعباً وأجفال ، فيسرع في القدوم والإقبال فتقع المصادفة والمزاحمة وتصدر المقاتلة والملاحمة فلا يطول مكث لتلك الكتائب حتى يرى سواد سوادى آيب ، فتقع حينئذ في الطعن عجائب ، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب ، فتضحى كهاة الأعداء للنجاة طوالب وتلك الأحزاب متمزقة هوارب ، وبضييق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب ويمسى كل واحد لكأس النذل شارب ولكن صدور ماجرى تدبير من ليس له غالب ، وإرادة من لا يعجزه في الوجود هارب وخيرة بر وصول حلیم غير عجول كريم جواد يحف بالنصر والإمداد . من أراده من العباد ، وكفى بارادته وخيرته للموحدين وعصبة الدين من خيرة ومراد ، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد ؛ فسبحان الذي قدر الأشياء قبل الإبراز والايجاد ، فوقع في الكون ظهورها وبدا مستورها على ما شاء وأراد .

ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد عن الارتحال حتى يتم المقصود ، فارتحل تلك الأيام وترك الإقامة في ذلك المقام وشرى في السير بعد الرحيل من غير أناة ولا تمهيل ، وسار عن الطف وما يليه بعد ما كان له فيها مراح ومقيل

وقصد ما أمره به الأمير لكونه رأيا سديدا وتديرا من أحسن التدبير . فعند ذلك طمع الأعدا وكافة ذوى الردى وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا ورعبا أطار قلبا وذهنا فزحفوا إلى المكان الأدنى فأكسبهم الله ذلا ووهنا ، وأهلكهم بما كسبت أيديهم وأورث المؤمنين المحل الأسنى ودثرهم من أموالهم وأغنى ، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع . فلم يهتدوا لذلك بأفكارهم فآلقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم وهذا شأن قاندهم يغويهم ثم يرددهم ، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ما أضمر في القلوب واستكن في الجنان وأبرزه سبحانه من أناس في صفحات الوجه وقلبات اللسان فنطق بالنفاق كثير من العربان لاسيما في ذلك البدوان ، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق ويكون للباطل اعتلاق وللزور والكذب اختلاق ومالوا إلى طريق الهوى وحاولوا عن الهدى نفورا و (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وثبت الله تعالى أهل التوحيد والايان وزادهم فيه تصديقا وإيقان (وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) كما في القرآن وصدق الله ورسوله فأولاهم أسنى مراتب العرفان وأفاض عليهم هائل البر والإحسان ، وكانت العقبي لهم مع ما منحهم من رفيع ذلك الشان .

وفي حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشارى جيشا كثيرا من المسلمين ، منهم محمد آل على المهاشيري و فراج وصالح بن عياش ، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم في الإياب لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام يبين له ماجرى وأنه لم يرد ذلك المرام ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام ، وإني أريد بالمسلمين الاحقوق ولكنني عن ذلك معوق وإن أتاني من المسلمين غزوان بادرت إلى لقائهم من غير توان ، وكتب كذلك إلى سعود قبل ظهوره من البلد وبعده وبذل فيه جهده ، وكتب إلى حسن ابن مشارى تلك الأيام وهو غير خائف ولا ممارى بل رغبة في الإسلام والإنقياد للأحكام ، فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام لكون الأحزاب به مرجفة ومنه محذرة مخوفة ، فصارت له مكشفة فردت تلك الغزاة منحرفة ؛ وفي هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية فأصبحت خيولهم على المعادين عادية وكانوا عنهم مخبرين وعن قدومهم منذرين

فصاروا لهم مستعدين فوقعت بينهم مطاعنة شديدة ، وكان المسلمين فيها أحوال حميدة بعد ما أناخوا للقتال ولم يتبين فيهم رعب ولا إجمال ، فقتل بينهم رجال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسا وأخذوا عليهم آبال ورجعوا في أحسن حال .

وفي تلك الأيام أيضا ، أغار نفجان بن سند الندي مع غزو معه على الضويحي فأخدمهم إبلا كثيرة وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة .

وفي هذه الأيام أرسل سعود رسلانحو القطيف ومعهم ركب آل مرة ليكون الطريق يخيف ، فلما أتوا ذلك المكان وجدوا قوما من العمار العدوان ففجئوهم على غرة ونفذ الله فيهم أمره وقتلوا منهم خمسة وعشرين وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين . وفيها وقع مطر عظيم وجرى سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمى وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإبانه ، فزاد ذلك وأربى وأشفق منه الناس مخافة وكربا وتلاطم موجه وزاد وأزال كثيرا من دكاكين أهل البلاد تعاظم جريانه وطما وصعد بعض البيوت وارتمى ، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى وهدم كثيرا من الركايا وأقيمت منه بيوت خوايا ونالت منه بعض الضرر الرعايا وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها فقير من أرباب تلك البيوت حالها، فاختطوا بعد ذلك لسكناهم خطة وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة ونزل على حريملا برد كثير كبار لم يعرف له مثيل قتل بهائم كثيرة وكسر حمار بعض النخيل وكسر غالب الأشجار وحصل للمسلمين منه اندعار وهدم كثيرا من الجدران وأشفق منه غالب البلدان فلجئوا في رفعه إلى الله مولاهم فكشفه عنهم ومنجهم مناهم . وفيها أيضا في فصل الصيف أتى سيل أخجل الأبواب والأذهان ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان هدم بعض حوطة أهل الجنوب ، وحصل للمسلمين منه كروب وهدم من العينه والدرعية وغيرها بيوتا معودة وأغرق زروعا كثيرة محصودة ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة ومنة من الله تعالى شريفة حيث استمر سنة يجرى من غير مطر وادي بنى حنيفة ، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وفيها كثر الجراد وعم في أكثر البلاد وانتشر في غالب الأقطار ورأى في كثير من البلدان والأمصار وحصل للناس من

خلفه الصغار الذي لا يقبل الزجر والاتجار ولا يعتريه من الوهج اندعار أعظم ضرر وإضرار ، فأكل ذلك الدبى لما مشى ودبى ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر الأشجار ثم ولى بقدرة العزيز القهار . وفيها غزاربيع بن زيد أمير وادى الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد فأسرع في سيره يريد بعض البدوان ذوى الشرك والضلال والطغيان فصبح فريقا يقال له أبو البؤس من شهران فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق ؛ فشمز حزب الفسق لاقتال بالصدق وعزموا أن يكشفوا العوادي القوارح ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورا فوادح تسويلا من الشيطان واغترارا بالصبر عند الطمان حتى رأوا من بأس أهل الدين ما أ كذب أمانهم ، فولوا منهزمين وقتل منهم نحو الخمسين ، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والابل ورجعوا بالأجر وحسن العمل . وفيها غزاربيع أمير واديه بجمع من حضره وباديه ؛ فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين يريد بلدان المشركين ، فعمد إلى بيشة ونزل على الشقيقة والجنيمة وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينه ، ثم بعد أن مضوا لهم ليالى وأيام وهو محاصر لهم في ذلك المنام رغبوا في طريق السلم والاستسلام ونزلوا للبيعه على الإسلام فعاهدوا جميعا على ذلك وحسن لهم المقام هنالك . وفيها أمر عبد العزيز أدخله الله تحت كنفه الحريز ربيع بن زيد أن يسير بجماعته إلى رنيه مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته ، فسار ممثلا لذلك الأمر حتى أناخ على رنية ، فبنى بها قصرا فلما أحكم بناؤه وتم رفعه واستعلاؤه جعل فيه آلة للحرب وكثيرا من الطعام وأمر فيه محمد بن سعيد بن قطنان ، فحين عاينوا أهل رنية ذلك العمل رجف بهم ذلك الوطن والمحل وضاق عليهم فسيح الرحاب ودهاهم أعظم الاكتراب وحل بهم الأسى والاكتئاب فلم يجدوا منهجا للدفاع ولم يكن عن الدخول في الدين امتناع وإن كانت تفر عنه تلك الطباع وليس لهم في البقاء على حالهم أطماع ، فعند ذلك أسرعوا في الإسلام على المبايعه وأقبلوا للعهد متابعه ، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام . وفيها غزا محمد بن معقل مع جمع من أصحاب الحساء والمهاشير وأهل نجد وكانت جزيرة العمار التي بالبحر له قصد ، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال رين النصب والسامة والكلال ، وقد أجهد المظي في السير والترحال ، لئلا يعلم ما دبره وهياه

من الحال ، فلم يزل يجد التسيار وقد بمقراض اليعملات القفار حتى شخص له لمع البحار
وسمع زخر موجة التيار وبدأت له في الجزيرة الأشخاص ، فأسمرت الجيوش الإحسانية
والأبطال المجربة النجدية إلى خوض اللجة البحرية مستمدين النصر والإعانة السرمدية
من خالق البرية، ولم تسبق قبل هذه في البحر لأهل الدين غزوة ولم يفترعوا من تياره
صهوة بل لم يقصدوا نحوه وخاض معهم بعض الخيل ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك
صدود ولا ميل، فشمر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم حتى وصلوا
إلى ساحل الجزيرة فساروا إليها بأعظم الجريرة ، وحين رأى من بها من الرجال
مهول تلك الأفعال علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال ، فركبوا سيارة الأفلاك
فيكان لهم بها من السلامة أفلاك ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك ، وقتل منهم بعض
الرجال وأخذ المسلمون جميعا ما بها من الأموال فأدركوا فيها ستا من الخيل الأجاويد
ونحو أربعين من إناث العبيد وخياما كثيرة وسلاحا وأمتعة ونقودا وأرباح وفازوا
بالأجر والفلاح ورجعوا من الأمل بالنجاح . وفيها أرسل غالب الشريف رسلا
إلى عبد العزيز أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال يطلب منه علما من أهل
الدين والتوحيد ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد ويحرض على قدومهم
مع من أرسله من البريد حتى يقف على الحال عن يقين وعيان وبحيط بعد ذلك
بالعرفان وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان ما خفي عليه من مدة أزمان.
وربما تشرق له أنوار شمس البيان ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان وبعد
النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان ، فلما عرف إمام أهل الإيمان ما قصده
ذلك الإنسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان ، رغب أن يكون انقذح
له من الدعوة شئ أو نشر له من الحق طي وربما يبدو منه إياب وفي بعد فرط
صدود وامتناع ولي ، ويقتضى من شاء عن القرب لذلك المكان، وأيضا فالهداية والتوفيق
قد يكونان في أوقات دون أوقات، والله في دهره نفحات كما جاء عن النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض الروايات ؛ وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته وبديع هديه وسنته
وعظيم فضل الله عليه ومنته أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم ويرشد
العباد للتي هي أقوم ، فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده
ففسى أن يكون له سبيل للسعادة ؛ فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف

عنه شبه البطلين ويوضح له سبل المهتدين وهم أناس من أهل الميز والتبيين وحسن
المحاضرة في المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر وكان هو الرأس
عليهم والمؤمر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه وخوّلهم من معروفه أعمه، فجردوا المسير
الهمة وقطعوا تلك المهامه المدلّمة حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة وصرف
عنه البؤس والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات وإرقال تلك المهریات في سياصب
الفلاة ومواصلة السرى في الدجنات بلد الله الحرام ومحلة الحج الذي هو أحد أركان
الإسلام، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا وأتوا بالعمرة على التمام ونحروا الجزر التي
أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه في المروة التي تراق فيها دماء شعائر الله، أوصل الله
تعالى إليه أجر ذلك وثوابه وأناله على ذلك القبول وأثابه وبلغه في الدارين مقصوده
وطلابه، فقابلهم الشريف بالإقبال وأبدى لهم طلائع الإجلال وتلقاهم بطلاقة وجه
واستهلل، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمته وإكرامه وأحضرهم
لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارّت الأذهان فيها للجدال وشرّعوا
أسنة المقال وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا ولله الحمد على كل بما يثلج لهم وهيج
البال من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك
والضلال سوى موضوعات الملحدة والضلال وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال
التي عفت منار الحنيفية ومالها من معالم وأطلال حين جرت على مباحج مناهج محياها
الأذيال؛ فلما تحقّقوا ذلك وعادوه وتيقنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه أجمعوا رأيهم
وأحكموه على المغالطة في اللفظ فأبرموه. فراشوا في المقال النصال وحدّ دوها للرمى
في النصال ورصدوا للحن في اللفظ والمقال. لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا
في سرد صحيح السنة القامعة لهم والأنقال على مافيه لبس لدى مصنف وإشكال سوى
لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك
التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نقض في اللب والاختلال وسخافة
في العقل وخيال ووسوسة من الشيطان أبرزها له في الخيال، وحسبك كونه في الفلج
بالحجة لم يبال ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الإلزام والفلج لم يدعنوا
ويجحدونه وهم به مستيقنون (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون).

وصفة ماجرى مهم أنهم حضروا بيت الشريف تجاه بيت الله المنيف

وجالت خيول الأذهان لدى غالب ، والكل جرى في ذلك المضمار لإدراك المآرب فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه في المطالب ، وصدر منهم البذاءة والتنافر ووقع منهم بتلك المجالس وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمرابضة مسألة قتال الموحدين للناس والكشف عن وجهها حجب الالتباس، فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعاليل والنص القاطع للاحتمال والتأويل والقامع لسائر الأقاويل على ذلك المنهج والسبيل ، فأتى لهم جزاء الله تعالى الثواب الجزيل من النص القاطع القامع لكل أذن واعية وسماع وأصل لهم من الأصول فيها ما تؤدى بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجعة والأدلة الباهرة اللاتمة ماشفى وكفى ، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا ، وأزاح عن محياها القتام ونفى فقصف على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزق آثارهم ومنارهم بعد ما هب عليهم وسفا وأوقفهم على المنصوص فأقروا وسلموا لتلك النصوص ، وصدر منهم الإذعان بعد ما حملهم الشيطان على كون تلك لم تكن في الكتب مسطرة ولا موصولة فيها ومقررة، وتفوّها بحضرة الشريف بذلك حتى أوقفهم أحمد على ما هنالك ونقل من الكتب التي عندهم ما مضع وجدهم وجلب عليهم علمهم وجهدهم ، فوطفت جباههم من العرق لما داخلهم من الخجل ، والفرق فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة حين قرءوا حجته ودليله ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان بل صار منهم إقرار بذلك وإعلان ، ولم يكثرثوا بما صدر قبل من الكتمان وما ابتدءوا به من الزور والبهتان فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون (ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتميئنه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجعة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار والأتباع المتقدمين الأخيار ما أدهش العقول والأفكار مما لا يسع المنصف له إنكار وإنكارهم جحدوا وقوع ذلك في الوجود وأنكروا أن يكون ذلك في الأقطار موجود وذلك عندهم واقع مشهود وهم على ذلك كل ساعة شهود فليأذ بالله تعالى من هذا الإنكار باللسان مع أنهم متيقنون في الجنان ويشاهدونه الحقيق عندهم بالعيان فنقول (سبحانه) لا بدع فيما جرى وصدر ، فقد قال

كبيرهم أول من حضر وتأهب للمناظرة واتزر وجرد ذيول الخيلاء وافتخر واختال
من السكبر والأشر : اعلم أنى أقول ولا أمارى ولا أخاصمك ولا أناظرك ولا أبارى
إن أتيتنى بالدليل من الكتاب أوسنة النبي التي هي خصم لكل كذاب ، ولا أجاريك
ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامى أبو حنيفة لأنى مقلد له فيما قال
فلا أسلم لسوى قوله من قال ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال لأنه أعلم
منى ومنك بأولئك وأدل بابتهاج تلك المسالك والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام
جرائم المهالك ؛ فليقف العاقل على هذا المقال ويقضى منه العجب حيث صدر من هذا
المدعى للعلم مع الله سوء هذا الأدب ، فيابئس ما اقترفه من الانم واكتسب ، لم يخف
الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب ، وحاول بذلك فى الدنيا المراتب حتى يكون من
الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب ، فلما انتقضت تلك الأيام والليال وتقضت
ساعات المناظرة والجدال ، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به
واحتج به وقرر ، وكتب ما سجله عليهم وسطر ؛ فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر من
الفوائد جمعه خزر من الكتب التي عندهم فى ذلك المكان ما أراد من ذلك الأمر
والشان ، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان ، فجمع لديهم عجالة وعجل لهم
فى سوحهم رسالة أوجز فيها مقاله وأتى فيها بما فيه كفاية فى الحجة والدلالة يدعن بعد
سماعها كل منصف عاقل ويشهد بفضل قائلها كل فاضل ويقر بصدقها وصحة مضمونها
الأمائل ، ولا عبرة بمنافق أو غي أو جاهل بنى للحق المبين على أساسها صرحا وأجاد
فيما أحكمه من التحرير إيضاحا وشرحا فأفاد ، فيما نخاه من التحجير صدعا وصدحا وترك
مناظريه يعانون فى الجواب عنها كدحا ، فلم يدركوا من سعيهم ربحا بل زادوا فيما
زخرفوه عن الصواب بعدا ونزحا وهى عليك مجلوة وحججها مقروءة ومتلوّة مميطة
لوضئ حسن النقب ، سافرة الوجه للنقاد والنقاب خالية من شين الإسهاب والإطناب
جالية التجرين والارتاب ولكن عيها سلامتها من الإعجاب .
وهذا نص الرسالة المزبورة والعجالة المنقحة المسطورة وأتيت بها على تأصيلها
ووضعها ولم أغير بديع منوالها وصنعها :

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى . ما قولك فيمن دعا نبيا أو وليا واستغاث به فى تفريج الكربات
كقوله : يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا محبوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ .

الجواب

الحمد لله أستعينه وأستغفره ، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان .

أما بعد : فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآية روى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعمى إلا هالك » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شيء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فمن أصرغى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيها الهدى والشفاء ؛ وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره . وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) .

إذا عرفت هذا فنقول : الذي شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكير الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له وسؤال العافية كما في صحيح مسلم عن بريدة قال « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار
وفي لفظ : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا بكم إن شاء الله لآحقون
نسأل الله لنا ولكم العافية » وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضى الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة
كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » رواه مسلم فإذا كنا على جنازته ندعو له لاندعوه
ونشفع له لاستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك قولاً غير الذى
قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة
بالدعاء الذى هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى وعن
النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه .
ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون
مالا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة الصحابة والتابعين
لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة
فصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسئلوا أصحابها جلب الفوائد
وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله .

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد
كثير متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر
به ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم من بعد موته ولا بغيره
من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها ، فإن كان
عندكم فى هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذى صح عنهم خلاف ما ذهبتم
إليه . ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال :

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك في صحيح البخارى ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الآية وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا يفعلك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هو عيسى وعزير والملائكة وكذا قال إبراهيم النخعى قال : كان ابن عباس يقول : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو عزير والمسيح والشمس والقمر . وعن السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن عبد الله بن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه في صحيح البخارى ذكره في كتاب التفسير . وهذه الأقوال كلها فى معنى الآية حق وإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر؛ فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجوا رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر

عن الداعين ولا تحويله ولا يدفعونه بالكلمة ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر صيغة تعم أنواع التحويل فكل من دعا ميتا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيبه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ، وهؤلاء المشركون اليوم منهم ممن إذا نزلت به شدة لا يدعوا إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ، قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ، فإذا تعسر أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محجوب ، ومنهم من يخلف بالله ويكذب ويخلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق . فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه فأى الفريقين أحق بالاستهزاء وبالمحادثة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان لا يدعوا إلا الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس إيجابا لرعاية جانب الرسول تصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به واتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واطقوا أوعامكم ترحمون) ومعنا والله الحمد أصلان عظيمان : أحدهما أن لا نعبد إلا الله فلا ندعوا إلا هو ولا نذبح للنسك إلا لوجهه ولا نرجو إلا هو ولا نتوكل إلا عليه . الأصل الثانى أن لا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا يحب ولا يخشى ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة ، وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه في كل ما أمر به ، فما أثبتته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه . وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن أبى يارسول الله ، قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إذا عرف هذا فالذى نعتقه وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرها وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس والمحجوب أو أبي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الإجماع قال في الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا لأن ذلك كفعل عابدى الأصنام قائلين (مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى . وقال الإمام أبو الوفا على بن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يامولاي افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى . وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانت الكفار إذا سئلوا : من خلق السموات والأرض ، قالوا الله وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه .

فتأمل ما ذكره صاحب الإقناع وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ العماد بن كثير رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم : ليك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شئ اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) فأخبر أن الملائكة التى فى السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك انتهى كلامه .

وقال الإمام البكرى رحمه الله عند قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) الآية . فإن قلت إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام : قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة . ففرقة قالت ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة اعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى . وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى ، فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى . وفرقة قالت جعلنا الأصنام لنا قبلة فى العبادة كما أن الكعبة قبلة فى عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله انتهى كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد . ثم قال وهذه الشبهة التى اعتقدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهى عنها ، وتأمل ما ذكره البكرى رحمه الله عند آية الزمر أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله فى كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق

(١٤ - تاريخ نجد - ثان)

وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت) إلى قوله (فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) الآيات إلى غير ذلك من الآيات التي أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق وإنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه في قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا وحده لا يجعل معه إله آخر، فأخبر أن الشفاعة كلها له وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يؤذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقال تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال « آتى تحت العرش فأخبر الله ساجدا ويفتح على بمحمد لا أحصيها الآن فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم قال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع قال فيحدهلى حدا فأدخلهم الجنة ثم أدعوا فذكر أربع مرات « صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله عند قوله تعالى (وأنذر به الدين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) نفي الشفاعة وإن كانت واقعة فى الآخرة لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره وهو كذلك لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفي حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهى .

وقال عند قوله تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط . قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض قل الله) يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأهم معترفون أنه هو الذى خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم ، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم بقوله (ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان أن طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم فى الشدائد أنه من الشرك الذى كفر الله به المشركين وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء وأنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك ، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة إنما هى له تعالى والذى شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها المشركون ومن وافقهم وهى التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص .

فروى البخارى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أسعد الناس

بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني آت من عند ربي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه الترمذي وابن ماجه ، فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر سبحانه أنه لا يحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع . وأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى قوله ولا بأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع فمضى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه هو الذي أذن والذي قبل والذي رضى عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعة فمتخذ الشفيع مشرك لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) إلى قوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أنا طالب أو المحجوب وسائط بينهم وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور ووجده مصرحا بأن

المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك في سورة الفرقان وسبأ والنجم ووجده مصرحا أيضا بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث ، أعنى اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة ، تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جاب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين ، فإن هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالخلق ، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ومن قال إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان وأنصار لئله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الدن والعل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل فضلا عن غيرها فان من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه والله لا شريك له بوجه من الوجوه .

الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجو ، ويخافه تحركت إرادة الملك وهيمته في قضاء حوائج رعيته والله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض

جعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه مالم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه كما تقدم بيانه ، بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتى إنه يقبل شفاعته ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعته مملوكه فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ويقبل شفاعته أخيه مخافة أن يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا أحد يقبل شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرغبة ، والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغنى سبحانه عما سواه وكل ما سواه فقير إليه ، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه مثل الشفاعاة عند المخلوق قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) إلى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء . وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله . وأما من أراد الله فتنه فلاحيلة فيه و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ويا مرشدا) .

وأما المسألة الثانية وهي : من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصل ولم يزك هل يكون مؤمنا ؟ فنقول : أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه . وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها فهذا قد اختلف العلماء في كفره والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة

وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء رحمهم الله في تارك الصلاة كسلا من غير جحود ، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوايه ومالك إلى أنه لا يحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس كتبن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليهِ وإسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كافر وحكاه إسحق بن راهويه إجماعا وذكره عن الشيخ أحمد بن حنبل في شرح الأربعين وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم والتابعين . وقال الإمام محمد بن حزم : سائر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لمؤلف مخالف من الصحابة . وأجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » أن المراد عدم المحافظة عليهن في وقتهن بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وعن بريدة بن الحصيب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها

فقد كفر» رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » رواه الإمام أحمد وأبو حاتم بن حبان في صحيحه . وعن عبادة بن الصامت قال : أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج من الملة » رواه ابن أبي حاتم في سننه . وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » رواه الإمام أحمد ، وعن أبي الدرداء قال « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة » رواه ابن أبي حاتم . وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة » الحديث ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال ركة كفر غير الصلاة » رواه الترمذى ، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر نارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم . ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل نارك الصلاة كسلا إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهرى وداود فإنهم قالوا يحبس نارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب ، ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وإذا قوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لا حاجة فيه بل هو حجة لمن يقول بقتله كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » فشرط الكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن علي

ثنا أبو أحمد ثنا الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال أنس وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل (فإن تابوا) قال خلع الأوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال فى آية أخرى (فإن تابوا وأقاموا وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) .

وأما السنة . فثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه « من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد : فاقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم » أخرجه الطبرانى والبخارى وغيرهما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرح الأربعين .

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن على بن الأشجع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهم قاتله عليها كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . وقال منيع بن جبير قال عمر بن الخطاب : لو أن الناس تركوا الحج لقتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة . وبالجملة فالكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالحاربين وأولى انتهى .

وأما حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فهذا لا إشكال فيه بحمد الله وليس لكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ، قال علماؤنا رحمهم

الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم له فيجب الكف عنه فان تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال حديثاً في وقت فقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوماً ، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين فقال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» فبين أن تمام العصمة وكملها إنما يحصل بذلك ، ولأن لا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام ، كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق ، ثم وافقوه رضي الله عنهم انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث أبي هريرة أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على قتال مانعي الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما ، واستدل عمر على أبي بكر بحديث أبي هريرة فبين صديق الأمة رضي الله عنه أن الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقتلوا مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون . ونحن نسوق الحديث . ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء وأنه فهم مشئوم مذموم مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فنقول : ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق للمال فوالله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعه . فقل عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » وهذا الحديث حرجه البخاري في كتاب الزكاة ، ومسلم في كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم فإن الصديق رضي الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد تكلم النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم فقال باب الأمر بقتال الناس

حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقتها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلاما حسنا لا بد من ذكره لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين : صنف ارتدوا عن الدين وناذبوا الملة وعادوا لكفرهم وهم الذين عني أبو هريرة بقوله من كفر من العرب ، والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجب أدائها إلى الإمام وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدّوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك كبنى يربوع فانهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقت الشبهة لعمر رضي الله عنه فراجع أبا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وأن هذا كان من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإيفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم ، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال المعتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه فلما استقر عندهم صحة رأى أبي بكر رضي الله عنه وبأن لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها والبرهان الذي أقامه نصا ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووي رحمه الله تعالى وهو إمام الشافعية على الإطلاق تجده صريحا في رد شبهتهم : أن من قل لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله وإن ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم فانه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا

الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم كبنى يربوع فانهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك ابن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء ، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى آخره ويتأمل شرائطه وتأمل قوله إن قتال المحتج من الصلاة كان إجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابي إلى أن حديث أبي هريرة مختصر ، قال النووي رحمه الله قال الخطابي ويبين لك أن حديث أبي هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهما روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة ، ففي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفي رواية أنس «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم مال المسلمين وعليهم ما على المسلمين» انتهى . قلت : وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق أبي هريرة وروايته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على أنهم لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم انتهى كلام النووي .

فتأمل ما ذكره عن الخطابي تجده صريحا في رد قولكم ، وتأمل قوله فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم .

وبالجملة فحديث أبي هريرة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحتمها لكان كافيا في بطلان شبهتهم فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما أعظمها على الإطلاق . ومما يدل على بطلان قوالكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث أعنى حديث أبي هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه فإنه حديث صحيح مخرج في الصحاح وهؤلاء شراح البخارى وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذى ذكره خلاف ما ذهبتم إليه ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبي بكر ثم موافقته لأبي بكر على قتال مانعى الزكاة لكان كافيا . ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرا ونذرا قال النووى رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم من ماله ونفسه إن بحقه وحسابه على الله تعالى » قال الخطابى معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال ومعنى وحسابه على الله تعالى أى فيما يسرونه ويخفونه قال ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يقبل إسلامه فى الظاهر وهذا قول أكثر العلماء وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكى ذلك عن أحمد بن حنبل هذا كلام الخطابى . وذكر القاضى عياض رحمه الله تعالى معنى هذا وزاد عليه وأوضحه فقال اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا إله إلا الله تبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحدهم ، كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقوتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها فى كفره وهى من اعتقاده فلذلك فى الحديث الآخر « وأنى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة » هذا كلام القاضى ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الرواية الأخرى لأبي هريرة « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به » انتهى كلام النووى . فتأمل ما ذكره الخطابى وما ذكره القاضى عياض أن المراد بقول لا إله إلا الله التعبير عن الإجابة إلى الإيمان واستدل لذلك بالحديث الآخر الذى فيه « وأنى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة » وتأمل قوله إن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون . وأما الذى يقر

بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده وتأمل قول النووي ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبالجملة فقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» لم نعلم أحدا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة هذا لم يقل به أحد من العلماء ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الخوارج الذين قاتلهم على بن أبي طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الصحابة مخطئون في قتالهم مانعي الزكاة لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولازم قولكم إن بني حنيفة مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله . سبحان الله وما أعظم هذا الجهل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومن العجب أنكم تقرأون في صحيح البخاري هذا الباب في كتاب الإيمان حيث قال باب (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) .

حدثنا عبد الله بن محمد المسندي ، قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى» ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث اللذين ذكرهما البخاري وبأى شيء تدفعون به هذه الأدلة . وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه في باب «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» حدثنا هنا أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» الحديث ثم أردفه بحديث أبي هريرة في قتال أبي بكر لما نعى الزكاة وساق الحديث بتمامه ، ثم قال باب ما جاء «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة» حدثنا سعد بن يعقوب الطاقاني أن ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ولهم مال المسلمين وعليهم ما على المسلمين» وفي الباب عن معاذ بن جبل وأبي هريرة هذا

حديث حسن صحيح والمقصود بيان ذم هذه الشبهة التي زينها من يدعى أنه من العلماء على الجهالة من الناس ، أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام وهذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام العلماء صريحاً في رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة المحتنعة تنافل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وإن أقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون وصرحوا أيضاً بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون وكذا لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء حرم الله الشريف يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه وإن لم يصل ولم يرك ، فسبحان مقلب القلوب والأبصار وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل ، وأن الطائفة المحتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكمون عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم ، فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة أو تركوا صلاة العيد فانهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأساً وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون بأن البوادي إسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، سبحان الله ما أعظم هذا الجهل ، وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح المحدثين ما فيه الهدى لمن هداه الله . وبيننا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم ينحل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله .» وأما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل . أما كلام المالكية فقال

الشيخ على الأجهورى فى شرح المختصر : من ترك فرضا آخر لبقاء ركعة بسجديها من الضرورى قتل بالسيف حدا على المشهور . وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كافر واختاره ابن عبد السلام انتهى .

وقال فى فضل الأذان قال المازرى فى الأذان معنيان : أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال .

والثانى الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها . وقال الأئمة فى شرح مسلم : والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك ، وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لأنه نص عن عياض فى قول المصنف والوتر غير واجب إلا أنهم اختلفوا فى التماؤ على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن فى التماؤ على تركها إمامتها انتهى .

وقال فى فضل صلاة الجمعة : قال ابن رشد : صلاة الجمعة مستحبة للرجل فى نفسه فرض كفاية فى الجملة ، ويعنى بقوله فى الجملة أنها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى . وعبارة غيره وإن تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الأجهورى . فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وإنما اختلفوا فى كفره وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافرا ، وتأمل كلامهم فى الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة فى المساجد وأنهم يقاتلون ، فأين هذا من قولكم إن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لا يحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله . وأما كلام الشافعية فقال الإمام العلامة أحمد بن حمدان الأذرعى رحمه الله فى كتاب [قوت المحتاج فى شرح المنهاج] من ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر إجماعا وذلك جاريا فى كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإن تركها كسلا قتل حدا على الصحيح والمشهور . أما قتله فلا أن الله تعالى أمر بقتل المشركين ، ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولما فى الصحيحين (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ثم قال إشارات منها قتله ردة ووجد لشرذمة منهم منصور التميمي وابن خزيمة وقضية كلام الرونق أنه كلام منصوح حيث قال : فإذا قتل في ماله ودفنه بين المسلمين قولان : أحدهما مارواه الربيع عن الشافعي أن ماله يكون فيئا ولا يدفن بين المسلمين . والثاني مارواه المازني عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين وقال في المستعمل : سألت الربيع ما يصنع بماله إذا قتله ؟ قال يكون فيئا . ومنها قال في الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبو حامد ، وفي البيان لو صلى عريانا مع القدرة على السترة أو الفريضة قاعدا بلا عذر قتل ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال ، حكاه ابن الأستاذ عن البحر ، فإن صح اطرده في سائر الأركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه . ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من الفطر وقال إمام الحرمين . يجوز أن يكون المحتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه ، فإن أبي ضربت عنقه قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الأذرعى . فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلا وأن الربيع روى عن الشافعي أن ماله يكون فيئا ولا يدفن في مقابر المسلمين . وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعدا بلا عذر إنه يقتل فأين هذا من قولكم ان من قال لا إله إلا الله كُف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ، وقال الشيخ أحمد بن حنبل الميثمي في التحفة في باب حكم تارك الصلاة إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل لآية (فان تابوا) وخبر « أمرت أن أقاتل الناس » لأنهما شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإيتاء الزكاة لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا فكانت فيها على حقيقتها بخلافها في الصلاة فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة وقال في باب صلاة الجماعة : وقيل هي فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار فإن امتنعوا كلهم أو بعضهم كأهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة وقال في باب الأذان والإقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهل بلد تركوها أو أحدها بحيث لم يظهر الشعار ، وقال في باب صلاة

(١٥ — تاريخ نجد — ثان)

العبيدين هي سنة ، وقبل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه في التحفة .
فانظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلا وتأمل قوله : إن الآية والحديث شرطاً
في الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن الإمام يأخذ
الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا . وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة وأنها يجب
بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل حتى في البادية وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا ، بل كلامه
في الأذان والإقامة وأن الإمام يقاتل على تركهما وعلى ترك أحدهما على القول بأنهما
فرض كفاية . وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العبيدين فأين هذا من
كلام من يقول إن أهل البلد والبوادي إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز
قتلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل . وأما كلام الحنابلة
فقال في الاقتناع وشرحه في كتاب الصلاة : من جحد وجوبها كفر ، فإن تركها
تهاونا وتكاسلاً لا جحوداً يهدده ، فإن أبي أن يصلها حتى ضاق وقت الذي بعدها
وجب قتله لقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) إلى قوله (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة فخلوا سبيلهم) فمضى ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله
عليه الصلاة والسلام « من ترك الصلاة عمداً متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ورسوله »
رواه أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد ، ولا يقتل حتى يستتب ثلاثة أيام كالمرتد نصاً
فإن تاب بفعلها وإلا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريدة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذي انتهى .

وقال في باب الأذان والإقامة : فإن تركهما أي الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا
أي قاتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوها لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فيقاتلوا على
تركهما كسلا كصلاة العيد . وقال رحمه الله في باب صلاة الجماعة : وهي واجبة وجوب
حين فيقاتل تاركها وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأعيان بخلافه .

وقال في باب صلاة العبيدين : وهي فرض كفاية إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين
بلا عذر قاتلهم الإمام كالأذان فإنه من شعائر الإسلام الظاهرة وفي تركهما تهاون
بالدين وقال في باب إخراج الزكاة : ومن منعها أي الزكاة بخلافها وتهاونا أخذت منه
قهرًا كدين آدمي ، وإن غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بأن كان في قبضة الإمام

أخذت من غير زيادة وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا ، فإن تاب وأخرج كف عنه وإلا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعها ، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها ، انتهى كلامه في الإقناع وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، وتأمل كلامه في أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية وهذا كلام الشافعية وهذا كلام الحنابلة السكل منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الإسلام إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف بمن ترك الصلاة رأسا كالبوادي ولا يزكون ولا يصومون بل ينكرون الشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، هذا هو الغالب عليهم إلا من شاء الله وهم القليل وإلا فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون إنهم مسلمون وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام وإن لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا لأنهم يقولون لا إله إلا الله وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصموا دمهم وأموالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) فهذا كتاب الله وسنة رسوله وهذا إجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة . قال صدّيق الأمة أبو بكر رضى الله عنه « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفي رواية « عناقا لقاتلتهم على منعها » وهذا إجماع العلماء ، قال في شرح الإقناع أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالحاربين وأولى انتهى .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون

فتنة ، فمضى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأى ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضة أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي لا يكفر الواحد بتركها بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركهما أم لا فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة على ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين ببعض شرائع الإسلام وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاف لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وسي نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يغزو بني المصطلق عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا؟) أما علمتم أن علي بن أبي طالب حرق العالية مع أنهم يقولون لا إله إلا الله؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وقال أينما اقيمتوا فاقتلوهم ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم

مقرون بوجوبها وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة، وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لسمر رضي الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعها ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد تقدم ذلك مبسوطا وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذي في سننه حيث قال باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء قال «مررت بـأبو بردة ومعدنوء فقلت إلى أين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتية برأسه» حديث حسن غريب انتهى .

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها اطلال الكلام جدا، فكيف بمن ترك الإسلام كله وكذب به واستهزأ على عمد . إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله كهؤلاء البوادي، وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وإجماع الصحابة وإجماع العلماء فإن كان هذا الذي ذكرناه له معنى آخر غير ما فهمناه فبينوه لنا . من كلام الله وكلام العلماء ورحم الله امرأً نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار .

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة البناء على القبور فنقول : ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه» كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي عليّ «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه» وقال أيضاً حدثنا هارون الأبلق قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال : كنا مع

فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبْره أن يسوى ثم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها» وقال الترمذى باب ما جاء فى تسوية القبور حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل «أن علياً رضى الله عنه قال لأبى الهياج الأسدى أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» قال وفى الباب عن جابر وقال ابن ماجه باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتخصيصها والكتابة عليها حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخصيص القبور» حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن سليمان بن موسى عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء» حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الرقاشى بنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى أن يبنى على القبر» قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال الشافعى فى الأم : رأيت الأئمة فى مكة يأمرؤن بهدم ما يبنى ويؤيد الهدم قوله «ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» وقال الأذرعى رحمه الله تعالى فى قوت المحتاج : ثبت فى صحيح مسلم النهى عن التخصيص والبناء ، وفى الترمذى وغيره النهى عن الكتابة قال القاضى ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها والوصية عليها باطلة قال الأذرعى ولا يبعد الجزم بالتحريم فى ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهى بل هو القياس الحق والوجه فى البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك . وأما بطلان الوصية بالبناء والقباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب فى تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الأذرعى رحمه الله تعالى ، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبى طالب والمحجوب وغيرها وجد أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له لا يجتمعان أبداً ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور كما تقدم ذكره وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذي رأيته فى المعلاة أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة عليها » كما تقدم من صحيح مسلم . وقال أبو عيسى الترمذي باب ما جاء في تخصيص والكتابة عليها حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » هذا حديث حسن صحيح وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار . وقال أبو داود باب البناء على القبر حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن جريج قال حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد على القبر وأن يخصص وأن يبنى عليه » انتهى « ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرجها » والذي رأيته ليلة دخولنا مكة شرفها الله تعالى في المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » روى هذا أهل السنن ، وأعظم من هذا كله وأشد تحريما الشرك الذي يفعل عندها ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا إن هذا لا يفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها ونقول اللهم اجعل ما ذكرنا حقا وصدقا ونسأل الله أن يظهر حرمة من الشرك ، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه في المسألة الأولى وقد قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) الآية وقال تعالى (له دعوة الحق) إلى آخره ، وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا في النهاية : مخ الشيء خالصة وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال (ادعوني أستجب لكم) فهو محض العبادة وخالصها . والثاني . إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء وقوله « الدعاء هو العبادة » قال شيخنا قال الطيالسي أتى بالحبر المعروف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء . وقال شيخنا قال البيضاوي : لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إن فاعلها مقبل على الله معرض عمن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه . واستدل عليه بالآية يعنى قوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فانها تدل على أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه للاحالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على المسبب وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها . انتهى كلام العلقمي رحمه الله تعالى . وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث ، فان وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب ، وإن زعتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة فانهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة . فإذا أجبتكم على هذه المسائل الثلاث أجبتكم عن بقية المسائل إن شاء الله تعالى . وانختم الكلام بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) والحمد لله أولا وآخرا كما يحب ربنا ويرضى صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غاب عثمان المصايفي مع كثير من العساكر والجيش وذوى السفاهة والطيش وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم عند سعود ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الاقدام بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام . فظن أنه يحصل منهم على مرام ، فأسرع الوصول إليهم

وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان وغيرهم من سائر العربان وكبيرهم مسفر بن نقيحان ، فأغارت عليهم فرسان الشريف بقوة ترعب وتخيف ، فثبتت لهم أولئك العرب ولم يكن أحد منهم عزم على الحرب ، وصبروا على الجلاء خوفاً على الأموال والأولاد حتى أعانهم الرحمن ، فانهزم ذوو الطغيان وتبعهم أولئك البدوان وقتلوا منهم فوق الخمسين ونار الباقي مدبرين ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين وأخذوا كثيراً من السلاح والركاب وخسر جميع الأحزاب .

هذا ، ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثويني وإكمله وما لقي في طريقه من سوء أعماله ؛ وذلك أن الله تعالى الولى الحميد المبدى العيد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه إنفاذ الوعيد وأن يولى المسلمين من فضله المزيد ويجرى لهم عادته من النصر والتأييد ويخذل كل رائم لهم الهوان ومريد من كل باغ وشيطان مريد ، أقبل يقطع المفاوز ويعقب وراءه كل مهمة ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها مناهز ، وعن مصادمة المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، يعلل بذلك نفسه إذا سجدى الدجى ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى في تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل ولم يدر أن الله تعالى له برصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأموال مقام بل أسرع في المسير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام . لما قضى عليه شرب كؤوس الحمام وأن الله تعالى بحكمته التى بها للسموات والأرض القيام وحسن لمن فيهن بها الانتظام ، وقدرته التى قهرت جميع الأنام وإرادته التى تم بها الوجود واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحداية الله ذوو العقول السليمة وسالكو المناهج القديمة المستقيمة ولما كان الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع الحجاب وسلب الإدراك والمعرفة من الأبواب فلا تحس بما يصدر من العجائب وتتمادى فيما هى فيه من الزيغ والارتباب .

فلما نزل ثويني في رياض أراضى الشباك مدت له من الحبال شباك ونصب له من أسباب الحمام أشراك حتى تخمد نار الغواية والإشراك وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السلاك ، فناداه منادى القضاء المجيد إلى أين تذهب وتريد ، وقد حان هلاكك غير بعيد (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فلم تمض له إلا أيام قليلة فصاح به أخرى وأسمعه قبيله وناداه ولكن لا يسمع

ولا يجب (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وجعل الله تعالى منية ذلك الضرغام الذي لا يستطاع بأسه ولا يرام على يد أذل وأضعف الأنعام ، وذلك أن الأسرار الغيبية والمصالح التي نيط بها نظام البرية وجميع العوالم العلوية والسفلية لاتدركها جياذ الأفهام والأذهان بل تحجم دون ذلك المبدأ ولا يكون لها فيه جولان ويقصر باعها عن ذلك ولو أطلق لها عنان فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان وصفوة أهل التوحيد والإيمان حين تشاهد تلك الحكم التي ظهرت في غاية البيان وأبرزها من (كل يوم هو في شأن) في وقتها المقدر لها بحسبان إلى زيادة الإقرار والإذعان لمكون الأكوان ومقدر الآجال والأزمان ، ومحتم الفناء على كل إنسان وملك وجان ، بمصداق (كل من عليها فان) ومما يفتح هذا الباب لذوى البصائر والألباب ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب هذا البرهان الذي شاهده أولو الأبصار والحكم العادل الصادر من قاصم كل جبار المبرز في مساق النصر والانتصار صونا للزال الشريعة عن الأكدار وقدر زعاف الأشرار ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار ، ويزيد أهل الإيمان بذلك الاستبصار فلا تبدر العقول والأفكار إلى امتطاء كاهل الإنكار ولا تدخل في ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار ، فما في الغيب من خفي الأسرار أجل من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار ، فتبارك الذي أقصى من شاء من العباد ونحاه إلى بيداء الأبعاد وقسم له الطرد والحرمان ، وأضله على علم لإرادته به الهوان ، وسبحان الذي قرب أوليائه إلى جنابه ومنح أصفياه لذات خطابه . وحاصل بيان هذه النقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار هذه الموهبة أن ثويني لما ظهر للحرابة وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر بابيه وارتد من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى الفتنة يسير جاء بنو خالد الدين في الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبد المحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال وخوفوهم من ثويني وما أتى من الكيد الذي لم يسبق له مثل ، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسرو والاعتقال فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثويني في استقبال وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية بعد صدور تلك القضية ، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد ، وخرج للغزو مع تلك الأمداد وكان يكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويديم

التضرع والابتهال ويتمنى ذلك في كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن سامعه أن به وسواسا وخيال . ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثويني وصول واتصال ، أو تدرك منه مراما أو منال ، فضلا عن مثل هذا المهان الذي لا يلقي إليه بال يحسر على هتك تلك الأبهة العديعة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التي دون رحبتها خطوب وأهوال ، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال ، فأراد الله الكبير المتعال ، أنه يغزو مع مناع أبا رجلي وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض الآبال ، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوى الضلال فأخذوهم وبقى طعيس عند أولئك الجنود وأخذت نفسه تحذنه بتلك الآمال ويصمم على ذلك ويدعو بتيسيره في البكور والآصال ، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال وأخذ حربته وقد قوى الله عزيمته فجاء وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال ، فلما أحس بالطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسا وقام عليه مع غيره رجال ، فقتل بعد ذلك في الحال ولم يكن له ساعة إمهال ، غلبه رحمة الله تعالى . وبقى ثويني ذلك اليوم إلى العصر ثم كان له إلى القبر انتقال ، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم، وذعرت وارتجت وماجت قلوبها بعد ما رعبت وعجت وحق بها مدلهم الخطب وعراها وقراها الزمان ما أوهى قراها وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز من العذاب وانهمزم منهم براك ونار ، وأرسل المسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه وجد في الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعد ما صدر من براك وجماعته ذلك الفرار ، وحاول قوم ثويني وناصر أخوه في الثبات واجتماع الحال فلم يحصل له ما يرجوه وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان وشمرت في الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشتت الله شمل أولئك الأحزاب واستمر كل واحد منهم في الهزيمة لا يلوى أحد على أحد ولا يحجب (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب) .

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجري وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا بادر حسن بن مشاري وجميع أهل الإسلام في طلب أولئك الجموع العظام وشمروا في أعقاب أولئك الأقوام يأخذون ويقتلون والأعداء منهزمون ولا يلوون وتركوا جميع ما عندهم من الغنم وما ثقل من الطعام والنعم ولم يكن لهم على جر المدافع الكبار

حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع وغنموا من جميع الأموال مالا يخطر على البال واستمروا في آثارهم على ذلك المنوال إلى قريب الجهري يجمعون الأموال ويقتلون الرجال ، فقتل منهم في الصبيحة جماعات من تلك البرية ورجع المسلمون بعد نيل الآمال في أنعم عيش وبال ، وأقبل سعود بلغه الله المقصود في حدود ظهور أنوار تلك الآية وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية ، فأحاطت به من جوانبه الألفاف والتوفيق والعناية وحفه السعد والحفظ والرعاية ، ونوى أن يغزو أولئك الجنود ويبدل فيهم المجهود وعزم على ذلك وصمم وأجمع عليه رأيه وتقدم وقال لا بد في أرضهم من الوطأة والمجال حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوى الضلال ، فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال وقالوا هذا صعب المال والركاب والجياد لا تستطيع السير بحال ، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال وما نالوا من الشر والوبال وعسى أن يتم لك المراد على الامهال ففتح إلى قولهم وراض وكان له عن عزمه إعراض . وأقام سعود حرسه الله في تلك الأرض يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمس الفرض . ويقسم الباقي على المجاهدين حتى وزعت بينهم أجمعين ، وكان جميع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف من غير مبيعة ولا إسراف والذي جمع من الغنم فوق مائة ألف وأكثرها عاجلة الهلاك والخنف ولم يدرك من الخيل إلا قليلا ونال أهل الإسلام عزا جليلا ونصرا مؤيدا جميلا وثوابا عظيما وأجرا جزيلا ورجع حزب البغي ذليلا وقد نكاه الله (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا - سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا) وأقام سعود على تلك الأموال أيام ، وأطال بها المقام ثم بعد ذلك سار إلى الحساء وزل عن البرز شمالا وقد انشرح صدره ونعم بالاً ومكث يدبر شؤوننا وأحوالنا ويعاقب من تبين فيه رعب ، وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجلا ويؤنب من نار إلى البحر ويوبخه مقالا ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع والمساعدة في الجهاد والدفاع عند زول طوارق الفتن وحلول عوارض المحن حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا في الأخرى والدنيا ويحوزوا أسمى المراتب السنية ويفوزوا بأسمى المطالب السمية ، واجتهد بعض أهل الحساء على بعض وصار لهم في السعاية عنده إسراع ورخص . ولم يقفوا عند حذر الله تعالى بالترك والرفض وراموا بذلك إليه تقريبا ووصولا ومنزلة وتمكيثا لديه وحصولا ، وجمعوا له في ذلك الميدان من قبيح

الزور والبهتان جملة وفصولا (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فدأبوا في السعاية لديه بالنمائم والكل من أهلها للحظوظ الدنيوية رآهم ولم يخشوا عاقبة المآثم ومن هو بخفي حالهم عالم وكاد أن يكون سوقها قائم لولا أن من الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم وأصبح لمنهجها يزيل عنها تلك المعالم ولجميع موادها حاسم ، وينشد قول شاعر عالم :

كذبت مناكم صرحوا أو ججموا الدين أمتن والسجية أكرم
لا زدتمو تضيق صدر لم يضق والسمر في ثغر الصدور تحطم
وزحفتمو بمجالكم لمجرب ما زال يثبت للمحال فيهزم
أني رجوتم غدر من جربتمو منه الوفاء وجور من لا يظلم
ونهاهم عن تعاطي تلك الحصلة القبيحة الذميمة والكبيرة التي لا يرضاها فضلا
عن كونه بتعاطاها من له مسكة من الدين أو شيعة ، فيالها من كبيرة في الدين عظيمة
لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد
والتحذير والإعلام لكافة ذوى الدين والإسلام من سائر الأنام « لا يشم عرف الجنة
نعام » وقول الله تعالى في الذكر الحكيم (ولا تطع كل حلاف مهين هازم شاء بنميم)
لكفى عن افتراقها وسرعة الهجوم عليها والإقدام ، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس
عليه مزيد من صحيح قول الأنام مما لا تحيط به الأفهام ولا تحويه الأرقام وتكمل
من سرده الأقلام ، ولا يليق باستقضائه هذا المقام .

قال المصنف مهنثا للأمير سعود ولأبيه عبد العزيز

في قدوم سعود الحساء بعد قتل ثويني بهذه الأبيات :

وتدجور ليل الشراك مزقه الظهر	تلا نور الحق وانصدع الفجر
ولاح بأفق السعد أنجمة الزهر	<u>وشمس الأمانى أشرقت في سعودها</u>
كأن سناها في غياهبه بدر	وجلا ظلام الخطب بيض صنائع
وحالت بصنع الله أحواله الكدر	وأسفر وجه الوقت بعد تعبس
تضىء كما أضوى بديجوره فجر	فأيامه بالأنس بيض شوارق
حق لنا منها البشائر والبشر	وهبت رياح النصر والفوز والهناء
ففي قلبه سكر وما مسه خمر	وروح روح الأنس كل موحد

كأنّ به من نشأة اللطف نشوة
 وغنت بروضات السرور بلباب
 فأصل التهانى دانيات قطوفه
 ونادى منادى الحق بالخلق معلنا
 فما قلب ذى ظهر بفيضا أضله
 بأفرح منا بالبشير وقوله
 أذيق العدا كأس الردى فما الهدى
 وفلت جنود المعتدين ومزقت
 فمن حامد منا ومثن وساجد
 لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو
 وساروا بأسباب المكائد والردى
 وقد زاغت الأبصار واحتك الفضا
 فأبوا وقد خابوا وما أدركوا المني
 جنود فساد وابتداع وفتنة
 يريدون أن يطفوا مصاييح نوره
 أبى الله أن يسمى الضلال على الهدى
 وتعلّى البواغى والطواغى وحزبها
 وينسخ آيات الكتاب وحكمه
 لقد قلّ غضب الشرك بل ثلّ عرشه
 وحالت مغانيه وأثوت ربوعه
 كأن لم تكن فيه الملاحى مرة
 نعى الشرك أحزاب الضلالة بعدما
 وقامت نواعى الرفض يندبن أهله
 رمى الله أحزاب الضلال كما رمى
 أديرت عليهم فى الشباك رضى الردى
 وحق بهم ما أضمرنا من طوية

ترنح منها العطف واستحكم السكر
 يرجعن ألحانا يهش لها الصخر
 وفرع المني غض وأوراقه خضر
 ألا فليجل الحمد وليعظم الشكر
 وفاجأه عند التوى ذلك الظهر
 أتى الفتح والإقبال والعز والنصر
 وشات يمين الشرك وانقصم الظهر
 وزال ظلام الشرك وانمحق النكر
 لمولاه شكرا بعدما انكشف الأمر
 وقد أدبروا يقفوه المذل والصغر
 إلينا فما أغنهم الكيد والجر
 علينا كأنّ الأرض مما بنا شبر
 وبادوا وما سادوا وعقباهم الخسر
 يقودهم الإضلال والبغى والفجر
 ويخفوا قويم لا يرام له ستر
 ويطمس أعلام الحنيفة الكفر
 على عصابة فى الدين شرعهم الذكر
 لحون الغنا والعود والطبل والزمر
 وسل حسام الدين واندرس الشر
 وزالت مبانيه فساحته صفر
 ولم يجتمع للهو فى ساحه سمر
 تغشاهم الإذلال والعار والوزر
 بحرقة قلب فيه من فقدهم جمر
 ذوى الفيل إذ أعياه عن مكة الحصر
 ودارت كؤوس للمنايا ولهم حمر
 وخانهم المغوى وخانهم المكر

فمهم مئات بالصبيحية اغتدت
 مرابع فيها للطيور مراتع
 إذا مرها المجتاز يلقى مواعدا
 رب طعيس لا طعيس تقشعت
 لقد حق وعده الله واعتز جنده
 تولى إله الخلق نصرة دينه
 أرانا بهذا البطش ذو العرش آية
 رأى جزعا منا فأبدى انتقامه
 على أن مولانا أبان بصنعه
 عيون القضا ليست نياما وسهمه
 وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة
 تمنى رجال أن ينالوا مناله
 فهم في انتظار النجب يرجون فوزهم
 فمن مبلغ عنى العدة رسالة
 أتيتم إلينا راعين قطيعة
 ورمتم ذرى السمحا وجب سنامها
 وناوتم الإسلام والله دونه
 تقاسمت الأحساء قبل منالها
 أمانى من أردى العباد بمكره
 تعسّم فهجر دونها خطة البلا
 ومن دونها يوم به يعرف القنا
 بها الأسل كالآجام والأسد حولها
 أنيبوا سراعا قبل أن يهتك الغطا
 أفيقوا فأنتم فى دجى غمرة الردى
 ألم ينهكم عنى مهيع الغى ما جرى
 ألم يأن أن تأووا إلى مقل الهدى

تراوحها الأشبال والذئب والنمر
 وترقص فيها النسر والحر والصقر
 وليس بها إلا كمة العدا جزر
 سحائب رجز بالمايا لها شر
 فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر
 فأعلى منار الحق وانشرح الصدر
 وذكرى لنا فى ضمنها يظهر البشر
 وذكرنا للوعد إذ جاءنا الصبر
 لنا أن جند الحق لم يدره الحجر
 مصيب فما يغنى عن القدر الحذر
 إلى قصده والعسر يتبعه اليسر
 وقد عاهدوا بالبيع أن سامهم سعر
 وقد سمحوا بالعمر إن حارب العمر
 أنيبوا فما يأويكم السهل والوعر
 فحل بكم بأس وعاجلكم حذر
 وهدم دعائم عليها رسى قصر
 وأحزابه والسمر والبيض والبتر
 فللروم شطر والبوادي لهم شطر
 وما وعده إلا الأباطيل والغدر
 ودون حماها يقطع الهام والنحر
 وتروى المواضى والثقفة السمر
 مثال الرواسى والنجيع به بحر
 ويكشف عن وجه الخدرة الحذر
 وأبصاركم عمى وفى سمعكم وفر
 ففيه لدى الألباب عن غيهم زجر
 فقد جاءت الآيات واستتبع النذر

تبين نهج الحق والرشد للورى
وقامت على الدين القويم شواهد
فآياته محفوظة عن معارض
يشيعها التسديد حيث تجمعت
تشعشع من خمسين عاما ضياؤه
سقى قبر من أحياء شؤبوب رحمة
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعدما
خادله الأخبار فيما أتى به
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة
وهموا بما لم يدركوا من وقعة
نفته العدا لما جفته أقارب
جاهد حتى أطلع الله بדרه
فهم أنجم الدهتدين وصارم
لقد أحرزوا خصل الفخار وأبرزوا
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة
بهدى إمام المسلمين ومهده
تهنّ بهذا الفتح يابن محمد
هنيئا لك الفتح الذى فتحت له الس
هنيئا لك الفتح الذى طأطأت له
فهذا هو الفتح الذى بضياه
وهذا هو الفتح الذى جل قدره
فلمه فتح طبق الأرض صيته
بك الدين يا عبد العزيز مؤيد
فراع جناب الحق فى الخلق وارعهم
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع

فليس لمن ينجو سبيل الردى عذر
يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
وراياته لا يستطيع لها كسر
ويتبعها التأييد والنصر والقهر
ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر
وعم سحب الغفو من ضمه القبر
عفى رسمه والأرض من نوره قفر
من الحق والبرهان يكشفه السبر
وصار إليه الفلج والورد والصدر
لملة آباء عليها مضى العمر
فما ناله مما أرادوا به ضر
فألواه بل سواه من خصه البر
بآل سعود حين شد له الأزر
شباب بهام المعتدين له طر
من الدين مطويا فلاح له نشر
وضوح نبت الشوك وانقطع البذر
أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
فقد تم للدين القويم به خفر
موات والفردوس وافتخرت هجر
جباه الملوك الصيد واتضع الكبر
تهلل وجه الدهر وابتم الثغر
فليس بمحص فضله النظم والنثر
وهزت به البلدان وارتعدت مصر
يعززه بالبليض أبناؤك الغر
بعدل وإحسان لى يعظم الأجر
بهم قول واش جل مقصوده التبر

إليك لكي يدنى فينمو له الوفر
تقيا تقيا ليس في قلبه وحر
مهول به التقوى تكون هي الذخر
ينال الرضى والملك يبقى له الخبر
وجادك من هطال سحب الرضى قطر
يقابله منك التجاوز والغفر
لجان فان العفو يسمو به الحر
وما علموا ماينتج الرأى والفكر
وعزمك معقول اليقين به حصر
وحدك من بعد القضاء به دثر
ومن بأسك المشهور عندهم الخبر
ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر
ولسكنهم من شؤم أعمالهم غرّوا
ولم يفهموا أن الأناة لها سر
ويحكمه التدبير قبل اللقا طم
وأغصانها صبر وأثمارها نصر
ومكر فما يلقي عليك به مخر
لجبن ولكنّ المراد بهم فقير
وخواض حاميا إذا حمى الدسر
وقوّم منها ما تخلمه الصعر
فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر
فقد زاحفت عنك المهابة والذعر
وصاح بهم صوت القضاء ألا فروا
ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر
وضاق مجال الخيل وانتفخ السحر
كأنّ حياض الموت عندهم ونهر
(١٦ - تاريخ نجد - ثان)

يسارع في مسخط الإله تقرّبا
ولا تصطفى للنصح إلا مجرّبا
فلا بد من حشر ونشر وموقف
وبالعدل والإحسان والعفو والتقى
أثابك هولاك الكرامة في الجزا
سعود بهذا الفتح هنت فليكن
وإسبال ذيل العدل والصفح والرضى
أسماء الأعادى ظنهم فيك فاعتدوا
فظنوا سفاها أن حزمك رازم
وأثك وان بعد إدلاجك السرى
وقد عرفوا منك الشهامة والدها
فأنسأهم الشيطان ما يعرفونه
وما جحدوا ما استيقنوا منك في اللقا
وما غرهم إلا تأنيك عنهمو
فبرد الوغى ما لم يجد نسجه الحجا
وأصل الوغى التدبير والرأى ساقها
فلبك عن صدم الأعادى خديعة
وتالله ما اخترت المقام على اللقا
وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت
ربك أركان الشريعة قد رست
لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة
رإن لم تكن زاحمتهم بعد رجفهم
وقابلهم بأس الإله ورجزه
فولوا سراعا مدبرين وخلفهم
عصابة توحيد إذا اشتبك القنا
نحوض عباب القمع والموت نافع

أدام لهم ربى بك النصر والهنا كما للعدا منك النكاية والقسر
وأولاك مجدا يحسر الطرف دونه ويقصر عن إدراكه البدو والحضر
ولا زلت فى الدنيا عزيزا مؤيدا لك النقض والإبرام والنهى والأمر
ودونك من خرد القريض خريدة يحلّ سناها أن يماثله الدرّ
نحتك وخر التيه يهصر عطفها عسى أن يرى حسن القبول لها مهر
وأزكى صلاة يهر البدر حسنها على خير مبعوث به رفع الأصر
كذا الآل والأصحاب ماجدت الصبا على الروض مطلولا فعطرها الزهر
وفى غزا ربيع بأهل الوادى ومن يرعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادي،
فسار حتى نزل فى أرض بيشة فأعد عند الجينة والشقيقة . وكانتا للمسلمين هناك
جندة وجيشه . فاستمر بغير على أهل تلك البلد والقرايا وينالون منها عظم البلايا
ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين ، فليسوا من مقاساة القتال بمستريحين ، فأقاموا
على تلك الأحوال مدة يقاسون منه تضيقا وشدة ، فلم يحسن لهم تلك الأيام فى بلدانهم
سكنى ولا مقام . ولا يهنتون بطعام ولا يجدون راحة منام حتى أقبلوا على القسر منهم
والإرغام إلى منهج الاستسلام ، فطلبوا الدخول فيه ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد
ذلك وينفيه ، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام ، وعاهد على ذلك كثير من القرى
حتى جرى عليهم من الردة ماجرى .

وسبب ذلك : أن غالبا الشريف لما تحقق عنده ماجرى على أهل بيشة تكدر
حاله وتنقصت عليه المعيشة فدبر فكرته وحيلته وحقق قصده ووسيلته ، فأظهر جيشا
كثيرا وجما غفيرا واستمد سائر البوادي ، فكل بالأسراع أجاب ذلك المنادى ، فرأس
فيهم الشريف فهيد فخرج بأعظم السكيد وسار حتى نزل على الجينة وكانت للإسلام
سابقة ، وتلك القرى بعدها لاحقة ، فدعاهم إلى النزول بالأمان أوقف تلك البواسق
الحسان ، فأجابوه لذلك من غير توان وظهروا عليه من ذلك المكان ، فأوقع بهم الخزي
والهوان ، وقتل منهم كثيرا من أهلها ممن يدعى الدين وينتسب للموحدين ، وأسر
أناسا كثيرة ونهب البلاد وعابثوا أقباح الفساد ، ثم بعد مضي ذلك وانقضائه وصدور
قدر الله وفضائه على أولئك العباد وما نالوا من النال والأنكد ، سار إلى رنية عاجلا
وكان لنبل المأرب منها آملا ، فأنانح حتى النخيل والحلل ورام أن يقطعها على مهل ، وظن

أهلها إليه لا يخرجون ، وإذا رأوه يقطعها يزعمون ، ويحنون عليها حنين الثكلى وكفى بذلك تنكيلا ونكلا ، أن لا يدركوا منها أكلا ؛ فحين نزل قريبا منها خرجوا إليه سراعا فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال وصبر على البأس أولئك الرجال وطاعنوا دون الحلل والنخيل وليس عندهم سوى الرجا تأميل ، فأمدهم بالنصر والظفر من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم وكبت على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم بعد ماسول لهم الشيطان وأملى لهم ، فقتلوا منهم مائة رجل ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل . وفيها غزا هادي ابن قرملة مع كثير من قومه قحطان وقليل من سائر العربان ، فسار حتى انفلق له ضياء الأمل وتفشع عنه قتام النصب والكسل ، فأبصرت القوم عيونه فحققت ظنونه ؛ فعند ذلك كسا تلك الأقوام من تقع الغارة قتام ، ودجى عليهم من سناياك الجياد ظلام ، فامتد الزحام وحانت المضاجع في الرجام فاجتلدوا لحظة ، وكل أخذ من النجدة حظه ، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء وحامت على رؤسهم عقبان الردى ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل المسلمون منهم نحو الستين وأخذوا منهم كثيرا من الإبل ورجعوا بحسن الأمل . ثم بعد مضي شهرين عاد عليهم طائف البين ، فأغار عليهم هادي بن قرملة فأدرك منهم فوق مائمه ، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادي فكان طالع الإقبال لهادى ، فصدقت أبطاله ونصحت رجاله فحسنت عند ذلك حاله . فانهزم أعداؤه ونجح رجاؤه ، فأخذ من الغنم ألوف وجرع أربعين رجلا الحتوف ، وأدرك بعض الآبال فنعيم له البال . وفيها رأس سليمان باشة بغداد حمود بن ناصر بعد ما قتل الله ثويني وانهزمت تلك الأيوش والعساكر ، وكتب الله عليهم التزيق والشتات فتفرقوا أيادي سبا في الفلاة ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات ، صبرولا اجتماع ولا التفات ، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان إذ رأس حمود على البصرة والبلدان تقبل عليه وتجتمع لديه ويكون لهم في التخريب أمر وشان ، فأرسل إليه النجب والبريد بذلك للترئيس والتأييد مصحوبا بخلعة فاخرة جميلة وصلات وافرة جزيلة ، فترنح عطفه بخمرة الملك ، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السناك ، وأشرق نأديه بعد ذلك الخلك ولم يدر أنه طوق بأطواق من الشر والهلك .

فلما أدرك الرياسة واحتوى ، وكرع في مواردها حتى تضلع وارثوى ، وما خفى على باله ما كمن في ضمنها وانطوى وتسمن كاهل السياسة وارتقى ، واختار من أعوانها

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتخلى بحلها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه وسيعلم من تكون له العاقبة، وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع ، فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كهينا للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويحيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك السكين الممدود فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك مدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شراهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين . وفي تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العماير وهو إذ ذاك للقطيف سائر ، فقتل ومن معه وجرح حمامه فجرحه . وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن ديعاس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن ديعاس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيد وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين في الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجهته تورع في المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيل فعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن ديعاس يعانى هم الأحباس . وفيها أغار مشاري بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل ، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه في البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مرید وبذل جده في مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكاح فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزعوا إلى طريق المبطلين ، وكان التسيكيل بالمال مما لاخفاء في جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفي الإسلام رغبة واغتياب وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان ، ولم يبق ممن يسم مواشي الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أخطام المصائب ، وهم ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخلهم في الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يحجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل في بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبدو ومكابرتهم بالجيوش والعوادي ، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيئا وخرجوا معه تبعا ، فجد في وجهته مسرعا فوافي عيونا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حق دلوه على ما أراد وأمله ، فلم يشعر هادي إلا بغالب عليه عادي وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، خمي بينهم سعيير الوغى ولم يكن دون الجلال مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلال والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخدمها بعضها في ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذي الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادي ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتحلى بحلأها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه ومياعل من تكون له العاقبة، وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجليين مناع، فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلاد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كهينا للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويحيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك الكمين الممدود فانهمزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك عدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شراهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين . وفى تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العمائر وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقتل ومن معه وجرح حمامه فجرعه. وفيها أيضا وافق مناع أبا رجليين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن ديماس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيد وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين فى الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجهته تورع فى المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيل فاعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن ديماس يعانى همّ الأحباس. وفيها أغار مشارى بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غاريا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل ، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معا فبالأفعال الردية وشؤم صنعه فى البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مرید وبذل جده فى مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الوسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكاح فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزعوا إلى طريق المبطلين ، وكان التنكيل بالمال مما لاخفاء في جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفي الإسلام رغبة واغتيباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتيان ، ولم يبق ممن يسم مواسي الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهم ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخلهم في الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يحرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل في بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبدو ومكابرتهم بالجيوش والعوادي ، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيئا وخرجوا معه تبعا ، فجد في وجهته مسرعا فوافي عيونا لابن قرملة فأخذهم وتهدهم حتى دلوه على ما أرادوه وأمله ، فلم يشعر هادي إلا بغالب عليه عادي وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، فخمى بينهم سعيير الوغى ولم يكن دون الجلال مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلال والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخذ منها بعضا في ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذي الأتقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادي ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

إلى رنية من غير رنية فنزل عليها ليالى وأيام ، وحاصر من فيها من الأنعام ممن دان للإسلام ، وحاول نزول أهلها بلبين الكلام ورغبتهم في نيل العهد والندم ، فلم يفز منهم بسول ولا مرام ، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل ، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه وصمموا في البيعة عليه ، فالتقوا ذلك اليوم وحملوا القتال بين القوم وقتل بينهم رجال ثم وقع التفرق والانفصال وأقام على تلك الحال أياما وليال ، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه وخزيه وأعوانه . وذلك أنه في بعض تلك المواطن وأهل البلاد يقاتلونه في بعض الأماكن ، ونار الوطيس بينهم حامية وعيون الجراح منهم دامية عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته فوقع بينهم قتال وقتل كثير من أحزاب الشريف في ساعته ، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفي يومه مائة وزيادة فانصرف ولم يلب منها مراده ولم يرد تعالى إسماعده ، بل سلب منه مدده وإمداده ولما أتى الخبر عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب ويسلك معه ما أراد من المذاهب ويعينه على ذلك العدو المحارب ، وكان سعود بلغه الله المقصود إذ ذاك مقيما بالأجردي ، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدي ، فأتاه الخبر اليقين بما صار من المعتدين وحزب غالب السمرقين ، فأرسل ربيعا أمير الوادي مع جمع من المسلمين ممن كانوا معه مجتمعين ولانغزو في تلك الأيام مریدين فأمرهم أن يعجلوا المسير ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير ويشمروا ساعد الهمة والعزيمة أتم التشمير ، فساروا منه وهو في ذلك المكان ، فصار لله الحمد له شان ولهم شان وحصل لكل منهم بهجة وسرور وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار ، فقصده سعود السهي وجعله أمامه ، وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة فنال كل من المسلمين مراده وأدرك العز والكرامة وبعد ما صار من غالب تلك الأفعال جر من الفخر الأذيال ، فشمروا إلى بيشة سائرا وعلى من بها من المسلمين غائرا ولمن له فيها من الجماعة معيننا وناصرنا ، فرجعه الله تعالى ذليلا خاسرا مهانا مشتتا لله الحمد عائرا ، وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها هرب من فيها من المسلمين ولم يكونوا في تلك البلدان مقيمين وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيشة كثيرة كان لهم في الدين بعض بصيرة فتفرقوا في رنية والوادي وكان الله تعالى لهم مرشدا وهاديا . وحملهم على الهجرة والهرب والفرار عن المسكن

الذى هو للنفس مطلب سبب هو أعظم السبب . وذلك أن غالب تلك البلاد يرغبون في منهج الغنى والفساد وأنهم أنفوا من أهل الدين وكانوا لعداوتهم مضمرين ، وتبين وظهر وتحقق واشتهر أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف يأتى إليهم بلا توقف ولا توقيف ، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف ، فأتاهم سريعا لذلك الحال فأقام عندهم أياما وإيال يرتب ما أراد من الأحوال . ثم لما عزم على المسير والارتحال أخذ أناسا معه فى الاعتقال وقادهم معه فى السلاسل والأغلال فشمر عن ساعد المسير لما يريد من الحزم والعزم والتدبير ، فقال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير ، فالحمد لله العلى الكبير وذلك أنه أسرع فى تسياره يريد قضاء بعض أوطاره حتى يرجع متبججا عند رعيته وأنصاره ويدخل متبخترا بحضرة بلده وأهل داره ، فنزل على قرية يقال لها الخرمة وفيها سكن قليل من الناس مسلمة ، فلما علموا بقدومه لتلك القرية هربوا وندوا وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا فتملقوا البدوان وساروا مع العربان ، فساعة أناخ بها ركابه ومد بها أطنا به وقر له بها القرار أشعل فى تلك القرية النار وعجل الله لها بالدمار ، وكانت عقباه فى يومه ذلك البوار وأظهر الملك القهار والمنتقم الجبار فيه للمسلمين آية الانتصار وعلمنا من أعلام الأقدار وبرهانا على الوحدانية لا يعرف له مقدار ولا يحاط بكنهه فى الفكر والاعتبار ، يحل عن القيام بحق حمده وشكره وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره ، فمواهبه سبحانه لأهل الدين وفواضله على كافة الخلق أجمعين ونصرته لعباده المؤمنين وإعرازه لأولياءه الفلاحين ، ودفعه عنهم صروف الحادثات والنبوب وتفريجه عنهم الشدائد والكرب أكثر من أن يعد ويحصر وأشهر من أن يحصى ويذكر ، ولكن أين الأبواب التى تعنى ذلك وتفهم وتخلص التوحيد وتسلم وتحزن على ماجرى منها وتندم وتذكر ذاك الضلال الأعظم والغى الأقيح الأقدم فى ذلك الزمان الذى مضى وتقدم . فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه ويوالى علينا فيض بره وآلائه وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا فى حسن رجائه .

وتحقيق الحديث والخبر عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر ، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل وفعل بالأحراق له ما فعل لم يكمل له أنس ولم تغب له فيه شمس حتى دهاء فيها ما أزهق الروح والنفس . وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المكان وسار لقتل ذلك الشأن

أتى خبره ربيعا أمير الوادي وابن قرملة أمير قحطان فاستعانوا بالرحيم الرحمن في الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان ويوقعوا به بعض النذل والهوان، ولم يقع في روعهم أنهم لجنده منازلون ولجيشه مصابرون ومقاتلون ولكن كما قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجدوا السير بأثره يطالبون ولبعض النصرة عليه من مولاهم مؤملون . فلم يفجؤهم إلا وفرسانهم عليه مشرفون وذكر له أن هؤلاء ربيعا وهادي وقومهم متبعون . فركض برجله الأرض وحض وقال الآن اقترس الضرغام واقتنص ولكن لا تروم السنابير الأشبال ولا يروم السرحان على الرئبال ولا تحوم بغاث الطيور على العقبان والنسور ، أياكي ظنين التباب زئير ليث الغاب ولئن حكمت صولة الأسود في الانتفاض المررة والقروود . فلا تناظرها في البأس والورود والإقدام واليهود :

ومن رام في الهيجا لفاء جحافلي	وخوض لظى بأسى يوم التنازل
فقد ضل في قعر السفاهة والردى	وألقى في قعر الظنون السوافل
وأضحى ينادى بالحماقة جهرة	ويرفل في ثوب من الجهل نافل
أسمو إلى مجدى وذروة مفخرى	جميع الورى أو يدركون منازل
مجاز تمنى دون ذاك مناله	فأين الثريا من يد المتناول
أمان كلع اللال لم يرو صادئا	ويحسبه الظمان عذب المناهل
لقد عدمتنى الكمت يوم مجالها	ولا وسطى بي الجمع يوم التنازل
ولا أروت الأسلى الظما	

هذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغ مقابلاته على عدة نسخ وقد صححناها على نسخة مقروءة على حجة نحمد الشيخ }
الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ومتع المسلمين }
بمؤلفاته ونفعهم بإفاداته آمين

الناشر

عبد المحسن أبا بطين

١٣٦٨ / ٥ / ٢٠

فهرس

الجزء الثانى من تاريخ نجد المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضوع
٢	كتاب الغزوات البيانية ، والفتوحات الربانية ، وذكر السبب الذى حمل على ذلك .
١١	بيان الحوادث التى وقعت فى سنة إحدى وستين بعد المائة والألف .
٢٠	فصل فى ذكر أحاديث صحيحة .
٢٨	» » بيان الشرك الأصغر .
٣٧	باب » وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين .
٥٢	الحوادث التى حدثت فى السنة الحادية والسبعين بعد المائة والألف .
٥٤	» » » » الثانية » » » »
٥٦	» » » » الثالثة » » » »
٥٧	» » » » الرابعة » » » »
٥٩	» » » » الخامسة » » » »
٦١	» » » » السادسة » » » »
٦٣	» » » » السابعة » » » »
٦٤	» » » » الثامنة » » » »
٧١	قصيدة للمصنف .
٧٣	الحوادث التى حدثت فى السنة التاسعة والسبعين بعد المائة والألف .
(١٧ - تاريخ نجد - ثان)	

الصفحة	الموضوع
٧٥	الحوادث التي حدثت في السنة الثمانين بعد المائة والألف .
٧٦	الحادية والثمانين » » » » »
٧٧	الثانية » » » » »
٧٨	الثالثة » » » » »
٨٠	الرابعة » » » » »
٨٠	الخامسة » » » » »
٨٢	السادسة » » » » »
٨٣	السابعة » » » » »
٨٦	خاتمة يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب : في التوحيد وفي قصيدة قالها المصنف .
٨٨	الحوادث التي حدثت في السنة الثامنة والثمانين بعد المائة والألف .
٩٠	التاسعة » » » » »
٩٥	التسعين » » » » »
٩٩	الحادية والتسعين » » » » »
١٠٢	الثانية » » » » »
١٠٣	الثالثة » » » » »
١٠٦	الرابعة » » » » »
١٠٧	الخامسة » » » » »
١١١	السادسة » » » » »
١١٨	السابعة » » » » »
١٢٠	الثامنة » » » » »
١٢١	التاسعة » » » » »

الموضوع	الصفحة
١٢٤ الحوادث التي حدثت في السنة المكملة للمائتين والألف .	
١٢٦ » » » » الحادية بعد المائتين والألف .	
١٣١ » » » » الثانية » » » »	
١٣٨ » » » » الثالثة » » » »	
١٤٢ » » » » الرابعة » » » »	
١٤٥ » » » » الخامسة » » » »	
١٥٢ » » » » السادسة » » » »	
١٥٥ رثاء للمرحوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب .	
١٥٧ الحوادث التي حدثت في السنة السابعة بعد المائتين والألف .	
١٦٤ » » » » الثامنة » » » »	
١٦٩ » » » » التاسعة » » » »	
١٧١ » » » » العاشرة » » » »	
١٨٥ » » » » الحادية عشرة » » » »	
٢٠٣ المسائل التي سئل فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجاب عنها .	
٢٣٧ القصيدة التي قالها المصنف مهنئاً بها الأمير سعوداً وأباه عبد العزيز .	

شَرِكَةُ كُتُبٍ وَمُطَبَعَةٍ عَلَى الْبَابِ الْحَبِيبِ وَالْأَمِينِ